

تراثنا

# رسائل ابن سبّعين

لأبي محمد عبد الحق بن سبّعين المرسي الأندلسي

٥٦١٣ — ٥٦٦٩ هـ

حققه وقَدّم له الدكتور

جعفر الرحمن بَروى

للمؤسسة المصرية العامة للتأليف والانتشاء والنشر

الدار المصرية للتأليف والترجمة



تراثنا

# رسائل ابن سبّعين

لأبي محمد عبد الحق بن سبّعين المريني الأندلسي

حققه وقَدَّم له الدكتور

عبد الرحمن بَرَوِي

للمؤسسة المصرية العامة للتأليف والإهداء والنشر  
الدار المصرية للتأليف والترجمة





فہرست

المقدمة

|   |   |   |   |   |   |   |   |   |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |    |     |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|-----|
| ١ | ٢ | ٣ | ٤ | ٥ | ٦ | ٧ | ٨ | ٩ | ١٠ | ١١ | ١٢ | ١٣ | ١٤ | ١٥ | ١٦ | ١٧ | ١٨ | ١٩ | ٢٠ | ٢١ | ٢٢ | ٢٣ | ٢٤ | ٢٥ | ٢٦ | ٢٧ | ٢٨ | ٢٩ | ٣٠ | ٣١ | ٣٢ | ٣٣ | ٣٤ | ٣٥ | ٣٦ | ٣٧ | ٣٨ | ٣٩ | ٤٠ | ٤١ | ٤٢ | ٤٣ | ٤٤ | ٤٥ | ٤٦ | ٤٧ | ٤٨ | ٤٩ | ٥٠ | ٥١ | ٥٢ | ٥٣ | ٥٤ | ٥٥ | ٥٦ | ٥٧ | ٥٨ | ٥٩ | ٦٠ | ٦١ | ٦٢ | ٦٣ | ٦٤ | ٦٥ | ٦٦ | ٦٧ | ٦٨ | ٦٩ | ٧٠ | ٧١ | ٧٢ | ٧٣ | ٧٤ | ٧٥ | ٧٦ | ٧٧ | ٧٨ | ٧٩ | ٨٠ | ٨١ | ٨٢ | ٨٣ | ٨٤ | ٨٥ | ٨٦ | ٨٧ | ٨٨ | ٨٩ | ٩٠ | ٩١ | ٩٢ | ٩٣ | ٩٤ | ٩٥ | ٩٦ | ٩٧ | ٩٨ | ٩٩ | ١٠٠ |
| ١ | ٢ | ٣ | ٤ | ٥ | ٦ | ٧ | ٨ | ٩ | ١٠ | ١١ | ١٢ | ١٣ | ١٤ | ١٥ | ١٦ | ١٧ | ١٨ | ١٩ | ٢٠ | ٢١ | ٢٢ | ٢٣ | ٢٤ | ٢٥ | ٢٦ | ٢٧ | ٢٨ | ٢٩ | ٣٠ | ٣١ | ٣٢ | ٣٣ | ٣٤ | ٣٥ | ٣٦ | ٣٧ | ٣٨ | ٣٩ | ٤٠ | ٤١ | ٤٢ | ٤٣ | ٤٤ | ٤٥ | ٤٦ | ٤٧ | ٤٨ | ٤٩ | ٥٠ | ٥١ | ٥٢ | ٥٣ | ٥٤ | ٥٥ | ٥٦ | ٥٧ | ٥٨ | ٥٩ | ٦٠ | ٦١ | ٦٢ | ٦٣ | ٦٤ | ٦٥ | ٦٦ | ٦٧ | ٦٨ | ٦٩ | ٧٠ | ٧١ | ٧٢ | ٧٣ | ٧٤ | ٧٥ | ٧٦ | ٧٧ | ٧٨ | ٧٩ | ٨٠ | ٨١ | ٨٢ | ٨٣ | ٨٤ | ٨٥ | ٨٦ | ٨٧ | ٨٨ | ٨٩ | ٩٠ | ٩١ | ٩٢ | ٩٣ | ٩٤ | ٩٥ | ٩٦ | ٩٧ | ٩٨ | ٩٩ | ١٠٠ |

## الرسائل

[illegible]



# تصدير عام

ابن سبعين

- ١ -

حياته ومذهبه

يحق للمغرب أن يعتر باين سبعين واحداً من بين أعظم أقطابه الروحيين . فهو وإن ولد في مرسية بالأندلس سنة ٦١٣ هـ (١٢١٦/٧ م) من أسرة نبيلة وافرة النفي هي أسرة ابن سبعين التي تذكر بعض المصادر أنها تصعد في نسبها إلى النبي ، وقضى مطلع شبابه في الأندلس ، حيث تعلم العربية والأدب ونظر في العلوم العقلية وأخذ التصوف عن أبي اسحق ابراهيم بن يوسف بن محمد بن الدهاق ، فإنه قضى الفترة الخصبية من حياته الروحية في المغرب ، وفيه أيضاً ألف معظم رسائله ، وجرت له المناظرات العنيفة مع فقهاء المغرب من أعداء الفلسفة والتصوف ، فظهرت عليهم حجته وخصمهم بمثانة استدلاله وسعة اطلاعه . حتى إن أحد تلاميذ ابن سبعين ، واعلمه يحيى بن محمد بن أحمد بن سليمان قال في رسالة دافع فيها عن أستاذه وسمها « بالورثة المحمدية والفصول الذاتية » إن من بين الأدلة على أنه كان لابن سبعين الورثة المحمدية أن ابن سبعين « كان من بلاد المغرب ، والتي عليه السلام قال : « لا يزال طائفة من أهل المغرب ظاهرين إلى قيام الساعة » . وما ظهر في بلاد المغرب — هكذا يتابع تلميذه الدفاع — رجل أظهر منه ، فهو المشار إليه بالحديث ثم [إن] ... أهل المغرب أهل الحق ، وأحق الناس بالحق . وأحق المغرب بالحق علماءه لكونهم القائمين بالقسط . وأحق علمائه بالحق محققهم وقطبهم الذي يدور الكل عليه ويؤمنون في مسائلهم ونوازلهم . السهولة والعريضة ، عليه . فهو [أي ابن سبعين] حق

المغرب ، والمغرب حق الله تعالى<sup>(١)</sup> ،

اتقل ابن سبين إلى العدو ، أعنى المغرب ، وهو دون العشرين . فأقام أولاً في سبتة هو وجمع من أصحابه وأتباعه الذين كانوا قد بدأوا ياتفون حوله وهو لا يزال في الأندلس . وشاعت شهرته بازهد والعلم ، فأعجبت به سيدة غنية من أهل سبتة وطلبت إليه التزوج منها ، فتزوجها . وأقامت له في بيتها زاوية للعبادة . ويظهر أن شهرة ابن سبين بالفلسفة قد استطارت في الآفاق ، بدليل ما ورد في مستهل كتاب « المسائل الصقلية » ، وهي المسائل التي كان الامبراطور فردريك الثاني ملك النورمانديين في صقلية قد وجهها إلى علماء المسلمين « تبكيثا لهم » فيما يزعم المقرئ ، أو للاستفادة وحسب الاستطلاع لما كانت عليه شهرة المسلمين حينئذ بالفلسفة والعلم كما نرى ، وهذه الأسئلة الفلسفية وجه فردريك الثاني نسجاً منها إلى المشرق ومصر والشام والعراق والدروب واليمن ، لكن رجعت أجوبة حكماء المسلمين بمسلم يرصه [ فردريك الثاني ] . فسأل عن أفريقية [ تونس ] ومن بها فقليل له إنها عريّة من هذا الشأن [ أى من الفلسفة ] ، وسأل عن المغرب والأندلس فقليل له إن بها رجلاً يعرف بابن سبين . فكتب [ فردريك ] للخليفة الرشيد من أولاد عبد المؤمن في أمرها . فكتب أمير المؤمنين لعامله بسبتة ، وهو : ابن خلاص ، أن ينظر في الرجل المذكور أن يرّد الجواب على الأسئلة . وكان ملك الروم ( يعنى فردريك ) قد وجه جفتاً فيه رسوله وجملة مال . فاستدعى ابن خلاص الامام قطب الدين وأوقفه على الأسئلة بأمر الخليفة ، فضحك ( ابن سبين ) . . . . وألزم نفسه الجواب . فدفع له ابن خلاص المال الذي جاء به رسول ملك الروم . فردّه ولم يقبله وقال : إنما > أجيّب < عنها احتساباً لله واتنصاراً للملة الاسلامية ، ثم قرأ قوله تعالى :

(١) المقرئ « دفع الطيب » ١ / ١٦٦ ؛ القاهرة ١٣٠٢ هـ ؛

« قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى » . وجوابه . فلما بلغ الجواب للملك ( فردريك ) أرضاه ووجه بمصلة عظيمة فرُدَّت عليه كالأولى .

وهذه المسائل الصغلية التي سأل عنها فردريك الثاني علماء المسلمين هي :

المسألة الأولى عن العالم : هل هو قديم أو مُحدث . والثانية عن العلم الإلهي : ما هو المقصود منه ، وما مقدماته الضرورية إن كانت له مقدمات . والثالثة عن المقولات أى شئ هي ، وكيف يتصرف بها في أجناس العلوم حتى يتم عددها ، وعددها عشر ، فهل يمكن أن تكون أقل ، وهل يمكن أن تكون أكثر ، وما البرهان على ذلك . والمسألة الرابعة عن النفس : ما الدليل على بقائها وما طبيعتها ، ويتفرع عن هذه المسألة الأخيرة سؤال عن أين خالف الاسكندر الأفروديسي أرسطوطاليس .

ويظهر أن المكانة التي نالها ابن سبعين بهذا الجواب قد أوغرت صدور الفقهاء عليه . فراحوا يتهمون بالكفر ، مما اضطر حاكم سبته ، ابن خلاص ، إلى طرده منها . فسكن في بجاية مدة ، فلم يطب له المقام نظراً لاغراء الفقهاء به ، وتحريضهم عليه ، وحسد هم له من كثرة أتباعه ومريديه ، فضلاً عما بدا في كتاباته وأقواله من كلمات غريبة تشتم منها رائحة الكفر ، وقد أشاعوا عنه أنه قال : لقد تحجّر ابن آمنة واسمًا بقوله : « لا نبىّ بعدى » . فيقال إنه نفي من المغرب بسبب هذه الكلمة<sup>(١)</sup> . وكان خروجه من المغرب سنة ٦٤٢ ، وهو في الثلاثين من عمره . ومعنى هذا أنه أقام بالمغرب حوالى خمس وعشرين سنة ، فيها ألف جل كتبه إن لم يكن كلها ، باستثناء كتاب « بد العارف »

---

(١) ابن شاذكر الكتبي : « قوافل الوفيات » ج ١ ص ١٧ • القاهرة سنة ١٩٥١ ، طبعة الأستاذ محيي الدين عبد الحميد .

الذى قيل<sup>(١)</sup> إنه ألفه « وهو ابن خمس عشرة سنة » ، وإن كان في ذلك صعوبة ، وهي كونه في هذا الكتاب أشار إلى « المسائل الصقلية » ( ورقة ١٤٩ من مخطوط جاز الله باستانبول ) . وهو لا يمكن أن يكون قد ألف « المسائل الصقلية » قبل سنة ٦٣٠ هـ ، وهي السنة التي تولى فيها أبو محمد عبد الواحد الرشيد الملك في المغرب . فن الأرجح إذن أن ابن سبعين ألف « بد العارف » في المغرب أيضاً ، وبهذا يكون قد ألف القسم الأكبر من رسائله وكتبه في المغرب . بل لا نعرف أنه ألف شيئاً بعد رحلته عن المغرب فيما عدا الرسالة التي بعث بها أهل مكة يبايعون فيها السلطان المستنصر بالله تعالى أبا عبد الله محمد بن السلطان زكريا عبد الواحد بن أبي حفص ملك إفريقية وما لإيها ( تولى الملك في تونس سنة ٦٥٧ هـ حتى سنة ٦٧٤ هـ ) ، وعلى رأسهم شريف مكة أبو نعيم محمد الأول ( الذي كان شريفاً على مكة من شوال سنة ٦٥٢ إلى صفر سنة ٧٠١ ) ، فهذه الرسالة بالبيعة كانت من إنشاء ابن سبعين ، وقد سردها ابن خلدون بحملتها .

ارتحل ابن سبعين إذن عن المغرب فلجأ إلى المشرق . فر بمصر ، وأقام بها مدة قصيرة فيما يبدو ، لأن هدفه الأول كان الحج . فقصده مكة ، وهناك لقي من شريف مكة ، أبي نعيم محمد بن أبي سعد الذي أصبح شريفاً على مكة في شوال ٦٥٢ ، عطفاً ورعاية وشاع صيته بين أهل مكة بسبب سخائه ، فإن أهل مكة كانوا يقولون عنه « إنه أنفق فيهم ثمانين ألف دينار<sup>(٢)</sup> » ، وبسبب علمه وكثرة أتباعه . وظل في مكة معتزلاً ؛ ويقوم بالحج في موافقته . وكان أهل مكة يعتمدون على أقواله ، وهم يتدون بأفعاله .

( ١ ) قال ذلك تلميذه يحيى بن محمد بن سليمان فيما نقله المقرئ ١ / ٤١٦

( ٢ ) « فوات الوفيات » ١ / ٥١٧ .

ويختلف الرأي في سفره إلى المدينة ، فبعضهم ينكر ذلك ، لأنه فيما روى أبو الحسن ابن برغوش التلساني ، وشيخ المجاورين بمكة ، وكانت له به معرفة تامة ، كان إذا قرب من باب من أبواب مسجد المدينة يُهراق منه دم كدم الحيض <sup>(١)</sup> ، أو لأنه عاقه الخوف من أمير المدينة عن القدوم إليها .

ويظهر أن ابن سبعين كان بسبب موقفه السيلى مضطراً إلى الإقامة بمكة . فقد قال حين سئل عن سبب إقامته بمكة : « انحصرت القسمة في قعودي بها ، فإن الملك الظاهر يطلبني بسبب انتمائي إلى أشراف مكة ، واليمن صاحبها لي في عقيدة ، ولكن وزيره حَسَوَى يكرهني » . وصاحب اليمن كان آنذاك الملك المطهر شمس الدين يوسف بن عمر ( الذي تولى الملك في اليمن في ذى القعدة سنة ٦٤٧ حتى رمضان سنة ٦٩٤ هـ ) .

فظل ابن سبعين في مكة حتى توفي بها يوم الخميس تاسع شوال سنة ٦٩٩ هـ <sup>(٢)</sup> ، واختلف في كيفية وفاته . فذكر ابن شاكر الكنتي في « فوات الوفيات » قال : « سمعت عن ابن سبعين أنه فصد يديه ، وترك الدم يخرج حتى تصفى » ( ٥١٧/١ ) .

\*\*\*

ولم يكن قد نشر من مؤلفات ابن سبعين غير كتاب « الكلام على المسائل الصقلية » نشره شرف الدين يلتقيا في بيروت سنة ١٩٤١ ، ثم قننا نحن بنشر رسائل ابن سبعين فنشرنا منها حتى الآن : « رسالة النصيحة » أو « النورية » ، ثم « عهد ابن سبعين » ،

(١) المرقى ٤١٧/١ .

(٢) في « فوات الوفيات » ٥١٧/١ أنه توفي في ١٨ شوال سنة ٦٩٨ هـ ، وفي البداية والنهاية لابن كثير ٢٦١/١٣ أنه توفي في ٢٨ شوال سنة ٦٩٩ هـ ، ومثله في « شذرات الذهب » ٥/ ٣٢٩ . ويوافق على سنة ٦٩٨ هـ : ابن تيمى يردى ، « المنهل الصافي » ، المخطوط رقم ٢٠٧١ عربى ياريس ورقة ٣٤ ، والصفدى ، المخطوط رقم ٢٠٦٦ ياريس ورقة ١٢٩ - ١٣٠ ب .

ثم « الإحاطة » ، وها نحن أولاء في هذا الكتاب لنشر ما بقى لنا من رسائله ، وسنمقب عليها بنشر كتاب « بدِّ المعارف » وهو أكبر كتبه حجاً . ولابن سبعين طريقة في الكتابة غريبة : فكلامه مفكك ، قليل الاتصال ، حتى قال قاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد : « جلست مع ابن سبعين من ضحوة إلى قريب الظهر وهو يسرد كلاماً تعقل مفرداته ، ولا تعقل مركباته <sup>(١)</sup> » . وكذلك يتسم كلامه بكثرة ما يرد فيه من « ألغاز وإشارات بحروف أبيجد ، وله تسميات مخصوصة في كتبه هي نوع من الرموز » كما قال صاحب « عنوان الدراية <sup>(٢)</sup> » .

فن كلامه الغريب مثلاً ما يكرره في كتاب « الإحاطة » من عبارة : « إيه ا » أوقوله : « الله فقط » ، وتكراره لكلمة « إيه » اثنتي عشرة مرة في سطر واحد ، واستعماله حروف أبيجد بطريقة من الصعب استخراجها ، كقوله في رسالة « الألواح » : « علمه في الإنسانية إنسان ، وفي ح ح ، وفي ن ن ، وفي ج ج ، وفي المالمة علم ، وفي المالقة عقل » .

ومن أغرب كلامه الشاطح قوله في ختام « الرسالة الفقيرية » : « السلام على المنكر وللسليم ، والعالم والمتعالم ، والغالط والمتغالط » ( ص ٢٤٢ من المخطوط رقم ١٤٩ تصوف تيمور ) .

ولنأخذ في شرح المعاني الرئيسية في منهج ابن سبعين .

#### وحدة الوجود

وأول هذه المعاني وحدة الوجود ، وبسببها كان أغلب الهجوم عليه من معاصريه ومن



كبار الفقهاء مثل ابن تيمية الذي طالما هاجمه في رسائله<sup>(١)</sup>، وفي موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول<sup>(٢)</sup>.

فابن سبعين يرى أن آية الله، أي وجوده، هي دأول الآليات وآخر الهويات، وظاهر الكائنات، وباطن الأبديات، (الرسالة الفقيرية، مخطوط تيمورس ٧٣٤) «ولا حتى على الحقيقة إلا الله»، «ولا واحد على الحقيقة إلا الله»، إلا الحق، إلا الشكل، إلا الهو هو، إلا المنسوب إليه، إلا الجامع، إلا الأئس، إلا الأصل، إلا الواحد، (الموضع نفسه).

ويشرح ابن سبعين في كتاب «الاحاطة بالمعارج التي يرتفع فيها السالك حتى يصل إلى معاناة هذه الوحدة المطلقة. في المرحلة الأولى يتأمل السالك الذوات عرية عن المادة، فبرى الوجود «يسيل ولا يقف، ويستمر ولا يختلف». وفي الثانية يكثر من فرض الاتحاد بالقوة الوهمية، وفائدة هذا الاتحاد ضبط النفس بنبطة وهمية، عسى أن تقل حركتها، فيصبح له «الشعور في الضمير بالوحدة المخطوفة بالقوة النازلة من القصد إلى فيض الهوية»، وهذه الوحدة المخطوفة مجرد إيدان بالوحدة الحقيقية. وفي المرحلة الثالثة يطرح البراهين العقلية والأقبسة الصناعية والنفسية وجميع أنحاء المقدمات التي بين أيدي الناس، وبالجملة يطرح المنطق العقلي المشأى ويحمل من هذا الإهمال للمنطق المشأى مقدمة ثم يجعل من التوحيد - الذي لا يصبح معه توحيد بل يكفر به توحيد من لا يعلمه - مقدمة أخرى. والحد الأوسط هنا خير الأمور، والأصغر الوقار، والأكبر التفريد. فالنتيجة هي النبطة الروحية. وهذا النوع من القياس هو استغارة، والبرهان هنا معناه انتظار الفتح من الله. ولا عليه أن يعيبه جنون في هذه اللحظات، لأنه في عالم أكل، شرطه الأساسي هو الجهل بالعالم الذي ليس إياه.

ذلك هو طريق النفوس القوية ، المفطورة على التصوف أما النفوس العادية فلها طريق آخر : تبدأ بتصنع أحوال الملة وأحوال ضمها . لكن ليس عليه أن بوغل فيها شأن الفقهاء ، لأن غرضه أن يتال الإدراك المتوحد ، لا أن ينشئت في الظاهر والفروع والجزئيات .

وبعد هذا عليه أن يفرض على وجه تصور الغيب لسكى ينقطع عنه الاستناد إلى العلم المنقول ، ويتصل بالصورة الحاضرة ، أعني بواردات الحال والوقت ، فإن الصوفي الحق يجب عليه أن يحيا في الحاضر باستمرار ، وأن يعارح الماضي ، إن حياته ووجوده في حاضر سرمدي مستمر .

فإن استطاع أن يصل ، فيها ونعمت . وإلا فليرحل إلى شيخ يدره بخواص الأسماء الالهية القائمة به . فإن نال ما يريد ، وإلا فليرحل إلى غيره يدره بالتصريف . وفي هذه المرتبة ينبغي للصوفي أن لا يقبل العبارة ولا الإشارة ، ولا اللطيفة ولا الدقيقة ولا الحقيقة ، إلا من جهة الشعور والنصيب الإلهي ، أي يجب عليه أن يحيا الأحوال في نفسه تجارب حية ذاتية له ، وأن يشعر بأنها من مدد الله .

ولهذا ليس له أن يقول : إني أعلم الموجود وأحيط بالموجودات ، فهذه معرفة عقلية فلسفية ، بل عليه أن يقول : أنا أجد الوجود وأنصرف في الموجودات . وعليه أن يتابع هذا الذوق حتى يجد الذوات المبردة من تطوره ، أي أن يشعر بأن المعقولات من حاله ؛ وأن الممكن من وجهه ، والحال من خبره ، والواجب عينه ؛ والرب المألوف حرفاً من حروف دينه الذي فرضه على نفسه لا الذي فرض عليه ، فإن دينه المقروض عليه قد نسغه دخوله في مضمار التصوف السالك . هنالك يدرك أن كلام الله معناه اختصار الذات إلى تامين ماهيتها حالاً وخبراً ، وأن مشاهدته بسكون أخباره هي هوية وآنية ، أي ماهية ووجود .

فإذا ما تنقل السالك في عالم الأفلاك وما تحت فلك القمر من إنسان وحيوان ونبات ، وحل وحل وقسم ، ثم ركب ووصل ، وتخلص من القسمة ، هناك إذا رجع إلى نفسه وجد فيها جميع ما في عالم الأفلاك وما تحت فلك القمر بوجه ألطف ، إذ يرى نفسه شبه النموذج لهذه العوالم .

هذه العملية الكبرى التي يشاهد فيها السالك أنه محيط بالكل والكل محيط به ، وأن الكل فيض لواحد ، يسميها ابن سبعين بالإحاطة ، ويقصد بها الوجود كله بوصفه وحدة واحدة .

في هذه الإحاطة يختلط الزوج مع الفرد ، ويتحد التجو مع الورد ، وبالجملة : في الإحاطة يكون السبت هو الأحد ، « الموحد هو عين الأحد ، ويوم القرض هو يوم العرس ، والذاهب من الزمان هو الحاضر ، والأول في الميان هو الآخر ، والباطن في الجنان هو الظاهر ، والمؤمن في الجنان هو الكافر ، والفقير هو الغني » . ( ص ١٦ من نشرتنا . مدريد سنة ١٩٥٨ ) .

وهذا الاتحاد بين الأضداد ، وهذه الإحاطة بما تجمع من موضوعات ونقائضها تذكرنا بنظرية هيجل في « التصور » ، وفيها دياكتيك حتى متطور ، ولكن في عالم روحاني ، لا عقل كما هي الحال عند هيجل . والمباراة التي ذكرناها تتعاقب على كثير من المذاهب الجريئة . فقله : « الموحد هو عين الأحد ، هو بينه قول العلاج : « أنا الحق » . وقوله إن الذاهب من الزمان هو الحاضر هو قول بفكرة الحاضر السرمدي l'éternel présent التي أقام عليها الفيلسوف الفرنسي المعاصر « لوى لافل » L.Lavolle . فلسفته الروحية .

وإذن فمذهب ابن سبعين هو اتحاد الأضداد ، وإلاّ له دائماً أن يتغنى به في كل رسائله ، خصوصاً في « الفقيرية » وفي « الإحاطة » . فهو يطلب من السالك في « الإحاطة »

أن يقول : « سبعان الفرد الزوج ، الحضيض الأوج » (ص ١٧) ، أى أن يجمع دائماً بين الأضداد فى الوجود ، فالوجود يجمع بين الضدين ، بخلاف ما يزعمه المنطق الأرسطى وفى هذا بنور قوية لوضع ديبالكتيك . ولو كان ابن سبعين توسّع فى هذا الباب ، وطبق هذا الديالكتيك على الوجود العيى ، لكان مبشراً بهيجل والديالكتيك عامة . لكنه كان يحاول فى ميدان الالهيات وحدها ، وكان هدفه التوحيد المطلق ، أى القول بالوحدة المطلقة فى الوجود ، وأنه ليس ثمّ غيرُ ولا سوى ، بل كل شيء هو الله ، أو على حدّ تعبيره فى « الاحاطة<sup>(١)</sup> » : « ليس إلاّ الأيس فقط » (ص ٢٣) أى ليس إلاّ الوجود فقط ، وهو هو الله الله ، ويكررها مراراً . ويلخص كل مذهبه فى هذه العبارة : « إيه ! الله فقط لا شك فى ذلك » - . وهى عبارة سيكرها مئات المرات فى مختلف رسائله . ومنها أن ليس ثمّ وجود إلاّ الله فقط .

وهذه الوحدة المطلقة يؤكدها ابن سبعين ضد كل محاولة للتمييز حتى عند الصوفية القائلين بالتوحيد . فإنهم يميزون بين توحيد الذات ، وتوحيد الصفات ، وتوحيد الأفعال وهذه التمييزات التى وضعوها هى فى نظر ابن سبعين أوهاًمٌ فى أوهاًم ، كما قال فى رسالة « خطاب الله بلسان نوره » . ولهذا ينتهز هذه الفرصة فيجعل على سائر الطوائف . فيجعل على الفلاسفة فى قولهم بعالم العقل وعالم النفس وعالم الطبيعة ، والأول والعلة والواجب بذاته ، فهذه التفرقات كلها من مفروضات أوهاًم ، وذلك أنهم تظهر لهم من الحقيقة جملة مدركات وهمية بالذِّكر العظيم الذى يظهر لهم ، وهو أجل من غيره . ولهذا لا يستطيعون وصف الله إلاّ بالسب كقولهم : عالم بعلم لا كالعالم ، حتى بحياة لا كالحياة - أما الفقهاء فلا مرتبة لهم ، لأنهم زعموا أن الأعمال هى المرتبة الشريفة لا من حيث الخلاص النفساني وما بعد العمل وفائدة التجرد والتخلّى وأسرارها الباطنية ،

(١) وترد أيضاً فى « الفقهية » ص ٢٣٤ من مخطوط التيمورية .

بل من حيث الحكاية ، وتلك الحكاية مكذوبة على المعلم أو معرفة أو منقولة على غير وجهها . . . ومع هذا هي عندى فى الظفر لا فى الأثر ، وفى المدرسة لا فى حقيقة المدرس ، وفى الكتاب لا فى الكاتب ، وفى الكاغد لا فى الضمير <sup>(١)</sup> .

يأخذ ابن سبعين على الفلاسفة إذن أنهم يضطرون إلى القول بفروق لا عمل لها ولا محصل وراءها ، ويجرم ذلك إلى الوقوع فى صفات السلوب حينما يريدون تحديد صفات الله . يأخذ على الفقهاء أنهم يتعلقون بالظاهر ، بالأعمال الخارجية ، ولا يهتمون بخلاص الباطن ، خلاص النفس ؛ ولا يدركون سر التجرد ، أى الفقر ؛ ويتعلقون بأحداث إما مكذوبة ، أو معرفة أو منقولة على غير وجهها . ولا يمتنعون التمثل بالنبي ، بل تتعلق بما شاع من أقواله ، ويجرسون على التمسك بما فى الكتب ، لا بما فى ضمائر الكتاب ؛ ويتشبثون بالمدرسة ، أى بالآراء المجردة ، لا بالحقيقة الحية العينية لصاحب الآراء ، أى المدرس . وهذه دعوة من ابن سبعين إلى التعلق بالنبي بوصفه النموذج العيني الأعلى الحى لا بمنعناات الفقهاء والمحدثين .

إن ابن سبعين ينظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم على أنه نور ، استناداً إلى قول النبي " اللهم اجعل لى نوراً فى قلبى ، ونوراً فى جسمى ، ونوراً فى شعرى ، وتتبع جوارحه كلها ، ثم قال : « واجعائى نوراً » . والنبي لما توفى طلب الرفيق الأعلى عند موته ، وهو محل الأنوار ، وروح النبي هناك ، فهو نور ، ومع أنوار . ولهذا يكرس ابن سبعين رسالة خاصة « فى أنوار النبي » ، لأن للنبي أنواراً تختلف باختلاف متعلقاتها ومضافاتها ، ومن حيث الأقل والأكثر ، والأشد والأضعف . وعدة أنواره التى يعددها ابن سبعين ثلاثة وثلاثون . فالأول

نور العزة ، وهو نور الشهادة التي تقال مع شهادة الله . والثاني نور الغاية الإنسانية ، وهي الاسراء ، والاسراء إلى المسجد الأقصى معناه بلوغ الغاية ، الذي وصل به إلى محل الكرويين ثم إلى آخر المهارة الروحانية والجسمانية . والثالث نور الإدراك فإنه أدرك الله وأبصره . والرابع نور النبوة ، وهو ما ظهر له من الآيات وما تحدى به من المعجزات . والخامس نور النشأة ، وهو الذي كشف له مكاتنه وعنايته الله به وحفظه . والسادس نور السابقة ، فقد كان نبياً وآدم بين الماء والطين كما جاء في الحديث والسابع نور الثبريف ، وهو الذي كشف له عن الخصوصية المكتوبة ورسم اسمه في الله وكتب بالنور . والثامن نور التدلل ، الذي كشف له عن مقام القرب وهو قوله تعالى : « ثم دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى » . والسابع نور التركيب الذي كشف له عن الغاية العظمى في التوحيد . والعاشر نور المولد . والحادي عشر نور الخليفة . والثاني عشر نور الترية . والثالث عشر نور الانتقال وهو النور الذي كان يُبصر في عين أبيه وأمه . والرابع عشر نور النهاية ، فهو نور الله تعالى الذي ختم به النبوة الخ . وهكذا يستمر ابن سبعين في تعداد أنوار النبي ، ويختمها بقوله إن النبي هو النور المحض<sup>(١)</sup> .

وإذا كان كلام ابن سبعين يذكرنا هنا « بمشكاة الأنوار » للغزالي ، فإنه لا يريد منا أن نقول إنه تأثر بواحد من الفلاسفة أو الصوفية السابقين ، لأنه لا يمكن لهم أي احترام أو تقدير . إنه يتقدم في كل فرصة لتسنع له ، تسدًا قاسيًا لاذعًا ، مُبَالَغًا فيه .

لقد هاجمهم أولاً « في بدء المعارف » ( ص ٨٦ من مخطوط جابر الله رقم ١٢٧٣

(١) راجع «رسالة في أنوار النبي» في مخطوطة التيمورية ص ٢١٧ - ٢٢٥ .

== ورقة ٣٨ ب في مخطوط برلين رقم ١٧٤٤ [Weiz. II, 1524] ، أى في مطلع شبابه .  
فنقد ابن رشد لشدة افتتانه بأرسطو وتقليده الأعمى له حتى لو سمع أرسطو يقول إن  
القائم قاعد في زمان واحد لقال هو أيضاً بذلك واعتقده ، وابن رشد « قصير الباع ، قليل  
المعرفة ، بليد التصور غير مدرك » ، غير أنه إنسان « جيد قليل الفضول ، ومنصف  
وعالم بعجزه » .

ويقرر ابن سبئين أن ابن رشد لا أصالة له لأنه مقلد لأرسطو . وحكمه عليه بالجملة  
حكم صحيح ، فيما عدا كلامه في قلة معرفته وبلادة تصوره ، فإن ابن رشد كان واسع  
الأطلاع . ولكن يظهر أن ابن سبئين يقصد بقلة معرفته : جهله بعلوم أهل الحقيقة ، أعنى  
بعلوم المكاشفة الصوفية الذوقية .

ويأخذ علي الفارابي أنه تناقض واضطرب ، فهو يقول بآراء مختلفة بحسب  
الكتب المختلفة ، كما حدث فيما يتعلق باعتقاده في بقاء النفوس . ولكنه يقدره  
ويقول إنه ، أى الفارابي ، « آفهمُ فلاسفة الإسلام وأذكرم للعلوم القديمة ، وهو  
الفيلسوف فيها لا غير ، ومات وهو مدرك ومحقق » . وحكم ابن سبئين على الفارابي في  
غاية النفوذ والدقة .

أما خصمه الألد فهو ابن سينا ؛ فهو يرى أن ابن سينا « دموه » ، مُسْفِط ، كثير  
الطعننة ، قليل الفائدة ؛ وماله من التأليف لا يصلح لشيء . ويزعم أنه أدرك الفلاسفة  
للمشرقية ، ولو أدركها لتضوَّع ربحها عليه . وحكم ابن سبئين هذا على ابن سينا ، رغم  
قسوته ، صحيح نافذ . فإن ادعاءات ابن سينا ، كما نراها في مختلف كتبه ، خصوصاً  
في مقدمة « منطق المشرقيين » ، ادعاءات جوفاء لم يحقق منها شيئاً . وقد أصاب  
ابن سبئين الحق كل الحق حين قال إن ابن سينا يزعم أنه أدرك الفلاسفة المشرقية ، ولو صح

هذا لأفشاها وعرفنا ما هي . والواقع أن الفلسفة المشرقية المزعومة لاهقيقة لها ، كما أثبتنا ذلك في تصدير كتابنا « أرسطو عند العرب » .

وحلل ابن سبعين حقيقة النزالي تحليلاً عميقاً فقال إن « النزالي لسانٌ دون بيان ، وصوتٌ دون كلام ، وتخليطٌ يجمع الأضداد ، وحيرةٌ تقطع الأكباد . مرةٌ صوفى ، وأخرى فيلسوف ، وثالثة أشعريٌّ ، ورابعة فقيه ، وخامسة مُحَبِّرٌ »<sup>(١)</sup> . وإدراكه في العلوم القديمة أضعف من خبط المنكيوت . وفي التصوف كذلك لأنه دخل الطريق بالأضطرار الذي دعاه لذلك من « عدم الإدراك » . لكنه يعقب على ذلك بإنصافه فيقول : « ويلبني أن يعذر ، ويشكر لكونه من علماء الإسلام على اعتقاد الجمهور ، ولكونه عظم التصوف ومال بالجملة إليه ، ومات عليه بحسب ما أعطاه كلامه وفهم من أغراضه » . ثم يدلى برأى غريب خليق بأن بهم به الباحثون ويعثوا في صحته بمناسبة الاحتفال بالنزالي وهو قوله إن النزالي « كتابه على أكثر ما يظهر في أكثر كلامه هو « رسائل إخوان الصفا » ، فإنه في الفلسفة ضعيف مثل أصله » . فلئنا لا نعلم أن أحداً اهتم بتحقيق البصلة بين النزالي وبين آراء أصحاب « رسائل إخوان الصفا » .

ونرى ابن سبعين مرة أخرى في « الرسالة الفقيرية » يهاجم الفلاسفة الاسلاميين جملة في عبارة واحدة ثم وأستاذهم أو معلمهم الأول أرسطو . فيستعيز من « توقف أرسطو ونشيت مسائله الإلهية خاصة — فإن غيرها من سائر العلوم أحكمها ولم يفلط فيها إلا في القليل — ومن شكوك المشائين ، وحيرة أبي نصر [ الفارابي ] ، وتعمية ابن سينا في بعض الأمور ، واضطراب النزالي وضعفه ، وتردد ابن الصائغ ، وتنويع ابن رشد ،

(١) في مخطوط جرافة : محبدا .



« وتلويحات » السهروردي مؤلف « حكمة الاشراف » والتلويحات بمنهج أفلاطون ،  
وتشويش ابن خطيب الري [ أى الفخر الرازي ] . »

وفى هذا النقد نجد كما لاحظ الأستاذ ماسينيون أول محاولة لنقد نفساني لتاريخ  
الفلسفة الإسلامية<sup>(١)</sup> .



وابن سبعين شخصية فذة فريدة فى نظراتها الإنسانية العامة. فهو رجل إنسانى عالمي  
غير مقيد بقيود دار العقيدة ، بل يسير على نفس النهج الذى اختطه الحلاج من قبل ،  
حينما ارمى من بلاد الاسلام خارج منطقة شفاعة النبي كما يقول الأستاذ ماسينيون ،  
لأنه « صار يفكر فى الإنسانية كلها ، غير الأمة الإسلامية ، كما يلقنها هذا الشوق  
الغريب إلى الله ، الشوق الصابر الرصين<sup>(٢)</sup> » . كذلك يروى « أن ابن سبعين كان يريد  
الذهاب إلى الهند ، وقال إن أرض الإسلام لا تسعه<sup>(٣)</sup> » لكنه لم يقم بهذه الرحلة . فإن  
صحّ هذا القول فلنما قصد به إلى ما قصده الحلاج من أن رسالته الروحية يجب أن  
يعمّ خيرها كل البشرية ، دون تفرقة بين دين ودين ، ووطن ووطن . وهى النظرة  
التي عبّر عنها ابن عربي فى أبياته المشهورة :

لقد صار قلبي قابلاً كل صورةٍ      فرعى لنزلاتٍ وديرٍ لرهبان  
ويئت لأوثانٍ وكعبة طائفٍ      وألواح توراة ومصحف قرآن

(١) راجع مقاله عن « ابن سبعين ، والنقد النفساني فى تاريخ الفلسفة الإسلامية »

فى تذكّار هنرى باسيه ، باريس سنة ١٩٢٨ ، ج ٢ ، ص ١٢٤ ، وما يليها

(٢) راجع كتابنا « شخصيات قلقة فى الاسلام » ص ٦٨ . القاهرة سنة ١٩٤٦ .

(٣) ابن تيمية : « الرسائل والمسائل » ج ١ ، ص ١٨٢ ، المنار ، القاهرة سنة ١٣٤١ هـ .

أدين يدين الحبّ أني توجّهت      ركايبه : فالحبُّ ديني وإيماني

وهذه الفرعة الانسانية العالمية التي بشر بها الحلاج ومجدها ابن عربي ودعا إليها ابن سبعين هي نتيجة منطقية لقولهم بوحدة الوجود ، وأنه ليس ثمّ إلاّ الله ، فكيف يحقّ له بعد هذا أن يفرّق بين ناس وناس ، وبين وطن ووطن ! نعم إن حبّهم شامل يشمل الانسانية كلها ، بل والوجود كله ؛ وإن نظرهم وآفاقهم تنتظم السكون بأسره .

برن (سويسرة)

عبد الرحمن بدوي

سنة ١٩٥٦

## هـ هذه النشرة

وها نحن أولاء ننشر في هذا الكتاب طائفة من رسائل ابن سبطين هي كل ما يحتوي عليه المخطوط الوحيد الباقي من رسائله ، وهو المخطوط رقم ١٤٩ تصوف بالخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية بالقاهرة . ولم نمتح حتى الآن على مخطوط آخر لهذه الرسائل ولا أية رسالة أخرى من رسائل ابن سبطين . ونحن ننشرها لأول مرة <sup>(١)</sup> .

أما كتابه الرئيسى « بد المعارف » والذي طالما أشار إليه في هذا الكتاب ، فقد أعدناه للنشر ، وفقاً للمخطوطات الثلاث التي عثرنا عليها حتى الآن . وستطبعه مما قريب .

أما عن مبحث نسبة هذه الرسائل إلى ابن سبطين ، فلدينا أولاً الأدلة من شرح تلميذه على « عهد » ابن سبطين لتلاميذه ، إذ ورد فيه ذكر الكتب والرسائل التالية منسوبة إلى ابن سبطين :

---

(١) نشرنا ثلاث رسائل منها من قبل في صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ، وهي « رسالة النصيحة » ( المجلد الرابع سنة ١٩٥٦ العدد ١ - ٢ من ص ١ - ٤٥ من النص العربي ، ومقدمة بالأسبانية من ض ١٣١ إلى ١٣٥ من النص الأسباني ) ؛ « عهد ابن سبطين لتلاميذه » ( المجلد الخامس سنة ١٩٥٧ العدد ١ - ٢ ، ص ١ - ١٠٣ من النص العربي ، ومقدمة بالأسبانية ، من ض ٢٤٩ - ٢٥٣ من النص الأسباني ) ؛ « كتاب الإحاطة » ( المجلد السادس ، سنة ١٩٥٨ ، العدد ١ - ٢ ، ص ١١ - ٣٤ من النص العربي ، ومقدمة بالأسبانية ، ض ١٠٣ - ١٠٥ من النص الأسباني ) .

١ - بذّ العارف ( ص ١٦ ، ٢٩ ، ٣٣ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٥٥ ، ٧٩ بحسب أرقام صفحات المخطوط ، وهي الواردة هنا بين أقواس مربعة ) .

٢ - الإحاطة ( ص ١٦ ) .

٣ - الرسالة الفقيرية ( ١٦ ، ٢٤ ، ٢٩ ، ٥٥ ، ٧٦ )

٤ - نتيجة الحكم ( ص ٢٢ ، ٢٥ )

٥ - الرسالة الإصبعية ( ص ٢٨ ، ٨٢ )

٦ - الكلام على الحكمة ( ص ٢٩ )

٧ - الرضوانية ( ص ٣٣ ، ٤٩ ، ٥٥ ، ٨٢ )

٨ - حكم القصص ( ص ٤٥ )

٩ - مسائل صاحب عقليّة ( ص ٧٩ )

١٠ - الوصايا ( ص ٨٣ )

١١ - الفتح المشترك ( ص ١٥ ، ٩٥ ، ٩٦ )

١٢ - الألواح ( ص ٣٨ ، ١٠٠ )

١٣ - خطاب الله بلسان نوره ( ص ٣٨ )

وفي مخطوطنا هذا نجد من بين هذه الرسائل والكتب ما يلي :

١ - الإحاطة ( ص ٤٤٤ - ٤٧٤ )

٢ - الرسالة الفقيرية ( ص ٢٢٥ - ٢٤٢ )

٣ - الرضوانية ( ص ٢٤٤ - ٢٧٧ )

٤ - الألواح (ص ١٧٥ - ١٨١)

٥ - قسم كبير من د الوصايا ، ( منها وصية لأصحابه ص ٢٠٢ - ٢٠٣ )

٦ - خطاب الله بلسان نوره ( ١٢٨ - ١٤١ )

هذا وقد ورد في ورقة في أول المخطوط (رقم ١٤٩ تصوف تيمور بدار الكتب المصرية)  
بيان بما فيه من رسائل هكذا<sup>(١)</sup> :

والحمد لله ، في هذا المجموع من الكتب ما يذكر :

كتاب التمهيد وشرحه ( ص ٢ - ٧٩ )

كتاب النصيحة وهي الرسالة النورية لابن سبعين ( ٨٢ - ١١٢ )

كلام الشيخ ابن سبعين ( ١١٢ - ١٢٥ )

أيضاً كلام الشيخ ابن سبعين ( ١٤١ - )

كتاب الألواح لابن سبعين ( ١٢٥ - ١٨١ )

كلام الشيخ ابن سبعين أيضاً ( ١٦٥ - )

كلام الشيخ ابن سبعين أيضاً ( ١٨١ - )

كلامه أيضاً في وصية ( ١٩٣ - )

كلامه أيضاً : في وصية لأصحابه ( ٢٠٢ - ٢٠٣ )

كلامه أيضاً في وصايا ( ٢٠٣ - )

رسالة له أيضاً ( ١٩٩ - )

---

(١) وضمنا بين قوسين أرقام صفحات المخطوطة .

كلامه أيضاً رحمه الله ( ٢٠٤ )

كلامه أيضاً مشتمل على أنواره عليه السلام ( ٢١٧ - ٢٢٥ )

الرسالة الفقيرية ، له رضى الله عنه ( ٢٢٥ - ٢٤٢ )

كلامه أيضاً رضى الله عنه ( ٢٠٦ - ٢٠٧ )

الرسالة الرضوانية ، له رضى الله عنه ( ٢٤٤ - ٢٧٧ )

للشيخ ابن ٧٠ كتاب فيه حكم ومواعظ ( ٢٧٧ - ٢٨١ )

- كلام بعض الصالحين رضى الله عنهم

كلام الشيخ ابن سبعين ( ٢٨٢ - ٢٩٢ )

كتاب القوسية وأظنه لابن سبعين ( ١٢٥ - ١٢٨ )

خطاب الله بلسان نوره ، وأظنه لابن ٧٠ ( ١٢٨ - ١٤١ )

حزب الفرج والإخلاص للشيخ ابن سبعين

حزب الفتح والنور للشيخ ابن سبعين

حزب الحفظ والصوت للشيخ ابن سبعين

كتاب فيه حكم ومواعظ لابن سبعين ، ووقع هذا مكرر (١) في النسخة

كتاب يدة أهل مكة للشيخ ابن سبعين

- كتاب للشيخ ابن هود الأندلسي

- الرسالة القديمة للشيخ الششتري

- شرح الفاتحة واسمه مرآة العارفين..

- التتمة الكلية للشيخ ابن أسباط .

— رسالة الصعبة للشيخ ابن وطيل .

— إيضاح ما استبهم من أحوال الفيض والمواهب في تناول الطيبات وتركها ، وما لهم في ذلك من المذاهب ، للشيخ سيدي عبد العزيز القسطنطيني رحمه الله ( ٢٩٣ - ٣٠٤ ) .

— استنباط الوسيلة والذريعة له أيضا ( أي لسيدي عبد العزيز ) ( ٣٠٤ - ٣١٠ ) .  
— وله أيضا ( أي لعبد العزيز ) مواظب رحمه الله ورضي عنه .

— وله أيضا ( أي لعبد العزيز ) في جماعة اجتمعوا للزيارة وتختلف واحد منهم بشير إذن من قدامه : ما حكمه ؟ ( ٣١٠ - ٣١٥ ) .

— وله أيضا ( أي لعبد العزيز ) في سبب إقبال الخلق على العلماء وترك الفقهاء<sup>(١)</sup> . ( ٣٢٠ - ٣٢١ ) .

— صرقة الزلني والمشرع الأصني لأبي بكر بن طفيل<sup>(٢)</sup> ( ٣٢٣ - ٤٠٠ ) .

— من كلام سيدي عبد العزيز في التجريد والأسباب<sup>(٣)</sup> .

— له أيضا ( أي لعبد العزيز ) في كلام سيدي عبد القادر ( أي الجيلاني ) رضي الله عنهم<sup>(٤)</sup> .

— المقاليد الوجودية ، للشيخ الششتري ( ٤١٣ - ٤٤٣ ) .

— كتاب الإحاطة للشيخ ابن سيمين ( ٤٤٤ - ٤٧٤ ) .

(\*) هي رسالة حمى بن يقظان لأبي بكر بن طفيل ، والنسخة كاملة .

(١) ورد بعدها رسالة لسيدي عبد العزيز « مما كتب به لبعض الاخوان المهين » في انحراف وعدم اعتدال بعض المنتسبين إلى التصوف ، وقع من ص ٣١٥ - ٣١٩ .

(٢، ٣) هاتان الرسالتان ناقصتان من المخطوط ومكانهما ورق أيضا ص ٤٠١ - ٤١٢ .

— قصيدة من نظم الشيخ الششتري (وردت في ثنايا المقاليد الوجودية).

— قطعة أيضاً من كلامه (أى الششتري) «رضى الله عنهم أجمعين» (٤٧٨).

ومالم يرد بعده ذكر لأرقام الصفحات من هذا البيان هو مالم تجده أو لم نستطع تحديده في هذه المجموعة.

ويلاحظ أن هذه المجموعة مجموعة مصطنعة مؤلفة من عدة مخطوطات كانت مستقلة ثم ضُمَّت في مجلد واحد، وهى بخطوط مختلفة، ولكنها كلها مغربية الخط. فن:

(١) ص ٢ إلى ٢٩٢ بخط واحد مغربي دقيق، مسطرته ٢٧ سطراً، وهو الأساس في هذه المجموعة.

(ب) ومن ص ٢٩٣ إلى ٣٢١ بخط مغربي آخر أوسع، ومسطرته ١٩ سطراً.

(ج) ومن ص ٣٢٣ إلى ٤٠٠ - وهى رسالة حى بن يقظان لأبي بكر بن طفيل بنصها الكامل - بخط ثالث، مسطرته ٢٦ سطراً.

(د) ومن ص ٤١٤ إلى نهاية المجموعة فى ص ٤٧٨ بخط رابع مغربي أيضاً، مسطرته ١٩ إلى ٢٢ سطراً، وهو خط أقل حسناً. ومن ص ١ إلى ص ٣٢١ ضبط المكتوب بالشكل الكامل تقريباً.

\*\*\*

وعدد صفحات هذه المجموعة كلها ٤٧٨، ولكن فيه أوراقاً أو صفحات بيضاء هى:

٧٩ (كتب فيها سطر واحد والكلام لم يتم)، ٢٠٥، ٢٤٣، ٢٦٣، ٣٢٢، ومن



٤٠١ إلى ٤١٢ — وهذا النقص الأخير الذي يستغرق ١٢ صفحة يشمل رسالتين لسيدى عبد العزيز القسطنطيني: الأولى في التجريد والأسباب، والثانية في كلام سيدى عبد القادر (الجيلاني).

ومقاس المکتوب في الصفحة ٩٤ × ١٥٦ سم

ومقاس المخطوط نفسه ١٣٧ × ١٩٧ سم



## الرسالة الفقيرية

[تابع ٢٢٥]

بسم الله الرحمن الرحيم

وله رضى الله عنه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم كثيراً

سألني أنهم الله عليك به به <sup>(١)</sup> عن الفقر، ولم يُفصح لسانك بما تصوّره جناتك . وفهمت منك أنك أردت الكلام عليه من كل الجهات . وقد أسمعك في الإنشاء عنه من حيث اللغة ، والفقه ، والعقل ، والطريق . فاقنع بذلك مني حتى يخرج للفعل صلاحُ لبذبتك الصوفية وتمحيصها ، ويشيع عند الجميع إصلاح نسبك الصدّيقية وتمحيصها ، وتكون من أولاد الإفادة والاستفادة ، ومن أهل الزيادة بخرق العادة وثبوت العبادة . وحينئذ أجعل فيه تأليفاً مختصراً وجيزاً جامعاً مانعاً قريب التحصيل وصحيح التفصيل ، يتضمن غرضه الأقصى ومنفعته ومرتبته ولبذبتة وهو التعليم المستعمل فيه ، وما يدل عليه اسمه ، ومن الواضع له وما غايته الفاعلة والمنفعلة وما ماهيته في الكمال الأول والثاني ، وكيف يطلق مع العلم المضنون به على أهله باشتراك ، ومع الحكمة بترادف ، وفي أي وجه هو من أوجه التصوف ، وأين مرتبته في جبل التحقيق ، وأين هو من العوالم التي يتكلم عليها في السفر ، التي لم تسمع قط ولم ينطق بها إلا القرآن خاصة ولا سمعه وفهمه [ ٢٢٦ ] إلا أحوال الخواص .

فنبداً يذكر ما وعدتك به ، فنقول : **الفَقْرُ** في اللغة يطلق على أنحاء . يقال : **افتر فلان** فهو فقير ، **ويمكن** فهو مسكين ، **وتسكن** لغة . ويقال : **فقير وقير** ، **توكيد** للفقر ، ورجل **مُتدِم** و**مُنْبِيع** و**مُنْبِق** و**مُنْبِل** — قال الله عز وجل من إبلان — و**مُدْقِع** و**مُحِل** و**مُبلط** و**مُلْقِح** و**مُخِف** و**مُقَر**

(١) كذا متكررة في المخطوط .

وَمُؤْمِنُونَ وَمُسْتَبْرِئُونَ ، رجل ذو فاقة وحاجة وخصاصة وَخَلَّةٌ وَخُتْلٌ وفي حَبِوَةٍ وفي نَكَالٍ من عيشه وفي شدة وَضَرٍّ يَرِقُّ فِي شُغْلٍ وَزَيْدٌ وَجَهْدٌ . وَقَوْلُ: بَدَّ الرَّجُلُ يَبْدُ بَدَادَةً ، وَبَدَّتْ حاله فهو يَبْدُ ، وَحَدُّهُ محدود ، ومحاربٌ ومحرور . وهذا كله للقليل الكسب ، وهو أخلق الكسب . وَتَرَبَّتْ يَدَاهُ ، إِذَا لَزَقَتْ بِالْتَرَابِ مِنَ الْحَاجَةِ . وَرَجُلٌ مُصْبٍ وَمَجْدَعٌ ، جَدَعَهُ الْفَقْرُ ، وَمُؤْتَضٌ — قَالَ رُوَيْبَةُ بْنُ الْمَعْجَاجِ :

وهل يرى ذا حاجة مُؤْتَضًا<sup>(١)</sup>

وساف مالُ الرجل إِذَا ذهب ، ورجل مسيف . قَالَ الشاعر :

أَفِي نَابِيْنٍ نَالِهَا لِإِسَافٍ تَأَكَّتْ صَلَّتِي لَيْسَتْ تَنَامِ

وقد جرز الدهر ماله ، ورجل مجروز . وقد ضنك عيشه ضُنْكَ ، وضنوكا : إِذَا ضَاقَ . وَرَجُلٌ وَبِدٌ وَتَرَقَّى بِالصَّلَةِ وَالصَّلَتْ : الْأَرْضُ ، وَالصَّلَتْ الْمَطَرُ الْقَلِيلُ وَجَمْعُهُ صَلَالٌ<sup>(٢)</sup> . وَيَقَالُ قَدْ أَصْرَمَ الرَّجُلُ فَهُوَ مُصْرِمٌ ، إِذَا أَعْدِمَ . وَالْفَقْرُ ضِدُّ الْغِنَى . وَهَذَا الْفَقْرُ مِنْ حَيْثُ الْغِنَى قَدْ رَسِمَتْ لَكَ مِنْهُ مَا فِيهِ الْكَفَايَةُ ، فَاحْفَظْهُ وَحَافِظْ عَلَيْهِ .

القول على الفقر على حسب رأى الفقهاء : إعلم أَنَّ الْفُقَهَاءَ يَتَكَلَّمُونَ فِي الْفَقْرِ مِنْ حَيْثُ الْأَحْكَامُ الشَّرْعِيَّةُ ، وَيَتَزَلُّونَ لِأَزْمِهِ وَمَنُولِهِ عَلَى مَفْهُومِهِ مِنَ الْغِنَى وَلَا يَتَصَرَّفُونَ فِيهِ بِغَيْرِ ذَلِكَ . وَالنَّبِيَّهِ الْغَاضِلُ مِنْهُمْ يُسَلِّمُ لِأَرْبَابِ الْأَحْوَالِ مِنَ الْفُقَرَاءِ الْفُضَّلَاءِ وَلَمَنْ يَتَكَلَّمُ فِيهِ مِنْ مَقَامٍ آخَرَ أَجَلَ مِنَ الْغِنَى . وَالْجَاهِلُ النَّبِيُّ مِنْهُمْ يَنْكُرُ ذَلِكَ وَيَتَخَطَّى رِقَابَ الصَّادِقِينَ وَيَتَدَلَّى طَعْمَ شَيْءٍ لَمْ يَذُقْهُ ، وَكُنَّا جَمِيعٌ مَنْ لَمْ تَحْدِثْهُ الْعُلُومُ وَلَا أَذْبَنَتْهُ الْمَعَارِفُ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَرَى أَنَّ الْمُسْكِينَ أَشَدَّ حَاجَةً مِنَ الْفَقِيرِ ، وَهُوَ

---

(١) ائتمض إليه ائتمضاً : اضطر إليه ، وقد ورد رَجَزٌ رُوَيْبَةَ فِي « لِسَانِ الْعَرَبِ » نَحَتْ مَادَّةً : أَخْضَضَ هَكَذَا :

حَايَنْتُ أَرَوَى ، وَالِدِيونَ تُقَضِّى  
فَطَلْتُ بِمَضًا ، وَأَدَّتْ بِمَضَا  
وَهِيَ تَرَى ذَا حَاجَةٍ مُؤْتَضًا

لصواب البيت الوارد في النص هو كما في « لِسَانِ » .

(٢) كَذَا فِي الْأَصْلِ ، وَلَمْ يَجِدْهُ فِي الْمَحَاجِمِ ، وَرَبَّمَا كَانَ هُنَا نَحْرُفٌ .

منهـب مالك وأبي حنيفة وزفر والحنـ البصري . ومنهم من يرى أن الفقير أشد حاجة من المسكين ، وهو منهـب الشافعي والنخعي والزُهري . وقد حُكي ذلك عن سفيان الثوري وعن عمرو بن دينار . واختلف أهل اللغة في ذلك ، فحكي عن الأصمعي أنه قال مثل قول الشافعي وجميع من قال بقوله ؛ وعن الفراء وتعلب مثل قول مالك وجميع من قال بقوله . وذكر ابن الأنباري <sup>(١)</sup> في « الزاهر » عن أهرابي أنه سئل : أفقر أنت أم مسكين ؟ فقال : لا ، بل مسكين . فبـ على حاجته يذكر المسكنة . وحكي عن الأصمعي أنه شك في الفقر والمسكين هل هما بمعنى واحد ، أو هذا غير هذا ، وفي تقريرهما بحسب الأشد والأضعف والأقل والأكثر . فاستفهم عن ذلك كله بعض العرب وزوجه حاضرة [ ٢٢٧ ] فقال له الأهرابي : قال الله عز وجل « يطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيمماً وأسيراً » فقدم المسكين على التيمم والأسير ولم يذكر الفقير . فقالت زوجته : بل السكل قراء ، والمسكين فقير القراء . وهذا المقرر من حيث الثقة قد تخلص مختصراً فاحفظه وحافظ عليه ، ولولا خوف التويل والاحتياط على فهمك وانحيازك للسفر كنت أكتب لك في معاملة الفقير والقراء مالا يد منه شرعاً وما يجب على الفقير ، وما يحرم عليه ، وكيف يتصرف في طريقه بالأحكام الشرعية على أتم ما ينبغي . وقد يمكن ذلك في وقت آخر بحول الله تعالى .

القول على المقرر من حيث المجرى الصناعي والنظر في ماهيته مجردة بصنف ألقاظ

البالة ومطابقتها وتخليصها وتلخيصها وتحريرها بالجملة : ونطلق فيه ألقاظاً مجملة غير مفسرة ، ومهمة غير مخصصة لأجل ضيق الوقت من جهتك وجهة أهله ، فنقول : القرف قد مال إليه بمضاج . رسم آخر : الفقر والمُدم من الأسماء المترادفة . رسم آخر : الفقر ليس محصاً <sup>(٢)</sup> ، والغنى ليس بإضافة ،

(١) كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله بن أبي سعيد بن الأنباري . ولد في ربيع الثاني ٥١٣ هـ / يوليو سنة ١١١٩ في الأنبار ، وتوفي في ٣ شعبان سنة ٥٧٧ هـ / ١٩ / ١٢ / ١١٨١ . راجع عنه ابن خلكان برقم ٣٤٢ ؛ « فوات الوفيات » ج ١ ص ٢٦٢ . وله « نزهة الألباء في طبقات الأدباء » و « أسرار العربية » و « الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين » و « لمع الأدلة في أصول النحو » .

وكتاب « الزاهر » هذا يظهر أنه مفقود .

(٢) ص : محض .

وبالعكس من حيث نوتجها . رسم آخر : الفقر سلب والنفي يجلب وبالعكس من حيث لواحتما .  
 رسم آخر : الفقر ضد الملكة ؛ وبالعكس من حيث الشرط والتضمن إذا نظر في أسباب الكمالات  
 الأول والثواني . رسم آخر : الفقر ماهية الحادث . رسم آخر : الفقر آنية الإنصاف عند الغلط  
 بين الممكن الوجود والواجب الوجود . رسم آخر : الفقر في الوجود المقيد بشيء عن شيء هو  
 له ، وإثبات شيء شيء ليس هو له . رسم آخر : الفقر من الأشياء التي لا يوصف الحق بالقدره  
 عليها ، لأن الحق عز وجل هو النقي بالذات وحده ، وغيره فقير بالذات . ومن المحال أن يفعل المحال  
 أو يفعل أو تفعل الحقائق ويسهل ما لا يمكن في حقيقة ما يمكن وبما لله ، وإنما القدرة تصرف في  
 الفقر الإضافي الذي جرت به العادة — فافهم ١ . رسم آخر : الفقر نسبة سلبية وسبة سلبية . رسم  
 آخر : الفقر حنف الإضافة المساوية وغير المساوية . رسم آخر : الفقر صرم الجواز وسرم الانصرام  
 واقتران تعلق الأول والآخر والظاهر والباطن بالأول من التقدير والآخر والظاهر والباطن وما يلزم  
 عنه ومنه وبه ، وجملة السكون في المنارق التالي وغير المنارق التالي ، والرئيس والمرعوس من  
 المسكنات — فافهم . واعلم أن الفقر به تتعلق الإرادة ، وفي ماهيته العامة والخاصة تنصرف القدرة  
 وهو الممكن بوجه ما ، إذ الإرادة متعلقة ببعض المعلومات .

وكذلك القدرة ، فإن النقي المطلق النقي لا يفعل في ذاته ولا يفعل لأحد ولا يمكن ذلك فيه  
 عز وجل ، بل هو الفاعل على [ ٢٢٨ ] الإطلاق في غيره على الإطلاق . ومن حق هذا علم أن الفقر  
 معقول الملك والملوك المضاف والحضرة المنفعة ، كما أن النقي القائم بنفسه الواجب الوجود هو  
 الملك الثابت الواحد بالذات من كل الجهات ، وحضرة هي الحضرة الفاعلة من كل الجهات متزه  
 المارفين . والعالم كله فقير بما فيه من الجسماني والروحاني . فمن كان بالفقر المذكور فقيراً أو بالنقي  
 المذكور غنياً ، كان في الفقر المذكور غنياً . ولملك يا هذا قول : المَسَد لا يفعل ولا يتفعل  
 ولا يشار إليه وهو بالجملة غدر ثابت لا يدركه الحس ولا يتطرق إليه الوهم ولا يدل عليه الدليل ،  
 وأنت قد أطلقت على الفقر وعلى العالم بأسره ونحن نشاهده وجميعنا منه وفيه وهو هنا المشار إليه  
 والمُخْبَر عنه وبه ومنه . وإن أردت بالفقر فقر الإضافة والاحتياج إلى النقي الحق فهذا ظاهر ومعلوم  
 عند الجميع ، والبيان عن المعلوم ضرب من الجهل . وإن أردت بقولك العدم المحض ما لا يمكن

وقوعه ، فأنت جاهد الضرورة أو ممؤه أو مباحث أو مُمخرق . فإن قلت ذلك وقدّر أنك تقوله في نفسك أو في محشرك بين مشرك — فاسمع جوابك بالقوة ومحاطبتك بالفعل من حيث المضمار والتقدير في جملة هذا التقييد وأصبح الآن بسمع قلبك إلى ما أشير إليك به ولعلك أن تجد منه هدياً يلقيك على جادة الطريق . وشرطى عليك أن لا يقف عليه إلا من هو من خواص خواص الخواص وأن تكف<sup>(١)</sup> عن السؤال فيه بالمشافهة ، ولا تطلب منى مزيد بيان لأن المجال ضيق والتسكلم بالإنفاظ على أمر هو من الأمور التي ليست من جنس ما يكتب وهو من الفراغة بحيث لا يفهم إلا السدء الأخير ، والكلام بما ليس من شأنه أن يلفظه خبر وكأني بمن يقف عليه من الجهلة الغنفايش الذين تظلم الشمس والكواكب والأنوار الطبيعية وغير الطبيعية في أعينهم داخل الذهن وخارج الذهن — ينحرك في ميدان سُخْفِهِ ويظهر محاربة من يحيط ويقره بالجملة ويتحرك في سلسلة جنونه . وتقول لقد أفرطت في تحقيقك وتدقيقك ، وعَلَّلتَ وحَلَلْتَ وركبت ، وقبضت وأرسلت ، ودفعت وجذبت ، وخَصَصْتَ فأَهْمَلْتَ ، وفَسَّرْتَ وأَجَلْتَ حتى انحلت عن غريزة العقلاء ورفضت حكم العقول ، فإن من أحكام العقل أن الشيء إما واحد وإما كثير ، والمعلوم إما معدوم وإما موجود . فليقتد في غُلُوِّهِ وليكف من غرْب لسانه ، وليتهم نفسه وليعتبر في العادة الخسيسة والشان الخلف والعالم المحسوس الذي هو بين أطباقه بنحو ما اعتبره التسكلم المذكور حيث كان يتوجه إلى قصده بمقصوده ثم إلى مقصوده خاصة ثم إلى يده بمختلف الوسائل كلها بوجه ما فيراه على بُعد ثم يتوجه إليه بقصد آخر وتوجُّه [ ٢٢٩ ] أكل فيراه على قرب بالإضافة إلى الأول ولا شيء في نفسه . ثم وصل ثم اتصل ثم كان حيث لا مكان ولا زمان . ثم خرج عن الكون وعن ذاته ، ثم انفصل وعلل انفصاله ، ثم اتصل وحقق اتصاله ، ثم شاهد ، ثم فنى ، ثم ثبت ، ثم وقف ، ثم سلب لاسين ثم حصل بلواحه على قبيل قلب قوسين ، ثم عرج به إلى آئنته الجامعة للأنيات ، ثم صرف على هويته الداخلة في سائر الهويات ، ثم استخلف ، ثم ورث ، ثم حكم ، ثم زود إلى أكثر ، ثم بلغ إلى أكر وأكر من أن يقال له أكر ، ثم لم يكن شيئاً مذكوراً ، ثم حرف البعض ، ثم أشد في حاله بلسان حاله عقيب ترحاله :

## ألا كلُّ شيء ما خلا الله باطل

ثم التزم الأدب واكل الكل على الكل ، ثم قطع السبب وأحال البعض على البعض ، ثم جرد السبب وجمع الفرع على الأصل ، ثم فرق المجتمع ، ثم أخلص بعد ألف إخلاص جاز عليه وقصد به إليه وأسلم وآمن بأحكام لم يسعها قط ولا خطرت على قلبه ولا أبصرها ببصره ولا ببصيرته ودفع لاحق ما يجب له ويموز عليه ويستحيل في حقه ، وقبض منه سابعة إخلاص وحكمة القصاص وأسباب السلامة وسير السلام وسلم ، وسلم عليه ، وعلم وعلم به وإليه ، وقطع عوالم الذات المجردة ومقامات النفوس المركبة المجددة ، وشرع في الرحلة إلى الحضرة المشار إليها عند الغلظة ، ودخل في عباد الله الصالحين ، وجعل نهاية نهاية لأقطاب بداية بداية — فافهم !

واعلم أن جميع ما دُوِّن في التصوف والحكمة وغير ذلك مما يجرُّ إلى هذا الشأن وجميع ما سمعت من العلوم المصنوع بها والحكمة الإشرافية وسر الغلظة ونتيجة النتائج — كل ذلك في الوجه الأول من وجوه التصوف .

والتصوف تسعة أوجه ، وبمدها جبل التحقيق . وبعد الجبل نبداً بمالم السر ، وبعد السر بقرع باب التحقيق والنور المبين ، والهراسة خاصة علموه ، والكتب المنزلة أفادتهم وأما الفلاسفة بأجمعهم ورؤسائهم من المشائين ورئيس المشائين أرسطو وأتباعه من غير ملة الإسلام : ثامسطيوس والإسكندر الأفروديسي<sup>(١)</sup> وفرغوريوس القبرسي وأرسطاليس<sup>(٢)</sup> الصقلي وأتباعه من ملة الإسلام مثل الفارابي وابن سينا وابن باجه المذكور في آخر « القلائد » والقاضي ابن رشد في بعض أمره ، والسهروردي مؤلف « حكمة الإشراق » والتلقيحات<sup>(٣)</sup> والتبذير أكثره ، والفزالي بوجه ما ، وابن خطيب الري<sup>(٤)</sup> في بعض صنائعه ، وجميع النبهاء فإنهم لم يصلوا إليه لقصورهم عنه ، ولأن

(١) س : والأفروديسي .  
 فهو من أغريقتهم بعقلية .  
 (٢) كذا وصوابه : التلويحات .  
 (٣) أي ابن الخطيب نضر الدين الرازي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ ، وكان أبوه خطيباً بليغاً في الري ، ولذلك سمى ابنه نضر الدين بهذا الاسم : ابن خطيب الري ، وهذا الاسم الأخير نجهده في ابن أبي أصيبعة : « عيون الأنباء » ج ٢ ص ٢٣ ص ٢٤ عنواناً للفصل الذي عقده له .



علومهم وصنائعهم دون ذلك كله والله على ما نقول وكيل . والصوفية كذلك ، إلا السلف الصالح أعنى صحابة سيد السادات محمد صلى الله عليه وسلم فإنهم عَلِمُوهُ ؛ وَمُتَمَّمُهُمْ هُوَ [ ٢٣٠ ] العظيم الذى إذا نظر العارف فى شأنه وتبَّعهُ وتصَفَّحهُ وتأمَّلَهُ على ما ينبغي ويَجْمَلُ به ويَصِحُّ فى حقِّهِ عَلِمَ أَنَّ أَهْلَ الْحَقِّ كُلَّهُمْ نَقْلَةٌ مِنْ ذِكْرِهِ وَفِرَّةٌ مِنْ قَفَرِهِ .

وهأنا أذكر لك فى السَّدَمِ والمعدومات والإعدام مافيه الكفاية وبعض الجواب الذى وعدتك به فتصنعه ، والله يُخَصِّصُكَ ويخصصك تفعل يا كبير ميرك الإنسانى الذى إذا جمعت فى بوط<sup>(١)</sup> التوجه والفكر على قلب الشرير داخل الدهن وخارجِه ، وسبكته بنار العلم والذكر — انقلب فى الحين إلى ضِدِّهِ واتَّعَفَ المَهْلُ به وظفر بمجده وجهه بمته وكرمه فنقول والله التوفيق : العدم يُطْلَقُ على أنواع كثيرة<sup>(٢)</sup> أحدها أن يَعدَمَ النوع ما > ليس < فى طبعه أن يوجد له ، مثل عدم النبات الحسَّ . والثانى أن يَعدَمَ الشَّيْءَ ما شأنه أن يوجد له فى طبعه أو شأن جنسه مثل الإنسان الأحمى فإنه عدم من البصر ما فى طبعه أن يوجد له وفى طبع نوعه أو جنسه . أو يَعدَمَ ما شأنه أن يوجد له فى طبع جنسه لا فى طبعه مثل الخفاش ، فإنه عَدَمٌ من البصر ما فى طبع جنسه الذى هو الحيوان أن يوجد له فى الوقت . والذى يَعدَمُ ما فى طبعه أن يوجد له نوعان : أحدهما أن يَعدَمَ الذى شأنه أن يوجد له مثل أن يَعدَمَ الطفلُ البصرَ خارجَ الرحم أو جرو الكلب فى الوقت الذى ينتج<sup>(٣)</sup> فيه هيئته . والنوع الثانى أن يَعدَمُ ما فى طبعه أن يوجد له ، لكن لا فى الوقت الذى شأنه أن يوجد له ، مثل عدم الطفل البصر فى الرحم ، والأسنان فى الشهر الأول من مولده . والعنم بالجملة إما أن يُنسَبَ إلى شَيْءٍ ما فى ذاته إذا كان فى طبعه ذلك الشَّيْءَ الذى عدم ، وإما أن ينسب الشَّيْءُ بالإضافة إلى شَيْءٍ آخر : إما إلى زمان ، وإما إلى جنسه ، وإما إلى وجود آخر أى موجود اتفق مما يوجد له ذلك الشَّيْءُ ، وكل ما انتزع من الشَّيْءِ على جهة اتهم فقد عَدِمَ ما فى طبعه أن يوجد له .

(١) بوط : بودقة .

(٢) توجد هذه التفسيرات فى « بُدَّةُ الْعَارِفِ » ورقة ٣٨٤ .

(٣) كذا ولعل أصله : يفتقح — وعلى كل حال فالمنع واحد .

ولست المعاني التي يدل عليها حرف السلب على عدد المعاني التي تدل عليها الأسماء الأعدام ولا المدومات، فإنه يقال: «لا مساوية» لما ليس من شأنه أن يقبل الأصغر والأكبر، وكذلك يقال: لا لون فيها ليس من شأنه أن يقبل لوناً أثبتة مثل قولنا في النقطة أنها لا لون لها. وهذه الأعدام ليس لها أسماء لا معدومة ولا عدمية، فافهم. والمعدوم هو المنتفى، وهذا صحيح لأنه يتميز على الموجود. وقد يقال: المعدوم ما ليس بشيء— وهذا يطرّد وَيُنْعَكِسُ، لأن ما ليس بشيء فهو معدوم، وما هو شيء فليس بمعدوم. فقد صحَّ رَسَمُ المعدوم. ويقال إن المعدوم ما ليس بموجود، وهذا أيضاً صحيح، لأن كل ما ليس بموجود فهو معدوم، وما هو موجود [٢٣١] ليس بمعدوم. وهذه الرسوم التي ذكرتها لك لا تصح على رأى المعتزلة لأنَّ عندهم أن العدم شيء، فوصفوا المعدوم بأنه شيء، وهذا خروج عن الملة وقول بقدم العالم.

والمدومات كلها على خمسة أضرب: معدوم لم يوجد ويستحيل وجوده مثل شريك الله تعالى وخلق كلامه وسائر صفاته. هذا معدوم لا يصح وجوده، وهكذا اجتماع الضدين في محل واحد. وكون الشيء في مكانين في وقت واحد. والثاني: معدوم، وقد صح وجوده وانقضى، وهو كل ما كان في العالم من يوم ابتدئ إلى يومنا هذا وقد انقضى، من تصرفات الخلق. والثالث: معدوم لم يوجد ويصح وجوده، ولا يُدْرَى هل يوجد أم لا، مثل مقبورات الله تعالى التي يصحُّ تعالىُّ القدرة بها مثل خلق عالم ثان وثالث وغير ذلك مما يصح تعلق القدرة به. والرابع: معدوم يصح وجوده ولا يوجد، مثل رد أهل النار وأهل الماد إلى دار الدنيا. ولهذا قال سبحانه «ولو ردُّوا لعادوا لما نهوا عنه» (١) ولكنهم لا يَرُدُّون، فأخبر سبحانه أنه جائز رُدُّهم. والخامس: معدوم لم يوجد ويصح وجوده ويوجد قطعاً، مثل الحشر والنشر والقيامة والحساب والنواب والعقاب وما جرى مجرى ذلك. وهذا التقسيم الذي رحمتك لك في أنواع المدومات لا يصحُّ أكثره عند الفلاسفة إلا بوجه ما، ونظر آخر مفارق لهذا. واستلنى عنه مشافهة فتهبَّك عنه إن شاء الله تعالى.

والإعدام ليس بمعنى، ولذلك لا يصح أن يتعلق بالفاعل، ولا يصح أن يقال القديم سبحانه

خالق فيها يزال قبل خلق العالم ، ولا تارك له . وقالت المعتزلة : الإعدام معنى يخلقه الله لا في مكان فينتفى به العالم . وهذا غلط ، لأن الإعدام هو أن لا يفضل الفاعل شيئاً ، وذلك نفى لا يتضمن وجود معنى ، ولأن الإعدام لو كان معنى لكان يجب ثبوته مع الله في الأزل ، وذلك محال . وإذا استحال وجوده فيما لم يزل استحال وجوده فيما يزال . ولا يصح قول من قال إن الإعدام يتعلق بالفاعل ، لأن ما ليس بمعنى محدث لا يتعلق بالفاعل . وهذا المسم — أعزك الله — وأنواع المسمومات والإعدام قد رحمته لك ، وإن كان في بعض ذلك تجاوزاً ما ، ما حملني عليه إلا ضرورة الوقت . قيس الكلام الأول بالثاني وفك مسمى المتقدم بالتأخر ومصرفه نصريف المثاني وقل : المعلول الذي يعرض له شيان مثل قولنا إن الزامر بالزمار هو بعينه الذي يخطئ إذا عرض أن كان الزامر بالزمار خطياً — يلحق بكلمة الهو العرضية ، وكذلك يقال في الشيتين اللذين يعرض أحدهما للآخر مثل الطبيب والإنسان ، فإن الإنسان عرض له الطبيب أعنى أن الإنسان المطلق عرض له أن كان الإنسان الطبيب ، والإنسان الطبيب عرض أن كان الإنسان المطلق ، ولذلك ما تقول إن الإنسان المطلق هو بعينه [ ٢٣٢ ] الإنسان الطبيب وإن الإنسان الطبيب هو بعينه الإنسان المطلق . وإن كان ذلك كذلك لأن الإنسانية والطبيعية وجدتا شيء واحد بعينه وهو المشار إليه . فلما صدق على جالينوس أنه هو بعينه إنسان وإنسان طبيب ، صدق على الشبيه بذلك أن الإنسان المطلق هو الإنسان الطبيب ، وأن الإنسان الطبيب هو بعينه الإنسان المطلق . ولذلك إذا دخل على هذا القول السور الكلي لم يصدق عليه أعنى أن كل إنسان هو بعينه كل إنسان طبيب ، وكل إنسان طبيب هو بعينه إنسان ، لأن الهو بالعرض إنما يوجد أولاً بالتحقيق للأمر الجزئيات ، ثم يصدق على الأمور الكلية من حيث تشبيها بالجزئيات ، أعنى إذا أخذ المعنى الكلي كأنه مشار إليه . وأما الهو الذي هو بالثبات فيقال على جميع ما يقال عليه الواحد ، فإن الأشياء التي تُعصمها واحد إما بالعدد وإما بالصورة يقال فيها إنما هي ، وكذلك الأشياء التي هي واحدة بالصورة فالهو بَيِّن من أمره أنه إنما يقال على الأشياء التي هي واحدة من جهة واثنان من جهة ، فاعلم ذلك واختبر به ما تقدم واعتبر شأنك كله وجميع ما رحمته لك وانظر في الأمور المفرومة وفي الأمور المنتمية للأشياء ثم انسبه للهو وجرّد المنار منك للمادة وتخلص هويته من حيث هو

مفارق ، ثم جرده من علامته وحقق ماهيته في الواجب الوجود ، واحل عليه الموهو ، ثم  
فَكَّرَ في الحرك الذي يحرك ولا يتحرك ، وفي الحرك الذي يحرك بحجة ويحرك بأخرى ، وفي الشيء  
الذي يحرك ولا يحرك غيره بوجه ولا يمكن ذلك فيه ، وفي الذي يلزم عند كل شيء ويظهر فيه ، وفي  
الذي يلزم مع كل شيء ويظهر فيه ، فافهم . وفكر في الناتيات العامة والخاصة وفكر في الشيء الذي  
هو به غير آنيته وفي الشيء الذي آنيته وهويته واحدة ، وفكر في الذي يفعل في معلوله بذاته وهو  
أقرب للمعلول من علته القريبة له ، وفكر في الذي يلزم في كل شيء ويظهر فيه ، وفي الذي يلزم  
عند كل شيء ويظهر فيه ، وفي الذي يلزم بمد كل شيء ويظهر فيه ، وفي الذي يلزم مع كل شيء  
ويظهر فيه ، وفي الذي يلزم قبل كل شيء ويظهر فيه من كل الجهات ، وفي الذي هو بُدْء كل شيء  
ويظهر في ماهيته ، وفي الذي هو ماهية كل شيء ويظهر في كل ماهية ، وفي الذي هو ولا شيء  
إلا هو ولا ماهية إلا ماهيته ولا آنية إلا آنيته — تجده وحده ، ونجد الوحدة غير زائدة على ذاته  
وجوده مع الموجودات الممكنة مثل الكلام مع المتكلم ومن المتكلم إذا قطعه اقطع مع أنه  
لا حقيقة له في نفسه إلا بالواضع الذي هو فيه وعليه ، ونجد إذا نظر إلى ذاته وجد كل شيء عنده  
بالقوة [٢٣٣] والفعل . وقسم الوجود إلى مطلق ومقيد ومقدر ، والتزم في ذلك كله الأدب تَمَعُّدٌ  
وتَصَمُّدٌ وتَنَلُّ (١) الكمالات وتَكُنُّ بحيث لا يمكن أن يزداد فيها ولا ينقص منك ، ولا يحتاج إلى  
غيرك الممكن منك ، ولا يبق لك توجه إلا إلى بُدْء الحق الواحد الحق وحده ، ولا يستطيع أحد  
أن يجعل فيك قصاً ولا تتركه أنت إن شئت في غيرك ، واخضع هويتك الثابتة اللاحقة الممكنة  
بالموهو بالوجه الذي ذكرته لك ، وبانقر المذكور بحسب الاصطلاح المذكور — تنظر بالعرزة والجلال  
وتكون على عرش كالك وربك عنك راض ، ويحصل في كسبك خمس خواص : أولها : يظهر لك  
في البقطة ما كان يظهر لك في النوم قبل ذلك ، وثانيها : تعلم بجوهرك الذي خرج قبل ذلك الفعل  
ما كنت تعلمه بالنظر والبحث والروية والنكر ، وثالثها : تقدر على بعض الممكنات بوجهها وتتصرف  
فيها بالشيء الذي تسميه عاة الصوفية همة ، ورابعها : ترد عليك مواهب لا من جنس ما أنت عليه ،

وخالفها : فخير بأمر سنية ثابتة في النظام القديم تكشفها وتبينها حضرة بالضرورة — فافهم .  
وهنا الفقر من حيث العقل والمجرى الصناعي وغيره قد تخلص الكلام عليه وتبين لك كيف ينكس  
الحو هو رأس برأس ، فافهم . وإن كنت قد رمزته لك وخلطت لك في مدلوله وحذفت منه ما هو  
منه وألحقت به ما ليس منه ، فلم تفهم من خير محض ونعمة وإفصة . ومن أراد المقصود منكم فعليه  
بكتاب « بُدِّ العارف » ، فهو الكتاب الذي بُنِّتُ فيه مالم يُبْنِ في كتاب قط ، وفيه هو هذا  
الشأن وغيره وجميع ما يخلص السعيد المسترشد في أقرب وقت بالصنائع العملية والعملية وبث  
الأمور السنية . فاطلبه من إخوانك واحفظه وحافظ عليه .

القول على الفقر من حيث الطريق ، وهو آخر الأقسام وهو مرادك : وهو الفقر الذي يشرحه  
عُرفُ الفقراء في زماننا هذا ، ومقصودنا شرحه وَبُّهُ على أكمل ما يمكن بحول الله تعالى فتبدأ  
فنقول : الفقر هو العبر على المسكوة ، وشكر النعم الحكيم ، والقنوة المحضة ، ورفع الأذى كله ،  
وفصل ما يجب كما يجب على ما يجب في الوقت الذي يجب ، وتتفق دعوته التي داخل الدهن مع  
التي خارج الدهن ، ويطلع بالتركيب إلى بُدِّه ، ويهبط بالتحليل إليه ، ويدور بجملته عليه ، ويصل  
الفقر الذي اتصف به نفسه وقصده ومقصوده دائرة وهمية ، ويجمع الوجود المقيد كله في نقطتها  
والمطلق في محيطها . وينظر إلى الخطوط الخارجة من النقطة المذكورة إلى المحيط المذكور في خارجه  
ويراهم تساوية وينسبها . وينظر إليها ثانية من المحيط ويحنف الوسائط ويصير الواسع في الضيق وينظر  
الأشياء في نفسه ثم يقطع جبل النظر والمنظور فيه من حيث الجواز والشفع ، ويصل جبل [ ٢٢٤ ]  
النظر والمنظور فيه من حيث الحقيقة والوتر ، ويصل مع ذلك النقطة المتقدمة بالمحيط ويجهلها جزء  
ماهيتها ، ثم يحقق الأمر ثانيًا ويجهلها ماهية واحدة ويقول : « ليس إلا الأيس <sup>(١)</sup> قط » و « هو هو » .  
ويتصنع قوله ويتأول ما يلزم منه ، ويقطع الإشارة كما قطع العبارة ، ويسكن في شأنه ويجهل مُهمَّله  
ومخصمه من كل الجهات ويقت في ثلاثة مواطن ويموت ويحيى في خمسة مواطن ويبعث من شأنه  
ويقف في موضوع سره المشهور بالبرهان أن آنية الله هي أول الآنيات وآخر الهويات ، وظاهر  
الكائنات وباطن الأبديت . ويحدث في نفسه بالإسلام فيخبر عنه على غير ما كان يخبر ، ويحدث  
قبل ذلك ويشهد للشاهد والمشهود والشهادة بشهادة الانصاف ، ويعكس الضمير الأول على المخاطب

(١) الأيس = الوجود ، وهو في مقابل : ليس = اللاوجود .

الثاني، ويتوب من القواحق ومن الحروف التي تميز إلى الإضافة ويشعر بها ويقول: كل من في العالم بأسره لا يفضل شيئاً والله هو الفاعل خاصة ثم يُخصّ مدلول كلامه ويخلص جميع ما ارتهن فيه وينطق بالحق ويخفف الجواز وجميع ما يميز إليه ويلزم منه وعنه، ويقول: العالم ميت بجمع ما فيه من مفارق للمادة وغير مفارق لها، فلاحى على الحقيقة إلّا الله. ثم يتفق في الإطلاقات باقتنائها مع المضافات وارتباط بعضها ببعض ويقول: ما خالف الوحدة المطلقة والوجود الواجب هو عدم من جهة وجود من أخرى، فلا موجود على الإطلاق ولا واحد على الحقيقة إلّا الله إلّا الحق إلّا الكل إلّا الهو هو إلّا المنسوب إليه إلّا الجامع إلّا الأئس إلّا الأصل إلّا الواحد إلّا الأصح أصح لا صرح حم صمد حق؛ لا تهمه ولا توهمه. وكذلك يفعل في كل نسبة متجانسة ثم يعلل جميع ما أطلقه، ويثبت ما ثبت بالبرهان وينتق ما انتق بالبرهان ويعلم كيف انصرام التوجه، وإلى أين يصل التوجه وبأى وجه يعدم، وينسب مهمل الشريعة إلى مخصص الحقيقة ومهمل الحقيقة إلى مخصص الشريعة، ويقول: من محما وصحيح أسرارده محما الله إصراره.

حكمة ثانية: ويقال القتر هو الذى لا يظهر به على التقدير إلا لسان مخزون<sup>(١)</sup>، وقلب مخزون، وفعل موزون، وفكرة تميل فيها هو كائن ومكون.

حكمة ثالثة: ويقال القتر هو انخلافة الباطنة، كما أن الملك المشار إليه هو انخلافة الظاهرة.

حكمة رابعة: ويقال القتر هو نوع من أنواع التصوف، وهو خيرها. ورُبَّ نوع أفضل من جنسه، كالإنسان مع الحيوان.

حكمة خامسة: ويقال القتر هو الذى تُرسم بدايته بالإرادة والعبادة والإسلام وعالم الشهادة والخروج من الشر الهض إلى الخير المشترك والمجاهدة والطريق المقيد والتوكل والتسليم والتنفيذ والتوبة الأولى وانخلافة المشوقة والفرح والجمع [٢٣٥] والأربعينيات الحركة المهيئة. ويرسم سلوكه بالرضى والإيمان والعبودية وعالم المسكوت والخروج من الخير المقيد إلى الخير المطلق والمكابدة والسفر في الطريق المذكور قبل في رسم البداية، والتوبة الثانية، والفكر التابع للسكنية، والذكر الحرك لتخلّي والتخلّي والتخلّي، وبُعد الأهل والوطن، وحذف العلائق بالجملة، والتزام السوابج

الكاشفة المقصود ، ويرسم وصوله بالعبودية والمشاهدة وعالم الجبروت ومقام الإحسان والخروج من  
الخير المحض المتبدد للكل بالمقصود والأشراك ، وصرف الجو إلى الصحو والتوبة الثالثة المعروفة  
في السبعين ، مقاماً الفاصلة بالتخلق بالأسماء الحسنى وتدبير العالم الأول بالصنائع العلمية والعملية  
وبالأسماء المشتركة — فافهم !

حكمة سادسة : ويقال : الفقر هو الذي يجعل الفقير يجعل الشرع في يمينه والعقل في شماله  
وبينهما العلم ، ويحرك الكل بالأدب والهمة والحقيقة ، ثم يدفعها بالحقيقة مفردة ، ثم يجذبها بالشرعية  
مركبة ، ثم يستغفر الله ويقطع الموصول ويصل المقطوع حتى يثبت ما لا يمكن قطعه ولا اتعاله ،  
ولا هو من هذا القبيل — فافهم .

حكمة سابعة : ويقال : الفقر هو التجرد عن المواد والاتصال بالذوات المجردة المرسوم عليها  
في موضوعات الشرائع والمعبر عنها في اصطلاحهم : باللائكة وعالم الأسماء ، ثم التجرد عنها والاتصال  
بالحكيم العليم الذي أمر الحكيم العليم المبدع الأول الذي أمر الحكيم العليم الثاني ، ثم التجرد  
عن الجملة والاتصال بالحكمة والسكامة ، ثم التجرد عنها والاتصال بالحضرة السنية التي يظهر فيها  
الحكيم العليم الأول المذكور أنه من عباد الله ، والله أعز من ذلك وهو عزيز لأنه احتز كل العلماء  
به قبل هذه التي ليست من جنس ما يعلمه الفيلسوف ولا فهمه بعض الصوفية . وهو علم التحقيق  
الغريب الذي لم يخبر قط جميع من حوّن البواوين كلها عنه ، ولا هو من قبيل السهو والمويس  
ولا في قوة البعير مع الحريص . فاسمع ما أقوله لك ولا تلتفت إلى ما تحيط فيه شيمة أرسطو ،  
وكونهم يقولون : الحق عز وجل هو المحرك للجرم الأقصى بذاته . والمتأخرينهم يقول : بل هو الذي  
فطر الأمر وهو الذي أمر بتحريكها ، وهو ثالث رتبة فوق محرك الأطلس . ومنهم من قال : هو ثاني  
رتبة ، فانظر ذلك في آخر كتاب « المشكاة » للفزائلي وفي كلام ابن سينا والفارابي . وتخصّر  
ابن رشد في ذلك ثم اختار قول الحكيم ، وقال به وزال عن النير . ونخبط في ذلك ابن طينيل  
وانفصل عنه بهديان لافائمة في الحكيم النبوي . وكذلك مذهب أهل الرواق وشيعة فيثاغورس ومن  
قال بالمثل<sup>(١)</sup> المعلقة والحياة السارية في الموجودات ، والذي قال بالاعتقال بالأشياء المولدة من الثاني  
والباقي ، وكذلك [ ٧٣٦ ] جميع ما تسمع من بعض الصوفية الذين يقولون : مقام الإسلام والأيمان  
(١) راجع كتاب : « مثل العقليّة الافلاطونية » ، الذي نشرته ، القاهرة سنة ١٩٤٧ .  
والقائل بالمثل المعلقة : السهروردي المقتول واصحابه .

والإحسان والحق والمطلع والأفعال والصفات والذات ، والذي يقول : الأسماء والتخلق والأسماء التي تصف ويتصف بها والاسم الفاعل والأسماء المتحابة والاسم الذي يتصف — فذلك كله منه ما يصح بوجه ما ، ومنه ما لا يصح . وكذلك قائل : « والحق وراء ذلك كله » فإنه أراد المعلوم المضاف . وبالجملة ، ما عرفوا الله حقاً . معرفته ولا علموه على ما ينبغي له ، فعليك بالرجال .

واعلم أن العلم الإلهي منه ما يُتَمَلَّك ، ومنه ما يورث ، ومنه ما يُتَلَقَّى من صدور الرجال ، ومنه ما يوجد حالاً وذكواً ، ومنه ما يظفر به في الجميع . فقول : أعوذ بالمقصود المعلوم عند معلي حيث معلي : من توقّف أرسطو وتشفيت مسائله الإلهية خاصة ، فإن غيرها من سائر العلوم أحكمها ولم يفلط فيها إلا في القليل ، ومن شكوك المشائين وحيرة أبي نصر<sup>(١)</sup> وتوهم ابن سينا في بعض الأمور واضطراب الفزائي وضعفه وتردد ابن الصائغ وتنويع ابن رشد « وتلويحات » السهروردي مؤلف « حكمة الإشراق » والتعليقات بمنهـب أفلاطون ، وتشويش ابن خطيب الري ، وتخليط الأقدمين ، ورموز جعفر<sup>(٢)</sup> المحتملة مرجع التصوف مع الحكمة من حيث أتباعه ، ومن شطحات بعض رجال « الرسالة » الذين نطقوا من أحوالهم الأول ولم تحذقهم العلوم ولا الصنائع العملية ولا حققوا المبادئ وجاوزوا المقدار بأقوالهم وأحوالهم بوجه ما يسلمه بعض الناس وينسكه الأكثر ومن تصريف ابن مسرّة<sup>(٣)</sup> الجبلي في الحروف والإطلاقات في النطق للآشياء وإضافته الآيات وفهم أقسام

( ١ ) أي أبي نصر الفارابي .

( ٢ ) جعفر الصادق المنسوبة إليه كتب الصنعة والسحر .

( ٣ ) رحل أبوه إلى المشرق مع أخيه في سنة ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م ودرس الكلام عند ممتازة البصرة وحاد إلى بلاده . ولكنه حيناً رأى اضطهاد أصحابه في الأندلس عاد إلى المشرق وتوفي في مكة سنة ٢٨٩ هـ / ٨٩٩ م . أما أخيه محمد بن عبادة بن مسرة ، فقد درس على محمد بن الوضاح المالكي والحفيظ المالكي ، واعتزل في منطقة نائية في جبل عارات قرطبة . وأندأ مذهباً في الفلسفة أقامه على مذهب أبيه تقيس ، فأثار شكوك الفقهاء . وكتب أحمد بن خالد الجبّاب (المتوفى سنة ٣٢٢ هـ / ٩٣٤ م ) صحيفة ضده فلقى الاضطهاد ، لهذا ارتحل إلى مكة حاججاً . فلما تولى عبدالرحمن الثالث الإمارة ( سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م ) عاد إلى الأندلس ، واستأنف لتدريس في عزلة تلك . ولكن فقهاء المالكية مالبثوا أن اتهموه ، وأحرقوا كتيبه علناً ، وتوفي في ٣ شوال سنة ٣١٩ هـ ( ٩٣١/١٠/٢٠ م ) .



بعض السور والإفهام على الأحكام واقتران بعض القرآن ببعض ؛ ومن تهذيب بعض الأسماء والصفات والكون والوجود والموجود والشفع والوتر والتوحيد على مذهب ابن قسي<sup>(١)</sup> صاحب « خلع النملين » ، ومن الأجناس الجامعة المتقدمة والتأليف والمناهب والذهب والاعتبار المقدر المصروف في جملة الأسماء وملوفا وفي الصفات الدائرة التي تدور من ملوفا على صيغها ، وبالعكس على مذهب ابن بركان ، ومن الوصول المنسوب والوقوف عنده بحسب متعلق الأسماء والصفات والمقامات والأرواح والتولين والتسكين والمحبة والوجود والواحد والوحدة والإضافة المضمومة والمجردة والشائعة وغير الشائعة بحسب « المواقف » المنسوبة<sup>(٢)</sup> إلى النوفري الملم الناقل عن المولد على زعمه وغيره ، لمجيب ذلك كله لا خلاص فيه منهم ولا إخلاص مكل ، وهو مما يندخله القلط من الصنائع عند طائفة ومن الأحوال عند آخرين ، ومن الاصطلاح عند قوم ، ومن الفهم عند آخرين ، ومن الرياسة

== راجع عنه ابن الفريسي ١٢٠٢ ، الفريسي ١٦٣ ، ابن خالان « المطبع » ص ٥٨ طبعة استانبول ،  
المقرى ج ٢ ص ٣٧٦ .

وراجع خصوصا كتاب أسين بلايوس : « ابن مسرة ومدرسته » ، مدريد سنة ١٩١٤ .

M. Asin Palacios: Aben Massarra y su escuela, origines de la filosofia Hispano-Musulmana, Madrid, 1914.

• • • : Emcyclopédie de l'Islam, s. v.

: Abenmasarra y Abenhasam, Bol. d. R. Accademia de Ciencias de Cordoba, VIII, 1929, No, 26, 7—22.

وله من الكتب : كتاب « البصرة » وكتاب « الحروف » و « الإطلاقات » — وهي مفقودة كلها .

(١) ابن قسي : هو أبو القاسم أحمد بن قسي ، المتوفى سنة ٥٤٦ هـ — ١١٥١ م .

(٢) الاسم المعروف له هو التسمري : محمد بن عبد الجبار بن الحسن التسمري ، من نفر بالعراق ، لا يعلم شيء عن حياته ، وقد ذكر حاجي خليفة أنه توفي سنة ٣٥٤ ، ولكن هذا التاريخ مشكوك فيه لأنه — أى التسمري — يذكر سنوات ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ في كتابه . وكتاب المشهور هو « المواقف والمحاطبات » ، لثمره الأستاذ آري في لندن سنة ١٩٣٥ ضمن سلسلة جب التذكارية ، السلسلة الجديدة برقم ٩ ( وطبع في دار الكتب المصرية بالقاهرة ) .  
The Mawāqif and Mukhtabāt .  
of M. B. A. Al-Niffart, with other fragments. Ed. by A. J. Arberry ( Gibb Memorial New Series IX).

ومن [٢٣٧] اللذة ومن سوء الفهم عند الأكثر . وهؤلاء منهم من تلهذ بالأنوار والأحوال ، وعَمَل عن الأصل ، وفرح بنفسه ولم يكل ، ومنهم من علم المقصود ولم يتحرك إليه بالسلوك وغلبته الطبيعة والأمور الطبيعية والرياسة وحفظ الصيت عليه ، ومنهم من بهر حال الاتصال فقلط ، ومنهم من شك في الأصل ودفع تارة وجنب أخرى ، ومنهم من كان أوله ضد آخره وبالعكس ، ومنهم من وصف المقصود ولم يتصف به ، ومنهم من ضُرَّ بكلامه ونفع وتنوع أسره وانتقل ، ومنهم من ينفع من جهة ما يضر من جهات . ولولا ما قصدت في هذا التقييد من الاختصار كنت أرسم لك مقاصد من حيث مواضعها والمسئلة والجواب ونين لك شأنهم كله وكيف الأمر فيهم على الإحاطة بالبرهان . وبالجملة ، عليك بالحق وفريقه وأهله وطريقه ، فإن الرجال إذا تنوعوا دار الأمر بينهم وفيهم وعليهم . لا زوال للحق ولا شك فيه ، ولا يأخذه النقص ولا يختلف ولا يغير ، وهو الذي به هو الشيء وما هو ، وهو الشاهد لنفسه المتفق من جميع جهاته ، وهو هو كما تقدم ، وكل حائر فن أجله كانت حيرته وفيه وبه . فافهم ، فإنه هو المطلوب وبه يطلب ، ومنه الطالب وله ومنه وعنه الكل . وقد خرج بنا الكلام إلى غير الذي قصدناه فارجع له بحول الله تعالى .

حكمة ثامنة : ويقال الفقر هو السلبُ المنسوب للسالب والمسلوب الذي دار على قطعة وقاره بشأنه وتقديره وقواره ، وخرج من قدره بمقداره ، ثم أجبر وجبر وطمع في الإيجاب بعد فهم الجواب وكلم مقصوده بلسان ماهيته وصممه بأذن آيئته المكتسبة ، وأبصره بجميع هويته . فافهم !

حكمة تاسعة : ويقال الفقر هو السكون عند عدم كل شيء يتعلق بدلول العما ، ويكون من لواحق النيرية والحركة عند التقدير ، ثم السلب المحض بالإلزام . فافهم !

حكمة عاشرة : ويقال الفقر هو الذي يحصل للتقدير به العلم الذي يدبره ويدبر به ما بعده وما قبله ، والورع الذي يعصمه وينفقه ويحجزه ، واليقين الذي يحصله ، والذكر الذي يتأنس به .

حكمة حادية عشرة : ويقال الفقر هو الذي يُكسب الفقير دوام الافتقار للجان في كل الأحوال وملازمة السنة العربية والقدرة اللازمة عند العادة والمشاركة .

حكمة ثانية عشر : ويقال الفقر هو الذى تُجْعَد فيه قضية الزمان والمكان .

حكمة ثالثة عشر : ويقال الفقر هو المترادف مع الخيرات المطلوبة .

حكمة رابعة عشر : ويقال الفقر هو الذى يسبح به فى بحر الشرف ، وينسخ العادة بأحكام خرق العادة ، وينسخ مقام الوحشة بالوحدة ، وينسخ مقام الوحدة بالحرية ، وينسخ الحرية بالمبادأة فى حال الاتصال بالأدب [٢٣٨] المستوى ، وينسخ التوكل بالتسليم والتسليم بالتفويض ويترك معقوله فى معقوله متخيراً ، وينسخ التفويض بالرضى ، وينسخ الرضى بالتوحيد ، ويقوّى التوحيد بالمهبة ويحفظ المهبة بالمعرفة ، ويخلص المعرفة بالمشاهدة ، والمشاهدة بالمقامات الفارقة كلها ، والجميع بالتحقيق ، ويركبها ويسلسلها بالتوجه والبحث والإنيابة والأوبة ، ويصرفها بالكلام المقيد بالعبارة والإشارة وبالبعض ، ثم بالدقيقة وبالكل ، ثم باللطيفة وبالمذكور ، ثم بالحقيقة وبالمذكور فى المذكور — فافهم . وبطلها بالأحوال ويقيدها بالتصرف ، ثم يجمع المتقدم والمتأخر فى كُتبه وفى كل شأنه ، ويتصف بالجميع ، ويخصها فى محلّه ولا يهمله ، ويثبت الناسخ والمنسوخ فى ماهية شأنه كله ، ثم يحذف مراتبها التى تعددت ويدير عليها دائرة نتيجة شأنه الآخر بمحرك شأنه الأول ، ويسكنها بظاهر كُتبه ، ويجمعها بباطن كونه ، ويجعل على الكل وفى الكل ومن الكل الأول الآخر الظاهر الباطن ، وينظر إلى الأمر كله بعين التوحيد وكلمة السلب ويمجدها قد انصبت فيه وتوحدت من أجله فينسبها إليه ويديرها ثانية وثالثة ورابعة وخامسة وسادسة وسابعة عليه ، ويعتبر جملة داخل الذهن كما اعتبرها خارج الذهن ، وينسب بالاستمارة بعض الأشياء إلى بعض ، ويجعل قلبه التوبة وكبده المجاهدة ، ويده الصبر ، ورجله الأدب ، وحينه العلم ، وسمعه الخلق ، وشمته اللطائف ، ولسانه الأحوال ، ولذته المعرفة والرضى والمهبة وحياته الأثر ، وموته الشفع ، وبالعكس ، ولقطة الإسلام ، وعقله الإيمان ، وروحه الإحسان ، ثم يسى الجميع قرأاً وقيراً وقيراً — و « قير » تأكيد للقيـر كما تقدم وبالعكس كما نـزـم — فافهم !

حكمة خامسة عشر : ويقال الفقر هو الحكمة التى تُرْسَم أنها الفهم عن الله عز وجل ، وهو الحكمة التى سماها الشرع سُنّة ، وهو الحكمة التى تنفيد معرفة الأشياء حسبما تعطيه وتقتضيه طبيعة البرهان ، وهو الحكمة التى يعرف بها ترغيب القرآن وترهيبه ، وجنله ، وقصصه ، ومثله ، ووعد

ووعيده ، وأمره ونهيه وأحكامها كلها وكونها تنحل إلى الأسماء والصفات وفهم الحروف المتحابة ، وحروف أوائل السور مثل كـهـنـص وسائرهما ومقايمة بعض المتحابة ببعض وتناسبها على وجه أكل وأحكم وأتفع وألطف من الظاهر ومن جميع ما هم عليه بعض الناس ممن ينكر هذا الشأن العظيم — فافهم ! وهذا الفقر الذى اختاره خير البشر . والمتعصف به هو الفنى الشاكر [ ٢٣٩ ] حقيقة فإنه غنى بجوهره ، والفنى فيه ماهية ذاته إذ هو فعال بجوهره وعليه يجيب الشكر الكثير الممتد إلى غير نهاية لأنه باق فيه — فافهم ! وأعطى المعنى المقول مع شرف ذاته فى الدارين وسلامته ومناجاته وغيره من الأغنياء بضد ذلك ، وإن كان يشبه هذا فى بعض شأنه فعنده من هذا الفقير بما يشبهه ، وإلا فلا سبيل إلى شيء من ذلك — فافهم . والفقير الصابر المعروف عند العامة هذا الفقير الفنى خير منه على الوجه الذى ذكرناه ، وهو خير من الفنى من حيث العرف والمادة والجمهورية <sup>(١)</sup> . وبالجملة ، الفقر من جميع الوجوه هو المطلوب الشريف وحده ، وكل مطلوب شريف وحده لا شيء أفضل منه . والفقر من جميع الجهات لا شيء أفضل منه .

حكمة سادسة عشر : ويقال الفقر الضيف هو محل الأذى وترك الأذى ووجود الراحة ، والقوى هو التصرف فى الأشياء بالكتاب والسنة والإجماع والقياس والعقل وفعل ما ينبغى كما ينبغى على ما يبنى فى الوقت الذى يبنى ونظم الأسرار والأحوال الإلهية قبل وفروعها وأصولها وأسبابها . والفقر الشريف هو الذى إذا نظر الفقير به إلى نفسه لاغير نظرفها جميع الأشياء المهمة والمخصصة ، والمهمة والمفترية ، والمطلقة والمقيدة ، والشريفة والمنحسية ، والمرعوسة والرئيسية ، ويجعل منها فى ماهيته النورانية ما يجب وينسبها بحده وفى ماهيته المادية وينسبها لضده ، ثم يحقق الشيء الثابت وحده وينظر إليه به ويمض عين سريره المكتسبة ويفتح عين بصيرته اللازمة ، ويقول عند تصويره لذلك كيف يظهر من به يظهر وكيف لا > .. < <sup>(٢)</sup> حقه لا يرى إلا بنوره ولا يشهد إلا بحضوره .

حكمة سابعة عشر : ويقال الفقر هو الجامع المانع .

(١) أى ما عليه جمهور الناس . (٢) خرقي فى الصفحة .

حكمة ثامنة عشر : ويقال الفقر هو المفق الشامل للملك والنبي والصديق والأمنل فالأمنل من حيث التخصيص والمخصوص ولكل يمكن على العموم من حيث العموم والعرف .

حكمة تسعة عشر : ويقال الفقر ترك الرغبة إلا في السعادة وأسبابها ، والعبادة وأحكامها ، وتغيير العادة وأحوالها .

حكمة عشرون : ويقال الفقر عدم خوف الفقر من الهل مع الامتحان السكلى ، ولا يكون للفقير ما يقرب به إلى ربه إلا هو ويظهر النقى به مع الحاجة ، والشبع مع الجوع ، والفرح مع الحزن ، والمحبة لمدونه مع وجود الجور ، ويصوم النهار ، ويقوم الليل ، ولا يظهر ضعفاً وكل ذلك بمجد وصحة أصلية وخير محض .

حكمة حادية وعشرون : ويقال الفقر هو الذى تُعرَف حقيقته الفطنية بما [ ٢٤٠ ] ذكر قبل ، والفطنية بما ذكر قبل ، والعقلية بما ذكر قبل ، والصوفية بورودها على الهل إذ كانت جزء ما هيته وينصف بأعراض لاحقة لها ، وبغلبه <sup>(١)</sup> بذوقه ، ويغير عنه بعد ذلك بنير الذى كان يغير عنه قبل — فافهم !

حكمة ثانية وعشرون : ويقال الفقر حفظ السر المكنون ، والعلم المضمون به والمصون ، وأداء ما افترض ، وصيانة الدين والمقام .

حكمة ثالثة وعشرون : ويقال الفقر هو السكال الأول مع العلم ، وهو السكال الآخر مع المعرفة ، وهو الجميع مع خالص الإنسانية .

حكمة رابعة وعشرون : ويقال الفقر هو الذى لا يطلب به إلا الله ، وإن طُلبَ لذاته أعنى الفقر ن مطلقاً لا خير فيه .

حكمة خامسة وعشرون : ويقال الفقر إذا تُصمِح وتؤمِل وتُبَعِّع على أكل ما يمكن قيل للفقير المنتصف به فقير كما سمى اللدين سلباً ، ويستبر شأنه ونفطه بالمكس . وهذا الفقر — أعزك الله وأعانك على تحصيله بمجيبك الأول الذى لا يكون متحركاً ولا ساكناً وهوليس بجسم ولا فى جسم

(١) وتقرأ أيضاً : وبغلبه .

وهو واحد من كل الجهات ووحده بالذات ، وبحبيبك الثانى الذى لا يكون متحركاً ولا ساكناً  
وليس يحسم ولا فى جسم ولكنه يقال فيه إنه مع غيره الفاسق لا مرتكزاً ولا مربوطاً ولا مستنداً  
ولا ملتصقاً ولا حالاً ، وهو بالجملة لا متصلا معه ولا منفصلا عنه غير أنه يلزمه ملازمة النوع للعنصر  
والفاعل للعنصر ويشار إليه منه محبة المجموع الإنسانى مع أنه مفارق ومن قبيل المفارق . وخلصك  
الله من حبيب ضدك ونوضوحك وروحك وأوحه وأكرمك الله بتحصيل أسباب <...> (١)  
بصلاح المادة والعبادة وحفظك فى شأنك كله حتى لا « تزل فى أبواب اللاهى ولا تغفل عن  
ثواب الله » (٢) ، فطالعه واحفظه وحافظ عليه وحصل مدلولها القول والمقل والحال والمقدمة والنتيجة  
والمسألة والجواب ، ولا تبخل به ولا تمنعه عن أهله ولا تسمح فى ذم فرعه وأصله وخاصته وفصله .  
ولولا أنك محسوب علىّ ومنسوب بمناهة إلىّ ما أسهنتك به ، ولا قيدت لك فيه إلا ما يجعل بك  
وبأمثالك وأهل وقتك . وشرطى عليك أن لا يقف عليه أحدٌ إلا الطلبة النباه والفقراء الفضلاء  
المحبون الأولياء ، ولا يقرؤه من المذكورين إلا من يتصفحه إلى آخره . وإن علم منه أنه ينكره  
يؤخذ من يده ؛ وإن توقع الضرر من لسانه وقلبه ويده ومن صعب عليه منه شيء يرحل به إلىّ . وإن  
عسرت حركته أوتعنرت يرجع به إلىّ ، ونجيبه فى الوقت بحول الله تعالى . [ ٢٤١ ] والاستقامة هى  
رأس العمل مع العلم ، وزوال الكسل والملل . واعلم أن الشقى هو الذى ذهب شبابه بلذته ، وارتمته  
بتبعته ، وخلف له التأسف عليه . والسعيد هو الذى علم أن أيام الحياة حلم ، والموت يقظة ، وفى  
الحساب تفسير أضفائه . فجهد واجتهد وكره دار الفواسق حيث الظل والنل والأبعاد الثلاث (٣)  
واللهو واللعب ولواحق اللهب ، وتوجه إلى الحضرة السيئة التى تبت بجحودها يدا أبى لهب .  
وإياك والفلة والتغالل فانهما يستلان غير ويخصمان السر . والفاقل والمنفاقل واحدٌ ، لأن الفاقل  
تؤديه غفلته إلى الفساد والمنفاقل يؤديه تغافله إلى الفساد ، فقد اتفقا فى الحصول الذى هو الفساد .  
وليس ينفع المتغافل معرفته بما تغافل عنه إذا لم يستعمل فيه ما يجب ، ولا يضر العاقل جهله بما لم يعلم  
إذا لم يعمل فيه ما يجب ، لأنهما قد اتفقا فى الإضاعة ، وتباينا فى العلم والجهل . وعليك بالهمة الجليلة

(١) خرم فى الورقة . (٢) هذه العبارة وردت فى عهد ابن سبعمين لتلاميذه فراجعها فى هذا  
الكتاب . (٣) هى الطول والعرض والعمق ، أى المادة والجسم .

التي هي سوق لا يتبدل إنما المُرَكَّه وإِثْمًا في أكثر الزمان إلى الشيء الذي هو وَكَلَّ الإنسان أن يفعله في حياته والخسيسة بضد ذلك - وبالجمله إن كان الشيء الذي تطلبه الهمة جليلاً قِيل في الهمة إنها جلييلة ، وإن كان خسيئاً قِيل في الهمة إنها خسيئة . وعليك بالسيرة الجلييلة التي هي الأفعال الحمودة التي يدور الإنسان عليها في حياته ويحسب وَكَدَهُ أن يفعلها ويتخلق بها ويعامل بها ذاته وغيره ، ويجعلها مقدسة لمقاصده الكريمة . وعليك بالصناعة الرئيسة التي هي رئيسة على الإطلاق ، وهي التي تعرف أيّ الصناعات والعلوم ينبغي أن تكون في المدن ، وأي الصناعات والعلوم ينبغي أن تكون لكل واحد من أهل الخير والمدينة الصالحة والجماعة أن يتعلمه ، وإلى أي مقدار ينبغي أن يبلغ المتعلم < . . . > <sup>(١)</sup> باكتساب الشيء الذي يسمى خيراً .

واعلم أنه لا بد لكل متوجه ولكل سعيد أو شقي أو غافل أو متفافل أو علم أو جاهل من خير ما يتشوق إليه في شأنه الذي هو فيه ويطلبه ، ولكنه لا يطلق الخير حقيقة ، ولا يعقل إلا في الخير الذي هو سبب السعادة توجد عنده أوبه أو مه أو فيه أومنه ، أو إليه ، أو عليه ، أو عنه ، أو له ، ويطلع على لزوم الشرط والمشروط ، مثال ذلك : الحياة شرط في العقل ، والعقل شرط في العلم ، والعلم شرط في العمل الصالح ، والعمل الصالح شرط في الفضل ، والفضل شرط في السعادة ، والسعادة شرط في الكمال ، والكمال شرط في الخير ، والخير شرط وأصله التخصيص ، ولواحقه كثيرة هينئوطبيعية بل العناية الإلهية خاصة . وأنواع الخير ثلاثة: أحدها الشيء الذي يراد لأجل ذاته ولا يراد في وقت من الأوقات [ ٢٤٢ ] لأجل غيره . الثاني الذي يراد ويؤثر أبداً لأجل غيره ولا يؤثر أصلاً ولا يراد في وقت من الأوقات لأجل ذاته مثل الأشياء المؤدية المؤلمة كشراب الدواء المر الشنيع الطعم الكرهه الرائحة فإن هذه ضرور بنواتها وخير بالإضافة إلى الانتفاع بها . والأول من هذه الأشياء هو الخير بالإطلاق ، فعليك به وبما بعده . والذي حملني على إفشاء هذا السر الذي لا يظفر به في كتاب ولا يسمع في متماد خطاب ما ظهر في زماننا هذا من آراء فاسدة وأحوال سيئة ، وقلة استقامة في بعض القراء وعدم الإنصاف في بعض الطلبة وسوء ظن العامة في الجميع مع غيره من المشار إليه ويشاور ويشار إليه ، ويعول على الله لا عليه .

وأنا أسأل الله العظيم أن يمينني على الخير ويوقني إلى قبوله ، وأسأل الراقنين على هذا الكلام

أن يقبلوا عندي فيما تسألت في تبينه ، وتساعت في تلميه وتثيته ، لأننى أُمليت في بعض يوم على بعض الأصحاب والخاطر منقسم بالداخل إلى والخارج عنى ، ولم يتسع الوقت لتصفحه وتبديله . ومن زعم أن يصل إلى ويباخذني ويطلبني فيه فأهلاً وسهلاً به ، ومن غلبت دعوته على استطاعته يُجهل عليه وتدفع الفائدة برفق إليه ، ولسان حالى يُسلم للنصف ويسلم عليه ، ولسان مقاتى يحمى الجميع ويعظم الكل . ولقد أطلقت على الرجال فى الكلام الأول ما نعلم وتشققة أنه غير جارٍ ولا جائز عند الأكثر . ولكنى غلبت النصيحة على السياسة والحق أحق أن يُتبع ، والسلام على المنكر<sup>(١)</sup> والمُسليم ، والعالم والمتعلم ، والفالط والمنفالط ورحمة الله تعالى وبركاته .

وسميتها لأحد أولادى بالعرض ولكافة الفقراء ولجميع من انتسب إلى بالذات <...><sup>(٢)</sup> فيها بالقصد الأول ، ولجميع من ذكر بالقصد الثانى .

وَمَادُ التَّحِيَّةِ عَلَيْكُمْ مَعَشَرُ الْفُقَرَاءِ حَيْثُ كُنْتُمْ مِنَ الْبَسِيطَةِ ، وَمِنَ الْعَوَالِمِ الثَّلَاثَةِ بِحَسَبِ مَرَاتِبِكُمْ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ ، عَبْدَ الْحَقِّ ، الْكَثِيرُ بِالْقَوْلِ ، الْوَاحِدُ بِالْمَوْضُوعِ ، الْوَاجِبُ بِأَنِّيْتِهِ ، الْمُسَكَّنُ بِهَوِيَّتِهِ ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ ! اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ صَح .

كملت الرسالة القديرية للسيد الشيخ المحقق المقرب سيدى أبى محمد عبد الحق بن محمد ابن عبد الحق بن سبعين نفعنا الله به وأعاده علينا من بركاته . وكان الفراغ من نسخها يوم الجمعة الخامس عشر من محرم سنة اثنتين وتسعمائة . عرفنا الله خيرهُ ، وكفانا ضريرهُ ، بمنه وكرمه ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً !

---

(١) تأمل هذا التعبير الإنساني الرائع : والسلام على الشكر والمسلم ! وقد كرره في أواخر رسائل أخرى .  
(٢) خرم في الورقة .



## كتاب في حكم ومواظب

## بسم الله الرحمن الرحيم

وله رضى الله عنه ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله كثيرًا

استمع لما يُوحى ويستقرأ ، وحصل حينئذ تكتب أو تقرأ : مَنْ أبصر مقصوده كفَّ عن سواه لأنه سواه ، وشرط من سوى واستوى ، قطع وهم السوى . مَنْ قربه الله ، يقول : الله فقط . وينبع هذه الكلمة بالهمة قبل النية ، وبحر قضيته البسيطة بإطلاق المحورية على الآنية ، وبعد خط تأمله ويقبضه أيضا . وخفف عن نفسه حمل وهم هذا ، وهو ، وذلك ، وقال ما قال الله ، ثم استقام لا على ملول الأمر بل على فيض الأمر عز وجل . وجملة الأمر من قال الله ولم يستحق الجميع قال الباطل والله ما تجل قط فاحتجب ، لأنه يظهر بجاهية العرفان وبما يلزم من الوجود الثانى المصاحب ، ولا أقام قط في قلب فرحل عنه ، ولا تعلقت به همه رجل معتبر غائب ، ولا نظر إلى أحد فأمله بعدها ، ولا استجاب في ماهية عارف فرقت غيره قبل ذلك بما هو ذلك وصح له أنه ما كان ذلك بعد ذلك ، ولا مع ذلك ، ولا قبل ذلك . مَنْ قام به خوف الله لا يلتفت الأفعال فانها ضعيفة الإعانة ، قوية الضجر والضرر . وإن عزم على الخوف فذاته أولا فانها تحيل إليها كل التملقات وفى نفس المذاب عين العافية . وسبب الألم هو بعينه سبب اللذة ، لأنها بالنظر إليها تحيل الأحوال كلها إلى الخير والسعادة وهذه فى نفس الولي نفس اللذة . فإن كان الحس يتألم [ ١١٣ ] وقد يستغرق فى جلالها ويفوته الألم وقد يتصرف فى نفسه فيزفع ، وقد لا يُطلق على الولي أنه يتألم مع التحصيل المحض ، وقد يطلق بوجه ما . وبالجملة ، انمقد لإجماع الضمائر الصادقة على أن التعلق بجلال الله على أى نوع كان يمشى نحو الصواب : وذلك إما من جهة الاستحقاق ، أو من قبيل المظاهر أو مفهوم قولك كأنه هو أو مى هو أو أنا . وهذه كلها إلى الله والله ، بل هى الله . ومن يعلم كيف يصرف الأشياء إليه ، ثم يعلم كيف يصرف هو الأشياء بوجه ما ، ثم يعلم ما هى الأشياء فى التحليل ونهاهى فى التركيب ، ثم يعلم ارتناج الجميع ، ثم يعلم ثبوت الجميع ، ثم يعلم الله ولا شئ معه والأشياء الظاهرة للحسن والقبح ، أغنى

الأمر المقولة والمذكّرات المحسوسة ثابتة ولا هي على جهة الافتقار وبالطريق التي يدل عليها علماء الأوهام فإنهم يقولون : الأشياء بالنظر إليها لا شيء لها ، وبالوجه الذي هي به ناظرة إلى ربها هي ثابتة ، وكأنهم يقولون : الوجود المارض للعافية بنوع من القول آخر هو في المفهوم ، وأعوذ بالله من الجميع . وعند العلم بهذه العلوم والعلم بهذه السيرة ينتج له باب التحقيق الشريف ، متى سمع قط عن قریش الاخلاص قطع الطريق على دخيل الاضطراب ، متى حصل أحد على كثر محبوب من غيره في غاية الظهور والوضوح له مع كونه تحت ملكته هو ومادته الأولى ، ومع هذا يمد الأنواع ولا تسع كينته الأشخاص ، ويقوم بشخصه هو فيخاف الفقر ويحتاج إلى مصانعة وتوسّاس الحاجة . وبمدها كله النبي هو الذي لا يقنع من الله بجميع أفصاله ، ولا يطلب منه إلا الذي يحصل منها إلى الذات ويعين الذات الصادرة عنه . آه آه آه يا فاقه ، بل يا حائد عن الغائد ، لا يخذلك قهْمُ عادة نيك الأئمة عن نفوس الأغبياء الأشقياء ، أو المقيمة معهم على مام بسبيله ، أو المنتدبة بهم إذا فقت المهم الشريفة الحق المطلوب ، يقول لسان حالها : يا حُرْناه بما حُرْناه !

وبما يظهر لبعض الضعفاء الصلحاء أنهم استقاموا على الطريقة وزوج القصد لهم بين الشريعة والخفيّة . والدليل على غلطهم في الحق أنهم إذا فتح عليهم يوجهوا ما يظنون أنه الطريق إلى الإحلاق ، وأن الأمر ما بقي منه إلا نصيب الأحوال فقط . ومن غلطهم إذا فتح لأحدهم في شيء يشبه بالمضمار لا شيء يظنونه باب الله . وأعوذ بالله من همة تقف ، بل أعوذ بالله من عقل يقنع ، بل أعوذ بالله من زمان فرد لا يحصل فيه مالا يأخذه الخضر في مدة الأبد المفروضة على معقول السكلى منه حتى يستشهد في ذلك بالحديث ويقول : « مَنْ رَزِقَ مِنْ بَابٍ فَلَيْسَ لَهُ » . ووراد الحديث غير فهم هذا . وذلك أن الباب الذي يتوحد هو باب الافتقار ، الذي يصرف العبد إلى ساحته ، وهو ثابت ومنه يدخل على جميع الأبواب . وهو بالجملة واحد [ ١١٤ ] في مقامه عند العلماء والعباد وعند الحق من أنواع نهاية صراطه الأول الجنسى . وأما أبواب الله المفتوحة فلا نهاية لها ، لأن مواهبها لواحق القدرة الإلهية والفيض الإلهي والإمكان المطلق ، ومفاتيحها تخصيصه أو طريق تخصيصه . فباب من أجل مفتاح ، ومفتاح من أجل باب . وبالجملة ، أبواب مواهب لا نهاية لها ، وباب الرجوع إليه واحد .. وعلى هذا تنهم توبة النبي عليه السلام بحسب رأى ما ، فإنه كان يبدأ بتأمل جلال الملكوت العاصم

ثم الخالص، ثم الجبروت، ثم الحده، ثم المطلع، ثم يتبحر، ثم يقف، ثم يكون ما شاء الله. فإذا فرغت تلك المادة  
 الخبئية أو العلمية أو الخالية أو الوقفية أو الوجودية أو ما شاء الله لمن رضى الله عنه، يعود إلى المنعم حال  
 نعمته يطلب منه نعمة أخرى بحالة أخرى في معنى آخر من ذات واحدة. فباب المنعم الذي هو هورقسط  
 واحد، وبابه الذي هو به كجنس العالي، وأبوابه المولدة أجناس عالية. وبالجلة القناعة من الله حرمان.  
 والنهي يتكلم، والحكمة تشرح. وكذلك قوله: التدبير نصف العيش. ودراده للخواص: ترك التدبير  
 هو العيش كله، وللموام ولن يطلب الأسباب الحديث على ظاهره، وبالجلة جميع ما تمطيه الحكمة الشريفة  
 العلمية التي لا تطلق بحسب منهب خاص ورأى خاص مجهول المكانة يحمل على الشارع، وينسب بالمضار  
 إليه. وإن كان بالقصد الثاني ليت شرى بأى لسان يقول القائل: «لا حول ولا قوة إلا بالله»؟ أبلسان  
 اليمى والقمى والسفاعة، أم بلسان الصدق والجد والنباهة؟ فإن كان بالأول فذلك النفاق، وإن كان  
 بالثاني فلا يحمل مع الله في ملكه ثامى. متى ثبتت سفطة مبطل مع برهان الحق، أى حاجة للمظلوم  
 إلى شهادة من لا يحكم؟ الحاكم الحكيم يعلم ذلك، ويحكم به كذلك قدر أن السفية النابج الذي يطلق  
 القول على ماهيته بتواطئه مع السفية النابج يفرجك من أرضه الظلمة وأنت من المظلومين. فهذه جملة  
 نيم: منها الأسوة بالمهاجر الأعلى، والمخرج من محل الأتقال إلى التي اتملت إليه هذا من ذلك أو لا  
 آلا، والقول يدفع في الآخرة والأولى، والسياسة المزجوجة مع القرينة المستندة المنقطة الحاضرة، ونعمة  
 التائبس بقوله تعالى «وعسى أن تكرهوا شيئاً»<sup>(١)</sup> الآية، والتبديل مع التزعة في البسيطة ومشاهدة  
 الأحوال البسيطة، وأن سجنك يكون في عادة الصديق، وتكمل النعمة عليك إذا لم تذكر حين تذكر  
 غير المذكور وقول «سبح اسم ربك»<sup>(٢)</sup> خير من «أذكرُني عند ربك»<sup>(٣)</sup> من أى شخص  
 كانت، لأن تعظيم الله هو المعبر وما نقص من حقه عز وجل لا يسمح فيه لأحد — فافهم. وتتخذ الخطوة  
 والعزلة الحسية الظاهرة وعند ذلك يذكرك بالباطنة وتجمع. وإن كان تفرق الاتصال فقد أنعم عليك  
 بالاتصال، وأتحفك في هيئة حنكك بالانفصال، وحلك إلى حضرة الوصال، وامتن عليك [١١٥]

(١) سورة «البقرة» آية ٢١٦.

(٢) سورة «الأعلى» آية ١.

(٣) سورة «يوسف» آية ٤٢.

بالشهادة التي يمثلها يظفر بالحفرة التي تزهت عن الدُّل حيث الظل والهوى والمحب وتبت بمجودها  
يدا أبى لمب . هذا إذا لم يكن مقام الرضى قد حكم ، والتوحيد قد جزم . فكيف إذا كان الأمر  
بالعكس وقوته أضعف من نلة في رملة ، ومن خدة في كرة ، ومواكب مجده غير قافلة ، وكواكب  
سعدته في غرب غيه عنه آفلة . وإذا أنشد الهوا في نازلة سفينة من أجل عرض عاجل ، ومن ركب  
الثور بعد الجواد أنكر إطلاعه ذو الغيب ينبغي لراكبه ينشد في حق الذي يهواه :

فليتك تحلو والحياة مريرة<sup>١</sup> وليتك ترضى والأنا<sup>٢</sup> غضاب  
وليت الذي بيني وبينك عاص<sup>٣</sup> وبينى وبين السالمين خراب  
إذا صح<sup>٤</sup> منك الود<sup>٥</sup> فالسكل هين<sup>٦</sup> وكل الذي فوق التراب تراب

ويقرا : « قل كل من عند الله »<sup>(١)</sup> ويتحدث بنعمة الله في التحلل بالحديث : « اللهم لا عيش  
إلا عيش الآخرة » ، ويذكر المثل الموزون وكل ما يفضل المحبوب محبوب ، ويحمد الله العظيم الذي جعله من  
جنس من ذكره في سورة التقرير في جواب القسم ، ثم قبل ثم حرر القول فيه بالاستثناء . هيهات هيهات !  
هيهات ! النظر إلى الحق يصرف النظر عن الباطل . هجبت لمن آمن بالله ثم يخذله وهم الانفعال لكره  
كل شيء بقضائه وقدر . استقام القاتل ، وأقامه الله على الحق بقوله « وعند الله تجتمع الخصوم » ،  
وحسنت خطبة الخطاطب نفسه : يا نفس اعلمى أن الإضراب عن غير الله ملاحظة بين الله . لله من  
قال : « لا تخاطب الأشرافانهم بمنون عليك » - بالسلامة منهم عنده ومن قال الله فقط غبطته ، ليعلم  
أن القاتل لأرواح الفضلاء في عالم الطبيعة والسعداء فيها بعد الطبيعة لابد أن تقتله الطبيعة وتمذهبه  
الشرعية . ما الذي حل من استند إلى جدار وهم يريد أن ينقض ! ما أظنه والله أعلم إلا كان الأمر  
عنده على معنى الحكاية ، ولذلك أقلب إلى النكابة ، وشرع مجاز صحته في ابتداء الشكاية . هل على  
خليع مستصحب للخلاعة التي لا يصح معها صحو ولا عقل حد ؟ أو هل لمن سكر من الله عهد ، أو غبطة  
بوعده ، أو هبة ملك أو رعد ، أو تمب أو جده ، أو رب وعبد ، أو كرو وحده ، أو رسم وجد ؟ أو كيف  
لمن وحده الكيف ، وملك الكرم والكيف ، وأكرم داخل الذهن الضيف ، وقطع الهام بالوهم لا بالسيف ،  
ويصح إلى مجده المجيد لا إلى عمل الرحلتين رحلة الشتاء والصيف ، ويقطع العوالم العلوية والسفلية عنده  
أسرع من العليف ، ويصل في مسجد السلامة قبل مسجد كذا أو مسجد أغليف ، ملاحظة غير معناه

المستولى على همه ، أم كيف لمن لا يطلق على ماهية بماهية عن ماهية ماهيته ، ثم بماهى ماهية من الطالب الأصلية إلّا حلّ ومن لئلا العادة جادت براحة صدرالولى كما أنحرها جاءه على سبيل الإكرام من العلّى الولى ١٩ سررت بمن [ ١١٦ ] حذفته العلوم وهذبت هداية المعارف ، وديرته نهاية العارف ، وآمنت بمن وجد الحق فلم يجد بعده ، ولا وجد قبله مع كونه قول أن يجد وجد ذلك ذلك أسرار الله ، خزايتها فواد الثابت المستقيم .

إياك أن تتوهم في أضعف رجال الله أنه يكثرث بهذيان المَنان ، أو يتوقع بهتان اللسان أو تهابه سطوة جحان ، أو لإرسال السهم ومقاتلة السنان ، أو همة ترفع عليه في الجنان ، أو يقول : فانتفى ساعة في الدنيا فتوتنى جنة في الجنان ، ومنّة من الرحمن المَنان . بَلَّغْ تَخَلَّدِي على لسان حالى ماهية الهمة الواصلة إلى مارضيه الله ، وبذلك الرضى لا يصح السخط والرضا ، ولا المحرك القريب والبعيد والأسباب إنها تقول يا جليل أنم على بجلالة مجد من بعضها الأمل ، وبناية قصد في ضمنه الأزل ، وبعادة هَوْنٍ في عرفها المدد ، وبراحة قلب في قوته الوَجَل . ثم تقول : أنيم على بخير يقطع الأمل - لكونه هو الجامع المانع : فإما يعطى بنير مستلة ، ولما يفعل بنير واسطة إلا الضروري الذى يستند إليه من جهة الافتقار المقول لامن جهة الوجود انخاص أغنى القائم بالولى ، أو بكنا أو بأكثر من كنا ، ووجبت أن الإلسانية التامة بعثت إلى العالم العلوى رسولها بأنها حرة عنه وذلك الرسول قصدها ، ثم بعثت إلى الممكن العام أنها خارجة عن حكمه ثم وجهت إلى الواجب فى الممكن أنها منه فى وقت ما ، ثم توجهت هى إلى الواجب القرى الذى يأخذ الوجود النائم عن المنبر الأعلى ويربطه إلى الماهية القابلة للعقولة فى المثل المماقة وهى واحدة فى الأمر السكلى والمظهرة فى الأشخاص المنتصبة والمظاهرة بمعنى الأمر الطبعى وفى الأجسام سارية بالشار إليها فيها ، وبالجملة : هى كثيرة بالنظر إلى واحد واحد ، وواحدة بماهية ماهية ، وموجودة بمضاهيها ومدودة بوجه ما إذا طلبت ذاتها المشار إليها وبممكنة فى الحكم المنزوع بالنظر إلى شخص شخص ، وعرفته أنها خارجة عنه ، ثم توجهت بعد ما وجدت وغرضها الله بحيث لا يكون واسطتها هو فإن استجاب عندها وجدته ، وإن أنسها دون ذلك الوجود عبده . وبلغنى من رسول حكمة الأحكام خليل رسول الأحكام أنها تقول : المهيولى تنحل إلى أوهاى ، والصور المجردة تصدر عن تطوراتى ، والنفوس المجردة الحركة المعقولة فى الهياكل لأنها قوة شامة

فيها من بعض محمولاتى ، والعقل القريب منها من بعض ملاحظتى ، وهكذا . والعقل الأول أو الفصل أو القلم أو القريب أو المدلول الشريف أو القضية أو النكتة الخاصة أو المظهر أرباب العوالم السكرية أو صفة القديم مثل ذاتى المنسوية . وهذا هو أيضا كذلك لأنه كلامنا والظاهر على ما هو بسبيله لا أنه أعني هذا المعنى يتقد هذا أو يفوته وجهه الأعز . فإذا كان [ ١١٧ ] حال القوم هذا الحال ، وأمرهم من قبيل هذا الأمر ، وشأنهم هذا الشأن - كيف يطلب زعيمهم سياسة أخس أضداده مع كون العوالم كلها عنده على كمالها ؟ وإياك أن يخطئك اعتراض الدعوى وميله إلى تعظيم نفسه فإنه يصدق جميع ما قاله على الله والذي يبعد نفسه على معنى هو مؤلف من الفلّة والصغار ، ومن عزة الطاعة والتاموس ووضع الشيء في محله وجعل ما ينبئ على ما ينبئ وفي الوقت الذى ينبئ - ينبئ له أن يزهد ويتواضع بحسب المواطن المروفة ، ويفزع إلى حفظ العادة وإلى أهلها . وهذا الرجل قد برأه الله من ذلك كله ، وقد كان في ذلك قبل هذا . عجبت من يبحث عن سمادته الثالثة التى يصعب عليه أن نجد له ، وأنها هى التى يبعد بها الإنسان جميع ما يوافقه ويلامه في حياته ومماته ، والتى يمشى بها نحو الصواب فى المدلول الشرعى ، وهى مدلول رضوان الله الكريم ثم يهمل طريقها بكونه يركن إلى غير ركن الأيمن الجوهري الذى هو التوفيق المطلق أو السكون إلى أخباره الطيبة أو مدافعة ما بالمعنى الذى لا يخلل معه الحال ، ولا يصعب معه القيل والقال ، ولا يفوت فيه للمحقق أن يكون مع الله على أى حال كان بالنظر إلى الأوليات والسوابق والمالوج الذى يصح فيه وبه رضوانه المعروف بمعامل الشريعة المنكر عند قائل الحقيقة . ثم أضاف إلى هذا الذى هو مادة الهديان المضحك هنيئا إذا أخبر عنه استعاذ منه الرجل الذى أهمل المصالح العامة والخاصة على الإطلاق . وذلك الشيء المضاف هو نصيحة شخص لا يستحسنه العقل ولا تحض عليها الشرائع ولا يسلمها المعروف ولا تمتنى معها مصلحة مبطلة فتقتل أو مصلحة فتثبت أو تقتل . وقد قام البرهان على أن الأعلى الرئيس لا يدبره الأدنى الخسيس . فأما وهم وقت الفلّة عن خبره الكريم يوم أوقع عنده خوفا ، وإما كان في فترة من الجميع ، وإما أخذ التهورى وإما اجتهد ، وذلك الاجتهاد ذاته به أنه يحفظ الوقت به ، وأنه بذلك على طريقة شرعية بلصوفية ونحويّة . وهنا من انجرار الأوهام وبقية جهل وهى أحسن مما تقدم وأصعب للزوال لأنها غالطت الواصل . والقوى هو الذى يفلب القوى بالله عليك يجهل بما عرف أو يجهل في المعرفة أو بقريب منهما أو بقريب من القريب وهكذا إلى غاية الإعياء أن ينحط . وكلامنا

لمن علم النازلة والنفس الشريفة والأخرى النازلة ، أو لمن يفهم الفائدة العامة بحسب الخطاطب العام إلى رتبة نفعه من مقام السؤدد والمعنى المسود الذي به يقال للفاضل أنت الأُحد ويقعده في هبولى' جهنم السيئة حيث هو ذلك الكلب الأسود .

أفى الالهى قدرة على الله ؟ هل فى معاملة الله مجاز أو بالبطل على الحق يجاز ؟ من كان الله ضالته يطلب الأُنعام ، وينوم أنه تعرض للإنعام . هيهات الاثك فى الله ، ولا شيء أعز من الله ، ولا [ ١١٨ ] موجود على الإطلاق لا ينتقر إلى ' الله ولا إله إلا الله . اعلم أن لا حول ولا قوة إلا بالله . يجب عليها الأدب والاستغفار عند الخواص إذا تمت على سداها ، فكيف قول أنت أنت لمن إذا أطلق القول عليه مع العلم بترادف يسأل عنه المتكلم ، لأنه أضاف بعض المعلومات على رأى بعض الناس إلى شيء لا ينسب لشيء من هنا كله عند كل الناس ! فإن كلمة لا حول ولا قوة إلا بالله « إن كان قلما وهو لم يعلمها إلا وقت همه وامتناعه فيها فيه ما فيه ، وإن كانت المتهمة هى التى ذكرته فالتخص وأخس . وإن كان استعان بالله على بعض أفعاله فهو من الأمور المضحكة ، وإن كان قلما عبادة ، فأمره يتحمل وينشط عن رتبة الخواص . وإن كان قلما دون شيء ولا لها متبر إلا مفهوم الذكر ، فذاته أولا . وبالجملة هى كنز من كنوز الجنة ، وكنوز الجنة هى من بعض أسباب بعض منه . وأعلم أن الذى يطلب الجنة ولا يعتقد أنها سبب القرب إلى رؤية الله ، فأهل النار أحسن منه بالنظر إلى هيمته ومن جهة تعظيم المطلوب لا بالنظر إلى سخط الله . والجنة من جملة الخيرات التى تراد لفيرها ، هنا عند الضمفاء وفى سلوك الأرواح وهم بعض المجردين . ويوجه آخر لا يميل الوجود على أى وجه كان وفى أى مظهر تُصوّر ، ولا يتنوع فى ذاته الموجودة ، والتقديم والتأخير لا يتنبط به السعداء . مَنْ نَصَحَ وأجلب فهو من الضمفاء ، إلا أن تكون النصيحة من بعض أخباره المهمة والناصح ضد ذلك الناصح .

إليه ! بالله من أقدم : المجاز أم الحقيقة ؟ وكلامنا من حيث أصولها . فإن المجاز مع الحقيقة فى مفهوم العرض ، غير أن الحقيقة ترجع إلى الحق ، والحق يرجع إلى الله من حيث هو أهم ذات له ،

والجواز ينصرف إلى أفعاله ، وصنة ذاته قديمة ، وصنة فعله حادث ، والأمر فيهما ظاهر جلياً . يا هذا ! تعلّقك بالتقديم وإن كان على وجه ما مبيناً وفيه مقول الإنسية هو الأكل وهو الموصل وهو هو — فاعلم ذلك . سعت مكالمة من كلم غير الله عند أهله . وإذا أردت البرهان على ذلك خذ نفسك بإنكاره ، فإن لم تستطع فاعلم أن الأمر صحيح . وجميع من قال : وجدت الاستغناء عن الله أو رأيت في الوجود غير الله — قل له : هذا من جهة العادة فقط ، أو من كونك لا تعلم إلا المحسوسات ، أو من كونك توهمت أحوال المؤمنين والكافرين ، وكونك تقول الضرورة لا يختلف فيها أحد . وأي منفعة للعلم إذا كان الله في غاية الوضوح ! وهذا كله محض الأوهام والخرمان . وبقد هذا كله بصناعة التحليل والتركيب في الشيء الواحد يظهر لك مدلول قولي . لا شيء أغرب عندي من رجل يقول الله بلسانه ثم يحرّره بقلبه ، ثم يطبقه على توجهه ، ثم يمجده في جلته ثم في خارج ذهنه ثم في الجميع من حيث ذلك الإجماع ، ثم من حيث ينزع إليه [ ١١٩ ] ويفتر ثم يشعر ويشغل — ومع هذا تبذره مع ذلك خطرات نفسانية ووساوس شيطانية . ومع هذا لا يعلم عنها وبفغلة عن تقعد محاربتها يكون منها أهلاً ومهلاً بنبوب الهمة على مضافها . وسلام الله ورحمته على ذواتها ! بأي دليل أو بأي حجة أو بأي عذر يصح الخروج عن قصد الله الصحيح ؟ وما أحسن روحاً يقرأ عقب التفكير في المؤمن إذا نزع الوم بينه وبين قصده بلسان حاله ! « إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء » (١) أي من رضى عنه كانت الترهات تستطاب قبل ظهور الأخرى والأولى ، بل كانت الحكمة العلوية تعطي قبل الإلهية ، بل كانت السعادة تستعظم قبل معرفة التوحيد المعبر الذي لا تلتفت السعادة معه والموحد في حاله فإن ذلك يجر إليه الشرك لكونه يقسم بساطته وإن لم يركبها ، فإذا زال عن ذلك لا أنه زال بمعنى مفهوم كان ، وإنما ذلك مما يشعر به في مدلول حدّ ورسم ووصف أو في قوة ذلك ، بل لا شيء إلا محض الوجود .

إلى الله أشكو أنسى وسرورى . خذ نفسك يا صاحبنا بالتشبه بالجليل ، وعظم سنة الحبيب والخليل ، ولا تتصف بصفة معلل التحليل . سبحان الله ، سبحان الله ، سبحان الله ! ماشاء الله كان !  
حسبي الله !



إيه ! بالله عليك يأبها الباحث السالك : مالى زادك فى عادتك حتى نهت فى غلة هفوتك تيه  
التالف الهالك ؟ هل ضاقت عليك المسالك ؟ أم جهلت حججك لا حجج المناسك ؟ أو خدعتك  
باطل الموه بسيرة المتقطع الناسك ؟ بحياتك ، بأى وجه تصرف وجه وصول نعمة النهاية من مقابلة  
مرآة الهداية ، وتوجهه إلى غير أصول البداية ؟ وبمشك أخبرنى عن بصيرتك : هل جازت على  
سيرتك ، أم كادت على حاكم سيرتك ؟ أعوذ بالله من عدو الله الذى يصعد المديم عن طريق  
الرحيم ، ويحمله إلى حيز اللعين الرحيم . خطر لى أن أنصحك ، فاقبل نصيحتى . وحاصلها : يا هذا  
إن استطعت تكلل إنسانيتك وتحردها من رق طلب كمالها ، ونجدها بتخصيص مهمل جمالها ،  
وتحسها بتفسير مجمل فصولها — فاقطع فى فمارة الفوز حيث انقطع المحققون ، تجذمرة الجذالى تنمر  
الجذوى واحدة تولد واحداً مثل شجرة الموز ، وهى الإنسان التبيه أنفع من أبيه ، وأكشف  
للموم من أبيه ، وبها يحصل المعنى الذى هو المتقدم منه يتلف بوجود المتأخر مثل النبات المسمى  
قاتل أبيه . واصبر على مكابحتها ، ولا تسوحش من وحش حشوها ، ولا تفرح فى ميدان البطالة حيث  
تختبر طعنا الباطل . وفر من فحشها فإن مركوب الهوى يثر فى التلف براكبه ويهوى فى الهوىة  
بصاحبه . واستجلب فى تلك الغربة للغيرب ، وكلم بالمقرب المقرب القريب ، واعتمد على ما فى  
حاصل جنانك لا دلى غرب لسانك وهتتان برهانك ، فإن همّام الدنيا موموم ، وذمام العليا فيها  
عند الله منموم . ثم دُم على إحسانك وإيمانك ، فكلم بين خوفك وأمانك ١ وإن أردت تعجيل  
مدول هذه الوصية [ ١٢٠ ] الصالحة التى تجارتها رابحة وسماعتها ناجحة ، وموازن رشدتها راجحة —  
تأمل شخص عين روح حبيب الجليل وانتقال وجه توجه قلب الخليل ، وكيف ثبتت ملاحظة  
هذا حتى وقعت العين على العين ، ولم تُخرج إلى السك والكيف والأين وما اشتغل بمعدرك  
مقدّر فى البسيط ، أو محمول فى المركب . وأطلع على الملكوت قبل تصنع أحوال الكوكب والفلك  
الأطلس والمكوكب ، وكيف استقام تصنع هذا ومتابعة الأشياء العسيرة شيئاً شيئاً ، وسهر مساحة  
افتقارها بطول التأمل الخالص المتخصص فى الطول والعرض حتى جعل الحاصل الأول المعلوم الأول  
عند الأخير الأول ، فاطر السموات والأرض ، فاطر الله عبدة الأول لأهل البصائر والسرائر  
وعبرة الآخر لنوى الأبصار والإبصار بالصنائع لا بالضائر ، هذا مع الحال والغير والآخر مع الفكر

والآثر ، وأحرك آخر أمره أول أمر ذلك ، ولأجل ذلك ما هو كنفك ، ولا يسمع لسان الإنصاف إلا أن يقول : يا والداه ! لست من رجاله ، ولا رجالك كرجاله ، هو غريب في مجاله ، وفي أفراحه وأوجاله ، وحق النظر فيها واحفظ الأثر المسبوع من فيها ، وإن هممت بالاستقلال قبل الاعتدال فاعزم على قطع وهم الاختلال ، ولا تغرَّ نفسك بمغرَّتين ، والمؤمن لا يبلغ من جحر مرتين . وبالجملة : عليك بالشريعة ، فالعبد مَنْ تعلق بأذيالها ، وزلزل نفسه زلزالها ، وأخرج بالخشية من عينه أقمالها ، ورفع بقوة التبعية عن النسمة أوحالها ، وكان يبحث تكاد فراسته نحدث أن الله أوحى لها ، حبيبنا صاحبنا مدبرنا . يا نحن ، يا هنا ، بل يا أنا ! عصمتك الله وإيانا من الزلل ، ومن علة الأكمل والتكمل ، ومن القبيح في كل الليل والكل . إن أخبرك الوسواس حال هفوة ما بصد هذه النكتة ، ويخطر ببالك أنها جاءت على جهة التوبيخ والجلد ، وأنها من قبيل الحكايات والمثل ، فأخرج عن خيال هذا الخاطر ، فإنه لا يجهل بالقاطن ، ولا بالخاطر ، وادفعه بقوله : « وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً »<sup>(١)</sup> بل بقوله « بئس للظالمين بدلا »<sup>(٢)</sup> ، وآخرها سلام الله على أهله وأهلها من كل الجهات وعلى المنيب ، كنفك ، وعلى القريب من ذلك ، وعلى من هو دون ذلك ومن كان بضد أولئك أو ذلك فعليه سلام الله حادة وشريعة فقط ، وإن كان مطلقاً فيكون تخطفا . هذا كتاب أكثر فوائد من الأربعين ، نعم ومن المالة المتوجبة ، ومن الثاني ثم الثالث . ومن فهم مرادى فيه كان في زمانه بل في قرنه لا ثانی له ولا ثالث ، وفيه ممان تدهش الشايب والناشيء ، يعلمها العليم ، والضد يعترضها بالصنایع وبالقيل والقيل محبة العرف الناشئ ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الله فقط : خذ نفسك اليوم بتحسين أخبارها ، واجتمع في ذاتك بالكلية ، ويصاك فتح الله الشخص . ثم اقطع ذلك الخبر بيمينه وفرق المجتمع [١٢٩] تصلي بذلك إلى الله ويُشْحَ به ما تشاء . وهذه أدوات الخواص لصنائعهم المحصلة في جملة من فطرته واسطته إلى مافيا بالقوة . الله يعلم أن كلام الرجال نوره المرشد ، وهو يعلم أنهم نوره المستمار ، وهو محيط أنهم نعمته الكاملة . من توجه إلى حبك به اصطفاه ، فإنه بذلك أنتاهلحرك ، ولا تهمل حقه . ومن كان بالعكس علمه بحسب ذلك إن أنت قلت آه من غير أجل الحق ، وفي ذات حادثك فآه آه على ضميرك الراجع إلى وهم نسبتك

الواقعة . وإن قلت ذلك من أجله بالجملة فنعم الحال ونعم الوصف ونعم ما قلت ، غير أنك غير الذى تخنأه فى وهم كلاك . وإن كنت ذلك فى ذات شكل مألوفك طالب عيش من جمع واحده على شمله . الحمد لله على كنهه المكتتب ، وأعوذ بالله من أضداد التوفيق . « أفى الله شك ؟ » (١)  
لقد طال عذاب من بحث عن الله ! وما أطيب عيش من أشار إليه أو وجده ! سلام عليك !  
ما أشوقنى لصلاح حالك ! والحمد لله وحده .

الله فقط . يا همَّام ! اهتمامك بمهية همتك هو همك الأهم ، فسيب باهتبال عين كلاك ، ويكون شوقك إليه لا يتبدل إمَّا العمر كله وإمَّا فى أكثر الزمان فإنه وكذالك الذى يجب إن تفصله ماهية قرة العين . سلام الله عليك ذلك الصاحب أهلاً وسهلاً بك . بإيدى البهجة ، كيف حالك الشابت ؟ لقد همت النفس الننية بالسكال ، وهم بها لولا أن رأيت برهان ربه . فلو أبصرت برهان ذاتها لم يعرض هو ولم تستغفرى . يا أسفا على الجهل ببجبل جمال يوسف ! لن توجه إبراهيم إلى آخر من نظر فيه أو إلى أوله أو إلى وسطه أو إلى ما بعد ذلك ولا هو بالجملة غير ذلك ، أو إلى أمر لا يوصف بالوجود ولا بالعدم أو انصرف إلى المتوجه وعن من أعرض فى ذلك وانتقل .

إننا لله وبه إليه راجعون ، بالرجوع الذى لا يعقل القبل واليَمَد والقرب والبُعد ولا فى مجموعه حجة مكانة الخلة جعلته يمحج السكتعانى بالقول وماهية مشارها وغايتها صرفته فى ملول طلب المذكور بالنفل بعد ذلك ، لأنه ظفر بالكيفية وأدرك التصرف فيه . فنع ما فعل فى تطوره ، ثم فى كشف المذكور الخالص ، ثم فى توقفه فى المقدر ، ثم فى تعريفه فى بعض آثار المؤلف ! لا بد لكل رجل من يوم وكوكب وساعة فى ذلك اليوم وحكم لذلك الكوكب . وأنت يومك يوم الأحد ، وساعتك أوله ، وكوكبك الشمس ، وهو صاحب اليوم ، وهو أول الأيام . ولا بد لكل طرف من مقام ، ولو كان فوق المقامات لكان مقامه إلّا مقام ، ومقامك التوحيد ، وأنت فى وقتك فيه واحد الحل فأنت أحدى من يومك ومقامك وحالك . فانس نفسك ، ولا تكثر بما كان فى تلك الساعة ، أعنى ساعة الاختبار فى يوم الجمعة الفارطة ، فهى الساعة المشار إليها فيه ، بل هذه تزيد

عليها ولأنها كانت داخل الدهن وخارجه وصحة الاستعمال والتشبيه [ ١٢٢ ] بالخواص والفقر  
بمواصمهم . ولولا أن الخير لا يتوقف لقلت هي هي وأمرتك كان السكاف لما حتى أنك لو أرحتها  
لعمل وقت الساعة المبحوث عنها . فاحمد الله على نعمة التخصيص . واستعد من أهل السبت ، أهل  
النيل والتخصيص ، فهو اليوم الذي ذل به أهله قَبْلُ . والمنسب إليه في وقتنا هذا وكثير ما بين من  
ينسب إلى الأحد ويقال له الأَحَدِيُّ ، وآخَرُ ينسب إلى أهل السبت ، ويقال له بذلك لا بغيره  
السَّبْتِيُّ . استقام الموحّد على صراط وحدته وتوحيده ، لأن الوحدة المحضة لا يمكن فيها الحيرة  
فإنها لا تصح في أكثر من واحد . وهذا الصراط لا امتداد له ، وهو أقرب إلى النقطة  
من الخط .

بصياغته لا تلتفت إلى الموقف ، وبمشك لا تتحدث إلا في عيش الآخرة ، وبحق الحق لا تسأل  
عن أهل الباطل . قل « قل اللهم مالك الملك » <sup>(١)</sup> وقل « قل هو الله أحد » <sup>(٢)</sup> ، قل « قل أعوذ  
برب الفلق » <sup>(٣)</sup> قل « قل أعوذ برب الناس » <sup>(٤)</sup> من الوهم ومن الكون بسده ومن المقدر والمألوف  
ومن من وأمثالها لأنها تتعلق بغير حق . ثم قل « قل يأيا الكافرون » <sup>(٥)</sup> فهو حالك مع ذلك المالك  
إلى آخرها . لو كان فيها موجود غير الله لكان الله ، وبالوهم لفسدت . حافظ على القضايا والقضية  
الموسطى من كل الجهات ، إيش تقول إذا قيل لك : مَنْ أنت؟ ما يكون جوابك إذا قيل لك : « أأله  
الخلق والأمر » <sup>(٦)</sup> ؟ بماذا تستدل على ثبوت العالم وأنت قد سمعت ترجان الشيب يقول أصدق كلمة  
قالها الشاعر كذا وكذا يا حق « أفي الله شك ؟ » . خير الكتب من كان ختامه بِسْمِكَ وَسُك  
لأن ذلك لا يكون إلا من أجل أمر ما عظيم وآخر بعمده أعظم منه . الله أعلم حيث يجعل تلك . والسلام  
على غاية قصده منك وفيك .

الله فقط يا قرّة العين في الغالب أو بالقوة ١ بالله عليك اعتدل واملاً صدرك من الله ، ثم قسم  
ذلك التعميب الشريف على جملة قواك الروحية والجسمانية ، وافعل بحسب ذلك ثم افعل ، ولازم

- |                                |                              |
|--------------------------------|------------------------------|
| (١) سورة « آل عمران » آية ٢٦ . | (٢) سورة « الإخلاص » آية ١ . |
| (٣) سورة « الفلق » آية ١ .     | (٤) سورة « الناس » آية ١ .   |
| (٥) سورة « الكافرون » آية ١ .  | (٦) « سورة الأعراف » ٥٤ .    |

حُبُّ الله حق يظهر أو يظهر جاهُ ذاته بانبات في الذات . وما أجلُّ ذلك ولو كان مرَّةً في العمر . وكثير بين من يتطور في الأحوال ، وبين آخر بذلك النصيب بمحة على مهجك الجلية ، خُذْ نفسك التنية باستجلاب ذلك ، واحمل عليها تلك الحلاوة . يا بنيَّنا طُغْيَانُ طال تنبيه الناصح المنبِّه ، فأنبِّه ، فإنك بقولك لا بفعلك ولا بمقامك له وبه — وقل : « قل متاع الدنيا قليل »<sup>(١)</sup> . حق امتحانها وقواطعها كيف يخاف عرض الفعل من هو جوهر القات ، وآيته نالية ، وفي مقابلته الأهمودج المترجم عن القبول ، وبين عينيه نوره الكاشف ورأيه النص على رأس مكانته ، وقلم الظفر يكتب : « الحمد لله على نعمه » ، ولسان العز يقول « كلمة الله هي العليا »<sup>(٢)</sup> . مَنْ أقرَّ بالله ببنينا أن يفهم مدلول إيمانه ويحرره بالصدق الرابط لأجزاء علة الوصول ويعصره في كل أحواله ولا يجمع من الحلو والمرُّ أعنى من المعتقد ، فإن الجميع عن الله ققط بل يصير أو يتلذذ ويجمع [ ١٧٣ ] بين الأحوال المكتسبة والطبيعية والمألوفة الجارية في مجرى المكتسبة ، ثم ينظرها بنظر آخر أقرب من الأول إليه بل بآخر أقرب من الأول إليه ، بل بآخر أقرب من ذلك ثم يلاحظ القضاء بأنه بالفعل ، وإن كان الوهم يمنع ملاحظتها فقد يعلم ويتأنس بالنسبة المركزة الموقفة . من قال الله معي والله شاهدي والله حاضري والله محيط بكل الأركان المقدرة والحاضرة والناهية وبجميع ما هو من هذا القبيل الذي ينسب بالإضافة إلى ولا يصح إلا يوم العبودية كيف يخاف أضغاث الأوهام ؟ أرجع البصائر كرتين . عجبت من أمرك حتى لاشئ عندي أعجب منه : مرة تتحقق المطلوب وتنشوق إليه وتكون معه بكلك وتحوى عليه وتستقل أو تستجمل سهل بن عبد الله بل سهل بن مالك ، وأخرى تتقلب إلى ضد ذلك كله حتى يستخف منك المضار على لسان حال سحنون من أتباع مالك<sup>(٣)</sup> .

(١) سورة النساء آية ٧٧ . (٢) سورة « النوبة » آية ٤٠ .

(٣) سهل بن عبد الله التستري ، الصوفي الشهير ، توفي سنة ٢٨٣ هـ .

( راجع عنه « طبقات السلف » ص ٢٠٦ — ٢١١ ، « حلية الأولياء » ص ١٠٠ ص ١٨٩ — ٢١٢ ،

« صفوة الصفوة » ص ٤٠ — ٤٦ ، « الرسالة التفسيرية » ص ١٨ ) .

أما سحنون فهو عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي ولد سنة ١٦٠ هـ وتوفي في سنة ٨٢٤ هـ .

( راجع ابن خلكان رقم ٣٥٥ ، و « الديباج المذهب » ص ١٦٠ ) .

بأى حق تبدل حضرة الحق بحضرة الشيطان ؟ أفعى ما الذى حَمَلَكَ على تخصيص الوهم وإيهام الحق ؟ كُفَّ عن متابعة التوقع ، واقطع جبل التذلل ، مُعْدِيَةً التذلل ، واجمع الأشياء إليه واحكم عليها به وانظرها منه ، ولا تنسرك الله على أى حال كان ، ولا تحب منه البض وتكره البض ، أفعى من حكمه وأفعاله وما تعلم منه وما هو عليه . بالله عليك لا تلتفت إلى وهم المبطل الموءة النقي ، فإنه قتيل سنانه ومنسوم لسانه ومغزون جناحه وجاحه قد سقط من حين الأمل المحمود سقطاً ، ورزقه لورم عليه الطائر الخائف للقطه لقطاً . لا تقل إلى الله أشكو بئى وحزنى وأنت عمدي الطريق ؛ وافهم ما جاء فى قوله « وأذكرنى عند ريك » <sup>(١)</sup> من حيث حال يوسف الصديق ، وفكر فى فكر أبى بكر الصديق الوقوف مع قوله : « قُلْ كُلُّ رِبِّنَا عِنْدَ اللَّهِ » صرف الوجه عن ملاحظة مقام الدعاء والنبطة بقوله : « قُلْ كُلُّ رِبِّمِلْ عَلَى شَأْنِهِ » <sup>(٢)</sup> وقف زرد الذهن فى قوله تعالى : « وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ » <sup>(٣)</sup> ومفهوم قوله « أفى الله شك » <sup>(٤)</sup> فى مكان جمع الرحمة عطل اللسان عن ذكر لاحول ولا قوة إلا بالله ، والرضوان القريب محبة استصحاب المنة بفضل على كثر من كنوز الجنة .

ذَكَرَ بَعْضُ الرِّجَالِ عَنْ رَجُلٍ خَلَعَ الْإِنْسَانِيَّةَ الْمُشْخَصَةَ وَكَانَ الشَّيْءَ الَّذِي يَقَالُ لَهُ فِي الْإِسْلَامِ الضَّمِيرُ يَسْكُمُ فِيهِ وَحْدَهُ وَيُفْضِلُ عَنِ الْأَزْلِ بِالْمَكَاثَةِ حَتَّى كَانَ يَصِلُ وَيَسْتَجِيبُ فِيهِ جَمِيعُ الْمَطْلُوبِ بِوَجْهِ عَزِيزٍ بِالنَّظَرِ إِلَى الْقُطْبِ الْأَمْعَى ، وَذَلِيلٍ بِالنَّظَرِ إِلَى الْأَكْلِ ، وَهُوَ الَّذِي لَا يَصُحُّ فِي حَقِّهِ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ إِذَا انْصَحَّ فِي وَقْتِ الْفَرْقِ الْمُبْتَزِّ لَهُ مِنْ عِلَلِ الْمَشَاكِلَةِ . يَا اللَّهُ ! إِنْ كُنْتُ وَكَلْتُ الْوَهْمَ بِالضَّمَائِرِ وَأُطْلَقْتُ لَهُ ذَلِكَ فَعَسَاكَ تَسْتَنْقِئُ مِنْهُ خُطْفَةَ الْكَلِّ ، فَإِنَّهَا تَجْرُ إِلَى نَفْوَرِهِ عَنْكَ ، وَيَفُوتُهُ مِلَاحَظَةُ جَلَالِكَ .

جاء بعض الرجال إلى رجل قد تركت طبيعته من ذلك ومن ذلك وذلك بالأقل والأكثر فى بعض المظاهر الجنسية الطارئة ، وقال له : « لم تنظر غير مقصودك ؟ » قال له : « لأنى وجدته حتى [ ١٢٤ ] فى قولك « غير » ، فهو المثل والغير . فإذا كان الضمير لا يتوقف إلا فى القول به حتى يزيله ويكون عند هذا بمعنى واحد ، كُفَّ الضمير عن التلاعب المهلك له والصدق المحض يقول لا شك فى الشك ولا يقين فى اليقين لأن الأمور الراجعة إلى الاستحقاق لا تنفك عن الأحكام

(٢) سورة الإسراء آية ٨٤ .

(١) سورة يوسف آية ٤٢ .

(٤) سورة إبراهيم آية ١٠ :

(٣) سورة القصص آية ٦٨ .

الخيالة . هلك بعض الناس بمتابعة الأمر والنهي والكلام في الروحاني وفي الجسماني وفي النفوس إذا توجهت عجائب لا تُعدُّ ولا تُكَيَّف . ومن عزم على تحصيل نصيبه وسببه قد قرب ثم يقف بعد ذلك — فقد انحطَّ وزال عن بين السكّال وانتقل إلى شماله .

اذكر الله ثم قل عقب الذكر كف ، واذكر ثم قل كان ، واذكر ثم قل ثبت ، واذكر ولا تخبر ، واذكر وحرر ، واذكر وكرر نازلة لإبراهيم : عرفها المختار وسلمها الصديق وطلب المحدث أن يحدث بها وتعدّر عليه الحال . رب الجميع قسم النسب ، ووكل على محل البهتان الملل والسبب ، والرجل السكّال لا يختلف في قصده ويتنوع أمر طلبه من قبيل هذا كله . سلام الله على الظاهر والباطن منك ورحمة الله وبركاته !

الله فقط ! حفظكم الله ! نفْسُ أُولَى مملوءةٌ بواحدها ، وهو المستولى على جلستها فلذلك لا تسأل عن غيره ، ولا تسأله شيئاً . ومجموعها ينحلُّ إليها في صفة وهم نفسها ، ووجودها يرجع إليه ، فشرها من نفسها أى من ذاتياتها . وهى أوهامها وخيرها أى وجودها . وفضل الله فيها من الله . فمن قال أنا بالوهم ما أنا به هوية ، وبالوجود ما أنا به آنية . والوهم والهوية إذا تشخص فيه أى بالله قال : كان ذلك من عند الله ؛ ويقرأ ضميره « ما أصابك مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ »<sup>(١)</sup> يريد من جميع ما يظهر على جعلك المهررة ، — « وما أصابك من سيئة فمن نفسك » أى بما هى به أعنى الوهم أو العدم ، وإنما يخشى الله من عباده العلماء . نهت الضمفاه وأخبرت بشأن السعيد الموحد وكأنه قال من يعلم الله على ما يجب ويقدّر ما يمكن من الإنسان المعتبر لا يخشى إلا إياه ، لأنه هو الفاعل في الغير ذلك ، وإليه يرجع الأمر كله . ومن خاف غير الله ، وذلك الغير يفعل أو يفعل له الوهم ، لم يعلم الله حق معرفته ولم يشهد الله له بذلك ولا قال إنما . وقوله : « شهد الله »<sup>(٢)</sup> الآية يدل على الوحدة المطلقة والتوحيد السالم من علل الاحتمالات كلها لأنه لا يصحُّ التوحيد ممن أشرك بالله بوجهٍ ما . والآية الشارحة لتلك وتلك قوله تعالى « فلا تجعلوا لله أنداداً »<sup>(٣)</sup> الآية وكون الله قال إن العالم هو

(٢) سورة آل عمران آية ١٨ .

(١) سورة النساء آية ٧٩ .

(٣) سورة البقرة آية ٢٢ .

الذى يخشاه وقد وجدنا بعض المخلوقات يخافها الكامل ، والشارع يأمره بخوفها ، والله قد أخبر  
بمصر الخوف ولم يجعله إلا منه ، فدل أنه ذلك المخوف كيما كان . قد أخبر عن نفسه في المظاهر  
وفي الهياكل ووحدته الوجود يشهد لسان حالها بذلك فهو هو . والفرق بين العالم والجاهل في ذلك  
الخوف هو أن الجاهل يخاف الله<sup>(١)</sup> [ ١٢٥ ] ... أنت وسط فافهم . وقد ذكر سيدنا رضى الله عنه  
بعض هذا في السلام فقال منهم الكلمة الجامعة المانعة ، والحقيقة الجاذبة الدافعة ، والآية المرسلة ،  
والهوية السارية ، والخط المدود والدائرة الهيطة ، فافهم يا هنا . الحج فيفد خرق المادة وموت الشهوات  
والخروج من كون ذل الطلب والإقامة في الحضرة وفهم أمانة العالم وفك مُمى الوجود ، وكشف  
حقائق الموجودات ، وقطع أوهام الزمان والمكان ، وفهم أسرار الشريعة ، وعلم نكت الأنبياء عليهم  
السلام ، والاطلاع على أحوال القيامة وفيدك السعادة ويقمك في رضوان الله وأسرار الحج ونكته ومثاله  
هو سيدى وسيدك الذى نحن ننتدى به ونحن تحت نعمه التى لا تحصى ، بل نحن نشأ وماهيئاتنا له  
من كل الجهات فعليك بحبته واستغراق الحال في ذلك ، وانتال أمره ، والأدب معه ، والتشبه به  
والتخلق بأخلاقه على قدر الاستطاعة . واستجلب رضوانه ، ولازم طريقه ، وراقبه في القرب والبعد ،  
واحد الله الذى قبلك وجعلك من أصحابه ، واحترم أصحابه إخوانك وتعلق بكبارهم واطلب طريقه  
ومعرفته منهم فهم مظاهره ، ولا توافق نفسك في مرادها فيفسد عليك جميع ما ذكر . وقد نصحتك  
وكتبتها للسائق لها ولك بالقصد الأول ولا تمنعها من مستحقها .

قال ذلك يحيى بن أحمد بن سليمان البلتى بالنسبة العرضية ، بن عبد الحق بن مبيعين بالنسبة  
الثابتية . وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم كثيراً دائماً إلى يوم الدين .

(١) التمتع في ص ١٢٤ لفظة « الله » ولكن أول الكلام بصفحة ١٢٥ لفظة أنت ،  
وواضح أن ما هنا ووقفا سقط ، وأن ما يتلو ماخوذ من رسالة أخرى ،



# الرسالة القوسية

لابن سبيعان

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم كثيراً دائماً

أصدق كلمة قلها القائل<sup>(١)</sup> : « ألا كل شيء ما خلا الله باطل » .

سألت أيها الصوفي السنيّ السنّيّ السيّد السريّ الذي سلك سبيل صِرْم القسوف وصرفه ،  
وملك نيل جزم التصريف وجذبه ، وخيرخل خدينه في التوجه فيه لله وحده ذلك منه وأبى ، وصير  
مردينه عبد يقينه الإلهي الذي زلّ وكبّا ، وفهم مسالك السور وممالك الصور ، وخصص  
بالنفوس في فصل العادة والعبادة ، وأسس بالتقرب أصل السيادة والسعادة ، وسارع في الغيرات  
ولم يسارع في الغيرات جواباً — سألت عن مدلول كلمات بلصم<sup>(٢)</sup> قدّرت صيغتها عن خواص  
الخواص وسطّرت قصصها بعد خلاص الخواص ، لفظوا بها بعد خفض جناح النل ففس الخصال  
المضار ، ورفض جناح الكل في المضار ، وقوة قلة الالتفات إلى خلفهم وأمامهم ، وزوال زلة  
الالتفات عن سلفهم وإمامهم ومنهم من أطلقها في حال الصحو بالقصد الاشتراط بالحد ، ومنهم  
[ ١٢٦ ] من تكلم بها مع أول حكم الحو والغيبة عن الاحتياط والرسم والحد ، ومنهم من لفظ  
بها على جهة الإلزام وقيد قوله ، ومنهم من أشار إليها ولم يحرك بها بقوله . وبالجملة هذه الكلمات  
المستول عنها المشار إليها عند الصوفية في الوجه الأول لازمة لأهل السلوك إذا لاح لهم بارق مقام  
الوصول في التملك ، ولأهل مقام الوصول إذا صرفوا الهمة إلى الهوية المحضة ، وعطفوا على آنية  
المتوحدة ، ثم ربطوا القصد الأصلي والتوجه لمن هي آنيته وهويته واحدة ، مستحق كل آنية وهوية

---

(١) أي الشاعر لييد .

متعددة بالإلزام ، ووجدوا الإضافة وصرفوا الضمير والإشارة بالعبارة وما أشبه ذلك تحت حد التلغ و رسم السلف والمتكلم بها والمشير لدلوها . وقد توجد من جميع الجهات في هذه المنزلة وحذف الوسائط كلها ، وذلك فيها هو إليه لاهل ما هو عليه . وأهل التحقيق بخلاف ذلك وجميع من ذكر نقطة من يحرم وفرة في قفرم وهو عندم بمثابة السكران الذي يسكر من كاف اسم الكرم ، ويعود بالأمر العرضي وهو قد عدم الشأن الجوهري ، ولا بأس بالاستغراق والشطحات وأوله وإفراط الأحوال وتنبع التوحيد إذا جبر كسّر عظم الاحترام ، وأعلى كل ذى حق حقه . ومن محاصح أسرارده بحا الله إصراره . وكل الكلمات المذكورة — أكره الله — التي سألت عن مدلولها تحت كلمة مقدمة على جميعا بجميع أنحاء التقدم كتقدم المتكلم بها على المتكلم بالكلمات المذكورة حتى في ترتيبها في الكتاب وفي قوة الجواب . وأنا قد استغرت الله تعالى في الكلام على مقصودك ، وما خاب من استخار ولا أدبر في هزيمته من دبر وفكر في عزيمته . وأسأل الله العظيم أن يهب لنا الفهم فيمكنون ديننا ، وفك معنى الذى طلب منا خليل خدينا ، ويعيننا على حل أمانتنا وشكر سلاتنا ويرزقنا لما نأمنه نرجوه أماناً ، وإسلاماً يوجب لنا بسلاماً ، وإخلاصاً يجر لنا خلاصاً ، ويصيرنا الحكمة ويجردنا أحمها وخصمها ورمحها ، ويفرج بنام الهمم التي كابدت الدهر حتى قصم منها الظهور ، ويقينا شرور الأعتياء ، ويجعل سريرتنا تشتغل بالزهد والطاعة ، وتبذل الجهد في الاستطاعة ، ويحيينا حياة طيبة في نفس مطمئنة في حضرة فياضة تنادى محبوبها بحالها من حاله يا حبيب الحى حيا الحر حياه ، ومن استحي من الله حياه . ومن شغف بتمحيص ما صدر من أحلام الأكابر بعبارته وضمه ، وتخليص ما ظهر في أحلام الأصاغر بعبارته ووجهه ، وبادر بالانتهاء إلى خدمتهم ، والانحياز جتهم ، والمباهاة بالاتصال إلى محادم النفيسة ، والبراءة في الاتكال على مقاصدم الرعيمة — ظفر بالحق وقطع كل الحكون وأكمل من كل لون وتوحد وجرد وشاهد الأمور العظيمة بين آيته الواردة عليه بعد الاستعداد وإفراط الاقنياد ورفع الاستبداد ونحوه بمباهيتها وتطور في مراتب أدوار آيتها وززل قدم السلب والإيجاب [١٢٧] بعد وقته الفاني وثبت قدم الأدب والاكتساب قبل موته الثاني ، وأحضر بعد حضوره فيه ومغيبه عنه وخروجه عنه ورجوعه له في حضرة التمكين الفاضلة المحمولة على هويات الهمم الواصلة الموضوعة لأنيات الصور الحاصلة ، ثم يحضر في الحضرة الحاضرة التي هماها غير مهموم وضمهاها غير مذموم ، ثم يصرف

لسانه المضاف الذى يشار ويشار إليه ، ويستند ويعتمد عليه ، ويقرر عند ذلك ما تقدم . وحينئذ يبدأ بالذى بدأ به واللغة الأولى ، ويدخل فى عباد الله المخلصين ، ويفتح باب الحقائق ، ويضحك من حاله الأول ويخبر إذا أخبر عن نفسه لا عن الأول بالأول — فافهم — ويتوب من خطيئته المقودة الواقع بعد السجود ، ويقرر عند ذلك على شأنه المتوسط بين الممكن المقدر والواجب المنفصل ، ويتنزه فى الجنة التى تحصل بشرط الأدب ويسكن فيها بإفراط المحافظة ويقم فيها السعيد على خطر . وهو يلاحظ خطر شؤم شجرة موضوع المضاف إليه بالضرار ، ويراقب حياة نفسها الثانية عن النفس النباتية ويتحفظ من محرك الشؤم فى الشجرة الملمونة أن تدخل محبة الحية المذكورة ، ثم يتوجه إلى مقصوده بصناعة التركيب ثلاث سرات ، ويجوز على «قامات ثلاث» ، ويشكر الله العظيم على قطع العلائق وما أنعم به عليه من معرفة ملكوت كون الخلائق وخلص طبيعة نفسه المحمولة على موضوع حركة لإحق حقه من عالم الطبيعة وما بعدها ، ووصوله إلى علم الوحدة وحضرة التوحيد ، ومعرفة الواحد ويفتح باب الغاية ويدخل إلى حضرة النهاية التاسعة ويكلم المعلوم الممكن بكنهه ويشاهد المعروف الواجب بمجهره ويعلم أن العالم والعلم والمعلوم واحد ويعلم ما لم يكن يعلم ، ويفتح له باب الألوهية ويصير الوسائل والدرجات الزيفة ، ويراقب الرفيق الأعلى ويلبس ليس ويلب أيس وبالعكس ، ويسى نفسه ببدلول الأسماء الحسنى وينادى بها به ويكثر من ذلك حتى يستجيب له الاسم الأعظم من مجموعها فيه — فافهم — ويدعوه ويملك فى الحين كل السكالات الصديقية ، ويمكن من طلبها ويستخلف فى المنوطات كلها ويحكم على عالم السفر المرسلة ، ويتصرف فى رتب الحيل المنزلة ويشغل بتدبير الضم ويمتنع بالحين والكس ، ويزيد على أبى يزيد <sup>(١)</sup> ويسال عن سيوف الشئبى والسرى <sup>(٢)</sup> ويشرف على شأن شيخ الشوفى ويقول لأهل القرن الثانى والثالث والزابع قد نسخ حكم مزنة تحقيقكم وصيته فى السابع وبصح له تبعية والد شرفه الثالث التالى للأب الثانى والأول صلى الله عليه وعليهما وعلى ما بينه وبينهما من النبيين والمرسلين . وإذا كمل أمره وظهر

(١) أى أبى يزيد البسطامى ، راجع عنه كتابنا « شطحات الصوفية » ج ١ القاهرة ١٩٤٩ .

(٢) الشئبى هو الشئبى البغدادى ، والسرى هو السرى السقطى . (راجع عن الأول « الطبقات » للسلسى ص ٣٣٧ — ٣٤٨ ، « والحلية » ج ١٠ ص ٣٦٦ — ٣٧٥ ، و« صفة الصفوة » ج ٢ ص ٢٥٨ — ٢٦٠ ، وابن خلكان ج ١ ص ٢٢٥ ، وراجع عن السرى : « الطبقات » للسلسى ص ٤٨ — ٥٥ ، و « الحلية » ج ١٠ ص ١١٦ — ١٢٦ ، و « صفة الصفوة » ج ٢ ص ٢٠٩ — ٢١٨ ، وابن خلكان ج ١ ص ٢٥١ ) .

خيرته واستقام سيره وسما على جادة سيده يا موته وسيرته مذحط المضار من [ ١٧٨ ] سيد ساداتها الأب الثالث إلى والدهم الأول المذكور قبل ، وجعل نفسه في أول الخط<sup>(١)</sup> قطة لا كلجزة منه كما هو رسمها عند أهل التعليم النبهاء ، ونفس والده الأول التي انتهى الخط عندها قطة لا كلجزة منه بخلاف نقطته هو ثم نظر إلى أول الخط الذي بدأ من السيد ومرّ على السادات إلى السيد ونظر إلى نفسه كما فرض فوجد الخط ينطوي بمضه على مض ويرجع على نفسه ووجه مؤلفاً من النقط التي فرضها بالمعنى وأخرج نقطته عنها أدباً وقياساً ، ثم نظر إلى النقطة مفردة فألفاها متائلة وقطته المرسومة كذلك غير أنها خارجة عنهم من حيث المضار المتقدم وداخلة معهم من حيث الأبوة والبنوة والمتائلة ، ثم عاد انظره في النسب والأنواع والأجناس وما يزم عنها ونظر إلى خواصها ونظر في معناها في الخط المذكور ، ونظر في لواحق كالات الذين يمر عليهم الخط المذكور ، وحقق نظره في مذاهبهم الإلهية وقطع أن الخط المذكور يتقوس بحجة ويمتد إلى غير نهاية بحجة أخرى ، وفرض فيه ظاهراً وعلناً وجعل في ظاهره الاجتماع والتقويس ، وفي باطنه الافتراق والابتعاد ، وكأنه في التمثيل هذا الشكل المرسوم ، فتدبره ، وانظر إلى [ وانظر إلى ] الخطوط الموضوعة على باطنه الأعلى المتوازية المشار إليها بالمواهب الإلهية المنفصلة على أربابها بحسب الأسماء الموضوعة لنا وانظر إلى ظاهره وإلى قطته المنوهمة في طريقه ، ثم انظر إلى تقويسها وقل الجنس يجمع بالضرورة ، والفصل يعرف بالذات ، ثم قل النوع يجمع بالطبع ، والأعراض تفرق في وقت ما ، ثم قل النسب يجمع وانحواس تفرق بوجه لازم . فافهم واحفظ ماهية سعادتك بالتقويس وبسببها التقويس والله الموفق .

بسم « القوسية » بحمد الله وحسن عونه والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبيه وعبيده .



(١)  
عصا ابن سبعين تلاميذه

[ ٢ ]      بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم كثيراً ، والحمد لله رب العالمين .

يا هذا اهل عمرك إلا كلعج ، أو إعطاء مُكَيِّد لا مبع ؟ ! وأمالك لهو وعَلَل ، وأسحارك سهو وعِلَلٌ . وما سرورك إن صدر ، إلا وساء كدر . والفرض <sup>(١)</sup> في تحصيل الكمالات وأسبابها والتجوهر بمدلول الإمكانيات الإلهية وما يجب كما يجب على ما يجب في الوقت الذي يجب والاتصاف بالحكمة التي تفيد الصورة المثمرة للسعيد ، والحقيقة التي تقيمه في الصور المتوَّمة وتعمل على نيل الآلات التي تعلى الحق بحسب ما تعطيه وتقتضيه طبيعة البرهان .

وَتُحْكَمُ الشَّارِعُ — عليه السلام — على جلتك ، وتمثل أوامره ، وتعتقد أنه الخبير بالذات ، وتصل جبل المعروف وجميع ما استحسنه العقل وحرره النقل ، وحضت عليه الشريعة ، وتقطع جبل المنكر وضدَّ ما ذكر قبلُ ، وتخلص من كل قلع يقطع يقطعك عن الله بما تنصف بالعلوم الضرورية التي لا يحصلها أحد عن أحد في عرف الشريعة ، وبالأعمال التي تلزم لزوم هذه العلوم ، وبالعلوم التي تدخل بها في زمرة الحكماء ، وبالحقيقة الجامعة التي فيها نتيجة الشرائع وغاية الحكمة وهي علوم التحقيق . وإن غلبت عليك شهوة حيوانية وما أشبه ذلك فاجبر وقتك مع الله بتوبة صادقة ، فإن بابه ما عليه بواب إلا رحمة خاصة ورضوانه يأمرها بالفجار .

---

(١) العنوان في الورقة الخارجية التي بها أسماء الرسائل الواردة في المجموع هو : « كتاب العقد وشرحه » .

(٢) يرد في الشرح هكذا : « والفرض بحول الله تعالى في تحصيل الكمالات . . . » . ويقصد : وإنما الفرض هو في تحصيل . . .

واعلم أن مطالعك مطال ومحالك محال . والواصل رحمه مهما دعا الله رحمه ، والعلم للمو علامة ، والسلم للموسلامة ، والصلح مع جللتك صلاح ، والدعاء بالإخلاص سلاح . وإياك من الأمل المهوم ، ومن العمل المهدوم ، ومن الأمور التي تفد حكمة العادة وأصول السعادة ؛ ومن الودع الملل ، فإنه قبيح في كل الملل . والسعيد هو المصلح أعماله ، المطرح لله ماله . ولا تغالط إلا من قامت به الأوصاف المذكورة قبلُ لأن استطعت ، وإلا الأمثل فالأمثل .

وحبيبتك من يدبر أمر آخرتك ، ويمينك عليها ، ويذكرك بها ، ويحرك ويصلك من أجلها . ومع هذا كله سَلِّه ورُحْ ملوه الراحة ، وَصَلِّ وسَحْ > في < <sup>(١)</sup> الساحة ، ولا تغفل عن الدعوات الماثورة ، وأعظمها : اللهم اختلني ، وأصحاء الله > التي < <sup>(٢)</sup> ما أحد معها مروع ، ولا سبيل إلى التمتع في قيادك وجوارك ، وانتظر > < <sup>(٣)</sup> وفلوسك . والتقي هو الذي طَرَفُهُ في حيوته مضوض ، وخد البني في < حضرته > <sup>(٤)</sup> [ ٣ ] مضوض ، وهو الذي لا يرفل في أبواب اللاهي ، ولا يغفل عن أبواب الله . فإذا الله تلّب عليه أنابه هو إليه ، وتأهب لجواز العقاب ، وكفاه الله سوء العقاب . والشرير الجاهل هو الذي لا يعرف مروقاً ، ويحسب ماله من البحر مروقاً ، ونفسه تطمح وتشح ، ويده تجمع ولا تسح . فإذا قضى الله وقته ، خافه الأمل وقته .

فقد عاهدتك على هذا ، ورضيتك تلميناً ، وجعلتك مع الأصحاب الذين يخاطبهم لسان الحال غبطة ويقول لهم : لا تكثرون وأنتم ترون . وأشهد الله عليك العليم بخفيات الصدور ، الذي يحجب المضطر إذا دله ، ويحجب فتنت المصدور . وقد رجوت لك خير اخلاص وخير الإخلاص . وصلى الله على الشرط في نيل الشرف والكمال ، مجد وآدم وما بينهما من النبيين والمرسلين وسلم تسليماً كثيراً أثيراً . وبعد هذا كله تبارك المبدى المعيد ، قد صدق الوعد والوعيد .

## &lt; الشرح &gt;

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم كثيراً دائماً .  
 نور الله بصيرتك بنور التوفيق ، وأيدك بروح التصديق ، وخلص إنسانيتك بنيل التحقيق .  
 سأنتنى أن أشرح لك المرسوم الذى يسمى « العهد » من كلام سيدنا وقديتنا رضى الله عنه .  
 ولحلت على<sup>١</sup> فى ذلك وأنا أتأخر عنه فيما تقدم ، احتياطاً على فهمك والله أعلم بذلك . وقد  
 أسممتك فى شرحه وتأويله ، وبين مقاصده فى الكمال الثانى وإشارات من الثالث ، وتبيين  
 الأول ، وتركيب الكلام فيه من أقرب العوالم ، وتبليغه إلى التحقيق الأول . ونريد أنموذجاً  
 من مقاصد المؤلف ، فاندسه بنهته وتوجهك ويحك . وتحرك ولا تسوف نفسك بما سوفها  
 الجاهل البطل المتخلف . والله يدخلك فى زمرة المتقين ، وينظم إنسانيتك فى سلك  
 ذوات الحقائق .

فتبدأ فنقول : قوله رضى الله عنه : « يا هذا ١ » : « يا » حرف نداء ، كما تقول :  
 « يا زيد » ، « يا عمرو » ، فتوقع على شخص معين كان يقول : يا فلان . فلما لم يكن واقعاً على  
 معين فهو نداء موجه للمعنى يحتمل أن يقول يا هذا الإنسان الفقير ، يا هذا الفقير ، إذ انطلب بالاستدعاء  
 للسعادة يقع على كل حائل ، فهذا النداء « يا هذا » هو وجه لكل إنسان عامل > > (١)  
 لزوم العموم فى التكليف أو لكل نبيه يطلب رشده ولا يهمل الأمر الأزل فى الله إذا [ ٤ ]  
 جعلناه على الخصوص ، أو لكل غافل من مصالحه ورشده مع كونه فى إمكانه تحصيل السعادة  
 وفى قوته كسبها إذا جعلناه بمعنى الشبيه .

وقوله رضى الله عنه : « هل عرك إلا كلعج » : « هل » حرف استفهام ، ومطلبها يبحث  
 عن وجود الشيء . « والعمر » هو المدة التى أعطيت للإنسان فى الدنيا . « واللمح » هو الخطفة  
 التى يخطئها البصر فى أول نظرة فى الزمان الفرد الذى لا يسع قضيتين ، كما تقول : لمحت فلاناً .

---

(١) مضموسة فى الأصل .

ولحت كذا بمعنى أنه خطفه البصر ولم يحققه ولا كثر النظر فيه زماناً ثانياً . وكأنها النظرة التي تقع فجأة من غير قصد ولا تقديرها نية ولا إرادة . ولتلك لا يطالب بها الإنسان في رؤية خوى المحارم إلا إن كثر النظر بالتقصيد . وقد ضرب الله المثل بذلك في سرعة أمره الواقع في السكون الممكن في قوله تعالى : « وما أمرنا إلا واحدة كلعج بالبصر »<sup>(١)</sup> . ولما كان الماضي من الأحوال التي يغير عنها العبد من وقته إلى أول أمره خير حاصل له في الحالة الراهنة ، وكل ما تقدم من خير وشر قد ذهب ، والمستقبل كذلك غير حاصل ولا ممتنع في تلك الحالة بعينها — فلم يعتبر وجود حال إلا الحاصل القائم بك في الزمان الفرد التي أنت فيه على ما أنت عليه . فكأنه قال لك : « الماضي من زمانك قد اقرض وذهب ، والمستقبل ليس بإيجاد في كسبك ولا هو حاضر عندك ، فلاك عمر إلا الحال القائم بك . والحال القائم بك مثل لحة البصر . فكيف تنظر بلحمة ذاهبة وتنقطع عن السعادة الثابتة الأبدية ؟ »<sup>(٢)</sup> ولما كانت الأحوال عرضاً والعرض لا يبقى زمنين<sup>(٣)</sup> ، والعرض الثاني في الزمان الثاني هو خلق في ذلك الزمان بعينه والأول قد اقرض ، والأحوال تجمد على العبد الممكن في كل زمان فرد ، وهي تسيل بالذهاب وتجمد بالإيجاد مثل سيلان الماء في الانخفاض وأسرع — جعلها كلعج . ولما كانت مخلوقة والحق يعطيها في كل وقت وذهابها لينها وإيجادها لفاعلها ، جعلها كأعطاء « مكثراً لا مسموح » فأعطاهم لإيجادها من الله ، والمكثري هو المنقطع وكان قطع الأحوال ذهابها في ذاتها . وهذا معنى قوله رضي الله عنه : « أو إعطاء مكثراً لا مسموح » . ومعنى « لا مسموح » لا يمكن ثبوتها ، إذ هي من صفة نفسها تقتضي الذهاب وصفات الأنس لا تفعل ، ولا تقبل . فقوله رضي الله عنه « لا مسموح » مناه لا يمكن ثبوتها ، أعنى الأحوال فإنها ذاهبة في طبيعتها وصفة نفسها وهي موجودة من حيث خلق الفاعل لها . فأحوال العبد تجمد في كل زمان فرد ، ولا يعتبر فيها إلا الحال الحاضر ، إذ الماضي قد اقرض ، والآتي ليس بحاصل عنده ، فمصره هو زمان فرد وهو أقل الأشياء . وقد ضرب الله تعالى المثل في قوله « وأعطى قليلاً وأكدى »<sup>(٤)</sup>

(١) سورة « القمر » آية : ٥٠

(٢) هذا مذهب الأشاعرة ، خصوصاً الباقلاني .

(٣) سورة « النجم » آية : ٣٥ .



تلا عمر لك إلا الحال التي أنت فيها ، فلا تفتربها فتقطع عن النعم المطلق . ولذلك حملت الصوفية على حفظ الوقت وأضربت عن الماضي والمستقبل . ولما علم الصوفي أن ما < > [ ٥ ] « — إلا الوقت القائم به أخذ نفسه بمراحته وحفظه ولم يصرفه إلا في فريضات الله ، وهو عندهم الضيف الذي يكرمه بالحفظ والكلامه . وقد قيل إن رجلاً راهباً سأل سليمان — على نبينا وعليه السلام ! — « هل تجد لذة لما ذهب من ملكك ؟ » قال : « لا ، لأنه قد انقضى » . قال : « هل تجد لذة للآتي ؟ » قال : « لا ، لأنه غير حاصل » . قال له : « فإذا ما فُتِنْتَ بشيء » — وذلك لضيق الزمان الفرد وقتله وقوة تدخل الدم منه . فكأنه عَدَمٌ لسرعة ذهابه وتبدله وهو الوقت عند الصوفية ، وهو السراب عند بعضهم الذي لا حقيقة له إلا مستمرة ، وهو الظل بوجه ما إذا أهملت حفظ الحاضر منه واشتغلت بالماضي والمستقبل . فهو ظل من حيث يجب عن الحقيقة ، وهو الأحلام الذي أشار إليه سيدنا رضى الله عنه في « الرسالة القدرية » بقوله : « السعيد هو الذي علم أن أيام الحياة «أحلام» »<sup>(٢)</sup> ، وذلك لقلة ثبوتها . وهو نقطة من النقط التي يتركب منها الخط أعنى خط عمره إذ حرك مجموع من أوقات . ولذلك كان بعضهم يحفظ الأنفاس ويمدها . وإليه أشار سيدنا رضى الله عنه في « الإحاطة » بقوله : « وقتك من أجزاء ماهيتك ، فلا تعامله إلا بالخير » . وهو القاطع عند بعض الصوفية لمن أهمل حفظه ، وهو الحجب له ، وهو الشيطان ، وهو الظلام ، وهو البعد لمن اغتر بجاهله ، وهو الموصل لمن حفظه وانصرف به إلى فاعله ، وهو المطية الموصلة إلى المقصود ، وهو النور إذا نظر فيه الأصل ؛ وبالجمع فيه يشعر بالهاتف والبادر والوارد وبه تستنزل الأحوال الكاشفة ، وفيه تنزل البشرية أو تقع المشاهدة إذا أصرف . وهو نفس الهاتف والوارد والطارق والماجس بوجه آخر . وهو الطيف من سرعته . ومن وجه آخر هو فروع لا يوجد مع أصله ، ونوع يذهب في جنسه ولا يمتين في فصله ، وهو كلمة ترجع على قائلها وقصية شنبها زائلها وهو

(١) . طوموس في الأصل .

(٢) ص : فتى — أى ما أفدنى بشيء .

(٣) هذا بينه هو عنوان مسرحية كامرون المشهورة La Vida es Sueño فهل يكون اخذه عن

ابن سبعين ؟ هنا مجال للبحث شائق .

قضية تشكل الآنية ، وكذلك قضية التطور والتصور . ويتحققه ورفض تمييزه وتدقيقه يثبت الكمال للكمال والتجوهر .

وقوله رضى الله عنه : « وأصالك لمو وعلل ، وأسحارك سهو وعلل » — الأصل هو أواخر الأيام ، والأصيل آخر اليوم أعنى بذلك آخر النهار . والأصل جمع أصيل ، فهو كما ذكرناه آخر الأيام وهو ما قرب من العشية وغروب الشمس . قال الله تعالى : « وأذكر اسمك بكرة وأصيلا »<sup>(١)</sup> فالأصيل هو عشية النهار والأصل هو جمع ذلك . والأسحار هي أواخر الليالي وما قرب من الفجر ، والسحر هو واحدتها والأسحار هو الجمع . واللهو هو الالتواء عن الشيء بمعنى السهو والإهمال . يقال لهوت عن كذا بمعنى أهملته ، ولهوت عن كلام فلان بمعنى لم تمتد به . وتلهى فلان بتلان بمعنى ازدري به واستخفه ، أو يقال فلان كثير التلاهي بمعنى قليل الجدل لاحتقاة لكلامه . وبالجملة ، اللهو هنا هو السهو عن المصالح والإضراب عنها . والعلل هو التسويف يقال علت [ ٦ ] فلانا بمعنى سوفته . والسهو هو الانهول عن الشيء ونسيانه ، أو يقال : السهو هو عدم تذكر الشيء فى الضمير . والعلل هي الأسباب المؤدية إلى الشيء كما تقول علة مرض فلان الحمى ، أو علة نبات الحشيش المطر ، أو علة علم فلان النظر والبحث ، أو علة الجهل الغفلة وعدم الاجتهاد وقلة المساعد وعدم المرشد وما أشبه ذلك . وبالجملة ، العلة هي السبب المؤدى إلى الشيء ، قصداً كان أو كمالاً . وكان الشيخ — رضى الله عنه — ذكر هنا هنا على جهة التنبيه للفاصل عن مصالحه وعن طلب سعاداته ، لما كان الالتواء والتسويف يورث عدم الطلب والبحث والاجتهاد ، وعدم ذلك يترك الإنسان فى الجهل والغباء ، والجهل أصل الشر والفساد ، والشر والفساد يورثان الشقاوة الأبدية والبعد عن الله — عاتبه على ذلك . ولما كان السهو معناه الغفلة والانهول عن المصالح وعدم التوجه وذلك يزل إلى النقص وعدم العلم بالله وقلة الطاعة ، وذلك كله يورث البعد عن الله والشقاوة الأبدية — عاتب من قام به ذلك وذمه ونبه الفاضل لطلب رشد ومصالحه والأخذ فيما يجب من الأمور المؤدية إلى رضوان الله وإلى النعيم السرمدى والبقاء الدائم والأنس بالله والإقامة فى

حضرته — المقدسة عن الزمان والمكان وعن طرق الأغيار والأضداد — وحضه على الإنزباب  
عن اللغة المحسوسة الخبيسة العاجلة المنقطعة التي توجد في وقت دون وقت وتداخلها الأضداد  
والأغيار وتذهب بملوت .

فإن قيل : لم ذكر الأصول والأسعار ولم يذكر أوساط الليال والأيام وما بينهما من  
الساعات والأحيان ، وطاعة الله وذكره يجب في كل زمان ؟ قلنا : أعطى ذلك بالنظر في مفهوم  
الخطاب فإنه إذا سلمت الطرفان من الشيء تضمنت سلامة الوسط . وأيضاً لما كان آخر النهار وقت  
ارتفاع الأعمال وصعود الحفظة بأعمال اليوم حض على الاجتهاد في حشية النهار ليكون آخر  
ما تكتبه الحفظة خير عمل وخير عبادة وتوج ، والأعمال بخواتيمها . وكذلك القول في الليل لما  
كان آخره تعمد فيه حفظة الليل حض على الاجتهاد فيه والتوجه الصريف . ولأجل ما ذكرناه من  
مراعاة الخواتيم ، أو لكون الأواخر من الأعمال تنسخ ما تقدمها من البطالة والغفلة ، أو يكون الحض  
على ذلك والحث عليه من الأمور التي عليها الوارث ونهضا عن الشارع من تخصيص تلك الأوقات ،  
ومن نزول الرحمة فيها وقبول الأعمال بزيادة على غيرها من الأوقات ، لأن الله تبارك وتعالى قد  
مدح الذاكرين في هذين الوقتين بقوله تعالى <sup>(١)</sup> « يسبح له فيها بالندو والأصالي رجال » . وأيضاً  
لما كانت المشية تشعر باقراض النهار وإقبال الليل وكأنه وقت فصل ، وقمت الدلالة الصادقة في القبول  
في التبديل والتغيير على الفاعل المختار ، إذ الفعل الواقع [ ٧ ] يدل على الفاعل ، والتبديل يدل على  
ثبوته ، فكان وقت اعتبار ومشاهدة الفاعل في تعيين الفعل الصادر في الحال واقراض الآخر  
وذهابه ، فكان من الأدلة الكاشفة للمقصود التي تنفذ الاعتبار والخضوع والانقراض للفاعل المختار  
وتفديد المشاهدة والاستغراق في جلال الله الذي أذهب الفعل الحاضر وآتى بضده . إذ الليل والنهار  
من الأضداد التي يتبين طروؤها وتبدلها أكثر من تبدل الأمثلة ، فإن تبدل النور بالنور والظلام  
بالظلام لا يتبين فصلها إلا بعد نظر في حقيقة العرض وكونه لا يمكن فيه البقاء . وتبدل الأضداد  
والأغيار أشد ظهوراً لأنها يتعين للحس تبدلها ويظهر خالفها بذلك فيقع الاعتبار والحضور والمشاهدة  
عند تعيين ذلك . ولذلك كانت بعض الصوفية تستعجل أحوالها في حشية النهار حتى تغرب

(١) سورة « النور » آية : ٣٦ — ٣٧ .

الشمس ، وكذلك من أول الفجر إلى طلوعها . وقد نسب الحق تعالى إلى ذلك في مواضع كثيرة من القرآن في قوله « من آناء الليل وأطراف النهار »<sup>(١)</sup> وقوله « بالعشى والأبكار »<sup>(٢)</sup> وقوله « بكرة وأصيل »<sup>(٣)</sup> — فافهم . وأيضاً قد يطلق الليل باشتراك ، والنهار كذلك ؛ وينسب بالاستعارة وينصرف إلى أمثلتها . وقد أخفت بذلك الصوفية وطائفة من العقلاء . ويقال الليل الجهل ، لكونه يحجب حقائق الأشياء عن الجاهل ويسمى بصيرته عن إدراك المصالح والرشد ويحجبه عن معرفة ما يجب لله ويمجوز عليه ويستحيل في حقه . والنهار هو العلم بذلك كله وإدراك الفاعل على ما هو عليه ووصفه إما بالسلب أو بالإيجاب . والأسحار آخر قضايا الجهل واقرضها وأول لوائح العلم ومقدمات البرهان . فيجب على المكلف عند ذهاب الجهل ولوائح العلم وضع المقدمات الصادقة لتحصيل البرهان الكاشف للمطلوب وأن يحضر ويؤمن فكره في آخر المقدمات وترتيب القياس ويستغرق في ذلك ، ويتمركز من الغلط ومن الأشياء المغلطة ، والأمور الإقناعية التي تحصل البرهان الذي يفيد حقيقة المطلوب ويكشف له المعلوم على ما هو عليه . وهذا البرهان هو مثال النهار الكاشف لحقائق الأشياء . وكذلك يتحفظ من دخول الشكوك عليه إذا شرع في مسألة ثانية ويضع لها مقدمات أخرى ، فهي أيضاً مثل إقبال الليل لما فيه من الشكوك ومن الغلط فيحضر ويتوجه توجهاً تاماً عند دخول العوالم ، وقضاء المخاطبات عليه حتى لا تشككه وتغلطه . فيكون نهاره ما أنجلي له من القضايا اليقينية بالبرهان الساطع ، وليله ما يستقبل من البحث بعد ذلك والطلب في مسائل أخرى ، والأسحار ابتداء كشف المسائل ، والأصاال ابتداء البحث والتشكيك عند الشروع في وضع المقدمات ، فيحتاج التثبت وإيمان الفكر وإحضار الذهن لأنها مواطن تحصيل المطلوب ، فلا تجوز الغفلة في هذين الموضعين . ولذلك حض على الحضور والتوجه في الذم والاصال . ويقال الليل هو الغفلة [ ٨ ] والمخالفة ، لأنها حجاب عن الحق وسبب البعد عنه ، والنهار هو الحضور والاستقامة لأنهما قرب من الحق وسبب رضوانه ، والأسحار هي

(١) سورة « طه » آية : ١٣٠ .

(٢) سورة « غافر » آية : ٥٥ .

(٣) سورة « الإنسان » آية : ٢٥ .

ساعات التوبة واليقظة والفلة . فحُض على الحضور والتوجه هنا والتثبت لأنها آخر المخالفة والبعد ، وأول الطاعة والتقرب . فيخاف على الثائب هنا في أول أمره أن تجذبه العوائد والمواقم الأولى التي خرج عنها وتصرفه وترده إلى عالم المخالفة . فأمر بالحضور والتوجه والصدق في هذا الموطن ليقوى خبر اليقظة التي نهته على الرجوع إلى الله ، ويقوى عزم التوبة حتى تثبت حاله في الهداية والاستقامة ، وتمجلى له مقامات الإرادة ويثبط بها ويثبت فيها ويكشف له المطلوب بعد ذلك بحجة الصنائع العلمية والعملية . وقد يقال : الليل هو الطبيعة وعالم الأجسام واستيلاء الشهوات البدنية على جوهر الإنسان حتى يضره ، والنهار هو إشراق العقل الفعّال على جوهر النفس الناطقة وكشف القنات الإنسانية مجردة عن الزمان . والأسحار هي النفحات الواردة من العقل الفعّال عند تحصيل العقل المستفاد . فأمر بالتثبت عند تجرد النفس من الشهوات الطبيعية والعزم السالب بحجة المهمة الجلية ، إذ هو موطن صعب لا يقطعه إلا السعداء — وهذا بحسب رأى ما . وقد يقال : الليل هي الأخلاق السيئة ، وهو النفس عند الصوفية ، وهو الحجاب عندهم ، إذ هو من ظلمات المحفوظ . والنهار هو الأخلاق الطاهرة المطهرة ، إذ هي من صفات القنات الروحانية ، وهي من أسماء الله الرحمانية . والأسحار هي الانفصال من الأخلاق الأولى ، وابتداء الاتصال بالرحمانية المذكورة ، فيحتاج المخلوق بالاسم التوجه والتثبت وإحضار معاني الاسم وأجزاء ماهيته والسكينة فيه والاستيلاء عليه بالعلم والعمل . ويقال : الليل هو الشوق والقلق والوجد الواقع في قلوب المحبين ، والأسحار هي الموانع والهواجس والبواهد والأحوال الكثيفة الواردة من نفحات المحبوب المتوجه إليه ، والنهار هو الواهب السلسلة والعلوم الدنية التي تفيد المشاهدة الجنسية والإقامة في الحضرة . ويقال : الليل هو التعمير عند حال التوجه وتداخل العوامل على المتوجه ، ونزول الأحوال والأسحار هي الرؤية القمرية ، والنهار هي الشمسية الكثيفة للمطلوب على ما يجب له . ويقال : الليل هو وهم الإضافة ، والأسحار هي الحقائق ، والنهار هو إدراك الحق بالحق . ويقال الليل هو الوحدة التي لا يوجد معها شيء ، وهو الذي يشار إليه بالسمى ، والنهار هو وجود الأمثلة في مقول الهباء ، والأسحار ما يئنها ، ويقال : هو مقول الفناء ، والنهار ما يمد من البقاء ، والأسحار ما ينهم من الرطب بينهما . ويقال : النهار الشفع ، والليل الوتر ، والأسحار [ ٩ ] النسبة .

ويقال : الليل آتية الحصر ، والنهار خط الانداد ، والأسحار ما ينهما ، والأصاال ما يفهم من  
أواخر تشطيط الخط عند أهل السكالات المهمة للسكالات — فافهم ذلك .

وقوله رضى الله عنه : « وما سرورك إن صدر إلا وساء كبر » . الرزء هو الشيء  
المورود عليه وهو المؤتى كما قول أبيت وردى من الليل ، معنى صلاتى التى كُنتُ نصلبها  
وكانه الشيء المطلوب الذى يورد عليه الراحة ، كما تقول وردت المكلف التلافى نطلب  
فيه ضائق بمعنى أتبته . وتقول العرب : أترك ماء الجحفة<sup>(١)</sup> فإنه ورد بنى فلان ، بمعنى  
أن قبيلة من العرب ترد عليه فتسقى منه إبلها . فالورد هو الماء الذى يورد عليه ،  
والورد هو إتيان الإبل إليه ، والوارد هو راعى الإبل ، والواردات هى النوق .  
فالورد هو المحل المؤتى إليه ، والمورود هو الإتيان ، والوارد هو الآتى . كما تقول ورد  
علينا فلان . فالورد هو الجمع الذى ورد عليه ، والوارد هو الواصل إلى ذلك الجمع ،  
والورد هو الوصول .

والسرور هو الفرح بالشيء كما تقول : سررت بتحصيل المائة دينار ، أو تقول :  
سررت بفهم المسئلة ، أو سررت بفهم الكتاب ، أو سررت بورود فلان أو بكلامه —  
معناه : فرحت أو تلذذت أو تألست . وقد يطلق الأئس واللثة والسرور والفرح بترادف ،  
وقد يطلق بتشكيك .

وأما الصدور فهو بروز الشيء من الشيء ، وكأنه ظهور قضية فى محل لم تكن فيه قبل ذلك ،  
وظهور قضية من محل كانت فيه بالقوة — كما تقول : صدر من فلان فعل منزهوم ، أو صدرت  
من فلان صفة حسنة ، أو صدرت من فلان ماملة جيلة — بمعنى ظهرت منه ، ووصلنى منه  
خير ، أو صدرنى منه إحسان ، أو صادفنى خيره بمعنى قابلقى خيره . فالصادر هو الفاعل الذى  
صدر منه الفعل ، والصدور هو الفعل الذى برز منه ؛ والمصدر هو المفعول به . فكأنه  
يقول : ما من شيء تأتبه ويكون مطلوباً محبوباً لك ويسرك إتيانه وتحصيله وتفرح به ، وما من

(١) الجحفة ( بضم الجيم ثم السكون والفاء ) : كانت قرية على طريق مكة ، وسميت بذلك لأن السيل  
يجفها ، ويؤنها وبين البحر ستة أميال .

شيء يصدر بمعنى يصلك من الأمور الملائمة له وتسر به وتفرح — إلا وبه كدر يحزنك ويسوؤك ويؤلك . والكدر هو العكر الذى يزيل صفاء المساء — كما تقول : هذا ماء مكر معناه مكر ، وكأنها إشابة تمسك الشيء وتخرجه عن طبيعته المعتدلة وتزيله عن صفائه ، وتركب باطله ؛ فإن صفاء القلب هو عدم إشابته واعتدال مزاجه وإقامته فى ماهية السرور ، فإذا تنسك تغير مزاجه ودخلته الإشابة وتمسك طبعه . فالتسك هو التغير والإشابة والتسك . وقد يطلق الكدر والتسك والألم والتغير بترادف ، وقد يطلق بتشكيك . فكأن مضمون هذا الكلام يشير إلى تبدل أحوال الإنسان فى الدنيا ولقلة ثبوتها ولصورة ذهاب ثباتها وكونها تنال فى وقت دون وقت ، وتنقطع فى كل حين وتذهب جلتها بالولت . فأراد أن ينبه الغافل على ذلك وحضه على الزهد فى انطير الوقت المنقطع ، وأن يصرف همه إلى انطير الدائم الذى لا ينقطع [١٠] والذات الروحانية التى لا تتبدل ولا يغيرها الزمان ولا تعدم بتبدل الزمان ولا يقدر أسسها بقدر الإخوان ولا يقدر هناك مطالعة جلال الرحمن — فافهم . وقد يكون أراد بذلك التنبيه على تبدل الأعراض لكونها تنعدم بالذات ليتنبه الغافل عن حدوثها وعلى حدوث الجواهر لكونها لا تسمى ولا تنفك عن الأعراض ، فيستدل المسترشد بذلك على حدوث العالم وكونه فى هذه القضية المتضادة والمتغيرة من علوه إلى سفله ، وأن هذا التبدل يلزم العالم المطلق وأن إيجاده وخلق أمثاله وأضداده وأغياره وما أشبه ذلك لا يكون من ذاته ؛ فيستدل بذلك على الفاعل المختار الذى أبرزه وهو معه بالإيجاد والتجديد والإبقاء ولا يفارقه ولا يفصل عن خلقه طرفه عين فيحصل للمسترشد بذلك العلم بمخالقه ، وقلة الاعتباط بالحدث ، والميل إلى القديم الأزلى ومحبة ويصرف همه إليه ، ويتلذذ بعبادته وطلعته ومحبة ويتأنس بمنادمته ومناجاته فى الضمير ويشاهد كلمته وقدرته فى العالم المطلق فينهل بذلك عن الذات العرضية المتبدلة ، وترجع لذاته جوهرية روحانية ثابتة ، ويرتفع عنه خوف الحدث ورجاؤه إذ هو فى الافتقار والانفعال والحدوث سواء معه . ويتبين له أن المثل المنفعل لا يفضل فيزول من قلبه واعتقاده ربانية المخلوقات ، ويخرج من ذلك الكون ، ويتحرر ويعتبر بملاحظة فاعله ومشاهدته فى الكون وفى الحال وفى النوم ويتلذذ بتلك سعادته ، فاعلم ذلك . وبالجملة قوله « ماسرورك إن صدر إلا وساء كدر » أراد بذلك التنبيه على تبدل < > (١) العاجل وقلة ثبوته (١) يياض فى الأصل .

وأن يظهر المسترشد خسارة الدنيا، وأن لذتها يشترك الإنسان فيها مع الحيوان غير العاقل، وأنها ليست من الخيرات المطلوبة عند السعداء — فيصرف همه للخيرات الثلاث: أعلى الذي يراد لذاته لا لغيره، والذي يراد لذاته ولغيره، والذي يراد لغيره لا لذاته. وهذه الخيرات ذكرها سيدنا رضى الله عنه في « الرسالة القشيرية » وفي « بد العارف » وفي « نتيجة الحكم ». وسرور السعيد لا يكون بالدنيا ولا بزهرتها، ولا يعتبر إلا نعمة الله الموصلة إلى رضوانه وكدره بضد ذلك. فإذا السرور المتبر عند السعداء هو طاعة الله عند العبد وظهورها على محله ظاهراً وباطناً والكدر مخالفته. ونقول: الورد محبة الله تعالى، إذ هي سبب القرب منه؛ والسرور ما يحصل من اللذة عند تحصيل المقامات المثمرة إليه، والكدر هو الفترة التي تضيق بمحبته والكدر الذي يمنع من التوجه إليه. ونقول: الورد هو التوجه إلى الله بالصدق والإخلاص، والسرور هو اللذة الحاصلة بمحبة الأحوال الكثيفة وانخراط الصداقة والبوادة والمواجس والعلوم [ ١١ ] الدنية والإلهامية وما أشبه ذلك، والكدر هو ذهاب الأحوال وما ذكر وانصراف المتوجه إلى حالته الأولى ورؤية الأحساس والأغيار. ونقول: الورد هو التخليق بالاسم، والسرور هو مشاهدة المسمى، والكدر مجاهدة النفس عند الشروع في تحصيل ذلك وبعد التحصيل في حفظ الاسم. ونقول: الورد مقام المراقبة، والسرور حفظ الأحوال، والكدر ضبط القوانين وقهر النفس على ذلك. ونقول: الورد تحصيل الوسائل والسرور توفية شروطها، والكدر اختلال الشروط. ونقول: الورد إحراك التوحيد، والسرور بناء الموجد، والكدر وجود الشفع. ونقول: الورد قطع خبر الفناء، والسرور وجود السكينة، والكدر مدافعة الأوهام. وهذا فيه الكفاية — فافهم.

قوله رضى الله عنه: « والفرض يحول الله في تحصيل الكمالات وأسبابها » — الفرض هو الإشارة المنصوبة، وكأنه هو المقصود الذي يعمل المتوجه على إصابته بهم التوجه. فالتوجه هو الرامى، والرمى هو التوجه. والفرض هو المقصود المتوجه إليه. فكأنه قال: القصد يحول الله تعالى في الكمالات وأسبابها. والكمالات تطلق على أتعاء وإن كان حتماً واحداً، ولكن وجودها في الكامل مختلفة الرتب. وحق الكمال هو الذى لا يقبل الزيادة ويختل بالنقصان، كما حده سيدنا رضى الله عنه. وهو يتعين بالنظر إلى منهج، أو بالنظر إلى مطالب الشخص، ولا يعقل إلا فى



شئ له غاية ووسط ومبدأ ، كما تقول : كملت الأحاد من العدد إذا بلغت العشرة ، وكملت العشرات إذا بلغت المائة ، وكملت المئون إذا بلغت الألف ، وتقول : قبية كمال إذا بلغ الغاية في معرفة أحكام المكلفين ، وطيب كمال إذا بلغ من الطب مبلغاً لا يمكن أن يزداد عليه . والكلام في الكمال البسيط والنقص البسيط والذي يكون بالإضافة إلى مذهب وإلى رجل قد ذكره سيدنا رضى الله عنه في « نتيجة الحكم » ، فانظره حيث ذكر . وهو يقتينا عن ذكره في هذا الموطن ، ولكن نذكر منه هنا ما دعت إليه الضرورة فنقول : الذى أشار إليه رضى الله عنه في هذا الموضع هو الكمال الإنسانى ، وهو واحد بالنظر إلى ماهية الإنسان ، كثير بالنظر إلى لواحقه وكونه . قال : « في تحصيل الكالات » — دل على أنها كثيرة . ولما أن كان قانونه يقتضى حصر القوانين وإعمال ما لا فائدة فيه منها وتخصيص المذاهب الخمس المتبعة وتكامل الأربعة الناقصة وتقرير الواحد الكامل والحث على مذهبه — قال « والفرض بحول الله تعالى في تحصيل الكالات » وذلك أن سيدنا رضى الله عنه قد أطلع على القوانين المتقدمة كلها : الشرعية والفلسفية والأدبية ، وحصر الكتب ، المنزلة منها والغير منزلة ، من أول مبدأ العالم إلى وقتنا هذا وعرف مجملها ومفسرها ، ومبطلها ومخصمها ، وفك غوامضها وخصص منها خمسة مذاهب وأهل ما دونها ، وذكر أنه ما ينبغي أن تذكر ولا تجمل [ ١٢ ] مخاطبتها . ورتب قانونه وجمه من المذاهب الخمسة وهى : مذهب الفقهاء ، والأشعرية ، والفلاسفة الأتقياء ، والصوفية الأولياء<sup>(١)</sup> . وبين الكمال الذى يراد به ذاته والسعادة التامة الأبدية وأعلى المطلق الذى لا يحصر ولا يقدر في مذهب المقرب . وجعل المذاهب الأربعة كل واحد مصيب في بعض الأشياء وغير مصيب في البعض ، فقرر كل واحد منهم على إصابته ونبه على المواطن التى أخطأ فيها وعلمه وقوله منها . وأمر المسترشدين والمتدينين والطالبين طريقته والبالغين نصيحته أن يأخذوا بحسب نصه في « الفتح المشترك » حين قال : « خُذْ من الفقيه الحافظة على الأحكام الشرعية ومدلول صيغه فيها ، ومن الأشعرى السياسة بك في مذهبه لا به ، ومن الفيلسوف الصناعة الرئيسة والحكمة التى تفيد معرفة الأشياء حسب ما تعطيه وتتقضى طبيعة البرهان ، ومن الصوفى مكارم الأخلاق والتجرد المحض عنك حتى تجدك وتظنر بك ، ومن المقرب

(١) هنا أربعة فقط ، والخامس بحسب ما ورد بعد هو مذهب « المقربين » .

ماهية كمال الأول والثاني . وكتبه كلها منبهة على هذه المذاهب الحسنة . فلما أن كان كمال مذهبه مجموعاً من هذه المذاهب ، ولكل مذهب منها كمال خاص بالنظر إلى غايته وبالنظر إلى الوجه المحمود منه ، سماها كيالات وجعلها كثيرة لهذا الوجه الذي ذكرته لك . وقد تكون الكيالات في الشخص الواحد بالنظر إلى مراتبه وخواصه ، كما تقول : العلم بالله كمال أول ، والمعرفة كمال ثان ، وخلاص الإنسانية كمال ثالث ، أو تقول : قطع الوهم كمال أول ، وتحقيق الحق كمال ثان ، واستجابة الجميع في الإنسان كمال ثالث — وهذا ذكره سيدنا رضى الله عنه في « الإحاطة » ، والقسم الأول ذكره في « العقريّة » . وها أنا نذكر كمال كل مذهب وغايته وفائدته بقدر الطاقة ، والله يؤيدنا بروح منه .

فتبدأ فنقول : الكمال عند الفقهاء هو الذي عرف أحكام المكلفين ، وفروضها ومسئوليتها ، وعلم السيرة الجيدة وتفسير كتاب الله ، وفهم مدلول التنزيل ، وعرف المحكم والمتشابه — وذلك كله بالدليل والبرهان — وهذا ذكره سيدنا رضى الله عنه في « بدع الباز » . والكمال على ما يقتضيه مذهب الأصولية هو المحصل لما تقدم في مذهب الفقيه ، ويزيد عليه بمعرفة ما يجب لله ويجوز عليه ويستحيل في حقّه ، ويحرر توحيد الدليل المركب من المنقول والمقول ، ويترجمه من الحد والرسم ، ويعرفه بالوصف والاسم ، ويعلم أسماء ذاته وكونها ذات مسمى ، وأسماء صفاته ويزعم أنها لا هي هو ولا هو غيرها ، وأسماء الأفعال جعلها غيراً محضاً ، ويقطع الخضم الممثل<sup>(١)</sup> بدليل افتقار الفعل المحدث إلى محدثه ويقسم ظهر المشبهة بصفات التقدم وما يليق . وبالجملة يعرف خواص المحدثات وصفاته وصفات القديم الذي يجب أن تنسب لذاته ، وانحصر مذهب فيميز الذات وتقابل الجائزات [ ١٣ ] وتعلق الصفات . وهذا الكمال الذي وصفته في الفقيه والأشعرى إنما هو بحسب ما يلزم من قوة مذاهبهم وما يلزم من مبادئ<sup>٢</sup> قوانينهم وغاياتها . وقد تقدم القول بأن الكمال هو الوصول إلى غاية ما لا يمكن الزيادة عليها في تفسير ذلك المذهب أو تلك الصناعة ، فاحتجت أن أذكر غايات مذاهبهم التي لا يمكن الزيادة عليها في صنائعهم . وأما الكمال الإنساني فلم يتعرضوا

(١) الممثل : أى الذى لا يقول بصفات قديمة فى الذات الإلهية ، وهو مذهب المعتزلة .

إليه ، ولا يمكن قواينهم أن تقيده ، ولا يتوصل بها إليه ؛ والدليل على ذلك أن الفقيه يزعم أن المرتبة الشريفة هي الأعمال فقط ، ولا يتعرض لثمرة الأعمال ، ولا يسلم تحصيلها إلا بعد الموت . وسعادة الإنسان عنده محتملة النقيض ، ولا يبحث عن الحقائق ولا يتوجه إليها يزعم أن السعيد من المؤمنين . لا يتعين مقامه إلا بعد الموت ، ولا يعلم متناً إلا محسوساً ولا جنة إلا محسوسة ، ولا لذة إلا طبيعية . ورؤية الحق تعالى بمجهولة الكيف عنده ، وهو واقف مع الأمور المقبولة ، ونفسه بمجهولة الماهية فلا كمال له فيما ذكرنا ولا خلاص ولا حرية .

وهائنا نذكر اعتقاد من تكلم في الكمال وعمل عليه ، وتكلم في النفس ويبحث عنها ، وتكلم في الحقائق وتوجه إليها ، ويظهر لك بذلك عدم الكمال عند من ذكرناه فنقول : مقصود العلماء هو السعادة ، والسعادة هي النعم القائم الذي يستصحب ماهية السعيد ولا يفارقها ولا يمكن فيه التقدير ولا ينشوق الإنسان بعد تحصيلها إلى نعم خارج جوهره ، ولا يطلب خيراً غير الذي قام به ويرتفع من محله خير الطلب والتشوق إلى غيره ، إذ لو بقيت عليه بقية يطلبها ويتشوق إليها ولثة يستدعيها ويتفرد عليه وجودها أو يبق في ماهية احتمال تحصيلها أو ضده لم يكن سعيداً ولا منعماً في ذلك الحال ، إذ هو يستدعي لذات لم ينلها ولا قامت بمحله . وهو ليس بكلل إذ هو يستدعي الزيادة . ومن انتقل إلى الزيادة فهو في النقصان . فصع بهذا النظر أن الكمال هو تحصيل الغاية التي لا يقدر بعدها شيء يطلب ، ويتقطع عندها كل مطلب ، ولا يوجد شيء خارج عنها ، ويذهب من جوهر الظاهر به اسكل أمل ، وترتفع أخبار الإضافة ، ويسقط التعليل هناك ، ويضمحل النقصان والعلل ، وتقع السكينة والنبطة والرضوان ؛ فيكون الكمال مقياً في جنة حضرته التي لا يشذ عنها شيء ، ولا يقدر فيه أنه يتقدم ما هو عليه ولا يظفر بكمال ولا سعادة غير الذي هو فيه وإليه . فإذا كان الأمر كذلك فكل طالب ، وكل منتظر ، وكل واقف في مطلوبه على حاشيتي النقيض . وكل من يقدر كمالاً أو سعادة غير الذي هو فيه وبه فليس بسعيد ولا كامل .

فخرج للفقهاء ، فنقول له : أعلم أن الأعمال الشرعية المراد بها إيساك النفوس عن الشهوات البدنية وتجريد الجواهر عن اللذات الطبيعية ورياضة الإنسان [ ١٤ ] بالأعمال العملية وتشويقها إلى الحقائق بالمباحث العلمية وتخليتها بالتخللات الربانية وتفديته بالمليذات الروحانية حتى يتجرد عن الجسم بموت شهوداته وينصل بالذوات المفارقة للمادة بعلمه وتخلقه ، وعلمه جوهره فيكون من جملة

القوات المجردة ، وذاته مفارقة ليست بجسم ولا في جسم ؛ والذوات المفارقة تعلم بغير نظر ، ويدرك بغير حواس ، وتشاهد رهبها شهوداً غير زمانى ولا مكانى ؛ وهى مقيمة فى حضرتها إقامة أبدية ، وتتلفذ بمطالمة جلاله وبما يبرى لها منه من الفضل والشرف والكرالات الذاتية التى لا تفارق الجواهر .  
 فحينئذ يكون الإنسان باقياً لا يفتى ، ولا يجرى عليه السكون ، ويستحيل عليه الفساد ، ويتلذذ بلذات روحانية غير منقطعة ولا تنال فى وقت دون وقت ، إذ هى فى جوهره جوهرية له وصفة نفسه . وقد سلمت فى مقدماتك واعتقادك أن نعم الجنة لا ينقطع وأن الإنسان فيها لا يموت ، ولكنك جهلت الكيفية ، فهذه كيفية ذلك . وزعت أن ذلك لا يكون إلا بعد الموت الذى تعلمه فى عرفك وصدقت فى ذلك ، ولكنك طرقت أن تعلم أن الإنسان المتوجه للقوانين الشرعية يموت عن الجسم قبل موته الذى تعلمه فى عرفك ويتجرد عنه نهرياً تاماً بحسب استغراق حاله فى ذلك ويدرك خاتمته ومقامه كما تحبب أن أنت أن ذلك يرى بعد الموت . والصوفية من أهل الملة كل واحد منهم متفق على هذا المعنى وقائل به ، وهذا هو المعروف المتعاقد عندهم . وجميع ما تقول أنت أنه يحصل فى الآخرة يدركه ويأكل بروحه من طرف الجنة ويشاهد مستقده عند الله وربته وخاتمته يقطع بها ويتكلم بالمسيبات ويكشف الواقعات قبل وقوعها هل هذا إلا من مطالمة النظام القديم وكشف ما فيه . وهذا لا يكون إلا بجوهر روحانى مفارق للمادة . وأنت سلم وتقول إن السعادة تنال بتوحيد الله تعالى ومعرفة الأعمال الصالحة وعلى قدر ما يستكثر الإنسان من الأعمال تكون درجته عند الله وسعادته — كذلك يقول الصوفى : على قدر الأعمال الشرعية والميل إلى الله حتى يستغرق أزمته فى الأعمال والعلوم والمعارف ، بقدر ذلك تكون غيبته عن الجسم ؛ وبقدر ما يغيب عن الجسم ينصل بالأرواح الطاهرة المفارقة فى حضرة الله . فالتصل بها يكون فى حضرة الله فى « مقعد صدق عند مليك مقتدر » (١) .

فهذه مقدماتك مسلة أن الكمال الإنسانى فى القرب من الله ، والقرب من الله لا يكون إلا بقدر المعرفة به والطاعة له ، ومعرفة لا تكون إلا بالجواهر الملصقة المفارقة ، إذ الجسم لا يعلم لأنه ميت بالطبع ، والعمل الصالح هو أخلاق الذوات المجردة إذ الخير هو طبيعتها ، فتوحيد الله هو ذاتها ،

والسعادة في التوحيد ، والعمل الصالح والخير المحض والسعادة والكمال [ ١٥ ] في الذات المجردة بالذات . فافهم الشريعة على هذا الوجه وتكون من السماء الصوفية الجليلة .

وكذلك يقال للأشعري — إذ هو يعتقد في سعادة الإنسان ما يعتقده الفقيه لأنها عنده في حكم الإمكان ومحملة النقيض ، وبعد الموت يتعين منها ما شاء الله — فيقال له : جميع ما اعتقدته في الله وكونه ليس بحسم ولا في جسم ومنزه عن طرئه الأعراض الجسائية عليه وأنه يعلم لا في زمان ولا في حاسة جميع ذلك هو الذي يقال على جوهر الإنسان . ولما كان الإنسان جوهرًا ملكيًا متلوقًا كان عارفاً بالله بالذات ، وتحت ربه من كل الجهات ، ومشاهدًا له على الدوام ، وكامل العبودية له بالذات . فلما غرته الطبيعة في الأمور المحسوسة بمشاركة الأجسام احتاج إلى الحواس وآلة البدن لمجاهة التوجه وخطاب الشريعة كأنه يصرفه إلى طله فيجد كماله في ذاته وجوهره صفة نفس ذلك الجوهر وتلك الذات . وافهم ذلك من قوله تعالى : « ارجى إلى ربك »<sup>(١)</sup> ومن قوله : « كما بدأنا أول خلق نعيده »<sup>(٢)</sup> ومن قوله : « ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون »<sup>(٣)</sup> . — هل هذا إلا إشارة للبدء الأول الذي خلق في أحسن تقويم بمعرفة خالقه وبأريه ومشاهدة جلاله والنظر إلى وحدته ، ثم رجع أسفل السافلين بمشاركة المواد وتغيير الأجسام ثم يرد إلى جوهره الأول بالإيمان والعمل الصالح ؟ فالكمال الإنساني هو اتصال الإنسان بمبدئه الأول حيث هو رضوان الله وتوحيده ومشاهدته بالذات .

ويقال للفيلسوف : أنت تتكلم في الكمال الإنساني وتعمل عليه وتزعم أنه يحصل بتجرد الجوهر عن عالم الطبيعة والاتصال بالعقل الفعال على قولة الحكيم أرسطو بالجوهر وإلى الكلّي بالعلم ، وأن سعادة الإنسان في القرب من الله ، والعقل أقرب الموجودات إليه ، فالسعادة في الإتصال بالعقل ، وأن العقل جوهر روحاني غير مركب . وما ليس بمركب لا يفنى فالعقل لا يفنى ، وأن

(١) سورة الفجر ، آية ٢٨ .

(٢) سورة الأنبياء ، آية ١٠٤ .

(٣) سورة الواقعة ، آية ٦٢ .

الروحاني لا يدخل تحت الزمان وما لا يدخل لا يتغير ، فالعقل لا يتغير ؛ وأن النعم والسعادة والكمال في الثبوت وعدم التبديل وإدراك الأشياء ومطالعة الأزل ، وهذا كله في العقل من صفة نفسه . فالارتباط بالعقل هو الكمال الإنساني . وأن شرف العقل وكله من ذاته ، وأن الإنسان لا يصل إليه حق يقطع ما بينه وبينه من الرتب ، وأن كل رتبة ضرورية في تحصيل ما فوقها ، فتجد كلاً داخله النقص وسعادة مشوبة بالشقاوة ، فإنك تنصب في قطع المراتب وتجتهد في تحصيلها وتحصيل ما بعدها ، وتشتق بمحورك وقوتك وتصل بعد ذلك كله إلى جوهرك الذي أنت به إنسان وإلى ذاتك الذي كنت بها في أول التوجه كأنك حصلت بعد الجهد ما كان حاصلًا وطلبت القريب بالبعيد وبمشت عن الضروري بالذليل وحجبت الظاهر الجلي بالتمليل ويحك ! كيف تتوجه إلى عقول [ ١٦ ] الأفلاك وعقلك مثلها ، وجعلت المثل يفتقر إلى مثله ، والجواهر المفارقة فصلت بعضها على بعض ، وجعلت الفضيلة ذاتية للجوهر وأنه استحق ذلك بحسب رتبته ؛ وكيف ذلك ، وجواهرها واحدة في الاضطراب ؛ والاضطرار الموجود في كل واحد منها هو الموجود في الآخر ، وما عدم من كل منها عدم في الآخر ، وهي واحدة في وحدتها التي لا تنقسم ، وكونها روحانية لا تركيب فيها ، وهي متساوية في ذلك . فكيف يفتقر المثل إلى مثله من كل الجهات والذي عدم منه عدم من مثله ، والذي هو موجود في مثله هو موجود في ذاته هو ؟ فليكن بجوهرك الذي تبحث به عن غيره وابحث به عنه . واطلب الشرف والكمال من الواحد الحق الذي « أعطى كل شيء خلقه » <sup>(١)</sup> ثم هداه إلى نصيبه الموجود في النظام القديم . واعلم أن جوهرك يأخذ نصيبه من الله كما يأخذ العقل الكلي والفعال وغيره ، وأن كلمة الله هي الفيضة على كل جوهر وهي المقومة ، والمتمة لكل موجود : روحانياً كان أو جسمانياً ، وأن الله لا واسطة بينه وبين مفعوله ، وأن أمره هو الذي ينزل في السموات والأرض . فليكن به ، ولا تهلك نفسك في ذل الوسائط وتطلب القريب من كل الجهات من البعيد . فجميع ما أنت تصل إليه وتتوجه به هو الملك الروحانية والجسمانية إليه هو مثلك . وتغير بالوصول وقطع المراتب وأنت لم تفصل عنك وتفرح بخير متوم . واعلم أن مبادئ المتصوفة في التوجه هي من فوق العقول التي تزعم أنها غايتك ، فإنك تزعم أن كمالك في العقل الفعالي وأن لا نصيب لك

من الكلى إلا العلم به ، والصوفى يجعل الكلى والفعل وبالجملة الروحاني والجسماني من تحت قدمه عند توجهه ، وذلك لما أن علمها أنها بجملتها واحدة في قضية الافتقار والانفعال والإمكان وأنها متاثلة معه أهل الفعل وتوجه إلى الحق بالحق . فبالوجه الذى أهل ذاته أهل الكون كله ، وحيث قى هو فثبت العوالم بأمرها ، فعلمه من الكلمة ، فإن عنده أن الممكن لا وجود له إلا بكلمة الحق فينبئ عن جهته ويثبت بالكلمة أو تكون الكلمة ذاته والكلمة لا تنفك المتكلم فهو لا يفارق الحق . أو تقول : الكلمة ذات الصوفى وهى صفة الله ، وصفته غير زائدة على ذاته ، فالصوفى لا ذات له إلا الحق ، أو تكون ذاته من قبيل الوم أو من قبيل الخير أو من قبيل الأسماء ، فاعلم ذلك .

وقد تبين لك بهذا كله أن الكلل عند النلاسة هو الذى يصل بالجواهر إلى العقل والفعل ، والعالم إلى الكلى ، أو يكون فى الفعل بالجواهر وفى المقصود بالعلم . وقد ذكر سيدنا رضى الله عنه هنا فى « نتيجة الحكم » فأنظره هناك . وكذلك ذكر هناك أن الكلل عند الصوفية فى الوجه الأول هو العالم بالمشروع [ ١٧ ] والمقول بشرط أن يكون نحو الصواب فيها وينقلب الأحوال على الأقوال وكذلك الأفعال ، ويكون ثابتاً فى سريره ويعلم ذلك من سيرته . والكلل فى الوجه الثانى هو الذى حصل مقام الإسلام والإيمان والإحسان بالتجوهر ووجد الآنية فى خبره ثابتة النسبة ، غير أنها تختلف فيه من جهة الشعور ويحد الافتقار إليها . والكلل بحسب الوجه الثالث هو الظاهر بالوجوه التسعة ، الذى حصل مفهوم الأسماء فى ماهيته ، وحصل الإحاطة ولم يتلاهب ضميره يوم ولا كل من وم ولا فى وم . وهذا ذكره سيدنا رضى الله عنه فى « النتيجة » ، إلا أنه ذكرته أنا لك بالاختصار فى وصف القسم الثالث . والكلل عند أهل الحق بما ذكر سيدنا رضى الله عنه فى « النتيجة » هو الذى لا يعلم الكمال ولا يطلقه ؛ وإن صح عنه إنما يصح بإهمال هذا الكمال وترك هذا الحشو . والعالم عنده ما يصح من الملمية أو هو يرجع إلى إخباره أو قضية راجعة منحة . ويقول : أهل العلم العلوى لا يعلون الصنائع ولا يعرفون السلوك ، وغاية الصوفية والحكماء الوصول إليهم . وم من حيث مراتبهم لا استقلال لهم ، وأين الناس وأين الحق

منهم ؟ وهذا يقول إذا تكلم في عادة الصوفية والحكام وأمان حيث هو فلا علم له إلا واحد وهو هو — فاعلم ذلك .

فقد تبين لك بهذا النظر أن الفيلسوف يتوجه من الفعل إلى الفعل ويبعد العبد بالعبد أو يبعد العبد بالحق بنظر ما ، والصوفي تفوته المقارنة والنسبة ويتوجه بالصفة إلى الصفة ويخبر عن اللقاء بالوهم . وحله على ذلك كله عدم الفهم لأنه جهل الحق عنده وتوهمه أنه وصله ببقده ، ومن حيث وجده فقدمه ، ومن حيث عينه غيبه ، وأخاه من حيث أظهره ، وقبضه من حيث بسطه . والحق بجماله ترك كماله ، وجماله عين جلاله ، فتوجهه سكينته في ماهية اعتداله . والفقير لا كماله إنساني ، ولا تجوهر له رحمان . فإن اعتبرته به كمالاً فإنما تعتبره بالنظر إلى مبدأ منحه وغايته : لا بالنظر إلى تجوهره وتجريد ذاته . وكذلك القول على الأشعري .

فقد تبين لك الكلام في الكالات بحسب المذاهب المتبررة ، وكيف هي في الفقيه والأشعري ، في القانون لا في الإنسان ، وفي المذاهب لا في الجوهر من ذات الرحمن ، وفي الفيلسوف بجوهر ناقص وإنسان مستند ، وفي الصوفي بحق مضاف ورضوان مقيد . والحق كيف الكالات وكنهه الإمكانيات — فاعلم ذلك . وهذا الكلام في الكالات قد فرغ منه ، فنبداً بذكر أسبابها .

فنقول : أسباب الكالات عند الفقيه في تحصيل منحه معرفة لسان العرب ومعرفة اللغة العربية ، وحفظ الكتب والسنة ، ومعرفة تاريخ الآيات والأحاديث ، والعلم [ ١٨ ] بالناسخ منها والمنسوخ ، والنظر في الحكم والمنتشاه . وأسباب الكال بالنظر إلى مذهب الأشعرية سلامة العقل والفطرة والاجتهاد الكلي والبحث المسدد والمسلم الخبير الناصح . وأسباب الكال عند الفيلسوف تحصيل المطالب الأصلية والعلم المنطقية مثل كتاب إيساغوجي والمقولات العشر وباري أرمينياس وأنطونليقي وقاطاغورياس<sup>(١)</sup> والمخاطبات الخمس والأقيسة التسع وما يتبعها

(١) قاطيفورياس هي المقولات العشر — فلا محل لتكرارها — أما قوله المخاطبات الخمس فلا ندري المقصود بها ، أم الألفاظ الخمسة : الجنس ، النوع ، الفصل ، العرض العام ، الخاصة ؟ وكذلك لا ندري لماذا حصر الأقيسة في تسع ؟



وما يتقدم على ذلك من اعتدال المزاج وسلامة النظرة وسعادة المولد وحسن المعلم ، وما أشبه ذلك وما يلحقها من التجرد والرياسة . وأسباب الكمال عند الصوفية هي على أنحاء : فإن الصوفى يأخذ مقدماته الأول من الفقيه في الأعمال الشرعية ، ومن الأشرعى في الاعتقاد العقلى ، ويركب على ذلك التوجه والمجاهدة والتوكل والتسليم والتفويض والرضى — وهذا سبب الكمال عند بعضهم .

وتقول أيضاً : سبب الكمال عند الصوفية التخلّى عن غير الله والتحلّى بصفات الله ، والنجلى نعمة ذلك كله . وتقول أيضاً : سبب الكمال الصبر والصق والإخلاص واستصحاب الحال وثبوت القدم والتجرد المحض والتخلّى السكى . وتقول أيضاً : سبب الكمال على أى نوع كان لا يكون فى العبد من حيث هو وعقله ونفسه وجعلته عاجزة عن استجلاب الخير وتحصيله وعن التوجه بالجملة . فإذا رأينا ذلك وثبت فى الرجل حكم ذلك علمنا أنه من عند الله وأن السبب فى ذلك قدرته وإرادته وحكمه وأمره . فصفاً الحق هي سبب الكمال وأصل فى وجوده ، وصفاته غير زائدة على ذاته ، فذاته سبب الكمال فهو المتقدم على توجه المتوجه وهو الموجود فى نفس التوجه من حيث استحقاق الفاعل لفعله وهو الموجود عند الفتح والوصول ، وهذا معنى قول سيدنا رضى الله عنه فى الرسالة العنقريّة : « هو المطلوب وبه يطلب ، ومنه الطالب وله ومنه وعنه السكك » — فأعلم ذلك . وأسباب السكك عند المحقق الأول زمان حائل وممكن آفل ، ومضاف زائل ، وطالب نائل ، وخبير خبره ذات مخبره ، وعليم علمه عين معلومه ، وحصر ممتد ، وقضية تجدد وفرع هو ذات أصله ، ونوع لا عموم لنفسه .

قوله رضى الله عنه « والتجوهر بمبدول الإمكانات الإلهية » — التجوهر بالشئ هو حصوله فى ماهية المتجوهر مثل الشئ المطبوع الذى لا يمكن زواله ولا يقدر تقديمه وكأنه يودله من صفات الأنفس التى لا انفكاك لها كما تقول : تجوهر فلان بحب فلان — بمعنى أنه غلب عليه حبه وحكم فى طباعه [ ١٩ ] وظهر فى شمائله ونموتة كلها . وبه قال بعض الفقهاء حين سئل عن المحبة فقال : هي اتحاد النعوت . وكما تقول : تجوهر فلان بالحر — بمعنى أنه لا يصحو منه . وقد حده سيدنا رضى الله عنه فى « النتيجة » فقال التجوهر هو أن يكون المتجوهر فى الشئ بعموم ماهيته . — وأما هو الناصب للدليل ، والدليل هو الحامل للمطلوب المستدل عليه ، والمبدول هو

المطلوب بالدليل ، والإمكان هو الجواز الذى يحكم بنى الشيء أو إثباته حكماً واحداً على التساوى كما نقول فى قضية جائزة إذا قدرت وقوعها وهى من حكم الجائزات يمكن أن يكون خلد بمعنى يجوز ، ويمكن ألا يكون . وبالجمل : الممكن هو الجائز ، والإمكان هو الجواز ، وهو متوسط بين الواجب والمستحيل . فالواجب هو الذى يلزم من فرض عدمه محال ، والمستحيل هو الذى يلزم من فرض وجوده محال ، والممكن هو الذى يجوز وجوده ويجوز عدمه . وفى قضية الإمكان كان العالم قبل وجوده وفيها هو الآن فى بقاءه وتجهيد إيجاد ، وبالجمل كل فعل يفعله الحق تعالى وكل ما فعل هو فى الإمكان ، والإمكان هو حقيقة العالم بأسره . ولما كان الممكن لا يقع بنفسه لكونه لا يترجع أحد طرفيه على صاحبه ، وقوعه يدل من صفة نفسه على الفاعل المختار . ولما كانت المفولات أنواعاً كثيرة ، وكل نوع من مخلوقات الله تعالى له من الإمكان قضية تخصه مماها إمكانات بحسب الإمكان المقترن فى مخلوق مخلوق ، والإمكان من حيث هو هو واحد فى حكم العقل ويتمدد بحسب حكمه فى مخلوق مخلوق ففسى إمكانات — كما نقول أمود بكلمات الله التامات ، وكلمة الله من حيث هى كلمة واحدة ، وتتمدد بحسب أثرها فى المخلوقات المتعددة ، وكذلك القول فى الإمكانات : هى كثيرة بالنظر إلى تعدد الممكنات ، والإمكان واحد من حيث مقوله المطلق . فلما كانت الإمكانات تدل بذاتها على الفاعل الذى يخصص ممكناً يدل ممكن ، والفاعل واجب الوجود ولا يظهر ممكن إلا بقدرته ومشيتته وعلمه وحكمه وأمره ، فكل ما يقع فى الممكن يدل بطبيعته على صفات الحق تعالى وعلى وجود ذاته ووجودها وعلى قيامه بذاتها ، إذ كل ما يقع فى الممكن هو صادر عن ذاته . فنبول الإمكانات هو الله تعالى وصفاته . وقوله رضى الله عنه : « الإلمية » الضير يعود على الله وصفاته لا على الإمكانات . وكونه حض على التجوهر بذلك منه أن لا تعقل لذاتك وجوداً إلا بصفات الله المقومة لوجودك والمنسمة له والى لاهقيقة لك إلا بها ، كما نقول : لا وجود للممكن إلا بقدرته الله ، والقدرة شرط ضرورى فى وجوده ، وما هو ضرورة [ ٢٠ ] الشيء فهو الشيء . فإذا القدرة هى ذات الكون الممكن ، والقدرة صفة الله ، وصفته غير زائفة على ذاته . فالله هو ذات كل ممكن ووجوده بالوجه الذى ذكرناه . ومن حيث أنه إذا قدر ارتفاعه ارتفع وجود كل شيء فلم ذلك وزنه واعتقد الأفراد المحض مع قوة الملازمة .

فكانه قال : لا وجود لك ولا حقيقة ولا ماهية ولا حال إلا بالله ، والله هو أصل وجودك وأحوالك ، وهو الظاهر في ظهورك والباطن في أسرارك وهو الكل من حيث استحقاق الفاعل للفعل . فتجوهر به : بمعنى أبصره أنه هو الثالب على ماهيتك بل هو ماهيتك كما ذكرنا ، وهو الموجود في نواتك كلها والسميع في سمعك والبصير الذي يبصر ببصرك ويبطش بيدك ويسعى برجلك . فتجوهر به : بمعنى أنك لا تقول إلا عليه ولا تنادم إلا له ولا تبصر إلا وجوده ، فإنه أقرب إليك من وجودك لك . فافهم ذلك من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حاكياً عن الله : « إذا أحببتك كنت سمعاً وبصره ويداً ورجله » . . . الحديث — ومعناه : إذا أحببتك ، والضير فيه عائد على فهم العبد وعلمه بذلك ؛ وأما من حيث الحق تعالى فهو سمع كل شيء وبصره وجملته قبل وجود ذلك ومعه ولا يتنوع الأمر من حيث الله تعالى . ولا يمكن أن يكون في وقت سمع العبد وبصره ولم يكن قبل ذلك كذلك ولا بعده ، هذا في حق الله تعالى محال . وإنما معنى الحديث : إذا أحببتك جعلت له ضمماً يعلم أفعاله وبصره ويداً ورجله وأفعاله كذلك كنت قبل ذلك بالإلزام الذي ذكرنا . ولما كانت المحبة نوراً يبصر به نوات المحبوب وصفاته وفاته كان العبد عند وجودها ، أبصر قربه الحق منه ، وكونه سمعاً ؛ فصار التقديم والتأخير للفهم الذي يوجد عند العبد فيعلم قربه الحق واستحقاقه له . فتنبه العبد الممكن على التجوهر بالواجب معناه أن يعلم أنه متجوهر بالواجب من صفة نفسه ، وأن الحق مقوم لوجوده ومنم له وأنه معه على ما هو عليه في كل الأحوال ، فنهك أن تعلم ذلك — فافهم .

وقوله — رضى الله عنه : « وما يجب كما يجب على ما يجب في الوقت الذي يجب » — أشار بذلك للأدب والتصريف الموزون ووضع الشيء في محله ولما سبق في الكلام المتقدم أن العبد في حضرة ربه وبين يديه وأنه يبينه ولا يفارقه فنه أن لا يتصرف في تلك الحضرة إلا بما يجب . وما يجب للعبد أن لا يذكر غير ربه وهو بحضرته ، وأن لا يطلب شيئاً من غيره وهو مقيم عنده ، وأن لا ينسب وجوده لغير حقه وهو به وله ، وأن لا يطلب نعمة من غير الله وهو بين الله — فيكون ذلك من وضع الشيء في غير محله ، وطلب الشيء من غير مالكوه فاعلم ؛ وأن ينسب وجود الممكن للواجب فيكون من وضع الشيء في محله . وأن لا يذكر أحداً إلا الله الذي هو [ ٢١ ] ذا ذكره ( ٢ - • الرسائل )

بالإمداد والتجديد وإعطاء الماهية فيكون من وضع الشيء في محله وفعل ما يجب ؛ وأن لا يطلب نعمة من غير الله فلا نعمة لغيره إلا مستمرة ؛ ويطلبها من الحق هو المنعم على الإخلاق ، ويكون ذلك من فعل ما يجب ووضع الشيء في محله ، أولاً يطلب نعمة إذ نعمة الله تأتية به لئلا يفتيق عن الحاضر ويحسده بطلب الغائب المتوهم ويكون ذلك من فعل ما يجب ووضع الشيء في محله ؛ ولا يبصر وجوداً إلا الواجب إذ لا وجود لغيره منه ويكون ذلك مما يجب ، ووضع الشيء في محله ؛ وبصره الذي يبصر به الواجب ينسب للواجب فيكون ذلك من وضع الشيء في محله وفعل ما يجب . وإذا كان العبد ينسب الأشياء إلى حقيقتها ويضعها في مواضعها ووجودها الذي هي به ماهية ويتركها على ما هي فقد فعل ما يجب كما يجب على ما يجب في الوقت الذي يجب ، لأنه ينظرها في الله بوجودها على ما هي عليه في أوقاتها وأحوالها وأماكنها — وهذا هو التصريف الموزون ووضع الشيء في محله وفعل ما يجب . والمتصرف بهذا التصريف هو المتجوهر بمدلول الإمكانيات الإلهية على النعم ، وهذا الذي يذكر الله من صفة نفسه ويحده في جلته ويبصره في أحواله كلها وفي الكون المطلق وفي بصره الذي يبصر به كما تقدم . وإذا صح بما ذكرنا أن الممكن لا شيء له ولا ذات إلا مستمرة من الواجب وهي بالجملة لا تفارق الواجب الذي هي منه وبه وعنده ، فإذا لا يمكن على الحقيقة إلا متوهم أو خبر لا خبر له خارج الذهن . فإذا القضاء كما واجبة ، فكل قضية يجب على البصير أن ينصف بها كما وقعت وكما يجب على ما يجب في الوقت الذي يجب إذ هي واجبة لا يحصى ولا انفكاك لها من ذلك كله لأنها وجود واجب . وهذا معنى قوله رضى الله عنه : « وبما يجب كما يجب في الوقت الذي يجب » .

وقوله رضى الله عنه : « والاتصاف بالحكمة التي تفيد الصورة النعمة للسعيد » الاتصاف هو قيام الصفة بالمتصف حتى تصير له معنى ووصفاً لازماً يوصف بها وينمت بها — كما تقول : فلان العالم إذا اشتهر بالعلم وصار له نعتاً وأشير إليه به أعنى بصفة العلم ، وكما تقول : حاتم الكريم ، فصار يكنى بالكريم وينمت به لكونه صار له وصفاً لازماً ، وكذلك تقول : فلان الشجاع وما أشبه ذلك . والحكمة في اللغة هي العلم والمعل كما رسمها سيدنا رضى الله عنه في الكلام على أنواع الحكمة ؛ وفي « الرسالة الإصبعية » قال إنها العلم والمعل ، وزاد : وضع الشيء في محله . والحكمة في الشرع

هى السنة لقوله تعالى : « واذكرونا ما ينزل فى بيوتكن من آيات الله والحكمة » <sup>(١)</sup> . والحكمة الفهم عن الله لقوله تعالى : « يؤتى الحكمة من [ ٢٢ ] يشاء » <sup>(٢)</sup> . مناه الفهم عنه — وهذا ذكره سيدنا رضى الله عنه فى رسالة « الكلام على الحكمة » وفى « الرسالة القفيرية » . وإذا نظرت معناها يرجع إلى اشتقاقها فى اللغة ، فإن العلم والمعل هو معقول السنة والإيمان والعمل الصالح والعلم هو الفهم عن الله . فقوله : « والاتصاف بالحكمة » أراد بذلك أن تظهر الحكمة على العبد وتستجيب فى سيرته وتعلم من سيرته حتى يسى بها حكما لقوة ظهورها عليه بالعلم والعمل .

وقوله رضى الله عنه : « التى تفيد الصورة المتممة للسعيد » — قيدها ودل ذلك على أن الحكمة من الأسماء المشتركة وأن منها ما يفيد الصورة المتممة ومنها دون ذلك ، ولذلك قيدها بقوله : « التى تفيد الصورة المتممة » — فإنه قد يطلق الحكيم فى العرف على الذى يدبر الأمراض الجسدية وهو الطبيب الذى يحفظ صحة البدن ولا يفيد الصورة المذكورة ، لكن كان له من الحكمة اشتراك وهو العلم بأخلاق الجسم والخاص بمضاره ومنافعه . وكذلك الفيلسوف الإلهى هو الذى جمع أقسام الفلسفة الأربعة يطلق عليه حكما ويسى بالحكيم ولكن ليس هو الذى أشار إليه سيدنا رضى الله عنه هنا إذ حكته عندنا لاتفيد الصورة المتممة على التحقيق . وإن كان رسم الحكمة عنده معرفة الأشياء حسبما تعطيه وتقتضيه طبيعة البرهان ، أو معرفة الأمور الإلهية والإنسانية والاعتناء بالموت أو المعرفة بالله على قدر طاقة الإنسان كما رسمها سيدنا رضى الله عنه فى منبههم فى « البد » فإنه لا يفيد ذلك على الوجه الذى يريده المحقق ، لأنه عرف الله على قدر طاقة الإنسان والإنسان ممكن الوجود ، والممكن الوجود لا يعرف الواجب الوجود على حقيقته إذ هو عاجز من كل الجهات . وقد تقدم قصور الفيلسوف وعجزه عن الحق فى الكلام على الكمالات — فانظر هناك . ودل من الكلام أنه لم يرد الحكمة التى يشير إليها الصوفى التى هى المشاهدة الحاصلة للنفس بالتوجه لله والتضرع له والتعرض لنفحات قبضه ، لأن ذلك كله يعطى الإضافة ويشعر بالنقص فى جوهر الإنسان .

والصورة حدها هي التي بها الشيء ما هو . وقوله : « المتمة » يدل على أنه أراد تمام جوهر الإنسان بالحكمة فتحصل الصورة التي لا يمكن فيها الزيادة والنقصان ، ولا يكون ذلك إلا إذا وجد السعيد جوهره هو كل شيء ، والأشياء المختلفة فيه شيء واحد متفق من كل الجهات ولا ضد عنده ولا خلاف ولا غيره ، فلا قص يهرب منه ، ولا كمال يرذل إليه ، ويكون خبره ذات خبره ، وعينه ذات آنيته . وهذا هو الجوهر السعيد لأنه في نعم [ ٢٣ ] غير زائد عليه وبقاء غير ذاتي طبيعي له ، وهو في حرم وحدته آمناً من طلب الزيادة وخوف النقصان . فصورته المتمة هي صورة الوجود من حيث هو مطلق . والحكمة التي تنفذ هذه الصورة المتمة هي الحكمة التي تعرف الأشياء إلى شيء واحد ، وتحيل المدد إلى الواحد ، وتبين حقيقة اسم الصمد في ذات كل واحد وموحد ووحد ، وترد الممكن واجباً ، وتقلب الموجب سالباً ، حتى يبصر الحكيم خبر الأعداد والإضافة ، لم يزل قبل ذهابه ذاهباً . فاعلم ذلك .

وحكمة الفيلسوف ليست حكمة فإنها تبصر الأغيار وتنتقل من أثر إلى أثر وفاتها كنز التخلق الذي تحت الجدار وكلما في كد المروء من السكون وذو الزيادة الواردة على عقله الفناء . فليس له استقلال ، ولا لسكاه ثبوت ولا قرار ، وهو بالجملة يتخبط في وهم الإضافة ونظر الأغيار . وكذلك الصوفي : فإنه يتلذذ بالمشاهدة وتنايره الشهادة ويموه بالتوجه ويهلكه خبر التوله ويحصل غايته الفناء . وذلك كله يرجع إلى الحاصل الموجود عنده قبل وجود التوجه والاعتقاد . وبالجملة يقبل الزيادة ، ويجهاد شيطان الإضافة ، ويتمب في جهدها بالإضافة ، ويطلب الخلاص من مكابدة وهم العادة ، وكأنه يحارب الباطل ويترك طور شهوده في حق حقيقته ، ويترك الطور العامل هو العاطي ، ويجهد النفس هو الطالع من القضايا الوجودية والأقل ، وجوهره مع ذلك كله يخبر بالرفيع والنازل ، ولسان حاله بوجود الغيرة والإضافة قائل ، وللصورة المتمة المذكورة قبل غير قائل . فاعلم ذلك ، واعمل على تحصيل القسم الأول بالحكمة الأولى ، فهي عين الخبر والصبر على الثبوت فيها بمداومة غيرها من محل سر الأثر .

وقوله رضى الله عنه : « وبالْحَقِيقَةِ التي تقيمه في الصورة المقومة » — والصورة المقومة هي التي قامت منها ماهية الشيء وكأنها الشيء المقول على جلته كما تقول : ما هي الصورة المقومة للجسم ؟

تقول : الجواهر المنتمة بعضها مع بعض ، والمنتمة : الأعراض المحمولة عليه . أو تقول : ما هي صورة المقومة لسرير ؟ تقول الخشب والفاعل وكونه موضوعاً على قوائم المربع ، والمنتمة : على الرقعة عليه . وهي بهذا الوجه يقال على العلل الثلاث والرابعة هي المنتمة . وإذا قلنا إن الصورة هي التي بها هو الشيء ما هو ، فنقول صورة الجسم المقومة له هي الجواهر والأعراض . أو تقول : ما الصورة المقومة للإسلام ؟ تقول الدعائم الخمس والثمانية أعمال على قوله ، وصورته المنتمة هي السعادة التي نحصل به . أو تقول : ما الصورة المقومة للإنسان ؟ قول الحياة والنطق ، والمنتمة [ ٢٤ ] ما يحصل من الحكمة والمعرفة بالله والسعادة . وبالجملة ، الصورة المقومة هي المقولة على وجود الذي بها هو ما هو وكأنها كمال أول له ، والمنتمة لتبعه من الأمور اللاحقة وكأنها له كمال ثان ويظهر منها أنها يقال على الأمور الذاتية التي لا يعقل الشيء إلا بها وهي له صفة نفس لا يمكن ارتفاعها . فإذاً قول : الحقيقة التي تقيم الإنسان في الصورة المقومة هي وجوده ، وهي الفطرة الأولى إذ وجوده هو الأمر اللازم الذي لو قدر ارتفاعه لم يبق من يغير عنه . وكونه حاضراً على الاتصاف به تنبهاً لسميد أن يستمد على حقيقته وما قام به من الوجود ويلحظ فطرته الأولى ، ويقف عند ما أعطاه له القصد القديم وما أقامه الحق فيه من النصيب ويطالع النظام القديم والتعلق الأول في نصيبه ، إذ ذلك النصيب هو الذي وهبه الله تعالى وفيه أقامه . ويلحظ النيب في الشهادة فيشاهد به في نصيبه ويجهده في نفسه وفي جلته فيجد ذاته عند ربه ومنه وله فيكون مقياً في حضرة الحق فيتأس أنساً ثابتاً ، ويتلذذ لذة جوهرية . ويكون كماله حاصلًا بحسب ذلك ، إذ لا يمكن أن يزداد في وجوده الذي هو عليه ولا ينقص منه ويتحرر من ظل السكون والطلب ويسعد بعدم التخيبط والاضطراب ، ويكون هوية مطمئنة في جنة الرضوان والسكينة — فاعلم ذلك .

وقوله رضى الله عنه : « تعمل على نيل الآلات التي تمنى الحق بحسب ما تعطيه وتقتضيه طبيعة البرهان » — الآلة هي معنى رابط بين الفاعل والمفعول فكأنها السبب الموصل للشيء ، غير أنها أشد ضرورة من السبب وأزعم فإليك تقول : النظر سبب العلم وقد يقدّر علم بتغير نظر ، والآلة سبب الشيء وكأنها شرط ضرورى فيه كما تقول المشار والقبض آلة التجار ، والإبرة والخيط آلة الخياط . وقد تطلق الآلة والسبب بمعنى واحد بوجه ما . فإن قال قائل : قد ذكر في الأسباب

الكلام المتقدم ، فكيف يميده هنا ؟ يقال له قد يميده هنا للتأكيد ولاختلاف المتعلقات لأنه ذكر هناك أسباب الكمالات وهذه أسباب البرهان ، والبرهان غير الكمالات لفة وعقلا ، فيكون اختلاف اللفظ فيها باختلاف المتعلقات أو للتأكيد كما ذكرنا ، أو ليكون هذا أزم من هذا وأشد ضرورة كما ذكرت قبل . والحق هو كشف حقيقة الشيء المحقق أو خبر صادق داخل الفهم وخارجه ، أو الحق حصول حقيقة الشيء من نفس المحقق أو ضد الباطل ، أو الحق ما عين المطلوب ورفع اللبس وأزال الإشكال . أو الحق حقيقة الوجود وما به هو ما هو . والبرهان هو حجة المبرهن على حقه الموجود في [ ٢٥ ] خله قوله تعالى : « قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » <sup>(١)</sup> أو تقول : هو دليل صدق مدع ، أو تقول هو بيان حق المبرهن ، أو تقول هو الحاصل عند المقدمات الصادقة ، أو تقول هو مقصود القياس ، أو تقول هو الذي لا ينك من المحصول والموضوع إلى الغرض المطلوب بالمقدمة التي لا وسط لها . — فالآلات التي تعطى الحق للفتية والنظر هي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتاب الله عز وجل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه مع العقل والنظر السديد فيهما والهداية الإلهية . والآلات التي تعطى الحق عند بعضهم : الكتاب والسنة والإجماع والقياس والعقل مع الاجتهاد والنظر فيهما والتوفيق الإلهي . والآلات التي تعطى الحق عند الأصولية هي الضرورة والحواس والخبر والدليل — وينقسم إلى أقسام يطول ذكرها . والآلات التي تعطى الحق عند الفلاسفة هي صناعة المنطق ، وهي عندهم التي ترشد القوة الناطقة نحو الصواب وتحفظها من الفلأط ، ولها أجزاء ماهية ذكرها سيدنا رضى الله عنه في كتاب « بد العارف » وفي « الرسالة الرضوانية » يطول علينا ذكرها هنا ، فابصت عليها حيث ذكرت . والآلات التي تعطى الحق عند الصوفية هي الأحوال الكاشفة والخواطر الصادقة والبوادر والبراق اللامسة والإلهام والتحدث المحفوظ والمواجد الثابتة والأنوار الإلهية والعناية الأزلية والتخصيص الإلهي والنصيب الصحيح المؤيد . والآلات التي تعطى الحق عند المحقق : القضايا الوجودية والأخبار القاتية في ضمير المعتدل الغلأص به ، والروح البأصر من عين ذاته ، والكتب المحيط ، والكمال البسيط ، والكلمة المطلقة ، والحضور الغير مضاف ، والهوية المجردة مدركتها عن



الزمان ، والشرف الذى ثبت الآنيات فى غير مكان ، والعين التى تعينها عين العيان . فافهم ذلك وامل على نبيله كَارِ سَمَ لَكَ . والنيل هو تحصيل الشيء وملكته والتصرف فيه وبه .

وقوله رضى الله عنه : « وَتَحْكُمُ الشَّارِع — عليه السلام — على جملتك وتمتد أنه الخبير بالذات » — التحكيم هو دخول المحكوم عليه تحت حكم الحاكم بغير توقف . ونقول : التحكيم انفعال المحكوم عليه لأمر الحاكم ونهيه من غير تعليل . ونقول : التحكيم هو تقديم المحكوم عليه للحاكم على جملة تصرفه وإذعائه له ورعاية حدوده من غير تمد . ونقول : التحكيم هو أن يملك المحكوم عليه نفسه وجملته للحاكم حتى لا تظهر عليه صفة إلا بأمر الحاكم ويمنع غير ذلك . والشارع هو المخترع للشرعية الموضوعة ليلسك عليها من ممة ومن يمد له رضوان الله . أو نقول : الشارع هو المشرع للشرعية أى للطريقة التى يمشى ويسلك عليها المقصود المطالب [ ٢٦ ] بأيسر تكلف . كما تقول : شريح فلان إلى الماء طريقة سهلة ، بمعنى فتحها وسهّلها وقصد بها الجهة القريبة المبلغة فى الوقت القريب . والشارع المذكور هنا هو النبي صلى الله عليه وسلم ، والشرعية طريقته ومنهجه وموضوعه الذى وضه ليمشى عليه أتباعه لرضوان الله ولسماعتهم المطالبة .

والخير هو المطالب المبوب لكل حى حادث يتحرك بالشوق والإرادة ، وهو ينقسم إلى ذاتى وعرضى . فالعرضى هو فى الأشياء التى هو فيها بالاتفاق والمصادفة كسقوط حجر على ذى جرح وبطه له وأداء ذلك إلى برئه ، والذاتى هو فى الأشياء التى هو فيها بالذات ولا يحتاج فيها إلى غيرها ولا يقدر منها فى وقت ولا بوجه — مثال ذلك : السعادة فى العلم والهداية ورضوان الله والطاعة والسمع وما يتضمنه القدر من الخير المحض ، وهذا ذكره سيدنا رضى الله عنه فى «الكتاب الكبير» . ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم هو ذات العلم النافع ومرشد إليه يعرف بالله ودليل الرضوان إليه بوجهه ومدلوله بآخِر ، وهو ذات الرضوان ومالعية الهداية ، ولا سبيل إلى السعادة إلا به وهو سببها وذاتها بوجه آخر ، وهو الخير المحض ، والخير فى طريقه ومنه وعليه ، وكذلك الكمال والرفعة والنعمة الأبدية — قال هو « الخير بالذات » ووجب أن يقال ويعتقد أنه الخير بالذات . ولما علم ذلك واعتقد وجب أن تدخل النفوس تحت حكمه ، وتخرج عن اختيارها لاختياره ، وتترك آراءها لرأيه ، وتهمل اجتهداتها بتقليده ، وتمعز عقولها وتتبع عقله .

وكان معنى قوله : « ونحكم الشارع عليه السلام » على جملتك — يريد به ذهاب ماهيتك المجموعة من القوى الجسمانية والروحانية والمتوسطة واستيلاء النبي صلى الله عليه وسلم على جملتك ، وتجد ما أذهبتك منك تأخذ بدله من النبي صلى الله عليه وسلم . وجميع القوى التي خرجت عنها ينصف مدلولها من قوى النبي ﷺ . مثال ذلك : إذا محوت عقلك بمعنى أنك لا تبصر به ، ولا تعمل برأيه تأخذ من الشريعة بما تبصر وتصل . وبمثل هذا تقيس على جميع القوى ، فإذا لم تعتقد إلا بالشرع ولا تعلم إلا به ولا تتحرك إلا به ، فقد استولى النبي ﷺ على جملتك ، فإن ماهيتك آتية مجموعة من علم وعمل لا غير . فإذا لم تعلم إلا بالشارع ولم تعمل إلا به ، فقد استولى النبي ﷺ على جملتك وذهبت عنك وثبت به . والنبي هو الخير المحض كما تقدم ، وهو ذاتك كما لازم في ذهابك ووجوده ، فذاتك الخير المحض إذا حكته عليك كما ذكرنا . فنقول : من خرج عن نفسه للشرع كان في ذاته معدوماً وبالنبي موجوداً ، ومن كان موجوداً بالنبي كان بالله ، ومن كان بالله كان كلاماً ، ومن كان كلاماً كان سعيماً ناجحاً وفي رضوان الله [٢٧] ساجداً . فاعلم ذلك واعمل به ، ومعنى هذا يفهم من قوله تعالى : « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم »<sup>(١)</sup> ومن قوله ﷺ : « لا يبلغ أحدكم حقيقة الإيمان حتى أكون أحب إليه من أهله وماله ونفسه » . فهذه حقيقة الاقتداء بالنبي ﷺ . وفي ذلك قال بعض المشايخ : من صحب شيخاً ولم يملكه نفسه قيل لتلك الصحبة صحبه كغيرك ، ومن ملكه نفسه قيل له مرید ومقتد . فنقول فيما قلناه : النبي نور الله ، والمؤمن لا ينظر إلا بالنبي ، فالؤمن ينظر بنور الله . وهول : النبي حبيب الله ومحبه به ، والمؤمن لا ذات له إلا بالنبي ، فالمؤمن حبيب الله ومحبه به — ويفهم هذا من قوله تعالى : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله »<sup>(٢)</sup> ونقول : النبي هو ذات التصريف الموزون ، والتصريف الموزون عين الحكمة ، فالنبي ذات الحكمة . والمؤمن لا تصريف له ولا ذات إلا بالنبي ، فالؤمن ذات الحكمة والحكمة مقدمة الخير بوجه ، وهي ذاته بوجه . فالمؤمن ذات الحكمة وذات الخير . وهو معنى قوله تعالى : « وَتَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ قَدْ أَوْتَى خَيْراً كثيراً »<sup>(٣)</sup> . فاعلم ذلك واكتف به .

(١) سورة « الأحزاب » آية ٦ (٢) سورة « آل عمران » آية ٣١

(٣) سورة « البقرة » آية ٢٦٩

وقوله رضى الله عنه : « وتصل جبل المعروف وجميع ما استحسنة العقل وحرره انتقل وحضت عليه الشرائع » — الجبل هو الشيء الرابط للأشياء المفترقة والحافظ لها والناظم بعضها إلى بعض والذي يصل المنفصلات بعضها ببعض ، مثل الإسلام الذى يجمع الأسباب المفترقة ويردها سبباً واحداً بالدين ، ويؤلف المتضادات ، ويرفع المناوأة ويوقع الألفة ، ويجمع الدوافع المفترقة كلها بقانونه — كما قال تعالى : « اعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » <sup>(١)</sup> . والمعروف هو ما جرت به العادة ولم تنه عنه شريعة ولا حكمة . والعقل هو الذى يحكم بوجوب الواجبات وجواز الجائزات واستحالة المستحيلات . والحسن هو الذى يمدح به فاعله . والنقل هو حل القضايا من شخص إلى شخص ، أو حل الحديث من شخص إلى شخص . والنقل المراد هنا هو ما بلغنا من سنة رسول الله ﷺ وما تلاوه فى كتاب الله . والتحرير هو إخراج الشيء من حيز الإشكال إلى حيز التجلي والظهور ، أو قول : التحرير هو رفع الإشكال من الشيء وحفظه مما يلبس به . والشرائع هى الطرق الموضوعة من الله — جل وعلا — على ألسنة رسله صلوات الله عليهم أجمعين . وكأنه قال : تصل ، قَوْلُكَ وفعلك وجهلة معاملتك الظاهرة والباطنة التى تختص منها بالخلق فيما بينك وبينه والذى يختص بها بك والى بينك وبين الله ورسوله بالمعروف الذى تقدم حدّه ، وتعامل كل جهة من هذه الجهات المذكورة بما يحمده الشرع ويحصى عليه ، ويمتنحه العقل ، ويمدح به فاعله ، وتقرره العادة الجميلة والسيرة [ ٢٨ ] الجليلة ، وينفع للطباع المعتلة وينفد النفوس أملاً فى العاجلة والآجل . ومعنى ذلك أن تعامل الخلق بالإنصاف والعدل ، وحل الأذى ، وترك الأذى ، ووجود الراحة ، وتعامل الحق تعالى بالافتقار والعبادة والتزّيه والمحبة ، وتعامل النبي ﷺ بالتبعية وما ذكرناه قبل ، وتعامل الرتب كلها بما يجب لها . وهذا هو جبل المعروف الذى جرت به العادة ولم تنه عنه شريعة ولا حكمة . وسعى جبلا لا يتداده مع أمل النصف به ولا اتصال صوره بعضها ببعض فى فعله وحاله وقصده .

وقوله رضى الله عنه : « وقطع جبل المنكر وضد ما ذكر قبل » — المنكر هو ما لم تبحر به عادة

ولا حضت عليه شريعة ولا حكمة، أو نهت عنه الشريعة والحكمة، وهو ضد المعروف . والقطع هو تفرق الاتصال، كما أن الوصل هو اتصال المتباين، والوصل اجتماع المقتضى، والقطع افتراق المجتمع. والتضاد هو مباداة الحكيين المتضادين ببعضها لبعض وعدم اجتماعها بصفة الضدية، ولا يمكن ذلك؛ والضدان هما الشيطان والذئبان لا يمكن اجتماعهما في محل واحد في الوقت الواحد. ولما كان المنكر هو ضد المعروف أمرك أن تصل المعروف الذي تقدم ذكره وفي اتصالك به وظهورك فيه وظهوره في حوالك قطع المنكر ومباينته وانفصالك عنه بالذات، إذ الضد لا يجتمع مع ضده. وقد قول أيضاً جبل المعروف هو الأنجيل إلى الله وحزبه. وقطع جبل المنكر هو الانفصال من الشيطان وحزبه. وقول: المعروف هو الخير المحض، والمنكر هو الشر المحض. وقول: المعروف هو النفس المطمئنة الفاضلة التي أمرت بوصل جبلها، والمنكر هو النفس الأمارة الشريرة، فأمر أن يقطع جبلها. والمسترشد المأمور هو الإنسان العاقل الذي هو في مرتبة النفس الأولية. وقول: المعروف هو العالم الروحاني الشريف العارف بالله بالذات، والمقدس له بالذات، المنزه عن الإشابات. والمنكر هو الجسماني الخسيس الذي فيه الموت والجبل والشهوة والغضب والفساد بالذات. والمسترشد هو النفس الناطقة الجامعة بين الروحاني والجسماني. فأمر أن تصل العالم الروحاني وتقطع الجسماني. وقول: المعروف هو الأخلاق الطاهرة الحسنة، والمنكر هو الأخلاق السيئة المشوبة بالخطوط. والمتوجه يقطع هذه من نفسه، ويصل هذه بوصفه. وقول: المعروف هو صفات الله وخلقها، والاتصال بها هو فهمها والتجوهر بها. والمنكر هو صفات البشرية، والصوفي هو الذي يقطعها وينفصل عنها بجوهره ووصفه ويصل الجلس الآخر بذلك. أو قول: المعروف هو صفات الذات القدسية، والمنكر صفات العقل الحادث، والإنسان [٢٩] المتوسط هو صفة المعنى. فأمر أن يتصل بصفات الذات ويتعلق بها ويحمل الحوادث ولا يعتمد عليها. وقد قول: المعروف هو الذات الثابتة، وضده هي الريبة إذ هي زائلة — فاعلم ذلك.

وقوله رضى الله عنه « وتخلص من كل قاطع يقطعك عن الله تعالى » — التخلص هو التحرير من الإشابة، كما قول هنا ابن خالصة أى عبرى عن الإشابة . والكل هو حرف الحصر والجمع،

والقاطع هو الحائل والحاجز عن الشيء أو الفاصل له . والله هو الخير الذي يراد لذاته ولا يراد لغيره وهو الجليل المحتر الذي لا يتردد ذهنه في ثبوته ويمعز عن تصويره ؛ أو هو المطلوب المحتر ؛ أو هو محبوب السمء أو كمال الحق ، أو غبطة العقل أو معشوقه . فكأنه قال : سمادتك ورفعتك وكللك وعزتك ونميك الدائم في وصولك إلى الله وتقربك منه ، فتخلص من كل شيء يقطعك عنه فتقطع عن كمالك وسمادتك فتبقى في النقص الخلال والشقاوة الأبدية . والقواطع عن الله قد عدتها سيدنا رضى الله عنه في بعض « الألواح » وفي « خطاب الله بلسان نوره » . فقال : هي الأجسام ونواحيها ، وقواها المتوسطة ، والطبيعة ، والنفس الحيوانية صراط لا يقطعه إلا السمء ، والنباتية ، والمنجرة المتطولة ، والكسل ، والغلو ، وفساد التوجه ، وعدم المرشد ، وقلة المساعد — جميع ذلك من أجزاء الملل والقواطع ، وكذلك المذاهب الفاسدة والطرق المبدعة — وما أشبه ذلك . والكلام في هذه وكيف تقطع ، وبماذا ، وما يخص كل واحد من هذه من الفساد وأين رتبته من القطع والحجاب — يطول ذكره هنا . فنقول القرب من الله لا يكون إلا بالنسبة والشبه ، والبعيد منه بضد ذلك . فإذا علم يقرب من الله إذ هو صفاته وموجود في ذاته ، والجليل يبعد منه إذ ليس هو موجود في ذاته ولا نسبة بينه وبينه . وكذلك الرحمة صفته ، والإحسان ، والعفو ، والكرم ، والجود ، وما أشبه ذلك . فكل كريم جواد رحيم عفو محسن — قريب من الله من حيث الشبه أو النسبة كما ذكرنا . وكل بخيل مناع جاهل منتقم — بعيد من الله إذ لا نسبة بينه وبينه . وفي الأحاديث ما يقوى هذا ، والشرايع متواطئة على أن الرحيم مرحوم ، والمحسن مجازى بإحسانه ، وأن مكارم الأخلاق صفات السمء . والصوفية مجمعون على أن القرب من الله والتخلق بأسمائه هو المنهاج الجليل . والحق ليس بحسم ، فالأجسام وصفاتها قاطعة عنه . وكذلك الحق صمد فلا يتقرب إليه بالجور ولا بصفاته . وكذلك الحق واحد ليس بمركب ولا في مركب ؛ فتركب قواطع عنه . وكذلك هو أحد لا مثل له ؛ فالتماثلات قواطع عنه . وكذلك هو واحد ليس بعدد ، فالأعداد قواطع عنه . وهو [ ٣٠ ] واحد لا إضافة فيه ولا يقبل الزيادة وتقدس عن النقصان ، فكل من يقبل الزيادة وفيه النقصان ويعقل في الإضافة فهو قاطع عنه . فإذا العقول والذوات المجردة التي يعتمد عليها الحكيم ويقول إنها كماله وسمادته في الوصول إليها ، وكذلك الأرواح الفارقة والأسماء المضافة التي يشير إليها الصوفي وكذلك المراتب التي يتقدمها بعض المحققين — قواطع عن الله ،

إذ العقول تقبل الزيادة ، وكذلك الأرواح والأسماء التي تعطى الإضافة ، والمراتب التي تشعر بالغيرية وهي غير معلومة في ذات الله تعالى وهو منزّه عنها . وكل ما سوى الله حجاب وقاطع عنه . فعليك بالحق المشرى عن ذلك كله ، الواحد من صفة نفسه ، الذي لا ينسب ولا يكسب ، فنيه كمالك ، وعنده سعادتك ، وبه رفعتك ، وهو نعمتك وله وبه ومنه وعنه جعلتك . فاقصد خرابك ، واهجر سرايك ، تسمع جوابك ، والسلام عليك إن فعلت .

وقوله رضى الله عنه : « بعد ما تتصف بالعلوم الضرورية التي لا يحملها أحد عن أحد في عرف الشريعة » — البعد هو تأخر قضية عن قضية في وجد الشخص الواحد لها أو في علمه وفعله ، كما تقول : وجدت المزدلفة بعد مئة في الصدور إلى عرفة ، ووجدت عرفة بعد المزدلفة كذلك — هذا بالنظر إلى المكان . وتقول : وجدت الجمعة بعد الخميس ، بالنظر إلى الزمان ، وتقول : وجدت العلم بعد النظر إلى السبب والمسبب . ولما كان الإيمان وألوانه الشرعية متقدمة في الوجود على الانقطاع إلى الله وإخلاص من التواطع وجاء اللفظ قدامها لضرورة الفصاحة — عطف عليها وأمر أن تقدم بالفعل لأجل تقديم الشرط على المشروط — فقال : بعد ما تتصف بالعلوم الضرورية . وهو جائز في لسان العرب . وقد وجدنا في القرآن مقداً باللفظ ما هو متأخر بالوجود كقوله تعالى : « فجعلنا غنماً أحوى » (١) . والنبات يكون أخضر قبل أن يكون يابساً ، والأحوى هو الأخضر ، والفناء هو اليابس — فضرورة الفصاحة قنست المتأخر على المتقدم .

فترجع للضرورى فنقول : الضرورى هو اللازم لشيء الذى لا يمكن أن يوجد إلا به وهو له بالذات ، مثل التنفس للحيوان . والضرورى هو الذى يتوصل به إلى غاية ما ، ولا تنال إلا به ، وهو لما شرع على ذاتي مثل قراءة لسان العرب للكاتب ، أو الحركة في الأمور الإرادية إذا شرع في تحصيلها . وهذا الحذف المذكوران في الضرورى ذكرهما سيدنا رضى الله عنه في « بد العارف » . ولما كان العلم بالله من حيث ما يجب له ويمجوز عليه ويستحيل في حقه والعمل بطاعته المأمور بها شرعاً — شرطاً في تحصيل غاية الإيمان والإسلام جعلتها علوماً ضرورية [ ٣١ ] وأعمالاً كذلك .

ولما كانت هذه شرطاً في الاقتران إلى الله تعالى واختلاص من التواطع ، والشرط متقدم على المشروط ، أمر أن يكون الاختلاص من القواطع بعد تحصيل فرائض الإيمان والإسلام علماً وعملًا .

فذكر حد العلم في ذاته ، وحيث ذكر العلوم ماضي والأعمال . فنقول: حد العلم عند الأصولية هو معرفة العلوم على ما هو به . ومنهم من قال : حصول صورة المعلوم في نفس العالم بمعرفة صادقة حقها القياس وأثبتها البرهان. وهذه الحدود ذكرها سيدنا رضى الله عنه في « بد العارف » في مذهب الأشعرية مع عدة حدود . ومنهم من قال : العلم ما أجاد التصور والتصديق — وقال سيدنا رضى الله عنه : هذا الحد من أقربها . ولما كان العلم يطلق باشتراك ويقال على كثيرين بحسب المذاهب ويختلف بالتملقات ، قيده بقوله : « في عرف الشريعة » ليكون علم الطب يطلق عليه علم وهو ضرورى في كون الطبيب طبيباً وفي تدبير الأجسام وله أيضاً ضروريات تلزم في نيله ، وكذلك الهندسة والحساب وما أشبه ذلك : هذه يطلق عليها علوم ولها ضروريات تلزم في نيلها ولذلك خصصها بقوله : في عرف الشريعة . ولما كانت العلوم الموجودة في الشريعة والأعمال تنقسم إلى فرض عين وفرض بقوله : « الضرورية » ، وهى بها المفروضة . ولما كان المفروض ينقسم إلى فرض عين وفرض كفاية ؛ وفرض العين يلزم كل واحد في ذاته ، وفرض الكفاية يحصل البعض عن البعض ، قيده بقوله : « التى لا يحصلها أحد عن أحد » وأعطى البيان ورفع اللبس وبلغ القائمة . والعلوم الضرورية هى سبعة علوم : أولها العلم بحدوث العالم ، والعلم بوجود صانعه ، والعلم بقدم الصانع ، والعلم بتوحيده ، والعلم بصفاته ، والعلم بتنزيهه ، والعلم بجواز الرؤية . وهذه علوم عددها أبو إسحاق<sup>(١)</sup> ابن المرأ وأخير بوجودها وأنها فرض على كل مسلم ، وذكر أبو المالى<sup>(٢)</sup> وجوبها في « الإرشاد » وحكى فيها الإجماع

(١) أبو إسحق بن المرأ بن فضاء ولد في مالقة وتوفى سنة ١٢١٤/٩١٠ وكان أستاذاً لابن سيمين . راجع ابن القاضى : « جذوة الاقباس » طبع فاس سنة ١٣٠٩ ص ٨٧ ، ابن الخطيب « الإحاطة » طبع القاهرة سنة ١٣١٩ ص ١٨٠ — ١٨١ .

(٢) هو إمام الحرمين الجوينى أحد أئمة الأشعرية : أبو المالى عبد الملك بن أبى محمد عبد الله ابن يوسف الجوينى إمام الحرمين ، ولد في ١٨ محرم سنة ٤١٩ هـ / ١٠٢٨ م في بشتقان بالقرب من نيسابور . وتوفى في ٢٥ ربيع الثانى سنة ٤٧٨/١٠٨٥ . وكتاب الإرشاد هو « الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد إلى سواء الاعتقاد » ، نشره توسباني ، باريس سنة ١٩٢٨ ( مع ترجمة فرنسية ) .

ولم يهدها . وقد ذكرها المهدي<sup>(١)</sup> في بعض تواليفه وقال في أول ما أراد ذكرها « باب ما لا يسع جهله » . وقد قرر سيدنا رضى الله عنه عليها في هذا الموطن : فأئمة الأشعرية مجمعون على ذلك .

وعلم الضرورة أيضاً هو ما يجهده الإنسان في فطرته من غير نظر ، كعلمه بأنه موجود وبأن في الحى حياة وأن عشرة أكثر من ثلاثة وما أشبه ذلك . ولذلك قيد بقوله : « في عرف الشريعة » - تحريزاً من الاشتراك .

وقوله رضى الله عنه : « وبالأعمال التى تلزم لزوم هذه العلوم » - أراد بذلك كونها واجبة شرعاً . مبنية على كل مسلم فرضاً وضرورة مثل ما هى تلك العلوم ضرورية . وكونه ذكرها بعدها في ترتيب الانظ فقل ذلك لكونها متقدمة في الوجود في [ ٢٢ ] حق المسكف ، إذ العبادة لا يقع فعلها إلا وقد تقدم اعتقاد موجود يعبد ولذلك يقع الخطاب الشرعى بكلمة لا إله إلا الله ، وحينئذ يطلب بالأعمال . والأعمال المفروضة هنا ثمانية : أولها شهادة أن لا إله إلا الله ، إذ الانظ بها باللسان هو من أعمال الجوارح ، وعلما في الاعتقاد داخل تحت العلوم المتقدمة . والقسم الثانى من الأعمال إقامة الصلاة والقيام بها ، ثم الزكاة المفروضة ، ثم الصوم المفروض ، ثم الحج ، ثم التوبة ، ثم النصيحة ، ثم الألفة . فهذه الأعمال عدها أبو إسحاق بن المرأ من علماء الأندلس ، واتفقت عليها علماء الأشعرية وأئمتهم . وهذه العلوم والأعمال لها لواحق من حيث أسبابها وما يحتاج إليه في نيلها يطول ذكرها ، وهو غير ضرورى في هذا الكتاب فاعلم ذلك . وقد تخلص الكلام فيها بحسب قصد الأشعرية والفقهاء في البعض .

ونريد الآن أن نذكر شيئاً من مقاصد الصوفية بحسب ما يليق بأحوالهم إذ النبيه من إخواننا لا يقنع من المسألة إلا بتركيها على التصوف والتنبيه على شيء من رتب الجبل<sup>(٢)</sup> . وهذا الكتاب لم تقنع فيه بالشرح اللائق بالجمهور لما نعلم من مقاصد المؤلف وما وجدت في تواليفه من تركيب المسائل

(١) لعله يقصد المهدي بن تومرت زعيم الموحدين .

(٢) كذا في الأصل ١



وتوفية العوالم المعتبرة عنده، ولكون نسبتنا وإخواننا لا يقتنعون بالعالم الأول ولا يقفون عند المبادئ<sup>١</sup>، لأن سيرهم مطلق وتركيبهم لا نهاية له إلا بالنظر إلى حصر الواقع، ويمتد أملهم مع النوازل التي لا يحصرها إلا التعلق القديم. ولما علمت أن في أمحاننا جلة ولا بد أن يقفوا عليه، جعلت فيه مشرباً للقوى والضميف والمتوسط. فنبداً فنقول: العلوم الضرورية على ما يقتضيه نفس بعض الصوفية هو الارتباط اللازم الذي يتعكس المتقدم فيه متأخراً فيوصل الأول بالآخر الذي يفيد المشاهدة في مقام الإحسان. والأعمال التي تلزم لزوم هذه هي المباديات التي تعكس الضمير الأول على المخاطب الثاني. وتقول: العلوم الضرورية عند طائفة أخرى هي إدراك مفهوم الأسماء وحصر خواصها الذاتية واللاحقة. والأعمال التي تلزم لزومها هي ترتيب خواص الأسماء ودورانها عليها في ظاهره وباطنه حتى يتجوهر الطالب في تحصيل أنواعها على طلبه في كتبهم. فنقول: قد ذكر سيدنا رضى الله عنه في «بدع الماروف» أن الفلسفة تنقسم إلى قسمين: قسم على وقسم على. فجزء الفلسفة العلوي ينقسم ثلاثة أقسام: أحدها العلم الأسفل وهو العلم الطبيعي وعلم ذوات العنصر؛ والثاني العلم الأوسط وهو علم الرياضيات وعلم ما ليس بذى عنصر موجود في عنصر؛ والثالث العلم الأعلى وهو علم ما بعد الطبيعة وعلم الثاولوجيا وهو الفحص عن وحدانية الله تعالى. وهذه [٢٣] الأقسام تنقسم إلى أقسام آخر، فالعلم الطبيعي ينقسم إلى ثلاثة أقسام: أحدها العلم بالأصول التي عنها وقع التكوين، والثاني العلم بالحيوان، والثالث العلم بالنبات. والعلم بالأصول التي عنها وقع التكوين ينقسم إلى ثلاثة أقسام: أحدها العلم بالفلك والكوكب، والثاني العلم بالآثار العلوية السكاكنة في الجو، والثالث العلم بالآثار السفالية السكاكنة في الأرض. والعلم بالحيوان ينقسم إلى قسمين: أحدها العلم بعلم الحيوان والعلم بأعضائها ومنافعها، والثاني العلم بأخبارها وطبائعها. والعلم بأمر النبات ينقسم قسمين: أحدهما العلم بعلم النبات وأسباب اختلاله، والثاني العلم بطبائعه ومنافعه. والعلم بالرياض الذي يقال له المتوسط ينقسم إلى أربعة أقسام: منها علم العدد، وعلم الهندسة، وعلم التنجيم، وعلم تأليف اللحون<sup>(١)</sup>. وإنما سميت هذه رياضيات لأنها تروض الإنسان بالآشياء المتوسطة بين الجسم وما ليس بجسم، فتنتقله من الجسم ومن الأمور المحسوسة إلى ما ليس بجسم

(١) س: اللحوم — وهو تحريف ظاهر والمقصود علم الموسيقى (اللحن جمع لحن).

ولا يدرك بحسب بل بالعقل وحده . والعلم الأعلى الذى يقال له الإلهى ينقسم قسمين : أحدهما العلم بوحدة نيته تعالى ، والثانى العلم بالأشياء التى يوصف بها الله تعالى كالقدرة والحكمة والقوة وغير ذلك من الصفات التى تليق بالله عز وجل . فهذا هو جزء الفلسفة العلمى .

وأما جزؤها العلمى فينقسم ثلاثة أقسام : أحدها سياسة الذات ، والثانى سياسة المنزل ، والثالث سياسة المدينة . فسياسة الذات تنقسم ثلاثة أقسام وهى : إصلاح القوة الشهوانية وخضوعها للفضيلة ، والثانى تمديل الفضيلة وخضوعها للقوة التمييزية ، والثالث حفظ التمييزية وتحريكها بالأدب على الترتيب الذى ينبى . فهذه أساس الفلسفة العلمية والعملية ، ومعرفة أنواعها وأشخاصها تدخل فى زمرة الحكماء . وتقول : العلوم التى تدخل بها فى زمرة الحكماء هى الذوات المفارقة التى توجب ورودها على المحل رفصاً للذات الطبيعية والشهوات الجسدية وتظهر للنفس الناطقة خهاب المحسوسات وعدم ثبوتها وخاصة عالم الكون وسرعة فسادها وتسكره ذلك للنفس وتشوقها إلى عالمها المفارق وتنبيهها على اللذات الروحانية وشرفها وعدم فسادها ، فتنتقل جوهر الإنسان من عالم الكون بالصنائع العلمية والعملية ، وتقيم « فى » حضرة الذوات المبدعات ، وتجاوز من ظلمات الزمان والمكان . وتقول العلوم التى تدخل بها فى زمرة الحكماء هى الملاحظة الصادقة التى توقع فى محل العبد [ ٣٤ ] التوجه تصفح أحوال الكون المقول على الذوات المفارقة وغير المفارقة وتعلمه على تماثله باحتياجه إلى الحق الأول وعدم استقلاله فى ذاته وتبطل الروابط المتوهمة بين الذوات المتماثلة فتتحض التوجه على حذف الإضافة المتساوية ، وتصرف وجهه إلى الذى فطر السموات والأرض ، وتقيم فى حقيقة الإنسان المرادف مع الاستخارة الواقعة بين يدى الكلمة المطلقة ، وتزيل الشرك الجلى المعروف عند الخواص لا عند الصم ، فافهم . وتقول : العلوم التى تدخل بها فى زمرة الحكماء هى فهم التداخل المقول بين الوجود الواجب والوجود الممكن الذى يرفع الفصل ويوجب الخلاص ، بالذى الذى أثبتت أمثلته فى « حكم القصص » — فاعلم ذلك .

وقوله رضى الله عنه : « وبالْحَقِيقَةِ الجامعة التى فيها نتيجة الشرائع وظاية الحكمة وهى علوم التنقيق » — الحقيقة هى الشئ الذى لا يتبدل فى ذاته ، ولا يمكن أن تكون على غير ما هى عليه ، ولا تتغير فى وقت من الأوقات ، ولا يجاز بها عن موضوعها ، ولا يكون المحمول منها غير الموضوع ،

ولا تطلق بمعنى زائد عليها ، ولا تعترف ولا يقدر فيها غير الهيئة التي هي عليه . وقد يقال على ماهية الشيء ، وقد يقال حقيقة الشيء وماهيته وذاته ووجوده وعينه بمعنى واحد . وقد تطلق الحقيقة على صفة النفس . وقد تطلق على الشيء الذي لاهلته وتكون علته ذاته وقائم بذاته في ذاته . وقد ذكر سيدنا رضى الله عنه في « نكرة عرفة » أن الحقيقة هي الشيء الذي يحيل العدد إلى الواحد بوجه ما . وقد تطلق على ضد المجاز . وبالجملة ، رسم الحقيقة الأول هو المقصود الذي يريد هنا .

والجامع هو الذي يحوى أشياء كثيرة ، ويكون إما موضوعاً لها أو محولاً ، وإما أن يكون ضرباً لها ، وإما أن تكون أجزاء ماهيته وتكون ذاته مجموع الكل كالجماعة في البار إذا نظرنا من حيث الظرفية ، ومثل أحكام الرض عمولة على الجوهر ويقل منها . — « صفة وغاية كل حكمة » : ولما كانت الحكمة هي العلم والعمل ووضع الشيء في محله وهي من صفة نفسها تخص على الخير وتعمل إليه ، والله هو الخير الذي يراد لذاته قال « غاية الحكمة » ، أى أن الحكمة إلى الله حاملة وعنده واقفة ، فهو غايتها . ولما كانت الشرائع مقدمات علميات وعمليات ، وعلمها ينفيد معرفة وظائفها ، والعمل بوظائفها يزيل الحلووظ النفسانية ويميت الشهوات البدنية وقطع الروابط العادة ويعرد الإنسانية ويكشف الحضرة الرحانية وهي حضرة الحق ، وحضرة الحق هي الحضرة الجامعة [ ٣٥ ] لحقائق الأكران ، وهي بد كل شيء ووجوده ، وهي الماهية التي توجد فيها كل ماهية من حيث التقويم والتنظيم ، قال : فيها نتيجة الشرائع . وتقول : علم الشريعة مقدمة العمل بوظائفها ، والعمل بوظائفها مقدمة لرضوان الله ، ورضوان الله يقيم العبد في حضرة ، فعلم الشريعة والعمل بها يقيم العبد في حضرة . فحضرته هي نتيجة الشرائع ، وحضرته فيها كل شيء ، فهي الحقيقة الجامعة . وتقول : الشريعة تحصل لرضوان الله ، ورضوانه صفته ، والصفة لا تفارق الموصوف ، والموصوف هو الله ؛ فالشريعة تحصل إلى الله . فالله هو نتيجة الشرائع بالوجه الذي ذكرنا . وتقول : الأعمال الشرعية إذا عمل بها على التمام تنفد التخلق بالأسماء الحسنى ، والتخلق بالأسماء إذا تجرر بها تكون الأسماء ذاته وروحه ، والأسماء صفات الله ، وبصفاته غير زائدة على ذاته . فالتخلق بالأسماء ليس زائداً على ذات الله . فالظفر بالحق والاتصال ( ٢ - ٦ رسائل )

به هو نتيجة الشرايع . وتقول : أول وظيفة من وظائف الشريعة هي كلمة لا إله إلا الله ، وتتضمن أن لا فاعل إلا الله ، فكل موجود في الكون الله أوجده من حيث هو فاعله ، والفاعل لا ينفارق مفعوله وهو معه بالإيجاد والإبقاء ولا وجود للشيء إلا به ؛ فهو الأصل الضروري في وجود كل شيء ، ولكل شيء حقيقة ، وهو وجوده الذي هو به ما هو ووجود كل شيء الذي هو به ما هو هو به ، ومنه وعنه وإليه . هو حقيقة كل شيء وماهيته ووجوده . فالله هو الحقيقة الجامعة ، كما تقدم من قول سيدنا رضى الله عنه . فإذا كان هو حقيقة كل شيء فالأشياء كلها هي به على ما هي عليه ، فهو الحقيقة الموجودة في كل حقيقة ، وهو الذات المستقلة بناتها لكل ذات . فهو مع كل شيء بوجوده فلا غيبة ولا حجاب ، والغيبة والحجاب هو الجهل بهذا الاتصال والاستحقاق الذي ذكرناه والفلة عن ملاحظته وشهوده في كل شيء بل شهوده ولا شيء معه . وعلم الشريعة يزيل الجهل المذكور . ووظائفها ترفع الفلة وتلبه على الحضور مع الحاضر في كل حضور . فالخلق هو نتيجة الشرايع . وعلوم الشريعة بهذا الوجه هي علوم التحقيق — فاعلم ذلك . فإذا حقيقة لا إله إلا الله أن لا موجود إلا هو ، وما خلا الله باطل ، والوهم يشعر بغيره ، والوظائف الشرعية تذكر بالله ، وذكره يزيل الوهم ، ويحوي خبر الغيرية ويقوم المبدأ في الحضرة الحاضرة في حضوره . فالخلق نتيجة الشرايع كما قال . وهذا الكلام في نتيجة الشرايع والحقيقة الجامعة . وعلوم [ ٣٦ ] التحقيق قد تخلص — فافهمه .

وقوله رضى الله عنه : « وإن غلبت عليك شهوة حيوانية أو ما أشبه ذلك فاجبر وقتك مع الله بتوبة صادقة فإن باب ما عليه بواب لإرحمته خاصة . ورضوانه أيضاً يأمرها بالمضطر » . — الغالب هو الذي يؤثر فعله وتنفذ إرادته ، كما تقول : غلب فلان فلاناً أعنى خَصَمَهُ ، بمعنى أنه أثر فيه فعله ونفذت إرادته . ويقال : الغالب هو الذى يقع اختياره ويستولى فى المل المتنازع عليه حكمه ، كما تقول : غلب الملك الفلانى الملك الفلانى واستولى حكمه على البلد والأقاليم . ويقال : الغالب هو الذى يحيل الضد إلى طبعه ، ويحكم عليه بصفة خاصة به ، ويحكم فى المشترك ويستولى عليه . ويظهر فيه أثره وفعله . والشهوة هي جنب الملامم انبساط من عجز . وتقول : الشهوة الميل إلى الغرض المطلوب بإفراط الحركة . وتقول : الشهوة هي الانصراف والتوجه إلى المحبوب الملامم بغير اعتدال ولا ترجيح

عقل ولا شرعى. وقد تطلق الشهوة والإرادة باشتراك، غير أن الإرادة أعم منها وأثبت وأعدل حركة، لأن الشهوة تتحرك إلى المراءد بانزعاج، وملكة الطباع والإرادة تتحرك إلى مرادها بحجة الاعتدال وضرب من السكينة. والذى تشبه فيه الشهوة الإرادة هو الميل إلى المطلوب ومقول الحركة والجذب. وكونك تقول اشتبهت كذا بمعنى أردته، لكن يعقل فيه أنه ليس هو المراد مطلقاً بأن الذى يراد هو أكثر اعتلاقاً من الذى يشتهى وكأنه إرادة فى وقت ما بحركة مزعجة كما تقدم. وبالجملة: الشهوة هى جنب الملامم بحركة مفردة وغلبة طباع الهل الذى قامت به والقبول المحض على المراد المحض من غير أن تنظر عاقبته ولا يعتبر فيه الأكل والأقص؛ وكأنها تطلق مع الخط النفسانى بترادف، لأنك تقول كلنى فلان بشهوة مناه فرض وحظ لا بحق ولا باعتبار الكمال والنقص. والحيوان هو كل حى متحرك حساس يتحرك فى المكان بالحركة الإرادية ويتغير ببعض الجهات الممكنة فيه. والنفس الحيوانية حدها تمام طبيعى آلى حساس. ويقال: النفس الحيوانية تمام لجسم طبيعى آلى ذى حياة بالقوة. وهذان الحدان ذكرهما سيدنا رضى الله عنه فى «بد المارف». ولما كانت الشهوة تقال باشتراك وتوجد فى العاقل وغير العاقل قديماً بالحيوانية، لأن الشهوة الحيوانية هى ميل النفس إلى الشهوات الجسمانية المحسوسة من غير أن ينظر فى عاقبتها ولا تعتبر فيها الأكل والأقص، ولا يلحظ فيها طلب سعادة ولا شرف، وإنما هى بحسب [٢٧] ذاتها المينة المعالجة فقط. والجبر هو إصراف الشئ المختل إلى أصله وطبيعته الأولى، كما تقول فى اليد المنفكة أو الرجل: أُنحيت يد فلان، بمعنى رجع العضو إلى موضعه واستقر على طبيعته المعتلة وهيئته المستقيمة. والوقت هو الحال الحاضر الذى بين الماضى والمستقبل من الزمان. والله هو القائم بذاته الذى ظم به غيره وليس بوجوده سبب، وهو الفاعل المختار الذى يثيب العبد المكلف على الحسنات ويعاقبه على السيئات إن شاء، ويقبل التوبة ويعفو عن السيئات كما وعد. والتوبة هى الرجوع لئلاً، وهى الندم على المعصية وتركها والعزم على عدم الرجوع إليها شرعاً. وتقول: التوبة هى رجوع التائب عن المعصية بأمر آمر يحكمه إلى رجوعه ويخوفه ويرغبه ويترك ما هو عليه لأجل ما نهى عنه ولأجل ما هو تركه أنه ويرجع إلى ما أمر به — وهذا القسم ذكره سيدنا رضى الله عنه فى «الرضوانية». وتقول: التوبة هى غسل الإثابة الواقعة فى المحل الظاهر. وتقول التوبة هى انصراف العبد إلى ربه ورجوعه

إليه بالقوى الجسائية والروحانية منه ، وشبه على القانون الشرعى صعبة العلم والعمل . وتقول : التوبة هى خروج العبد من اختياره وصفاته القائمة به ، وأخذ اختيار الشرع وتصرفه به ، وتوسط أقواله وأفعاله وجملته بين الأمر والنهى . وتقول : التوبة هى الخروج عن الهوى العرضية والأخلاق السيئة ، والدخول فى الآنية القاتية ، والتجوه بالأمعاء الرحانية . والباب هو المدخل لشيء ، وهو الذى يدخل عليه إلى الشيء ، وهو بيان الأول . والرحمة هى صفة الله التى يتعطف بها على عبده فيلنهم خيره ونعمته فيبدل الألم باللذة ويصل اللذة بمثلها . وقد تقول : الرحمة هى ترك الرحيم حقه للمرحوم وإعطاؤه من الخير ما لا يجب له عليه . وقد تقول : الرحمة هى إعادة الرحيم للمرحوم خيراً لا يستحقه عنده من حيث هو . وقد تقول : الرحمة هى إعادة الحق للعبد وجوفاً ليس له . والرضوان هنا بحسب هذا التقييد هو صفة الخير التى الموجود فى ذات الله تعالى ، مثل الشيء المطبوع الذى لا يمكن أن يكون الشيء إلا على تلك الصفة ، وهو الذى يوجب الرحمة بوجه محتوم لا يمكن أن يقل المحل المشار إليه إلا كذلك . والضمان هو الحصر الذى يوجب حكماً وتعييناً ذاتياً لا يمكن الانفكاك عنه ، إذ الممكن لا وجود له ولا ذات إلا بالواجب ، ولا تغفل له آنية إلا ما يسرى له من الواجب الوجود ، والواجب الوجود لا ينفارق ماهو موجود به ولا [ ٣٨ ] يقل له انفصال عن قومه وتشبيه وإقامته فيهيئته التى هو عليها وهو مبهى بها على ما هى عليه ، إذ لو قدر رَفَعُ الوجود الواجب من الموجودات الممكنة لارتفع وجودها ولم يوجد لها ذات ، وهو ارتناع الفاعل إلى مفعوله بالذات ، والمفعول إلى فاعله بالذات . فكان اتصال خط الارتباط بينهما من الأمور الضرورية التى لا يمكن أن تكون على غير تلك الهيئة . فلما كان ذلك كذلك كان رجوع العبد إلى ربه وانصرافه بمأهته كلها إليه بالذات وقبول الحق على عبده وإعطاؤه ماهية الشيء هى نعمة منه ورحمة صادرة عنه كذلك بالذات ، فكانت الرحمة من الأمور المحتومة الموجودة فى ذات الله لا يمكن غيرها ، ولذلك قال تعالى : « كتب ربكم على نفسه الرحمة » <sup>(١)</sup> بمعنى أنه لا يمكن فى ذاته إلا هى . ولما كانت الكتب بين الناس فحكم بوجوب الشيء ولزومه ، ضرب لهم بذلك مثلاً ليملوا أن الرحمة فى الله من الصفات اللازمة له التى لا يمكن فى ذاته ضدها . وقد قلنا فيما تقدم فى هذا القسم إن الرحمة لإعطاء الشيء

وجوداً ليس له . فوجود الموجودات الممكنة وذواتها رحمة من الله تعالى ونعمة منه إذ ليس لها ذلك حقيقة من حيث هي . ولما كان العبد راجعاً بمأهيته ووجوده وجهته إلى الله حتى رجوعه في التوبة ؛ فالتوبة والتائب حقيقة موجودة من الله وبه ومنه وعنه . فكأن نفس الرجوع نفس القبول ، ونفس وجودهما نفس الرحمة والرضوان ، بل هي متقدمة من الله فوجودها قبولها فلا يرزخ بينهما ولا بون ، ولا يقل الفصل والوسائط هنا بالجملة ، وإن عقلت فيستحقها الوجود الراجب كما ذكرنا . فلا بواب إذاً ولا حاجب ، ولا يرجع إليه إلا به ، ولا نعمة منه إلا به وله : فالواحد لا يحجب شيئاً عن ذاته ، ولا فصل بينه وبين نفسه . ولذلك قال : « بابه ما عليه بواب » — لقوة لزوم الارتباط بين الراجب والممكن . فنقول : التوبة الواقعة في محل العبد خلق الله ولا وجود لها إلا به ، فالعبد يرجع إلى الله بالله ، فلا بواب بينه وبينه ولا واسطة إلا صفته ، أعني بذلك قدرته وإرادته ، وصفته غير زائدة على ذاته في قول بعض الصوفية . فالخلق هو التائب في وجود التوبة بذاته ، وما هو معه بذاته لا ينفصل عنه ، فالتائب غير منفصل عن الله ولا محجوب . والله هو المطلوب الأعظم ، وهو الخير الذي يراد لذاته . فالتائب الصادق ظافر بمطلوبه واصل إلى أغلى المحض . ونقول : العبد مضطرب بوجوده وتوبته وجهته إلى الله ، [ ٣٩ ] فوجوده وتوبته وجهته هبة من الله ورحمة منه . فالخلق معه في وجوده ومأهيته على ما هو عليه . فوجوده ومأهيته وما هو عليه مع الله لا يفارقه ، إذ لزمه له بالذات كما تقدم . والله هو المطلوب ، وهو النعمة والرحمة والرضوان بالإلزام الذي ذكرنا . فالتائب ظافر بالنعمة والرحمة والرضوان ، والظافر بذلك سعيد ومنعم وكامل . فالتائب على هذا الوجه ظافر بمطلوبه وحاصل على مرغوبه . وكأنه به المسترشد على الارتباط الذاتي اللازم بين الممكن والراجب . فإذا فهم ذلك ، علم استحقاق الراجب للممكن وأخذ وجود الهويات المضطربة . فإذا علم ذلك ، علم وصوله . وإذا علم وصوله ، تبين محصوله وظفر بكامله واقطعت آماله . فكأن التوبة هنا بمعنى الفهم عن الرجوع الذي هو موجود في ذاته بالذات ، وفهم النصيب الإلهي القائم به ، وقطع الطلب والتشوق والسكون ، والذات الذاتية الموجودة في جوهره بالذات . فإذا كان ذلك كذلك امتنعت منه المعصية ، فإن المعصية تطلب لذة أو نيل لذة في غير محلها ، وذلك لا يمكن إلا مع تروم قديمها من محلها . فإذا وجبها في جوهره ذاتية بالنصيب القائم به امتنع من طلبها ، فإن

الحاصل لا يبتغى فيكون تاباً بمعنى محفوظاً . ومن هنا المتام يحفظ الأولياء ، لأن الله القابعة بالجواهر والألسن الحاصل فيه منع الطلب وغبط الولي بذاته وأظهر له فيها كل شيء فاقطعت منه الآمال ووجد عنده ما يظهر لغيره بعد وسم الأجل . ومن هنا الموطن يكفر الولي إذا أوقع المعصية ، لأنه كفر بالنصيب الإلهي القائم بذاته . وهذه التوبة مختصة بالصادقين لأن الصديق هو الذي يهدف الجواز ويقف عند الحقيقة . ولما كانت التوبة تطلق باشتراك وبحسب الأحوال قيدها بقوله « توبة صادقة » ، لأن الصديق هو الذي يرد الأشياء إلى واجبها ويقف عند الأمور الذاتية ويهمل العرضية . والثاني في محل كل تأمل وفي ذات كل شيء هو الحق تعالى . ولا يمكن في قوة ملازمته للأشياء واستحقاقه لها الرجوع إليه ، لأنه يستحق الرجوع والرجوع والمرجع إليه . فاضم ذلك واعلم التوبة بهذا الوجه والرحمة كما ذكرتها لك — تظهر بمرتبة الصادقين والله المستعان .

وقوله رضى الله عنه « واعلم أن مطلق مطالك » — المطلق تسوية ذوى الحقوق ، أو تسوية ذى حق ، أو تسوية الطالب ، كما تقول : مطلق فلان في إعطائه حق ، أى سوفى فيه ؛ وتقول مطلق فلان في مسئلي التى سألته فيها أى في جوابها . ومعنى مطال إطالة [ ٤٠ ] التسوية . ولما كان الحق سبحانه له على العبد المكلف حقوق ، وهى : أداء الفرائض فى أوقاتها وشكر نعمة الله التى منحه لإياها والإقرار بربوبيته وذكره فى كل زمان وأن لا يغفل عنه إذ ليس هو بفافل من تدبير العبد ولا عن إرسال النعم عليه فى كل زمان فرد قال الشيخ رضى الله عنه للعبد الفافل عن أداء الواجبات وعن الذكر المستصحب : « واعلم أن مطالك مطال » . وأيضاً لما كان الحق سبحانه هو المحبوب الأعظم والتدبير الأكرم والغدير المحض انتهى لا خير يشبهه قال لمن يحب غيره ويتأس بغيره أو يطلب خيراً من غيره : « واعلم أن مطالك مطال » — إذ كان من واجب حق الله تعالى أن لا يحب غير الله تعالى ولا يتأس إلا به ولا يتأس بغيره ولا يطلب إلا لاه ولا يتوجه إلا له وأن لا يسئ إلا فى مرضاته ، إذ رضوانه هو النعم الأكبر وأنه هو الأسس الثابت الدائم وطاعته هى العمل الذى يرفع ويثبت لما بعد الموت ويدخر لوقت الحاجة . فكل عبد لا يكون تخطأ الله . قد غلب عليه وطاعته قد استصحبته أحواله كلها وفكره قد استجاب فى جوارحه وفى قواه الجسمانية والروحانية فهو ماطل لله فى حقه وفيما وجب له عليه . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما من



ساعة تمر على العبد لا يذكر فيها الله إلا كانت حسرة عليه يوم القيامة ولمن دخل الجنة « - الحديث ؛ فكيف من تمر عليه ساعات وأوقلت ويطيل الغفلة والميل إلى الشهوات العرضية والأنس بالصور الفانية ! وأيضاً لما كان الحق سبحانه خيره ونعمته واصله للعبد في كل زمان فرد ، ولا يفتل عن عبده بإحسانه وإمداده طرفة عين ، وكل نعمة قائمة بالعبد وموجودة فيه أو واصله إليه مثل إمداده بالأغذية والملابس التي لا انقطاع لها ومثل صحة البدن وإيجاد حلوة النعم وما أشبه ذلك — نعم من الله تعالى وإحسان منه للعبد وكذلك العقل والعلم وسلامة الجوارح . وما في العبد جوهر فرد ولا قوة من القوى الجسائية والروحانية إلا وهي نعمة من الله وهبة منه ، والعقل يقضى بمجاوز الآفات عليها وطوره أضدادها مثل أن تبدل الصحة بالسقم والعقل بالحق وحلاوة النعم بأضدادها ، فإذا استصحاب الحال في إمدادها وإيجادها على التمام والكمال ، فتكامل السمع والبصر والفؤاد وما أشبه ذلك نعم من الله تعالى وإحسان منه . فإذا جملة الإنسان وكل ما قام به هو نعمة من الله تعالى ورحمة منه كما قال تعالى : « وما يكمن من نعمة من الله » <sup>(١)</sup> . فإذا من واجب حقه عقلاً وما ثبت [ ٤١ ] شرماً أن لا تعرف الجملة الإنسانية بما هي عليه من القوى الجسائية والروحانية إلا في طاعة الله وفي عبادته وخدمته وفي ذكره وشكره وحده والثبات عليه وأن لا يفتل عنه طرفة عين . فكل عبد لا يفتل ذلك ويعصرف جاحدة من جوارحه وقوة من قواه في غير طاعة الله أو في فترة من خدمة الله وشكره والسعي في مرضاته ولا يرجع إلى الله بمجملته ويعصرف ما هو منه إلى خدمته — فهو مائل أو معكس بحق الله . وإذا طال ذلك فهو مذكور ، إذ الحق قد ثبت فيما تقدم أنه لا يفتل عن إيجاد النعم طرفة عين . فيجب على الصاقل أن لا يفتل عنه طرفة عين . ومن غفل عنه فقد ترك الواجب . ومن لم يرد الواجب عليه فهو مائل . وإن أطال ذلك فهو قد طول مطلقه وأدى ذلك إلى بعده عن الله ، واستحق العقوبة . ولا حقوبة أشد من البعد عن الله عز وجل — فافهم ذلك . وقد قال الله سبحانه : « إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مستولاً » <sup>(٢)</sup> . ولما ذكر السمع والبصر والفؤاد لكونها أخص ما في الإنسان ، ويُفهم بالاستقراء أنه يسأل عن كل جاحدة . وقد جاء ذلك في الشرع . وأيضاً قد صرح أن الله سبحانه واجب وجود العبد ، إذ العبد الممكن لا وجود له إلا

بالواجب ، فهو مفهوم لوجوده ومنتم له في كل زمان فرد . فالحق أقرب لوجود العبد منه إلى ذاته . فكل عبد لا يصرف وجوده لله — إذا الله هو حقيقة وجوده — فقد منع أن يصرف ماهيته إلى حقيقتها فهو مامل ، إذ كان من واجب حق الله أن يصرف وجود الوجود الممكن إليه ، إذ هو منه وبه وعنه وله . وهو يستحقه من كل الجهات . فإذا ادعى الممكن وجوداً لذاته ، فقد ادعى ما ليس له ، ونسب الشيء إلى غير أهله ، ومامل الحق في إعطاء حقه وأدى ذلك إلى نفي شيء عن شيء هو له وإثبات شيء لشيء ليس هو له . وهذا هو الكذب والخبانة . وفاعل ذلك يستحق العقوبة . وأى عقوبة أكبر من الاقطاع عن الله تعالى والجهل به وقد حضرته التى فيها النعيم الدائم والمشاهدة الكبرى والبقاء الأبدى ! فانهم ذلك .

وأيضاً الحق سبحانه يستحق وجود الموجودات بالذات ، والموجودات الممكنة يرجع وجودها للواجب بالذات ، ورجوعها إليه صفة نفس ، واستحقاقه لها صفة نفس ، وصفات الأنفس لا تتبدل ولا يمكن أن تنقلب الخلق . فإذا الله هو وجود كل شيء موجود بالوجه الذى ذكرنا ولا يمكن غير ذلك ولا انفصال للموجودات عنه أصلاً . فالمطل إما هو وم في خبر العبد المهجوب والبعد كذلك والحق أخذ وجوده من كل الجهات ؛ فلا مطل إذاً من [ ٤٧ ] حيث المساهية والحقيقة والآية الثابتة بالله كما ذكرنا . فإذن الآليات والحقائق القائمة بالموجودات مُقرّة لله بالربوبية والمحبة له من حيث رجوعها إليه بالذات كما ذكرنا ، وذاكرة له من صفات أنفسها ، وراجعة إليه لا يمكن غير ذلك فيها . والمطل في خبر الجاهل خاصة لا في حقيقته . فكأنه نبه الغافل والجاهل . فاستحقاق الحق له على أن يبصر وجوده بالله ويلحظ حقيقته بحقه فيزول من وهمه خبر الشهية والإضافة فيجد ذاته عند الله ويجد الله عنده فيكون مشاهداً له ومقياً بحضرته ومستأنساً به وناظراً إليه أبداً ، فتحصل بذلك سمادته ورفعته وهزته وكاله الذى لا يزداد فيه ولا ينقص منه — فاهم ذلك .

وقوله رضى الله عنه : « وَمَعَالِكُ مُعَالٍ » يفسر ذلك ويسدده ، فإن المحال هو القوة والقدرة على ما بلغنى من بعض إخواننا بالشرق ، وهو ممن يعرف اللفظ وهو الذى يفهم من قوله تعالى :

« وهو تشديد المحال »<sup>(١)</sup> وقول سيدنا رضى الله عنه فى « الرسالة الرضوانية » : الله له الحول والمحال والطول . ولما كان المبد حادثاً ويمكن الوجود ولم تكن له قدرة مؤثرة ولا قوة قاهرة — إذ القوة والقدرة حقيقة هى الله تعالى ، واستحق ذلك لكونه قديماً واجب الوجود — فإذا كل فعل واقع من المبد ، أى فى المبد ، فوجوده الله حقيقة إذ هو القادر المؤثر فى مقدوره ، فلا تأثير لقدرة المبد ولا فعل له<sup>(٢)</sup> حقيقة . فإذا لا قدرة ولا قوة للمبد . ولذلك قال « محال محال » معناه قدرتك وقوتك وفضلك محال من حيثك . فإذا الفعل القائم بك والتصرف الذى تعرف والعمل الذى تعمل محال أن يكون لك ، بل هو الله حقيقة وصاحبه وكونك وجودك ؛ وهذا معنى قوله تعالى : « والله خلقكم وما تعملون »<sup>(٣)</sup> . وأيضاً الله خلق المبد فى أول ابتدائه . وهو معه بالإيجاد والتجديد فى كل وقت . وليس هو بمنزلة البناء الذى يبنى البار . ويتركها زمانين وأكثر ؛ وإنما بمنزلة منكم من الكلام كما ذكر سيدنا رضى الله عنه فى « الرسالة القديرية » وفى « البد » وغير ذلك . فإن المنكسر إذا قطع الكلام انقطع ، وإذا تكلم به وجد . فإذا لا وجود للوجود الممكن إلا بالله ، والله هو حقيقة وجوده كما تقدم وكل عبد ادعى فعلاً لذاته أو استقلالاً بذاته أو نسب وجوده لغير الله فدهواه محال وباطل وزور . فإذا كان وجوده حقيقة لله ، والمبد لا يفصل عن وجوده ولا يستريب فيه — كذلك ينبى أن لا يفصل عن الله ولا يستريب فيه ولا يطلبه ، إذ هو أظهر من أن يطلب . فكل من استراب فيه أو وجد غيره ، أو أنكر وجوده فهو بمنزلة من قال إن المحال واقع وإن الحقيقة مجاز . ولذلك قال [ ٤٣ ] تعالى على جهة التنجيب : « أفى الله شك ؟ »<sup>(٤)</sup> .. والمبد هو غلط فى وهم الجاهل لا فى حقيقته ، فالخاطئ إنما هى الذات لله وعنده ، والآيات — من حيث هى — مقرة لله بالربوبية وذكره له وحاضره عنده ، إذ لا يمكن الشئ أن ينكر وجوده كما تقدم . ووجود كل شئ لله . فالله هو وجود كل شئ حقيقة . ولا يمكن أن تنكر وجود الله آية من الآيات ؛ وهذا هو المفهوم من قوله تعالى : « وإن من شئ إلا يسبح بحمده »<sup>(٥)</sup> — أراد بذلك إقرار الآيات بوجودها لله الحق فاعلم ذلك .

(٢) هذا منسوب للأخاخرة فى الفعل .

(٤) سورة « إبراهيم » آية : ١١ .

(١) سورة « الرعد » آية : ١٣ .

(٣) سورة « الصافات » آية : ٩٦ .

(٥) سورة « الإسراء » آية : ٤٤ .

وقوله زكى الله عنه : « والواصل رحمه مما دعا الله رحمه » - الرحم هو النسب من الآباء والإخوة والأعمام وأولادهم والأخوال وبنات الكل المذكورين وكذلك تطلع بالتركيب إلى الأقرب فالأقرب بالنسب حتى إلى أقصاهم وكذلك في الحيوان على أقصاه ما ذكر في الكتاب والسنة ؛ وكذلك أهل ملتك ودينك ومنحك وطريقتك ، وهذا النوع من الرحم أزم عند السعداء .

إذا النسب الأول اختلف ملك في الدين ، فهو نسب عرضي ويجب عليك قطعه وهجره كما قال في أقرب النسب : « وإن جاهدك على أن تُشرك في ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً وتابع سبيل من أتى إلى » <sup>(١)</sup> الآية . ومعنى المعروف الذي أمر أن يصاحب الابن فيه أباه فهو التبرئة الظاهرة الجارية في عادة الناس . وقد تقدم أن حد المعروف هو ما جرت به العادة ، ولم تنه عنه شرعية ولا حكمة . ومخالفتها واجبة في طاعة الله . فالرحم إذاً هم الأهل المذكورون والجيران بشرط أن يكونوا داخلين ملك في الدين والمذهب الشرعي وكذلك المسلمون . فلم يكونوا أقارب فهم أولو أرحام بعضهم أولى <sup>(٢)</sup> ببعض . فيجب على المؤمن أن يصل أقاربه بالزيارة ويعود مريضهم ويواسي فقيرهم ويسكن ملهوفهم ويؤمن خائفهم ويحارب عدوهم ، وبالجملة صلة الرحم إنما هي برفع الأذى وترك الأذى ووجود الراحة بقدر الطاقة . فأولو الأرحام منهم من يبعد ، ومنهم من يقرب ، مثال ذلك : الأب أقرب من العم ، والمسلم أقرب من الكافر ، والإنسان المطلق أقرب من الحيوان ، والحيوان أقرب من النبات ، وكذلك تطلع بالتركيب إلى أقصى رتبة منك وأبعدها وتنزل بالتحليل إليك إلى الوجود القائم بك . وقد جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال <sup>(٣)</sup> : « في كل كبد حرى أجر » - والحيوان ذو كبد حرى رطبة . ففعل المعروف في الحيوان والإحسان إليه ولإيجاد الراحة له فيها الثواب . والثواب هو الجزاء من الحق تعالى ؛ وهو من الأشياء المقررة له : فإذا فعل المعروف في الحيوان يقرب إلى الله . ويلزم من ذلك أن يكون بالآخرى في [ ٤٤ ] الحيوان أغنى الإنسان والآخرى في المسلم والآخرى في النسب والجوار من المسكين وكذلك في نفسك . فإذا الوصول بالمعروف والإحسان يقرب إلى الله ، وكل قريب من الله رحمه ،

(١) سورة لقمان آية : ١٥ (٢) إشارة إلى الآية ٥٥ من سورة الأنفال .

(٣) رواه أحمد في « مستند » وابن ماجه عن سراقه بن مالك ، ورواه الشيخان عن أبي هريرة - ومعناه أن في سقى كل ذى كبد حرى أجراً .

فكل وصلة بالرحم رجة . وقول كل من وصل رحمه بالإحسان والخير هو قريب من الله ، وكل قريب من الله مرحوم ، فكل أصل رحمه مرحوم . وهذا بالخبر الشرعى وما وعد الله فى الأعمال الضالعة ، لأنه بما يجب على الله تعالى . وقد قال صلى الله عليه وسلم : « إنما يرحم الله من عباده الرحاء » . ثم تقول : إذا كان المعروف عما حتى يصل القريب وينتهى إلى البعيد فهو حسن ، وإن كان جزئياً فيبدأ بالأقرب كما قال صلى الله عليه وسلم : « ابدأ بنفسك ثم بمن قول » .

... ولما كان الحق سبحانه رجباً ورحته تمتد إلى الغير ورحته صفته كان العبد الرحيم المحسن الذى يمتدى خيره إلى غيره مرحوماً ، شبه الذى بينه وبين الحق من صفة الرحمة والإحسان . ولذلك قال رضى الله عنه : « والواصل رحمه مهما دعا الله رحمه » . وأيضاً المرحوم هو المقرب إلى الله وإلى جنته . والقرب والبعد إلى الله ليس بالمكان والزمان ، وإنما البعد منه بالجهل به ، أو بالمخالفة . والجهل به أصله عدم العلم وقلة الاقتراب إلى العلماء . وأصل عدم العلم وقلة الاقتراب حب الدنيا والسعى فى كسبها ، وله لواحق كثيرة . والمخالفة أصلها طلب الشهوة العاجلة . فإذا الجمل والمخالفة أصلها حب الدنيا والإمساك بها ووصلة الرحم بالإحسان وإيجاد الراحة فيه وشهادة النفس وخروج الدنيا من اليد والنسبة الإلهية . فأما زهادة النفس بها فظاهرة ، فإن المحسن يماله وإعطائه لغيره دل على زهادته فى تلك الأعيان التى أعطاه . وكذلك يلزم فى خطواته التى زار بها إلى أهله ، وزمانه الذى امتنع فيه من كسب الدنيا أو سعيه فى مصالحه دل على زهده فى ذلك الوقت . وهذا يلزم فى فعل المعروف كله . وأما النسبة الإلهية والشبه فظاهر أيضاً ، فإن الحق يمتدى خيره ورحته ويلطف بالمتكسر ويحبب المضطر من حيث يعطى المحتاج من أقربه ويشيع الجميعان — فهذا شبه ظاهر ونسبة واقعة . وأيضاً هو زاهد من حيث أنه أعطى ما يبيده إلى غيره . فهو زاهد فى الدنيا . والدنيا أصل البعد من الله ورأس كل خطيئة كما جاء فى الحديث . « زاهد فيها مقرب إلى الله » . والمقرب إلى الله مرحوم لأنك تقول : الدنيا أصل البعد ، والتارك لأصل البعد أخذ ذات القرب ، والأخذ ذات القرب قريب . وكذلك تقول : المخالفة أصلها الشهوات ، والزاهد فى الدنيا تارك الشهوات ، وتبيل الشهوات هو المخالفة [٤٥] . فتترك الشهوات طاعة ، فالتارك للشهوات طاعة لله ، والطائع لله عزيب منه . والقريب من الله مرحوم . فالتارك لرحمه مرحوم بالقياس الذى ذكرنا . فإليك تقول : الواصل رحمه تارك ماله وراحته من

حيث أعطاهما ، والتواكف ماله وراحته زاهد في الدنيا بمعنى رافض لما ، والدنيا رأس كل خطيئة ، ورافض رأس الخطايا طامع لله ، والطامع لله مرحوم . وأيضاً المؤمن لا يفضل ذلك المعروف إلا من أجل الله وابتغاء مرضاته وطلبه لمرضاة الله . وفصل المعروف من أجله دل على أنه يحب ، وجهه له دل على أنه قد علم جلالة ، وكال صفاته ، ولذلك حبه على كل شيء ، وعلمه بجلال الله وكال صفاته يضاد الجهل ، وقد قلنا إن العبد أصله الجهل ، فالتقرب أصله العلم ، فالعالم بالله قريب منه ، فالواصل رحمه قريب من الله ، والتقريب من الله مرحوم . لأنك تقول : وصلة الرحم من أجل الله وابتغاء مرضاته طاعة لله ، وابتغاء طاعة الله ومرضاته لم تقع إلا لأجل العلم به ، فالعالم بالله قريب منه ، فالواصل رحمه قريب من الله ، والتقريب من الله مرحوم ، فالواصل رحمه مهما دعا الله رحمه . وكذلك القول في الشبه ، لأنك تقول : الواصل رحمه كريم ورحيم وودوف وعسن ، والله كريم ورحيم وودوف وعسن ، فالواصل رحمه يشبه ربه في الكرم والرفقة والإحسان والرحمة . والشبه بالشيء قريب منه ، فالواصل رحمه شبيه بالله ، فالواصل رحمه قريب من الله ، والتقريب من الله مرحوم . وأيضاً تقول : العالم بأسره متماثل في افتقاره واضطراره وحدوته وانفعاله ، والمثل لا ينعم فيه ما هو موجود في مثله ، والافعال والاضطرار موجود في كل واحد من المخلوقات ، والمنفصل من صفة نفسه لا يكون فاعلاً بوجه ، والعالم منفصل من صفة نفسه ، فالعالم ليس فيه فاعل ولا يكون فاعلاً بوجه ، فالعالم كله واحد في الافتقار والاضطرار ، والحق هو الشيء الفاعل فيه على الإطلاق ، فإن الحادث لا يفضل في الحادث والمضطر لا يفعل في المضطر ولا يتمد شيء من مخلوق إلى مخلوق ، والحق يتمد خيريه وفضله ورحمته إلى الموجودات كلها . فإذا رأينا الحسن الذي يتمد خيريه والرحيم الذي يتمد رحمته ، علمنا أن ذلك ليس هو من ذاته بما هي مفعولة ومضطرة — لكون المنفصل لا يكون فاعلاً كما تقدم والفعل لا يفعل في مثله . فإذا لم يكن من ذاته فصيحاً أنه من الحق تعالى ، إذ هو الفاعل على الإطلاق والحسن والرحيم على الإطلاق . وإنما جرى ذلك في عمل العبد على جهة المجاز ، وهو منه حقيقة . فإذا كل محسن يظهر منه الخير فيتمد فضله صفة الإحسان [ ٤٦ ] القاعة به هي الله ، وإن كانت جارية على عمل العبد ، فهي فيه بالعرض وهي في الله بالذات . فالعبد موضوع لما وكأنه كرمي لتصرف الله ، وقد سلبه عن ذاته من حيث سلب عنه صفات البشر التي هي المنع والشر والبخل ، ومنعه هو صفاته ووجهها وجعلها ذاتاً له وأقام فيه كرمه وإحسانه وخيره . فإذا العبد المحسن الرحيم ذاته

الإحسان والرحمة ، والإحسان صفة الحق ، والصفة لا تفارق الموصوف ، والموصوف هو الله  
والعبد المحسن الرحيم لا يفارق الحق ومن لا يفارق الحق هو معه ، ومن كان مع الحق هو مرحوم  
وكلهم وسعيد ، فالواصل رحمه مرحوم وكلهم وسعيد . لأننا نقول : الواصل رحمه تعدى خيره ورجته ،  
والمتمدى خيره ليس هو العبد الحادث — لما تقدم أن المثل لا يفعل في مثله — فإذا هو الله حقيقة .  
وإذا ظهرت صفات الحق في العبد فقد اصطفاه وشرفه وكله وجعله خليفته . وكل مكمل ومصطفى  
مرحوم . فالواصل رحمه مرحوم . وهنا يفهم من قول سيدنا رضى الله عنه في « روح الأوصياء » قال :  
مهما سرى حكم من شيء إلى شيء فته لا من ذلك الشيء ؛ ويفهم من قوله تعالى : « وإن الله لمع  
المحسنين »<sup>(١)</sup> وقوله تعالى « إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون »<sup>(٢)</sup> . ولا يفهم من هذه  
المعية معية الزمان ، ولا معية المكان ، ولا معية المرتبة ، ولا معية الجنس ، وإنما يفهم منها التخصيص  
والاعتناء والقرب ، إذ قد جعل صفته ذات العبد المخصوص وطهره من صفات الشيطان والنفس  
وقصص اليهودية ، واستولى عليه هو وجهه مجموع أسمائه واستحقه من كل الجهات ، وجعل ذاته  
أكبته وكأنه هو . لأننا نقول : الإحسان صفة الحق ، وهى ذات العبد المحسن ، فذات العبد صفة  
الله . والصفة ليست بزايدة على الموصوف ، والموصوف هو الله ، فذات المحسن هو الله . ويفهم هنا  
من قوله تعالى : « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله »<sup>(٣)</sup> ، وقوله « والله غالب على أمره »<sup>(٤)</sup>  
فافهم ذلك .

وأيضاً الرحم منهم الأهل القريب للإنسان . والآباء لم يكونوا أهلاً قريباً للإنسان إلا لكونهم  
سبب وجوده ، وهم في السببية على جبهة المجاز ، خاصة والرحم القريب حقيقة هو الله تعالى ، وهو  
السبب في وجوده ووجود آباءه ووجود كل شيء ، وهو السبب الذاتي للمعية العبد المسكن ، وهو  
أزعم إليه من كل شيء وأقرب من كل قريب إذ لو قدرنا ارتفاعه ارتفع وجود العبد فذهب . وقد

(١) سورة « التكوير » آية : ٦٩

(٢) سورة « النحل » آية : ١٢٨

(٣) سورة « الفتح » آية : ١٠

(٤) سورة « يوسف » آية : ٢١

يقدر ارتفاع الآيات والأهل الأقارب وتبقى ملعته على ما هي عليه ولا ينقص منها شيء [٤٧] . وهذا موجود في العالم أبداً . فهم إذا سبب عرضي وأهل بالمرض . وكذلك القول في الجار وغير ذلك . فالرحم حقيقة هو الله تعالى . وكذلك الجار حقيقة هو هو ، إذ لو قدرنا مفارقة إجماده من المبد لم يوجد ، وهو جار لأنه يلزمه من كل الجهات حتى إن كل قوة في الإنسان وكل عضو روحاني أو جسماني الله هو المقسوم له والمنتم ، وهو الظاهر في جميعه والموجود في وجوده حتى إنه يستحقه كما تقدم ، وبه يتأنس ضمير العارف وله يلحظ ، وهو الذي يبصر ، ومعه يحضر ، وهو الحاضر في حضوره ومعه وبسده ، وهو يلزمه ملازمة ذاتية . والأهل الذين يتأنس بهم الجاهل وكذلك الجيران هو مفارق لهم في أكثر أزمته ، وينهب عنهم بالسفر والموت وغير ذلك ، وقد تخلق له فيهم العداوة والضدية وغير ذلك ويكونون أبعد الناس إليه . والحق تعالى يستحيل مفارقتة إليه ، وكذلك بعده عنه محال ، وكذلك التضاد لأنه يصله بخيره وفضله وإحسانه ، ويؤنس في سفره وحضره ، وينصره في اضطرابه إذا لجأ إليه ، وهو معه أينما كان من المراتب والأحوال والعوالم كلها . فإذا وصله المبد بطاعته والتخلق بأحكامه وبمعرفة والأدب معه وقطع كل ما سواه وزوال الفسرية من قلبه وجملته . « فدعاء » بمعنى استدعى صفاته إلى محله وأحضره عنده بالمراقبة والاستيلاء وعرف ماهيته إليه — رحمه وهو يحضرته ومشاهدته وإعطاء كماله وإفادة سعادته ، إذ السعادة عبارة عن رؤيته ورضوانه ؛ وهذا هو معنى قوله رضى الله عنه : « وأواصل رحمه مهما دعا الله رحمه » .

وقوله رضى الله عنه : « والمسلم للملو علامة » — الملو هو الرقة ، والعالي هو المرتفع ، والعلامة هي الدلالة على الشيء ، كما تقول علامة الماء في الصحراء هي وجود الطير ، وعلامته الركيزة الواقعة عليه والحجارة المركبة بعضها على بعض الذي جعلت ليستدل بها على الماء ؛ كما تقول علامة الإيمان مواظبة المسجد للصلوات ، وعلامة المؤمن إذا حدث لا يكذب وإذا أوعن لا يخن — الحديث . وبالجملة : العلامة هي التي بها يتعين الشيء المجهول أو المشكوك فيه أو المظنون ويظهر ذاته وحقيقته . ولما كان العلم سبب الرقة والشرف والكمال قال فيه : « والعلم للملو علامة » —



منها حيث ظهر العلم كانت الرِّفة والشرف. ولما كان العلم صفة كمال وأجل صفات الكمال وأخصها وأعما تعلّقاً قال: « والعلم للملو علامة » . وأيضاً لما كان الإنسان حده هو الحيوان الناطق ، وفصله من الحيوان هو النطق لا غير — فإن الحيوان يشاركه في الحياة الطبيعية وفي الحواس الخمس [٤٨] وفي المشترك وفي القوى الروحانية مثل الخيال والوهم وغير ذلك ، وينفصل عنه هو بالنطق خاصة . والنطق هو إشارة إلى المكونات بالتصوير والتصديق — هذا حده عند التقسّد وهذا هو العلم . والنطق علم واقع على الخفيات بالروية والفكر . ولذلك كان علامة الملو إذ هو الذي ينفصل به عن جنس الحيوان ويرتفع قدره عليه ويشرف ، وهو الذي أوجب تفضيل النوع على جنسه — فاعلم ذلك . وذلك أن العلة ارتفاع الشيء على أقرانه وتقدمه عليهم بالشرف أو بالمرتبة . لأننا نظرنا الإنسان بمثل الحيوان في الحيوانية ويشاركه فيها ذكرنا من قبل ، وينفصل عنه ويفضل عليه ويرتفع قدره على قدر الحيوان ؛ ونظرنا ذلك الذي ارتفع به وجدناه غير الجسم إذ جسمه جسم حيوان ميت بالعلاج وما يتألّفان في ذلك ، ولا وجدناه من جهة الترك الخاص والهيئة إذ ذلك يرجع إلى كَيْفِيَّتِهِ ، والكيفية حال قائم بالجسم لا اعتبار له بالكمال . فصح أنه لم يفضل عليه إلا بالنطق ، والنطق علم كما تقدم حده ، فكان علمه سبب علوه وعلامته . وكذلك قول في نوع الإنسانية : لأننا نجد نوع الإنسانية واحداً وهو يفضل بعضه بعضاً ويعظم بعضه ، ويرتفع على بعض ويتقدم بعضه على بعض ويحكم المتقدم من الناس على غيره ممن يماثله في الإنسانية . و < لو > نظرنا ذلك التقدم والحكم — وجدناه راجعاً إلى الخطّة والمرتبة القاهرة المرتفعة على من دونها . و < لو > نظرنا تلك الخطّة وجدناها من قبيل العمل والأوصاف الفاضلة والعلم شرط في العمل والأوصاف المذكورة . فإذا العلم أصل تلك الخطّة والحكم والتقدم وشرط فيها . والشرط هو الذي يرتفع المشروط بارتفاعه ، ولو ارتفع العلم ارتفعت تلك الخطّة والتقدم . فإذا العلم هو الذي يرتفع المشروط بارتفاعه ، ولو ارتفع العلم ارتفعت تلك الخطّة والتقدم . فإذا العلم هو الذي كانت به الرِّفة والشرف في الإنسان على أمثاله . فالعلم هو سبب علوه وعلامته كما قال . فهو قدرنا الرِّفة والمرتبة الحاكمة بالسيف والمال كما هي في السلطان فتقول أصلها وحافظها ومديرها إذ به يدير أبواب دولته وبه يمشى سياسته نحو الصواب ؛ فلو لا ما يعلم الضد من الصديق لكان يقتل الصديق ويترك الضد ويؤدى إلى فساد خطبه وملكوته ؛ وكذلك بالعلم يدير الرِّحية ويرفع اختلافهم ويقمع عداومهم ، وبالجملة الملك يدير بالحكمة ، والحكمة هي

العلم والعدل ووضع الشيء في محله . فإذا كان كذلك ، فكل خطة ترفع الإنسان على أقرانه وتقدمه على أمثاله ، فالعلم صورة مقومة لها وتمتمة . فبهد سعادة الإنسان في الدنيا ، وتصرفه ورفته لا وجود لها إلا بالعلم . وكذلك فصله من غير الناطق [ ٤٩ ] كما تقدم ، فالعلم ثلثو علامة . وأما سعادته في الدار الآخرة فلا يتوصل إليها إلا بالعمل ، والعلم شرط في العمل الصالح . فإذا لا سعادة إلا بالعلم . وأيضاً السعادة في الآخرة والكمال والشرف لا يكون إلا بحسب القرب من الله تعالى ويقتدر ما يقطع الحكيم من الوسائط التي بينه وبينه . والقرب منه لا يكون إلا بعلم ما يجب له ويجوز عليه ويستحيل في حقه ، والوسائط لا يقطعها إلا بعد ما يعلمها ويعمل على اغلاص منها وجوازاها . فإذا العمل الذي يقطع به الوسائط العلم شرط فيه . والقرب من المقصود الأعظم إنما هو أيضاً بحسب العلم به ، فإذا السعادة والرفعة في الآخرة العلم صورتها المقومة والمنتمية . وكذلك الصوفي في سعادته ورفته إنما هي بحسب معرفته بالله وحبه فيه والفناء في تحقيق حقه والتخلق بأسمائه ، وذلك كله يرجع إلى العلم لأنه لم يحبه إلا وقد علم جلاله وكمال صفاته كما تقدم . ولم يكن فيه إلا وقد رجحه على نفسه من حيث رضى تلف نفسه فيه . ولولا علمه بجلاله ونعاساتها بالإضافة إلى باريها لم يفضل ذلك . وأيضاً التخلق بأسمائه يحتاج إلى العلم بالاسم والمرتبة الموضوعة له ويحضر أجزاء ماهية المرتبة وتصوره وتصديقه وينصرف إليها ويدور عليها بعلمه وتخلق ولا يشذ عليه من أجزاء الاسم شيء حتى يتجوهر به ويتصف بالمرتبة حتى يصير له ذاتاً ، وحينئذ يشرع في الانتقال إلى اسم ثان ، وكذلك يلزم في كل اسم . فإذا الصوفي لا كمال له ولا سعادة ولا شرف في الدنيا والآخرة إلا بقدر علمه بالله وأسمائه والتخلق بها . فإذا العلم سبب رفته وأصل فيها . فإنا قول : أعلم الصوفية بالله وأسمائه أشدم حباً فيه وتمظيلاً له ، إذ الهبة على قدر صفات المحبوب تكون قوتها ، وأقوام محبة في الله أشدم فناءً فيه وتخلقاً بأسمائه ، وأشدم تجوهرراً بأسمائه وفناء في حقيقته أرفهم وأسدم وأكملهم وأعلام درجة . فالعلم للعلو علامة ، وسبب الشرف والسلامة .

وكذلك قول في الحق : فإن المحقق حقق أن الجوهر المستحق لوجوده ووجود الممكنات وجوده عنده أظهر من الوجود الطبيعي له وألزم من الضرورة ، واستقل واستغنى وأقطع شوقه وطلبه وشاهد الحق بالحق عنده ، فخرج من كل الوسائط وأهتز وجوده كله عنده بذاته في ذاته ، فاستحق

بذلك الرفعة والعلو الذى لا غاية تقدر له والكمال الذى لا إضافة فيه ، ولا يقال بالكمالات المذكورة عند الصوفية والحكاه ، بل هو الكمال العزيز الذى لا يدرك له كنهٌ ولا تحصره ماهية وهو العلى العظيم — فاعلم ذلك . فقد ظهر لك أن العلم بالعلو علامة فى الدنيا والآخرة وفى كل صنف من أصناف [ ٥٠ ] الكمال وفى كل طريقة . وسيادة النبوة والملائكة وغير ذلك إنما هى بالعلم — فاعلم ذلك .

وقوله رضى الله عنه : « والسلم للمدو سلامة » : السلم هو الصلح لفة ، قال الله تعالى : « ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان »<sup>(١)</sup> . والمدو هو الضد المناقض للشيء بطبيعته ووصفه . والسلامة هى الغلاص من الآفات ، لأنك تقول : سلم فلان من أعدائه بمعنى أنه تخلص من آفاتهم ، وتقول : سلم فلان من المرض بمعنى أنه تخلص منه وخلص من آفاته التى هى الموت بعد أن أصابه وباشره المرض . وقد يكون « سلم » بمعنى أنه لم يصبه المرض مع كونه محله من حيث هو جسم وظاهر له . وتقول : سلم فلان من البحر بمعنى من آفات المدو بعد أن ركبته . وإذا نظرنا المدو من حيث المضادة والمباينة<sup>(٢)</sup> فى الكيف فهو يطلق على أمحاء . تقول : المداوة فى الطبائع الأربع ، إذ كيفة الصفراء مضادة للبلغم . ونقول المداوة فى الأعراض ، إذ السواد ضد البياض وعدوه من حيث الضدية . وإذا نظرنا المضادة فى الأشياء كلها يطول علينا الكلام فيها ، ويغرضنا عن المقصود من شرح المسئلة فنقول : المداوة التى يريد هنا هى المشار إليها فى عرف الشريعة وهى الضدية الواقعة بين الأشخاص الموجودين فى النوع الواحد ؛ فإنك لا تقول السبع عدو فلان وتريد بذلك المداوة التى تورث مناقضة الشخص لشخص ، فإن عداوة السبع لزيد هى مثل عداوته لعمرو وهى عداوة النوع منه للنوع الإنسانى مطلقاً ؛ ولا هى عداوة المثل ، لأن الإنسان غير متفق معه فى الكيف ومفضل عليه بالقل وظهره بالصنائع العقلية والفهم الإنسانى من كل الجهات وغالبه بالذات . فإن اتفق أن يقتل أسد إنساناً وقتاً فإتاما تلك غلبة بالعرض والإنسان غالبه بالذات ، والمداوة لا تكون حقيقة إلا بين

(١) سورة البقرة آية ٢٠٨ .

(٢) ص : ١ آية ( ١ ) — ولعل العوالب ما أفتنا .

المنبلين وفي المثلية . وإنما أراد العداوة من الإنسان ، مثل عداوة الدين و عداوة الحسد وما أشبه ذلك . ولما كان العدو يطلب القهر والانتقام والظفر والغلبة ولا يمنعه إلا هلاك عدوه أو ما قرب من الهلاك كان حتماً على الإنسان الماقل زوال عداوته ، إذ العداوة توجب فوت الراحة وتؤدي إلى الهلكة . وفلك لا يحصى<sup>(١)</sup> عليه الشرع ولا العقل فلا بد من إزالتها إختاراً شرعاً وعقلاً . وإزالتها لا تكون إلا بأحد الأمرين : إما بالمقاولة والانتصار ، وإما بالتخليق والاحتمال . وإزالتها بالمقاولة والانتصار له آفات : أحدها ركوب الخطر فإن متاباة العدو ، الماقل فيه بين أمرين : إما أن يغفر ، أو يظفر به ؛ فإن ظفر فقد وقع الأذى والهلكة ، وهذه آفة ظاهرة ؛ وإن ظفر به وانتقم منه أو أهلك فقد حرم المنتقم أو المهلك مقام العفو والرحمة وأقيم في الانتصار للنفس [ ٥١ ] وترقية حظوظها ؛ وهذه آفة أكبر من الأولى . وإن توقف الأمر بينهما فقد شغلا الزمان بغير الله ، وفرطاً في التوجه وبمد المنتصر عن مقام الرضا واقطع عن التوحيد إذ هو في ملاحظة الغيرة ومكابدة الأعداء بأفة الانتصار . والمقاولة ظاهرة في هذه الوجوه التي ذكرناها ، والموفى ليس بسالم فلا سلامة في الانتصار والمقاولة إلى العدو عند السوء وأهل الله تعالى ، ولا سلامة في إبقاء العداوة . فلم يبق من القصة إلا إزالة عداوته بالتخليق والاحتمال والإحسان . وذلك الإحسان يؤدي إلى قلب عداوته محبةً ، ومنافرتة ألفة — وهذا هو الصلح في قوله : « والسلم للعدو سلامة » ، فإنه قد سلم من أن يُهلك أو يهلك ، وسلم من إشغال الوقت وملاحظة الأغيار ، وسلم من قصص الانتصار وشؤم الخط النفساني ؛ فقد سلم دينه وطريقه وثبت كاله وتخلقه بالرحمانية المختصة بالسوء والموجودة في الأولياء . فقد سلم طريق سعادته ، وزالت العداوة والضدية من عدوه بالإحسان ، وأمن من مكروه ، فقد سلم من خوفه في الدنيا ، وقد ثبتت سلامته : سلامة الدنيا والآخرة ، وتقل عدوه من المهالك وطريقه للأشياء . فقد سلم المتخلى بالإحسان نفسه وعدوه من آفات الدنيا والآخرة بصلمه وإحسانه . وهذا تصرف عظيم ، وفضل عيم ، وحكمة بالغة . وهي المراد من قوله : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة : ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم »<sup>(٢)</sup> . وأيضاً الانتصار إذا قدرنا ظفر

(١) س : يحظ — وهو غلط إملائي كثيراً ما تكرر في هذا المخطوط ، ولوضوحه لم نرداه

للتنب عليه في كل موضع . (٢) سورة « فصلت » آية : ٣٤ .

المنتصر بمدونه وهلكه قد تحدث له من أسباب الهالك أعداء كثيرة ورسل الأعداء وكنت في أسابه هو ويؤدى إلى فساد عظيم وهلك النشئين وتضييع وقته واقتطاعه عن الله . وهذا حرمان عظيم وشقاوة لا سلامة فيها . ولو قدرنا العدو من غير دينه ويجب عليه زوال عداوته شرعا وقتله — قلنا : إن جذبه بالإحسان والحكمة والسياسة أحد عند الشرع وأولى وأحب لله لأنه أزال عداوته وجذبه للإسلام وكان رحيباً كريماً ، متابعاً لسنة النبي صلى الله عليه وسلم لأنه كان يجنب الناس للإحسان مثل جذبه للمؤمنة قلوبهم ، وكنتك بالاختلاف فإنه كان يغفر للنساء له ويدعو له بالمغفرة . وهذا خير عظيم . فقد سلم المصطلح مع عدوه والمتخلق عليه من آفات الدنيا والآخرة وقرب من الله تعالى بالخلق بأسمائه ومن النبي صلى الله عليه وسلم بتبعية ، وهزم هي السلامة من كل الجهات ، والمراد بقوله : « والسلم للمدو سلامة » .

وقوله رضى الله عنه : « والصلح مع جلتك صلاح » — إما لتأكيد لأن السلم هو الصلح لغة ، فتكريره إما لتأكيد وإما جاء تكريره لثلاثة الإطلاقات من التقييد الأول لأنه قال في الأول « والسلم للمدو » ، فخص على الصلح إلا أنه قيد بلفظ [ ٥٢ ] المدو وأطلقه في الثاني بقوله « والصلح صلاح » وتركه مطلقاً ثم أكد من حيث حمله بقوله صلاح . فإن قيل : اللفظ الأول محرم في ذلك إذ الصلح لا يطلق إلا برقع المداوة ولا يقال إلا على المدو ، ونظ المدو في الصلح يفهم منه أى عدو كان ويراد به النوع لا الشخص أو أحد لا يمينه ، ودخل في ذلك عموم الأعداء ، ومن ليس يبدو فلا يحتاج إلى الصلح معه ، فلا يفهم من الصوم إلا عموم الأعداء وقد خلصه اللفظ الأول . قلنا : فيه إشعار الزيادة ، لأن الصلح فيه مقول الصحة والألانة ورقع المداوة ممّا . وقد يكون في الناس من ليس بصاحب ولا مؤلف وإن لم يكن عدواً ، فيكون الصلح منه بمعنى الألانة والمودة ، وهذا فيه زيادة ظاهرة ، ويكون الإنسان المتخلق بألف عدوه وصديقه والمتوسط الموقوف بينهما ويحسن للجميع ويرد الكل إلى الصداقة والمودة ، وهذا محمود شرعاً ومحملاً وفضل بين صلاح جلي وهو المراد بقوله « والصلح صلاح » . والصلح هو النفل المحمود ، وهو النفل المستحسن ، والصلح هو الطاعة ، والصلح هو الطاعة ، وأيضاً قد يزيد بقوله « المدو » « الأعداء » أضداداً موجودة في محل الإنسان الواحد من حيث هو إنسان مجموع من روحاني ونجساني ، والروحاني مغالقي في ظاهري النجاسة ،

والجسماني مركب ، والمركب ضد البسيط . وأيضاً الإنسان حده هو الحى الناطق الميت ، والحى ضد الميت بالضرورة ، والإنسان مجموعهما أو مطلوب باقتياد جميعه إلى أمر الله والدخول تحت أحكام الشرع ، فإن الجسماني يطلب علته وخواصه اللاتقة به ، مثل الشهوة من الأكل والشرب والنكاح واللباس الحسن وما أشبه ذلك . والروحاني يطلب العلم والمعارف والبحث عن حقائق الأشياء فيتلذذ بإدراك الموجودات وتفسير الأشياء المجهلة بإخراج الأشياء المشكلة من إشكالاتها إلى التحلى والظهور المحض وقبول الأمور السكليات من جهة ما هي كليات وما أشبه ذلك . والمتوسط يتلذذ بأشياء متوسطة مثل النفقات الحسنة والألحان وما أشبه ذلك . فلما كان الإنسان مجموع هذه الأنواع ومتولاً على هذه الجملة ، والشرع طالب له بالاعتقاد إلى الله بجمليته ، احتاج أن يطلب أنواعه بالمداوذة وقواه الجسمانية والروحانية بالألحان والخضوع وأضداده بالاتفاق والدخول تحت أمر الله ورسوله ، فيترك عقله اجتهداه ويحسه وعلومه المادية وينصرف لقبول ما يلقى إليه الشرع فيخرج عن إدراكه ويأخذ إدراك الشريعة ، ويترك علمه ويأخذ علم الشارع ، ويترك الجسماني وتصريف جوارحه في المكاسب العرضية والبطش في الأمور النفسانية [ ٥٣ ] العاجلة وينصرف إلى عبادة الله . ويصرف جوارحه في طاعة الله من الركوع والسجود ، وإيجاد الراحة بالإعطاء باليمين والسعى إلى المساجد بالأقدام والجهاد وغير ذلك . وينصرف في المتوسط الى ما يمهده الشرع ويرطه الله تعالى : مثال ذلك : السمع الذى كان يوصل له الألحان والنفقات الحسنة ينصرف إلى سماع كتاب الله تعالى الذى هو كلامه وسمع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع المواعظ والأمور المذكورة بالله عز وجل ؛ والبصر الذى كان يبصر به المثلذذات ويتزلفى سطاغة ألوانها وملاحة بهجتها ، يرجع ينظر اختلافها في أنفسها ويبسها وقلة ثبوتها فيستدل على موجدتها وخالقتها ، فترجع القوى الجسمانية والروحانية والمتوسطة متقادة لأمر الله والدخول تحت أحكامه والانصراف لطاعته وتنق على ذلك اتفاقاً واحداً ودخولها في أحكام الله دخولاً واحداً . ويكون الصلح المذكور لاجتماع الأضداد والأغيار الموجودة في الإنسان على قبول أمر الله وتنق على ذلك اتفاقاً ، فيزول شغبها وتضادها وعداوتها إذ كان قبل ذلك كل نوع يميل إلى طور من اللذات والمطالب لأن طلب الجسم مضاد لطلب العقل ، والروحاني ضد الجسماني فكأن الإنسان مشتبه الماهية ، فصار متبعا وهرم الصلح بين أضداده

وتألفت أجزاؤه وتوحدت ماهيته بدخولها تحت أمر الله ، وانعزافها لمطلوب واحد ، وأدى ذلك للجمع والاتفاق والاستقامة . وهذا صلاح عظيم وصلح محمود . وينسر هذا قوله رضى الله عنه فى « الرسالة الرضوانية » : « وقل لجلتلك : يا مركبة من الخير والشر ، والمفارق وغير المفارق ، والسعيد والشقى ، هاودنى ! وإن لم تفعل ، تقابلك بطبيعة الخير وتندرج بالمفارق ونظائر بك بأمر السعيد ، فأنى لاجيته » . فهذا معنى قوله رضى الله عنه : « والسلم للمدو سلامة والصلح مع جلتلك صلاح » .

وأيضاً إذا صار العقل داخل تحت نظر أمر الشارع فلا يعقل إلا به ، والبصر لا يبصر إلا به ، والسمع لا يسمع إلا به ، والجسم لا يبطش ولا يتصرف إلا به . قد ذهب كل نوع فى ذاته وثبت بالشارع عليه السلام . والشارع عليه السلام هو لسان الحق وبصره لأنه بالله ينظر ، وبه ينطق ، وعنه ، وذاته الله بالجملة . فذات المتقاد للشرع ترجع لله بالضرورة ، لأننا قول المتبع لا يعقل ولا يسمع ولا يبصر ولا يبطش إلا بالشرع ، فالشرع سمحه وبصره ويداه ورجلاه . والحق ذات الشارع ، فالحق هو سمع المتبع وبصره ويداه ورجلاه . وهذا يشهد له قوله صلى الله عليه وسلم حاكياً عن ربه : « لا يتقرب العبد إلى بأفضل مما افترضته عليه ، ثم لا يزال يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمحه [ ٥٤ ] الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ... » الحديث .

فإذا كان الحق هو جملة الإنسان من حيث استحقاقه له ، والحق واحد ، فالإنسان واحد — فقد ارتفعت الأضداد والأخبار ، واتفق المختلفون ، وزالت المداوة بالضرورة . وأيضاً العبد ممكن الوجود ، والموجودات المفصولات كلها ممكنة الوجود ، وهى متساوية فى ذلك . ولا يكون للممكن الوجود سمع وبصر وعقل من حيث هو ممكن ، ولا وجود له بالجملة إلا ما أعطاه الواجب ، وما أعطاه الواجب لا يفارقه ولا يتفصل عنه . فإذا أوجب سمع العبد الممكن وبصره ويداه ورجلاه ووجزه بالجملة ، والعالم فى إمكانه واحد : فالله هو سمع كل سميع من الممكنات ، وبصر كل بصير ، ووجود كل موجود منها . فلا تقل إذاً هو سمع الولي وبصره فى وقت استحقاق الولاية ولم يكن قبل استحقاقها كذلك . ولا تقل هو فى وجود الولي ماهية حقيقة وفى غيره من الممكنات مجازاً فيكون وجود الله مع الممكنات فى بعض حقيقة وفى بعض مجازاً ؛ تعالى الله أن يختلف وجوده

أولئك يتنوع ! بل هو المقوم لماهية الولي وغير الولي ، وهو ماهية بكل ماهية من حيث استحقاقه  
لوجودات استحقاقاً واحداً . فإذا كان هو ماهية الماهيات فهو سمع الأسماع كلها وبصر الأبصار .  
وهو كذلك دائماً ، إذ لا يمكن أن يكون وجوده مع الممكن في وقت مقوماً ، وفي وقت منفصلاً ،  
ويكون الممكن مستقلاً بذاته في وقت ومفتقراً في آخر ، بل هو مفتقر على الدوام والله هو المقوم  
لوجودها على الدوام والتمم . فإذا بطل كونه يكون سمع الرجل في وقت دون وقت وكذلك بصره ،  
بل هو وجود كل موجود دائماً . فإن قيل : ما الفرق بين الولي وغيره إذا ؟ قلنا هذا قريب من  
الله ، وهذا بعيد منه . قول : الولي عرف بذلك الاتصال وشاهد استحقاق الحق له ، وغيره جهل  
ذلك فكان بعيداً من جهة الجهل لا من جهة الوجود ، وقرب هذا من جهة العلم والوجود مما  
فهنا وجد ماهيته وسمعه وبصره مما ، لله وبه وعنده وشهد الحق بالحق ، وهذا ادعى لذاته وجوداً  
وسمياً وبصراً فادعى ما ليس له وكان بعده بحسب ذلك ، وكان قرب الولي بحسب ذلك ، وكان هذا  
منعاً وحاضراً وشاهداً . وكاملاً وسعيداً ، وهذا الآخر بالكس . والحق بالتقرب منهما على حالة  
واحدة ، وهذا بعيد من حيث غلظه وانكس بذلك الغلط وشق . فإن قيل : ما الغائبة في قوله :  
« . فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به » ؟ — قلنا أزال الغلط فشاهد أن الحق هو سمعه وبصره ،  
وأنه لم يزل كذلك ولا يزال كذلك مع كل ممكن ، فكان التقديم والتأخير من حيث البعد  
وعنده — فاعلم ، لا بد من حيث الحق ، ومن حيث [ ٥٥ ] الغلط والجهل لا من حيث الوجود  
حقيقة . فإذا القرب ذاتي ، والبعد عرضي ، والغلط في الضمير يحجب الإنسان عن حقيقة فيدهي  
وجود الله لنفسه ، فيكون في الأمانة من حيث أخذه ما ليس له . فلا عداوة ولا مفارقة إلا في خبر  
الغالب ، والحق هو حقيقة كل شيء ووجود كل شيء بالوجه الذي ذكرناه . وهو كذلك دائماً ،  
فلا عداوة إلا بالجهل ، فإذا ارتفع الجهل ظهر اتفاق الوجود ووحدته ، وهذا هو الصلح الذي يرد  
الإضداد والأغيار شيئاً واحداً ويزيل الشبث ويعلم بعد زواله أنه لم تكن قط عداوة ، ولا بغض ،  
فصار الصلح زوال الغلط ورفع الإضافة — فاعلم ذلك . وهذه المسئلة مطبقة على قوله : « والعلو للعلو  
علامة » ، ولتلك ساق بينهما : « والسلم للعدو سلامة » لأن العلم يرفع الغلط الذي أوجب العداوة ،  
فيظهر الاتفاق والاتحاد . والصلح حقيقة ذاتية في كل ماهية بما هي ماهية ، فاعلم ذلك .



قوله رضى الله عنه : « والدعاء بالإخلاص سلاح » . الدعاء هو النداء تقول دعوت فلاناً بمعنى ناديته . وتقول الدعاء هو العبادة لقوله تعالى : « وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ؛ إن الذين يستكبرون عن عبادتي » <sup>(١)</sup> الآية . وتقول الدعاء إذا كان لله تعالى هو النداء بالمسئلة والتضرع والطلب لإحسانه ونعمه . والإخلاص هو تحرير الشيء من الإشابات كما تقول أخلصنى فلان وده ، بمعنى أن وده محرر من الإشابة . وتقول الإخلاص هو تحرير القصد من الإشابات والوسائط . والسلاح هو العدة التى يعتمد عليها فى نيل المآرب . وتقول السلاح آلة يستعان بها فى تحصيل المطالب . وتقول السلاح آلة أو عدة يستجلب بها الملامم ويدفع بها المنافع ويحفظ بها الحامل لها نفسه وجملته . ولما كان الله فاعل كل شيء ويده ملكوت كل شيء فلا شيء يبقى إلا وهو فاعله ، ولا خير يرجى إلا وهو جاعله ؛ فهو الضار النافع . فلا شيء يدفع إلا وهو دافعه ، ولا شيء يجنب إلا وهو معطيه ومأنحه ، ولا حافظ للنفس المحفوظة إلا هو . ولذلك جعله سلاحاً وشبهه بالسلاح . ولما كانت السلاح عند العامة فى الظاهر يعتمدون عليها فى دفع العداوة والوقاية من الشر ، وفى استجلاب المنافع والخيرات الملائمة ، ويحفظون بها ذواتهم من الضرر والبأس — ضرب لهم بذلك مثلاً وقر به لأفهامهم بالعرف الجارى فى عاداتهم فى مواطن الخوف إلا السلام . فنبههم على الإخلاص لله والاعتماد عليه فى جميع ما يخاف أو يرجى إذ هو الدافع للشر حقيقة ، والمأنع للخير والحافظ لثبات العبد من كل الجهات ، وهو الذى لا راد لأمره ولا معقب لحكمه ، فهو عدة المؤمن وسلاحه ، وإليه استناده وعليه اعتياده ، إذ لا غيره ينفع ولا سواء يدفع . فإن وجدنا السلاح فى الظاهر مثل [ ٥٦ ] السيف والرمح وما أشبه ذلك يدفع به العداوة ويحارب به وقد يظنر به ويقتل وقد يمنع من بلوغ غرضه ويدفع شره ويظهر تأثير الحديد والعدة فى دفع العدو وقتله به — فذلك يرجع إلى الله بالضرورة وهو له حقيقة وللحديد مجازاً . فإن قيل : كيف هو مجازاً ، ونحن نشاهد صاحب السلاح يسلم بمعارية عدوه ويبنى نفسه به وماله ، وقد يظنر بعدوه ويقتله ومن لا سلاح له يظنر به وينتقم منه وهذا تأثير ظاهر ؟ قلنا : ذلك من جهة العادة <sup>(٢)</sup> ومعمول فى الحديد والسلاح . وليس البيامة

(١) سورة « غافر » آية : ٦٠ . (٢) المآرج هنا كما فى كل موضع يتصل بظنرة الاستطاعة أعمرى خالص ، ومن هنا قال بالعادة ، ولم يقل بالإرادة .

والظفر في السلاح صفة نفس<sup>(١)</sup> لأننا نقول : لو لم يخلق القطع عند الضربة بالسيف لم يقطع السيف بما هو سيف ، ولو لم يخلق الموت عند وجود الجراح لم يموت العدو إذ قد وجدنا في العادة مجروحين يعيشون ومضروباً بالطلعة يموت وآخر يموت بنزير ضرب . فصيح أن الموت خلق لله لا بنفس الضرب . وكذلك نجد سيفاً واحداً يضرب به في وقت فلا يقطع ، ويضرب به في وقت آخر فيقطع . فلو كان القطع له صفة نفس لما تبدلت في وقت دون وقت ؛ ولو كان عدم القطع صفة نفس له لم يقطع به أبداً . فصيح أن القتل والقطع والوقاية خلق الله وفعل له . وكذلك قول في الضارب . فلا فعل لمخلوق ولا تأثير . وقد نجد الموضع المخوف يجوزه من لا عدة له فيسلم ، ويجوزه صاحب السلاح فهلك . وقد نجد الجماعة الواحدة تقاوم العدو فيقتل أصحاب السلاح لأجل محاربتهم ، ويكون سلاحهم سبب هلاكهم ويسلم من لا سلاح له لكونه غير مخوف ويكون عدم سلاحه سبب سلامته . وقد انهكت المنفعة مضرة ، وضدها منفعة ؛ وهذا جار أبداً . فصيح بالبرهان أن الله هو الذي يدفع الشر ويقي كل ماهية من البأس ويحفظ الذوات الممكنة كلها . فهو السلاح ، وإخلاص الاعتماد عليه هو النجاح . ولا خير إلا منه وبه ، ولا شر إلا له وعنه . فإنه يجب الاستناد والتضرع ، وله يصح الدعاء والتضرع ، وهو الذي يجيب دعوة الداعي إذا دعاه ، وغيره لا يجيب ولا يستجيب .

فإن قيل : قد نجد من يدهو ويسأل حاجة ولا تقضى ولم تظهر الإجابة ؟ قلنا : الله قد وعد بالإجابة ووعده حق ؛ ولكن لم يمين الزمان ولا عين الحاجة . وإنما وعد بالإجابة قطعاً . فإن لم تظهر إجابة الداعي في الوقت فتظهر في زمان آخر ويتأخر زمان الإجابة أو يتقدم . أو لم يكن الدعاء بإخلاص ويشوبه الشرك الخفي ، أو الضعف في الإخلاص واللبس في تحرير القصد ، أو يكون العبد يسأل في حاجة يظن أنها منعمة له ونعمة ويعلم الله منها ضد ذلك فلو أجابه في تلك الحالة أو الحاجة بعينها لكانت عليه قمة وشرأ فندفها [ ٥٧ ] عنه وأجابه بدعائه ، إذ الدعاء لله يستدعي خيره ونعمته وإحسانه ؛ والعبد الحادث عاجز عن إحراك مصالحه وكشف عواقب الأمور ،

(١) أي صفة ذاتية ، في طبيعة السلاح .

والقديم - سبحانه ! - الكرم العالم بالخيرات النافعة لما رأى عبده قد دعه بالخير والإحسان وعجز عن معرفة ما يصلح به من أنواع الخير أجابه بالخير اللائق به والنعمة النافعة له وأرشده فيما عجز عنه إذ لو أجابه بين مادته فيه وهو يعلم أن فيه مضرة لم يكن محسناً من حيث علم مسئته يدعوه في الخير والنعمة ويحببه بالسيئة والنقمة . وإعما إحسانه أن يختار له ما هو خير له ونعمة ، ويرشد فيما عجز عنه إذ العبد الحداث عاجز من صفة نفسه . ولذلك قال سيدنا رضى الله عنه للشيخ أبي حنيفة الله الدون رضى الله عنه : « ادع ولا تعين مطلوباً » . فإن قيل : ما الفائدة في الدعاء إذا لم يبين مطلوبه ؟ قلنا : فائدة الإشعار بالاحتياج والالتجاء إلى الله والافتقار إليه حتى في العجز عن معرفة المصالح وطلب الإرشاد لها منه . ويكون الدعاء هنا بمعنى الذكر والعبادة والدخول في العبودية المنفردة من كل الجهات . ولذلك قال عليه السلام مخبراً عن الله أنه قال : « من شغلته ذكرى عن مسئتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين » . وأيضاً التزم الفعلية لا ثبوت لها ولا هي مطلوبة لأنها عند السمعاء إذ لو قدرنا عبداً منها وهو غافل عن الله غائب عن مشاهدة النعم في نعمه لكانت النعمة عليه قمة إذ هو غير ذا ذكر ولا حامد للنعم ، وأدى ذلك إلى كفر النعم ، والكافر بالنعم شقي ومحرور ، وكذلك الغافل عن الله . فلذا ذكر الله هو النعمة الكبرى فإنه يعرف الذاكر إلى الله الذي يراد لذاته ، وهو النعمة التي لا تأس بالنعم والتي إذا غفر به غفر بكل نعمة ، ويستغنى الذاكر بمشاهدته في مقام الإحسان وبحضوره عند كل نعمة ، كما قال عليه السلام : « أظن عند ربى يلتمنى ويستغنى » .

فإذا كان الذكر أكبر النعم كما ذكرنا فالغفلة والجهول عن الله أكبر النعم . فإذا دعا العبد ربه فقد ألم وأقيم في الذكر وبه عليه ، ورفضت عنه الغفلة والبعد عن الله ، وأقيم في الذكر والحضور والعبادة . فقد أجابه من حيث رفع عنه ضر البعد ومنه الغفلة ، وكفاه شر الشقاوة وأسبابها ، وأنعم عليه بالحضور والمشاهدة والذكر والعلم بانقذاره إلى بلرته ، وأحضره عنده مع الحاضرين السمعاء . فقد أجاب الله ما قبل دعائه من حيث أعطاه الدعاء من حيث أسمده به ، وأنعم عليه بمجته ومشاهدته . فكل داع لله مجاب بالضرورة التي [ ٥٨ ] ذكرناها من دفع قبح الغفلة وإعطائه نعم الحضور والذكر والمشاهدة - فاعلم ذلك .

وأيضاً الإخلاص هو تحرير القصد وتحرير الفرض لله تعالى كما تقدم رحمه . فإذا أخلص الإنسان قصده لله ، بمعنى أنه أرادته لذاته وأجبه لجلاله وكماله ، فلا يطلب منه النعم الفعلية ، فإنها تشوب لإخلاصه وتبطل كونه مخلصاً لأنه قد طلب منه أفضالاً ، والأفضال غير الذات ، ووقوع غير ذات المحبوب في قلب الحب إشابة واختلال في محبته . فإننا نقول : لو أن رجلاً ادعى محبة الملك لذاته وصفاته الذاتية له وشفق قلبه بجماله وكاله ثم طلب منه ألف دينار ، لكان ذلك طعناً فيما ادعاه واختلالاً في محبته إذ قد دخل في قلبه غير صفات الملك الذاتية وطلب منه اللواحق الخارجة عن ماهيته . فإذا ادعاه بالإخلاص لله هو تعلق الهمة والقصد والجللة بذاته والهيام بجماله وزوال الإضافة والفناء عن جميع المطالب ومحو الغيرية من قلب المخلص حتى يفنى عن وجوده ويصير شاعده هو مشهوده وعابده هو معبوده فهناك ينهب الإخلاص ، ويلقى السلاح ، وينادي به الكمال ، ويستجيب في ماهيته ويظهر عليه سراج ، وتذهب الأضداد والأغيار ، ولا يبقى خلاف يتحفظ منه ولا عدو يقاتل بالسلاح . وهذا هو معنى قول سيدنا رضى الله عنه : « والإخلاص بالإخلاص سلاح » .

وقوله رضى الله عنه : « وإياك من الأمل المهدوم والممل المهدوم » — الأمل : هو تعلق الرجاء ببقاء الحال الحاصل من الخير المحصل باستدعاء مثله وأحسن منه وانتظاره في الزمان المستقبل . كما نقول : نأمل الآن البقاء في الدنيا وكسب الأموال فيها . أو نقول الأمل هو تعلق النفس بخير إما حاصلًا تريد ثبوته وإما مقوداً تريد تحصيله أو مجموع ذلك . أو نقول الأمل تعلق النفس بصفت المملكة أو بنيلها . والمهدوم هو الشيء المنحل بعد تركيبه والمفسود بعد كونه . وبالجملة المبني هو الجسم المركب ، والمهدوم هو الجسم المنحل بعد تركيبه . وقد نقول المهدوم هو الشيء الذى تفرق اتصاله وانفصلت جواهره بعضها من بعض — فاعلم ذلك . والمهدوم هو المنتفى كما ذكره سيدنا رضى الله عنه في « الرسالة القدرية » . وقد نقول : المهدوم ما ذهب بعد إثباته ، كما نقول فلان مهوم إذا مات واقرض . وبالجملة المهدوم ما ليس بموجود كما رحمه سيدنا — رضى الله عنه — في « القدرية » .

ولما كان الأمل هو تعلق النفس بتغيرها ، واغلب ينقسم إلى مجود ومنهوم : فالمنهوم منه هو الثابت الذي لا انقطاع له ، وهو الجليل المتبر بصفت الكمال ؛ والمنهوم هو الناهب المنقطع ، وهو الخسيس المشار إليه [٥٩] بالنقص والزخلة قيد اللفظ بقوله « المهوم » . ولما كان العمل يتعلق بمكاسب ذاتية وعرضية قيد بقوله « المهدوم » . وذلك الأمل ينقسم بحسب متعلقه ، وهو واحد في التعلق فإن الأمل هو الإرادة والرجاء ، والإرادة والرجاء قد تتعلق بالدنيا ومكاسبها ، وتعلق بالآخرة ، ولذلك خصص اللفظ العام وقيدته لأنه لو قال : وإياك من الأمل — وسكت عند ذلك ، كان يلزم التحذير عن الأمل في الله وفي الجنة . ولو أطلقه أيضاً وأمر به مطلقاً ، كان يلزم التحريض عن الدنيا والأمر بها . وهو لا يجوز ، واحتاج أن قيد اللفظ المطلق فإن قوله « وإياك من الأمل » هو نهي مطلق ، فلما قال المهدوم ، وقع النهي عن الدنيا وبقي الأمل متعلقاً بالله وبالدار الآخرة ثابتاً على أصله . وذلك أن الأمل المهدوم هو تعلق الإرادة بالأمر الناهبة المحتلة وهي الدنيا ولو احتقنا . ويسمى الأمل مهدوماً لأجل ما هو متعلقه مهوم وذاهب . وهذا من قبيل الشيء الذي يسمى باسم متعلقه ، كما تقول همة خبيسة إذا كان متعلقها خبيساً . ولما كانت الدنيا سريعة الانتقال وقليلة الثبوت ولذا لها تكون في وقت دون وقت ، وما من لذة تتصور فيها ولا خير ينشئ<sup>(١)</sup> ويتركب ويوجد في ساعة من الزمان إلا ويتحلل في الثاني وينهب ما ثبت منها وينعدم ما بقي فيها : مثل لذة الجماع إنما هي زمان فرد ويدخله الألم لأنه لذية وجميع ، وكذلك الأكل وخيره إنما هو في زمان مناوئته فقط وفي عقبه تذهب تلك اللذة ويبقى الخبر يتلذذ بما يستقبل من مثله في وقت آخر . وهذا خبر وهمي ، فإنه يتلذذ بشيء غير موجود في الحال وقد يحال بينه وبين ما أمله من ذلك ويأتيه ضده ويسلب عنه هو إما بالمرض أو بالقسلة أو بالموت . وكذلك القول في اللباس يبقى مركبه ويبلى جديده . وبالجملة ، تفتأ أكثر من نسيها وقبضها أكثر من بسطها وتقطع بالموت وينهب وجودها بالجملة ؛ فهي مهدومة بالضرورة والأمل المتعلق بها مهوم ، والمائل لا يتعلق بخير يعلم أنه يفقده ويتفصل عنه بالضرورة . فنقول : الأمل المهدوم هو المتعلق بتدبير الجسم لأن الجسم مركب من أعضاء ومن

---

(١) بمعنى : يتفأ ، يكون .

بساطه ، وكل مركب من أشياء كثيرة ينحل إليها ، والجسم مركب من أشياء فهو ينحل إليها ،  
والانحلال هو الهدم ، والمنحل هو المهدوم ، والجسم منحل فهو مهدوم . والأصل المتعلق بالمهدوم مهدوم .  
وبناء الجسم معلوم عادة وطبيعة وشرعا : أما عادة فظاهر لأننا وجدنا الأجسام تنحل وتذهب ،  
وأما طبيعة فهو ما ذكرنا من انحلال المركب من البساط التي تركب منها ، وأما شرعا فقولته تعالى : « كل  
من عليها فان »<sup>(١)</sup> ؛ وقال في النفوس المدبرة للأجسام : [ ٦٠ ] « كل نفس ذائقة الموت »<sup>(٢)</sup> ، وفي النفوس  
المتوجهة لله الساعية في مرضاته : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا ، بل أحياء »<sup>(٣)</sup> الآية .  
والحكاهم الإلهيون يقولون إن النفس المدبرة للجسم هي النفس الحياتية وهي فانية بإجماع لفناء مركبها ،  
والنفس المستقيمة عندهم على التوجه وطلب الحكمة والبحث عن المعارف والهبه للباري تعالى  
وطالبة القرب منه هي النفس الناطقة ، وهي باقية أبداً بإجماع منهم . والذى اختلف في بقائها رجع  
عن قوله وقال ببقائها . فإذاً المتعلق بالأمر المدبر للجسم هو النفس الحيوانية أو خبرها ، والأصل  
المتوجه لله ولمعرفته هو خبر النفس الناطقة ، ومتعلق النفس الحيوانية هو الجسم ولذاته ،  
ومتعلق النفس الناطقة ومحبوبها هو الحق . والجسم مهدوم ومضمحل ، فأصل النفس  
الحيوانية مهدوم ومنحل ، وأصلها هو جوهرها ، فجوهرها مهدوم . وأصل النفس الناطقة  
هو الله ومعرفته ومحبته والنظر إليه ، ومعرفته ومحبته والنظر إليه هو جوهرها . والحق  
دائم لا يزول ، فالنظر إليه دائم لا يزول ، غايتي بالله ثابت . والمتعلق بالجسم ذاهب ،  
والذاهب مهدوم ، والثابت لا يهدم أبداً . وهذا وإن كان يحتاج إلى مقدمات وإقامة برهان على  
أن جوهر النفس الناطقة هو النظر إلى الحق وأن المدبر للجسم هو النفس الحيوانية > فإنه <  
يحتاج إلى تطويل ، ولا حاجة بنا إليه في هذا الكتاب ولكن هو مذكور في كتب القوم  
ومقدماته عليه صادقة ؛ وقد ذكره سيدنا رضى الله عنه في « بد العارف » وفي « مسائل

(١) سورة (الرحمن) آية : ٢٦ .

(٢) سورة (آل عمران) آية : ١٨٥ .

(٣) سورة (آل عمران) آية : ١٦٩ .

صاحب عقلية<sup>١</sup> فانفرد هناك، أو اسألني عنه . شافهة أو اقنع فيه بالآيتين المتقدمتين في النفس التي لا تموت، وفي النفس التي تخوق الموت وركب عليها مقول ما ذكرناه ونظمه إن شاء الله . ويكتفيك فيه علمك بأن الجسم فإن كما ذكرناه ، ولقد اتفقنا بنسائهم وأن الحق بلى ، والمنة بمعرفته ومحبتة تبقى ببقائه متعلقها — فاعلم ذلك . ونقول : التعميم عرض والعرض إلى ضد ومثل وغيره وخلاف ، ونعيم الدنيا تخلق أضداده وأغياره ، والشيء ينهب بضمه ويحول بغيره ، وكل ذاهب مهدوم . فنعم الدنيا مهدوم ، ونعيم الآخرة تخلق أمثله ، والموجود في المثل هو الموجود في مثله فهو دائم أبداً ، وما هو دائم فليس بمهدوم . ونقول : العالم بأسره ممكن الوجود ، والممكن الوجود لا فعل له ولا تصرف له ، والواجب الوجود له الفعل والتصرف .

والأمل ينقسم إلى قسمين : أمل يتعلق بالعالم ، وأمل يتعلق بالله . فالأمل المتعلق بالعالم لا يحصل له أأمل إذ العالم لا يفعل ، فهو أمل مهدوم من حيث أن حقيقة [ ٦١ ] تركيب الأمل هو نيل مطلوبه ، فإذا لم ينل مطلوبه لا تركيب له ، فهو مهدوم . والأمل المتعلق بالله ينال مطلوبه ، لأن الله هو الفاعل المتصرف ، فالأمل المتعلق به غير مهدوم . ونقول : العالم الممكن لا وجود له من نفسه ، ووجوده بالله عنه وعنده ، فهو ينحل إلى فاعله بالاستحقاق . وما هو منحل إلى شيء فهو مهدوم . والأمل خير عن موجود يعتمد عليه ، والعالم مهدوم كما ذكرناه ، فالخير المتمد عليه مهدوم ، والحق وجود ثابت بنفسه لا يتبدل ، والخير المتمد عليه متعلقه لا يتبدل ، فالمتعلق لا يتبدل . وأيضاً الوجود هو واحد ، وهو الله ، وهو الوجود المطلق . والعالم لا وجود له إلا به وفيه كما تقدم ، فالعالم قضائاً تماثل في الوجود المطلق ، وهي زائلة في أنفسها ثابتة به ، فهي أمثلة ومراتب فيه لا تتغيره . فالخير المتعلق بها أمل مهدوم لأن الوجود يزولها ويأخذها استحقاقاً ، وكل زائل مهدوم ، والخير المتعلق بالمهدوم مهدوم . والوجود المطلق هو الوجود حقيقة والمراتب لا تنجز عن أنفسها ولا عنه ،

---

(١) هنا دليل قاطع على أن «مسائل صاحب عقلية» التي طبعت بعنوان: «الأجوبة عن الأسئلة العقلية» (لشرها شرف الدين يلتقيا وهنرى كوربان في بيروت سنة ١٩٤١) هي لابن سيمين ، ولا مجال بعد هذا لأي شك في صحة نسبتها إليه ، كما ذهب إلى هذا الشك ماسييون . إذ الفارح تلميذ ابن سيمين ، حين ينسبها إلى ابن سيمين ينسبها عن قبح .

إذ لا وجود لها في أنفسها ، ومن لا وجود له لا يأمل ولا يخبر . فإذا لا خبر ولا أمل إلا في خبر  
الوهم الذي يشر بالإضافة ، والإضافة كلها كذب وخرافة ، فلا أمل ولا آمول في الوجود  
حقيقة . فقد ذهب الأمل وثبت الحق الذي لم يزل . فالأمل كله : الخيس منه والرئيس — معدوم  
في الحقيقة ، وفذهب لا وجود له ، ومن لا وجود له فهو معدوم بل معدوم لعينه . وهذا هو معنى  
قول سيدنا رضى الله عنه : « وإياك من الأمل المهذوم » . وهذه الألف واللام تأخذ في التفسير الأول  
لتبيين الجنس ، وفي هذا الآخر للمبد ، وفي البداية والسلوك خرج عن الأمل مقيداً ، وفي هذا الوطن  
أخرج عنه مطلقاً بل لا فحده من نفس هذا المقام . وهذا هو معنى قول سيدنا رضى الله عنه :  
« أنم على بخير يقطع الأمل » <sup>(١)</sup> — لكونه الجامع المانع . وهذه الكلمة مذكرة في « وحى  
الاستخارة » <sup>(٢)</sup> > تنبته الإضافة والوهم وينهيه التحقيق والفهم — فافهم ذلك . وكذلك  
القول في العمل المندوم . فإن العمل هو تصريف النفس بالآلات الجسدية والروحانية للكسب  
والتحصيل ، والكسب هو تحصيل الخيرات المحبوبة للنفس ، كما تقول : كسبت مائة دينار  
وكسبت علم الأصول وما أشبه ذلك . ولما كانت الدنيا بالعمل والخدمة — مثل الصنائع والتجارا  
وما أشبه ذلك — والدنيا مضمومة وذاهبة كما تقدم ، فالعمل لها وفيها معدوم . ولما كان العمل  
ينقسم إلى عمل يحصل على السعادة والكمال والرفعة ، وعمل يحصل به الدنيا ومرايها ، والسعادة  
والكمال باقية وثابتة والدنيا ولواحتها مضمومة ، أطلق القول في الأول بقوله : « وإياك من  
العمل » وقيد بقوله : المندوم ، لأن العمل لا فائدة له إلا تحصيل المطلوب المعمول عليه والعمل للدنيا  
والآخرة والدنيا مضمومة ، فالعمل لتحصيلها معدوم ، والآخرة ثابتة وباقية فالعمل للآخرة موجود  
ثابت وباقي أبداً . [ ٦٢ ] فهناك عن المندوم وبقي الموجود على أصله . فنقول : العمل هو الحركة  
في تدبير الجسم ، والجسم ممدوم بالطبع كما تقدم ، فالعمل في تدبيره معدوم . ونقول : العمل  
ينقسم إلى : عمل يستجاب به شهوات النفس الحيوانية ، وعمل يحصل به كمال النفس الناطقة ؛  
والنفس الحيوانية مضمومة ، فالعمل لشهواتها معدوم . والنفس الناطقة باقية ، فالعمل لكمالها باق  
أبداً . وأيضاً : العمل ينقسم إلى صالح ، وغير صالح ، والعمل الصالح من أخلاق الله ، والفكر صالح



من أخلاق الشيطان يؤدي إلى اغترس والثبات ، والعمل الخير صالح يؤدي إلى الخسر ، فهو معدوم من حيث أن لا منفعة فيه ، ومعدوم من حيث أنه يقطع عن الله . والله هو الوجود حقيقة ، والمقطع عنه معدوم . وأخلاق الله صفاته . وصفاته لا تفارقه ، والعمل الصالح لا يفارقه ، لأننا نقول : العمل الصالح أخلاق الله وصفاته ، وأخلاق الله وصفاته لا تفارقه ، فالعمل الصالح لا يفارقه ، فهو موجود أبداً . وأيضاً العمل يطلب به تحصيل الخير النافع ، والخير موجود ومطلوب يشار إليه . والموجود ينقسم إلى واجب الوجود ، وممكن الوجود . فالواجب الوجود هو الله ، وهو الذي قام بنفسه وقام به غيره . والممكن الوجود هو العالم ، وهو الذي لم يتم بنفسه ولم يتم به شيء . والعمل طلب : منه ما يتعلق بالممكن ، ومنه ما يتعلق بالواجب . والممكن إذا طلب منه الخير لا يعطيه ولا يقدر عليه ، إذ ليس هو قائم بنفسه . فالعمل الذي يطلب به الخير من الوجود الممكن معدوم إذ لا خير له ، والعمل الذي يتعلق بالواجب يحصل به الخير ، إذ الواجب الوجود هو المفيض للخيرات ومعطياها على الإطلاق . فالتوجه للعالم عمل معدوم ، والتوجه لله عمل موجود . وأيضاً الله مقوم كل موجود ممكن ومنممه ، فهو ماهية كل ماهية ممكنة ومستحقها ، فهو ماهية الطالب والمطلوب . والخير الموجود في الماهية المطلوبة هو بعينه الموجود في الماهية الطالبة ، إذ هو الوجود في كل موجود ، والوجود لا يختلف بما هو موجود . فهو واحد في كل ماهية . والخير المطلوب في مظهر ما هو الموجود بذاته في الطالب . فالتغير إذا حصل ، والطلب وهم ، والطلب هو العمل ، فالعمل وهم ومعدوم في الحقيقة على الإطلاق ، لأننا نقول : العمل يطلب به الخير ، والخير هو الله ، وذاته هي الخير المحض ، والله هو وجود كل موجود بما هو موجود ، فهو حاصل في كل ماهية والحاصل لا ينتفى ، والراغب يرضى والجاحد لا يسوء والطالب لا يلتقي والباطل لا يبقى والراكب لا يشقى والأوج لا يرقى ؛ غلط وأقلع وأهرب واجمع وواصل واقطع — يصبح لك ذلك إن أرادك لذلك .

قوله رضى الله عنه : « ومن الأمور التي تفسر حكمة العادة وأصول السعادة » — العادة هي ارتباط موجود بموجود من غير قضية شرعية لا عقلية ، والحكمة العلم [٦٣] والعدل ووضع الشيء في محله ، والحد الأول ذكره سيدنا رضى الله عنه في « الرسالة الرضوانية » وحد الحكمة ذكره في « الاصبعية »<sup>(١)</sup> وغيرها . والأصول جمع أصل والأصل ما ثبت حكمه بنفسه ، والفرع ما ثبت حكمه

(١) ص : الاصبوعية — وقد ورد اسمها قبل ذلك : ( الاصبعية ) وهو الصواب ،

بنيده . وقد تقول : الأصل هو ما لا يكون محمولا على غيره . كما أن الفرع هو المحمول على الأصل .  
وهي السادة المذكورة ، فإنه ذكر الأصول ، وأضاف إليها السادة . فالسادة فرع محمول على  
أصول يأتي ذكرها إن شاء تعالى . والسادة هي تحصيل المطلوب المحمول عليه أو هي اللذة الدائمة  
الناشئة ، أو هي كمال الإنسان .

وأما قوله « الأمور التي تفسد حكمة العادة » — فهي السكسل عن التوجه والغفلة والملل واتباع  
الموى ونيل الشهوات الحيوانية والجهل . فهذه من الأمور التي تفسد حكمة العادة ، وهي مما ذكرها  
هوف بعض « الرصايا » . وإضافة الحكمة للعادة أراد بها التي تخرق بها وتقطع إذا قدر على قطعها ،  
ولا تضعف بالحكمة شيئا شيئا حتى تقطع لا أنها تهوى وتزيد ، لأن قوله : « حكمة العادة » يحتمل أن  
تقوى بها العادة أو تضعف وتقطع . فلما علمنا أن العادة من القواطع المهلكة والحجب صرح عندنا  
أن السادة لا تنال إلا بخرقها ، وعلمنا أن مراده الحكمة التي تخرق العادة وتمحلها . وهو قد ذمها  
في كتب كثيرة بقوله « العادة مهلكة » وقوله « خوف ما بعد العادة حرام » . فصيح أن مراده  
ضعف العادة وقطعها وزوالها . والحكمة التي تفارقها وتخرقها هي الشريعة ، لأن العادة هي الاستناد  
إلى المألوف ، والوقوف عنده ، والميل للروابط ، والشريعة تفسد ذلك من صفة نفسها ،  
لأن أول وظيفة من الشريعة كلمة « لا إله إلا الله » ، وفي ضمنها أن لا فاعل إلا الله . والعادة<sup>(١)</sup>  
ارتباط موجود بموجود ، كارتباط الزرع بالمطر والري بالماء . وكلمة لا فاعل إلا الله أفسدت ذلك ،  
فلا الخبز يشيع ولا الماء يروى ولا المطر ينبت الزرع ولا الأب عادة ذاتية في وجود الولد ، ولا  
شيء يضل شيئا من الأشياء المتائلة . فإذا العالم كله قضايا مفردة ، متائلة في الحدوث والافتقار ،  
ولا ينفع بعضها بعضاً ولا يضر بعضها ولا ينفعه . فقد انخرقت العادة بأول وظيفة من وظائف  
الشرع ، لأن العادة توهم أن الأشياء بعضها من بعض ، ومقترة بعضها إلى بعض ، وعلل بعضها  
في بعض . ولا فاعل إلا الله ، أزال ذلك كله ، وجذب الروابط ، وصرف الموجودات كلها إلى الله  
صرفاً واحداً وتضمن أن الحادث من كل الجهات لا يكون مستقلا بوقت ولا في وقت من الأوقات ،  
فصح أن الحادث كله لا يفارق فاعله وأن الفاعل له هو صورته المقومة والمثمة ، فهو إذا ما هيته .

فصح من ذلك أن الله هو ماهية كل موجود وبُذِه . فإذا كان ذلك فلا وجود إذا لغيره معه ولا مادية . فقد أعطت [٦٤] كلمة « لا إله إلا الله » أن لا موجود إلا الله في النظرة الثالثة ، كما أعطت في الأولى أن لا فاعل إلا الله . فإذا العادة هي خبر الضمير عن القضايا وربط بعضها إلى بعض في المن ، ولا ارتباط بينها في أنفسها ولا اختلاف بينها في الوجود . فالعادة خبر في الضمير لا غير ويمنع الضمير عن ملاحظة الوحدة الوجودية ودفع الأغيار ، ولأن ملاحظة الوحدة هو السكّال والسعادة الأبدية ، والعادة تمنع ذلك فتمنع السعادة والسكّال ، والشرية تخرق العادة وتزيلها ، فالشرية تنفيذ السعادة والسكّال والرفقة والبقاء الدائم ومشاهدة الصمدية . فالشرية هي الحكمة التي بها تزال العادة وتزال السعادة .

وكذلك القول في الصلاة : فإن الصلاة تزيل النفس عن شهواتها ، وتخرجها عن اختياراتها ، وتمحو أخبارها وتصرفاتها وتصرف النوات إلى مناجاة الله تعالى والحضور بين يديه ومشاهدته في مقام الإحسان ، لأن العبد المؤمن قد استقر في إيمانه أن الله هو فاعل كل شيء وخالقه والمحسن للأشياء على الإطلاق ، وأن الطامع له يحمله إلى جنته ورضوانه ، وأنه هو المولى الذي تجب طاعته وعبادته . فإذا قام إلى الصلاة علم أن الله قد ألهمه ونبيه ، وإذا صلى علم أن الله قد أقامه فيها وأمانه عليها ورحمه بها ، فلم أن الصلاة نعمة من الله منحه إيها ، ونعمته لا تفارق يده ، وأنه معها بالإيجاد والمخلق ، فشاهد الحق بالحق وارتفع عنه وهم الإضافة ووهم نفسه من حيث رأى المصلّي له هو المصلّي وأن شهوده هو الشاهد والشهادة معاً . وهذا هو معنى قول النبي ﷺ « أن تعبد الله كأنك تراه » - الحديث . فقد انخرقت العادة في الصلاة ، بل ذهبت وزالت .

فالشرية هي الحكمة التي تنهب العادة وتنفيذ السعادة ، لأننا قول : الله هو الخير الذي يراد لذاته ، والسعادة هي نيل الخير وتحصيله ، والشرية تحمل إلى الله كما تبين في الكلام على الشهادة والصلاة ، فالشرية تحمل إلى السعادة . وقول : الله هو الموجود الحق ، وهو مطلوب السعداء . ويعرفه ومشاهدته تنال السعادة ، والشقاوة في البعد عنه والجهل به . والعادة هي تعجب عن الله ، والحجاب هو البعد والشقاوة . فالعادة أصل البعد والشقاوة . تخرقها وإزالتها ذات الترب والسعادة .

والشرية تغرقها وتزيلها . فالشرية أصل السعادة . لأننا نقول : البعد عن الله بهم العادة ، والشرية تزيل ذلك الوهم ، فالشرية تزيل البعد . والبعد ضد القرب ، فزوال البعد نيل القرب ، فالشرية تفيد القرب من الله . والقرب منه هو السكال والنعيم الدائم ، والسكال والنعيم الدائم هو السعادة . فالشرية تفيد السعادة ، وبها هو وهو بها . وهى شرط فى نيلها وما [ ٦٥ ] هو شرط فى وجود الشيء فهو أصله ، فالشرية أصل السعادة .

والكلام فى باقى الدعام ، وكونها تغرق العادة مثل الكلام على السكامة . والصلاة وإن اختلفت أحوالها بالكيف فهى تنفق بالمعنى والانفعال من حيث تزيل العوائد وتحصل إلى الله . وذكرت لك البعض منها لى يفيدك الأمودج وتستدل بالتنوع على جنسه وبالمثل على مثله . والكلام على الدعام الخمس وتبين معنى كل دعامة قد ذكرته فى كتاب « الأنوار »<sup>(١)</sup> فانظروا هناك . فقد تبين لك أن الحكمة التى تزيل العادة وتفيد السعادة هى الشرية ، والأمور التى تنفسها هى الشهوات الحيوانية ونيلها وتعلق الأمل بنيلها وجنسها . وقد تقدم بيان ذلك فى الكلام على الأمل المهدوم والعمل المهدوم ، لأنه جمل الأمور التى تنفس حكمة العادة مذكرة ومعطوفة على اللفظ على الأمل المهدوم والعمل المهدوم ، لأنه قال : « ولماك من الأمل المهدوم والعمل المهدوم » ، ومن الأمور التى تنفس حكمة العادة وأصول السعادة . والمعطوف يرجع حقيقة إلى الذى عطف عليه ، وهو هو بعينه . فصح أن الأمور التى تنفس حكمة العادة وأصول السعادة هى الأمل المهدوم . والعمل المهدوم قد تقدم تفسيره وشرح منه — فاعلمه من هناك .

فترجع فنقول : الأمل خير يتعلق بالشهوات الحيوانية ويشخصها فى الضمير وأمله . وأشخاص الشهوات فى الغلب تصعب الضمير عن مشاهدة الوحدة القائمة به ، والحركة للتبيل تزيل الإنسان عن السكينة التى كان بها مقبياً فى حقيقة<sup>(٢)</sup> . فالشهووات هى الحجاب وذات البعد ، والشرية تزيلها وتمهلها ، فالشرية تزيل الحجاب وترفع البعد . وزوال الحجاب هو عين الرؤية لله ، وزوال البعد هو عين القرب منه ، والقرب من الله ومشاهدته هى السعادة ، والحجاب عنه والبعد هما الشقاوة ، والشرية

(١) هذا الكتاب للعارح لا لآين سبعين . (٢) فى المامش . وفى الصلبي: حركته .

نزول الشقاوة . وتنبؤ السعادة . والميد للشئ هو أصل في وجوده ، فالشريعة هي أصل السعادة . وأحكامها ووظائفها هي أصول السعادة .

وبيان ذلك أن العبادات الشرعية مجموعة من نية وعمل . والنية في القلب ، والعمل في الجوارح . والنية تتعلق المقصد بالله وتصور ما يجب له . فقد انصرف الضمير إلى الله ونال منه أمل العاجل وأخير الشهوات . والعمل الشرعي يصرف الجوارح كلها إلى الله ، معناه : في عبادة الله . فقد تعطل من الجوارح كسب العاجل ، وذهبت الشهوات العاجلة والظاهر والباطن ، وانصرفت الجملة إلى الله واستغرقت الأزمنة فيه بالجملة . والشهوات هي عين البعد والحجاب كما تقدم ، فدهابها هو نيل اقرب والسعادة والكمال . وأعمال الشريعة أصل ذلك ، فأحكام الشريعة هي أصول السعادة [٦٦] وحكمة المادة كما ذكرنا . فاهم ذلك وتصنع الكلام المتقدم والمتأخر — ينشع لك معنى ذلك وتجيد ذاتك مقيمة في حضرة ذلك .

قوله رضى الله عنه : « ومن اودع الملل فإنه قبيح في كل الملل » — ضمير معطوف على النهى المتقدم الذى نهى فيه عن الأمل المهذوم والعمل المنوم وما بعده ، فكأنه قال : وإياك أيضاً من اودع الملل — فهذا نهى ؛ وقوله : فإنه قبيح في كل الملل — خبر . فنبدأ ببيانه فنقول :

الود هو الميل إلى شئ ما يُقصد ترجيحه على غيره ، كما تقول نود فلانا بمعنى تميل إليه وترجحه على غيره كأنه من أنواع المحبة ، لأن المحبة بعض حدودها ميل دائم وقلب هائم ، ومعنى ترجيح المحبوب وتعظيمه على كل ما سواه . والود ميل بقصد ترجيح كما ذكرنا ، لكنه ليس فيه الهيام والاستغراق الذى في المحبة . فهو مع المحبة بالجنس ويتأخر عنها بالنوع والفصل ، لأن المحبة أفضل منه وأقوى ترجيحاً وأشد استغراقاً ، فهو يطلق معها باشتراك وكأنه أقرب للإرادة ؛ أو هو الإرادة لأنك تقول وددت فلانا بمعنى أردته ، وتقول نود أن لو كنت في مكة ، معناه تريد أن لو كنت في مكة . فهو الإرادة واحد بالمعنى . والإرادة تخصص مرادها أيضاً وترجحه على غيره . وكذلك الود ، لكن الود أنخص منها قليلاً وأشرف ، لأن الود يشعر بالتأكيد في الميل إلى المودود والأنس به والذلة . والإرادة أفر منه في ذلك ؛ فكأنه رتبة فوق الإرادة ودون المحبة .

والمثل هو منافرة المؤلف بعد الملامة ، أو هو الاستيحاش بالشئ بعد المواجهة به ، كما تقول :  
 ملئت فلانا ومن محبته بمعنى نافرته بعد محبته واستوحشت به بعد الأنس به . أو قول : المثل هو  
 رفض الشئ بعد قبوله ، كما تقول ملئت السمك بمعنى رفضته بعد أكله ، وملت الغنائى بعد سماعها  
 وما أشبه ذلك . وبالجملة ، المثل هو الانصراف عن الشئ ومنافرته بالكليّة ودفعه والانفصال منه  
 بعد مؤلفته والاتصال به وجذبه . ولما كان الحث في هذا الغرض يمر إلى طلب السعادة والكمال ،  
 والسعادة والكمال لا يتوصل إليهما إلا بشروط ومقدمات ، والشروط والمقدمات تحتاج إلى استعداد  
 وأدوات يطول ذكرها لكن نذكر منها هنا ما يفيد الأمّوذج فنقول : قد تقدم في غير ما موضع  
 من هذا الكتاب بيان أن السعادة هي المعرفة بالله والإقامة في حضرة وشاهدته ونيل رضوانه  
 وتحصيل الكمال الإنساني والنعم الباقى وما أشبه ذلك . وهذا كله لا ينال إلا بالقصد الصحيح  
 والتوجه والصدق واستصحاب الحلال الذى لا يفتك لإلّا بئيل مقصوده . والمرشد المعلم الناصح [٦٧]  
 الخبير بالطريق القاصد الموصل للمطلوب بالوجه الأقرب ، إذ الطرق كثيرة ولكن القاصد منها  
 القريب المسافة الآمن من الآفات هو الذى يطلبه السعيد ، فلا بد من المرشد ضرورة إذ الطالب  
 القاصد لمطلوبه المتوجه إليه لا يه من دليل ، وهو المرشد الحامل على الطرق المذكورة . والدليل  
 لا بد للماشى خلفه من تبعيته وتقليده وتسليم أموره كلها إليه وترك كل شئ من أجله والعزم  
 والجد في المشى وراعه والتبعية ، حتى يبلغ التابع إلى مقصوده ويقع في حضرة مطلوبه ومحبوده .  
 وهذا كله يحتاج إلى اود وعدم المثل لأننا نقول : اتقو المرشدون<sup>(١)</sup> لم تقفرو > لأنك > تمتد أنه  
 أعرف الناس بالطريق وأنصحهم وتمظه وترجعه على كل شئ لم تمتد<sup>(٢)</sup> به وتقلبه ولا تسلم نفسك  
 وأحوالك إليه ، إذ لو رأيت بدلا منه لم تقفرو هو ولا انحصرت إليه . فإذا ما اخترته إلا وقد  
 عظمت وترجعت . وتمظيمه وترجيحه والأنحطاط إليه هو المحبة ، لأن المحبة حدها وجود تعظيم  
 في القلب بمنع الحب النظر إلى غير محبوبه . فهذا الود والمحبة شرط في الاقتداء ، والاقتداء  
 يوجب تسليم الأمور وتمليك النفس المقتدى به . وههنا أيضاً المحبة والود ، لأن الحب من شأنه  
 إثارة المحبوب على نفسه . والمحبة والاقتداء تحتاج الثبوت والملازمة ، والمثل يوجب الانفصال

والانصراف إذ حده هو منافرة المألوف بمد ملازمته والانفصال عنه بمد الاتصال به ، وهنا يفند الاقتناء ويقطع السالك عن محبوه ويحول بين القاصد ومقصوده ويؤدى إلى الشقاوة والهلك . ولا شيء أقبح من الهلك والشقاوة فى كل ملة . إذ الحب إذا مل محبوه نافره وتمود لذة المحبة ألما وتذهب لذة المحبة ويقع ألم المنافرة . فلا شيء أقبح من الملل . وأيضاً المرشد دليل يحصل المسترشد إلى سعادته ومطلوبه ، فإن مل من اتباعه وملازمة ذاته والمشي على إثره انقطع عن الطريق وفاته ، مطلوبه وسعادته . وفوت السعادة هو البقاء فى الشقاوة ، ولا شيء أشنع من الشقاوة . ولذلك قال : « وإياك من الود مع الملل فإنه قبيح فى كل الملل » . والنهى إما عائد على الملل الذى يرفع الود ، لا على الود إذ الود محمود شرعاً وعقلاً وهو حاصل كل قاصد إلى مقصوده ، إذ القاصد لولا وده فى مقصوده ما تحرك إليه ، ولو لم يتحرك إليه لم يصل . الود أصل فى تحصيل كل مطلوب ، والملل قاطع لكل مطلوب ، وآفة كل قاصد وراغب ، فهو قبيح بالجملة وأصل كل آفة وعلة . فنقول : الود هو حركة الضمير إلى المحبوب المراد والانصراف إليه ، واستصحاب الود يثبت قدم التوجه وثبوت التوجه يوصل [٦٨] إلى المطلوب المحبوب ، والمحبوب هو الله وهو الخير (١) المحض ، والوصول إلى الخير المحض هو السعادة ، واللذة والملل يمنع ذلك كله ، فالملل أقبح ما يكون فى الملل لأن الملل زوال الود ، وزوال الود يطل التوجه ، وتعطيل التوجه يوجب عدم الوصول إلى الله تعالى ، وعدم الوصول إلى الله هو الشقاوة ، فالملل يوجب الشقاوة ، والشقاوة مكروهة وقبيحة فى كل الملل ، فالملل قبيح فى كل الملل . وذلك أن الملل هى القوانين الموضوعة على ألسنة الرسل ، وهى الشرائع الحاملة إلى الله والسعادة ، وهى طرق يسلك عليها المتوجهون ، وأصل السلوك عليها هى المحبة لله ، والوسائل الحاملة إليه ، والملل يزيل المحبة ، والمحبة أصل السلوك ، فالملل يمنع بطبيعته السلوك . وعدم السلوك يوجب الشقاوة ومنع تبعية الرسل ويصد عن الله ويؤدى إلى سخط الله ، وهذا أقبح ما يكون فى كل الملل .

فنقول : الملل كلها تطلب الله وتحصل إليه ، والملل يقطع عن الله ، فالملل قبيح فى كل

(١) لاحظ هذا التمييز وصلته بكتاب « الخير المحض » لبرنلس . وراجع كتابنا « الأنطولوجية المهددة عند العرب » ، القاهرة سنة ١٩٥٥ .

المِلَل ، إذ الاتقطاع عن الله يضاد ما جاءت به المِلل ، إذ المِلل تحمل إلى الخير المحض ، والخير المحض حسن ، والمِلل يقطع عن الخير ، والاتقطاع عن الخير إقامة في الشر ، والشر قبيح في كل المِلل ظالم قبيح في كل المِلل . فاعلم ذلك . وأيضاً الود هو الميل إلى مشارٍ ما وترجيحه على غيره والآنس به ومحبه ، والمِلل هو منافرة ذلك المشار والانصراف عنه وتركه ومحبه هي الأولى : لم تكن إلا لأجل توم الخير فيه ، أعني ذلك المشار إليه ، إذ المحبة لا تتعلق إلا بالخير ؛ والله والرجوع عنه لم يقع إلا لعدم تمييز الخير في ذلك المشار ، إذ الخير لا ينصرف عنه من ذاته ، فدل على أن الخير لم يكن في ذلك المحبوب إلا بالعرض ، إذ لو كان بالثبات لم يتبدل . والخير العرضي لا يكون إلا في الأجسام ، والأجسام هي التي يعود ودعا مللاً . فقله : « وإياك من الود مع الملل » نهى عن محبة الأجسام والتعلق بها إذ هي متبدلة ومنقطعة . وأيضاً : الله هو الفاعل لكل موجود والمقوم لماهية الأشياء على ما هي عليه ووجوده في كل ماهية بما هي ماهية ، وهو المحبوب الأعظم والخير المطلوب الذي لا يطلب معه خير ولا يوجد خير سوى خيره . فلا محبوب إذاً إلا وهو المحض والمحبوب الأعظم عنده قل هو ، فلا محبة ، إذ المحبوب هو المحب بعينه ، والواحد لا يجب ذاته وهو هو . فصح من هذا أن الود وَثَمَ قسم الوجود ورجح بعضه على بعض ورفض الحق الحاصل واتهمه عنده ، وفرض الباطل وذلّ تحت ذله ، وصار عبده [ ٦٩ ] فلاود إذاً ولا ملل . فخرج من هذا أن الود خير بشر بالإضافة ويميل إلى مظهر لا وجود له خارج الذهن ، ولذلك وقع الملل لكون متعلق الود ليس له وجود . فالود والمِلل خبران متوهمان في الضمير يستران التحقيق ويعلان التصديق . ولذلك نهى عنهما . والمِلل نُكْتُتْ تقرر وهم الحاصل وتدفع وهم الباطل — فاعلم ذلك .

قوله رضى الله عنه : « والسعيد هو المصلح أعماله ، المطروح لله تعالى ماله » — السعيد هو الظافر بالخير المحض ، والخير المحض هو الله ، فالسعيد هو الظافر بالله . والظفر بالله يكون بأمرين : أحدهما بالمعرفة به والآخر الشبه ، والمعرفة به هي رفع النكرة . وقد تقول : زوال الجهل والشبه هو التخلق بأسمائه ، وزوال التوجه يكون بالتوجه والبحث وإلزام المرشد والنظر في العلوم النافعة الموصلة . وهذا يحتاج إلى الاشتغال والملازمة والتوجه في الأزمان كلها ، ويؤدى هذا إلى ترك البطالة ورفض السكب



العرضى والزهد فى الشهوات العاجلة بمجملتها . فترك الدنيا مقدسة صادقة فى التوجه إلى معرفة الله .  
 والتشبه بالله هو التخلق بأسمائه كما تقدم ، وهو الانصاف بالرحمة والعفو والمغفرة والكرم والوهبة  
 والجود والإحسان وما أشبه ذلك . والسكرم هو الذى يعطى بالمسئلة ويعطى البعض ، والوهاب هو  
 الذى يعطى من غير مسئلة ويعطى الأكثر ، والجواد هو الذى يعطى كل ما عنده بالمسئلة وبغير  
 المسئلة ، والعفو هو الذى يعفو عن الزلات صفائرها وكبائرها . وهذا يؤدى للتخلق بهذه الأسماء إلى  
 ترك حقوقه بالجللة والإحسان المطلق . وهذه مقدسة صادقة أيضاً فى التخلق بالأسماء . والتارك  
 لحقوقه قد اطرح لله ماله . والمقدمة الأولى التى قلنا إنها الزهد فى الشهوات ، والشهوات من  
 خصوص النفس وملكتها فالزاهد فيها قد اطرح لله ماله . ومن ترك حقوقه وزهد فى شهواته فقد  
 صلحت أعماله واطرح لله ماله . ونيل الشهوات هو سبب الشقاوة ، فازهد فيها هو سبب السعادة .  
 فالزاهد فى شهواته سعيد . فنقول : ترك الشهوات يؤدى إلى استقامة التوجه ، والتوجه هو  
 الانصراف إلى الله بالصنائع العلية والعملية . والعلم والعمل الذى يوصل إلى الله حكمة ، وعمل صالح ؛  
 والعمل الصالح يفيد السعادة ؛ فالمتوجه مصلح أعماله ، والمصلح أعماله سعيد . وأيضاً التوجه يحمل  
 إلى معرفة الله ، ومعرفة الله هى السعادة ، وكل عمل يحصل إلى السعادة عمل صالح ، فالمتوجه عمل صالح .  
 فخرج من هنا أن المصلح أعماله هو المتوجه لله ، والمطرح لله ماله هو الذى اطرح الدنيا وزهد فى  
 شهواتها كلها . وهو واحد من حيث أن من توجه لله [ ٧٠ ] فقد اشتغل عن الدنيا ولها عنها ،  
 فنفس التوجه هو بعينه ترك الدنيا . والمصلح أعماله هو بنائه المطرح لله ماله . وهذا يشرحه  
 قول سيدنا رضى الله عنه فى « الوصية » التى أولها : « اعلم عليك الله حكمته » حيث قال :  
 « والإضراب عن الشيء الخسيس هو بعينه الإقبال على الأمر الرئيس » .

فقد تبين لك أن إصلاح الأعمال هو التوجه لله ، واطراح المال هو ترك الشهوات العاجلة .  
 ونفس التوجه الصادق يُقتضى من صفة رضى الشهوات ، ورفض الشهوات بالتوجه لله يفيد  
 معرفة الله ، ومعرفة الله هى السعادة . وهذا تفسير قوله : « والسعيد هو المصلح أعماله ،  
 المطرح لله ماله » .

وأيضاً : الحق تعالى ليس بينه وبين الموجودات مرتبة زمانية ولا مكانية ، وأنه مع غيره بالإيجاد

والتجديد ، ووجوده ، تقوم لوجود العبد على ما هو عليه ، فهو أقرب إلى العبد من العبد إلى ذاته ، والبعد إنما هو الحجاب الموجود في قلب العبد ، وحجاب القلب هو مجموع صور الشهوات العاجلة وسكونها فيه . فرفض الشهوات زوال الحجاب ، وزوال الحجاب يكشف حقيقة وجود الحق في ماهية العبد ، ووجود الله عنده هو السكال والسعادة والرفعة . فرفض الشهوات هو بعينه نيل الحقيقة . وهذا يفسره قول الرجل الذي قال ليسى عليه السلام حين قال له عبد ربك وهو راقد : قال له عبدته بأكبر العبادة — قال له : وما هي ؟ قال تركت الدنيا لأهلها — قال له : إذا قم . وفسره قوله تعالى : « وأما من خاف مقام ربه » <sup>(١)</sup> الآية . فاقطع حظوظك وصل عهدك ، نحمد شاهدك هو بعينه مشهودك ، فافهم ذلك . وكذلك القول في التخلق بالأسماء فإن المتخلق بالأسماء تارك حقوقه كما بينا ، وترك الحقوق خروج عن حظوظ النفس ، وانفروج عن حظوظ النفس هو الظفر بالحقيقة ، والظفر بالحقيقة هو السعادة الأبدية . وأيضاً الحجاب عن الله هو النفس ، والنفس هي الأخلاق المنمومة عند الصوفية ، والتخلق بالأسماء يزيل الأخلاق المنمومة ، فالمتخلق بالأسماء يزيل الحجاب ، وزوال الحجاب يكشف الحقيقة ، فالمتخلق بالأسماء يكشف الحقيقة . فقد تبين أن إصلاح الأعمال هو التجوهر بأسماء الله .

وطراح المال هو انفروج عن النفس ؛ وهذا هو المفهوم من قولهم اترك نفسك وتعال ، وهو الفناء الذي تشير إليه الصوفية . والبقاء بعد الفناء هو ثبوت الحقيقة بعد رفع المجاز ، وظهور الوحدة الأزلية بعد رفع الغيرية . وخارج من ذلك أن الله هو وجود كل شيء ، وهو الوجود وحده . والغيرية وهم أمره الحجاب ، والحجاب خبر الضمير عن صور الشهوات وسكونها إليه ، ولا حقيقة له من [٧١] خارج الذهن — فاعلم ذلك .

قوله رضى الله عنه : « ولا تغالط إلا من قامت به الأوصاف المذكورة قبل » إن استطلعت ، وإلا الأمثل فالأمثل — الغلطة هي المعاصرة والممازجة . والأوصاف المذكورة قبل هي ما ذكره من أول العهد إلى هنا من السكالات وأسبابها ، والتجوهر بتلك الإمكانيات الإلهية ، ومعرفة العلوم

الضرورة والأعمال ، وفهم علوم الحكماء ، وتحصيل الحقيقة الجامعة ، والدخول تحت أحكام الشرع بالجملة وما أشبه ذلك مما قد فرغ من تفسيره . فهو يقول : لا تخالط من الرجال إلا من قامت به السمكيات كلها وعرف أسبابها وتجوهر بمعلوم الإمكانات الإلهية ، وتصرف بما يجب واتصف بالحكمة التي تنمذ الصورة المتممة والقوية ، ودخل تحت أحكام النبي عليه السلام من كل الجهات ، بمعنى ظهرت السنة المحمدية عليه علماً وحلاً وذوقاً وفضلاً ووجوداً ، ويكون وارثاً على الحقيقة وعرف العلوم الضرورية والأعمال الواجبة وعلوم الفلسفة كلها وحصل الحقيقة الجامعة لكل شيء ، وعلم التحقيق الذي لا ينال بالسكس والاجتهاد ، ولا يشذ عنه شيء ولا يفقد منه ما هو موجود في غيره . وبالجملة كل شيء موجود ومعلوم يوجد عند محاضراً بالقوة والفعل ، وهذا لا يكون في العالم إلا نية رضى الله عنه وهو الذي قامت به هذه الأوصاف ، فكأنه أحاط على نفسه وأحوال العالم على ذاته ونهيم عليه . ولما كان مطلوب العالم هو الخير المحض والسعادة الثابتة ، والخير المحض هو الله ولا يوجد في غيره وإن وجد فهو له منه ، أو هو في المظاهر مجازاً وفيه حقيقة ، وهو فيه وبه له من حيث إليه يرجع الأمر كله ، فله هو الخير المطلوب على الإطلاق للعالم كله . فالوجود الممكن طالب للوجود الواجب بالذات ، وخيره ولذته ووجوده في الواجب . فالعالم كله طالب لله ، والله لا يظفر به ولا يوجد ولا يعلم ويعرف إلا بالنبي عليه السلام ، فصار النبي — صلى الله عليه وسلم — هو مطلوب العالم وقديسهم ودليلهم إلى السعادة والخير . والنبي — صلى الله عليه وسلم — لا تعرف ماهيته وحقيقته وكأله وجلالته إلا بالوارث ، والوارث هو المحقق ، وهو الكامل ، وهو الوسيلة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، والعارف به . والنبي — عليه السلام — هو الوسيلة إلى الله والعارف به ، والله هو مطلوب العالم . قال لك : لا تخالط إلا الوارث الذي هو شرط في الوصول إلى النبي عليه السلام ، والنبي عليه السلام شرط في الوصول إلى الله عز وجل ، والوصول إلى الله عز وجل هو مطلوب السعادة والمقلاء ، فالوارث هو مطلوب المقلاء والسعادة ، والوارث هو المحقق ، فالعالم هو المطلوب للسعادة والمتلاء بأسرهم . لأننا قول : المقلاء يطلبون السعادة واللذة الأبدية ، والسعادة واللذة الأبدية لا توجد إلا في معرفة الله ، والوصول إلى الله لا يكون إلا بالنبي — صلى الله عليه وسلم — والنبي لا يعرف إلا بالوارث ، فله لا يعرف إلا بالوارث ، والسعادة لا تحصل إلا بمعرفة الله ، فالسعادة لا تحصل إلا بالوارث . والمقلاء يطلبون السعادة ، فالمقلاء يطلبون الوارث ، ويحتاجون إليه ، والوارث هو

المحقق ، فالعلاء يطلبون المحقق ويحتاجون إليه بالضرورة . وهذا هو معنى قوله رضى الله عنه : « الكل من أحمابنا » ، وقوله رضى الله عنه : « الوقت والجهد سبعينية لا غير » لما رأى من إحاطته وإفراط اضطراب العالم إليه .

ثم نقول : الحق هو الخير المحض ، والعالم كله يطلبون الخير ، والنبي صلى الله عليه وسلم شرط ضرورى فى وصولهم إليه ، والوارث شرط فى الوصول إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فالوارث شرط فى وصول العالم إلى الخير ، والعالم يطلبون الخير ، فالعالم يطلب الوارث ، والوارث هو المحقق ، فالعالم يطلبون المحقق ويحتاجون إليه بالضرورة .

ثم نقول : الله يعطى خيره وإحسانه للوجود الممكن كله ، والنبي صلى الله عليه وسلم هو الواسطة التى يوصل خير الله وإحسانه ، والوارث هو الواسطة التى يأخذ عن النبي صلى الله عليه وسلم وينفـى عـلى العالم ، فالوارث هو الفياض على العالم بالجللة ، والعالم يقبل الخير ويناله ، وكل ماهية يصلها منه بقدر نصيبها ؛ فالعالم يقبل من الوارث فى كل زمان . وكل ماهية يصلها منه بقدر نصيبها وما جعل فيها من المقبول . فما من ماهية تقبل خيراً إلا والوارث هو معطيه لها بالثبات ، والوارث هو المحقق ، والمحقق هو المدير للعالم بالذات ، فمن كفر به فقد جحد نعمته ، ومن جحد النعمة شق أو منكر لأصله . وهذا هو المفهوم من قوله رضى الله عنه : « أنا هو الوجود ، فى كل مكان أنا » ، وقوله لابن خيلان : « والله ما نهجرى منكم إلا بهجرى الدم » . وقوله فى « التفتح المشترك » : « والمقرب هو عين الخير وكل الكون ومالك كل لون » . وإخراج الأدلة من كلامه على هذه المرتبة ونصوصه التى نعلمها ونخرجها من كتبه يطول علينا ذكرها ولا يسعها هذا التقييد . وهذا فيه الكفاية فاقنع به . — فلما رأى تلك الأوصاف يحتاج إلى معرفتها العاقل ولا يتنـال إلا من الرجل الجليل الحامل لها أحلك على الحامل لها ، ولا يصلها على كمالها إلا هو فأحل العالم على ذاته وهو الحق ، وهو مفهوم من قوله فى « التوجه » : لو أنصفت لسعد العصر وأهله ومهد وعز العلم وسوله . ويفهم من هذا الكلام أن [ ٧٣ ] من لا ينصفه يشقى . ولما علم أن العقول المادية لا تفهم منه القبول فى غير زمان ولا تعرف اتصاله بالذوات ولا تقدر على الاستفادة منه فى عالم النوات المجردة ، ولا تدرى إلا المشافهة والتعليم باللسان ، وذلك لا يكون إلا بمباشرة مظهره الجسمانى ، ومظهره الجسمانى لا يمكن أن يم أبقى العالم ومساحته ، ولا يمكن العالم باتساع مقداره أن

يُجتمع كاه عند مظهره الجذائي ، فخلص مظاهر كثيرة وبدعها في الكون وأحال عليها قال :  
 إن استطلعت الاتصال إلى مباشرة مظهرى هو الأولى ، وإلا عليك بالأمثل فالأمثل ، يعنى القريب  
 إلى " بهذه الكمالات ، والعارف بها والذي عنده منها نسبة فهو منى ويقرب إلى . وكذلك تنزل  
 من القريب إلى القريب أيضاً إذا لم نجد المظهر القريب . فكلها مظاهره ، إلا أنه يظهر فيها بحسب  
 أنصبتها . ومثال أولاده معه مثل ما ضرب لنا من مثله مع النبي صلى الله عليه وسلم : فإليك نجد  
 النبي صلى الله عليه وسلم هو الرتبة الأولى اللازمة للحق تعالى . والمحقق الوارث هو اللازم للنبي  
 صلى الله عليه وسلم . وكذلك الوارث المحقق هو لازمه والعارف به ، وكذلك وارث الوارث .  
 وتنزل بالتحليل إلى أدنى الرتب ، وتطلع بالتركيب إلى أقصاها . وخذ العالم نظاماً واحداً ، والرتب  
 الجزئية أجزاء ماهية الرتب الكلية — نجد الرتب بعضها في بعض ، وبعضها أهم ، وبعضها أخص ،  
 وكلها ترجع إلى الله الذى هو النظام المطلق في الكل والمحيط بالكل . والمحيط الثانى النبي صلى الله  
 عليه وسلم . والثالث المحقق ، وكذلك وارثه محيط رابع ، وكذلك تنزل إلى أدنى الرتب وتقل  
 المحاط به في جوف المحيط . وهذه المراتب قد بينتها لك وكشفت لك أسئلة النظام القديم وحقيقة  
 الوجود واتصال النسب ، وبينت لك أن الشيخ لم يفارقه قط ولا فارقه ، وكذلك النبي صلى الله  
 عليه وسلم ، وكذلك الحق تعالى إن فهمت الدوات والرتب المذكورة مجردة عن الزمان والمكان .  
 افهم أن المحاط به في جوفه المحيط ، وانزل بالتحليل إلى المركز الأدنى واطلع بالتركيب في الإحاطات  
 والدوات إلى المحيط الأعلى ، وقصّل الرتب بعضها على بعض بحسب قربها منه ، وانسبها في  
 الإحاطة والاتصال ، ولا تفهم منه الاتصال الجسماني واجتماع جوهر مع جوهر ، وإنما هو اتصال  
 مفارق للمادة ونسب الرتب العلوية التى ليست بأجسام ، وإنما هو روحانية مفارقة .  
 وهذا هو المفهوم من قوله رضى الله عنه في آخر « الفتح المشترك » : « كلمة الحق منوطة  
 بالأنبياء » . وأرواح أصحاب المحقق منوطة به ، والإخوة منوطة بهم بحسب نسبتهم ، ومن شروطها  
 أن يضاف القوى الضعيف [ ٧٤ ] وأن يفرق المثل من المثل ، فافهم القوى والضعيف بما ذكرته لك  
 من المحيط والمحاط به وقس بهذا الكلام ما ذكرته لك من النسب أعنى من اتصال النسب بعضها  
 ببعض ، وعلوها بعضها على بعض . وهذا تفسير قوله رضى الله عنه : « ولا تتخالط إلا من قامت به  
 الأوصاف المذكورة قبل إن استطلعت ، وإلا الأمثل فالأمثل » ، فافهم والله يفهمك بتمه وكرمه .

قوله رضى الله عنه : « وحيدك من يدبر أمر آخرتك ويعينك عليها ويذكرك بها ويهجرك ويصلك من أجلها » — الحبيب هو الذى تتعلق به الإرادة وتتصرف إليه همه المحب وتميل إلى محبته تأكيذاً . أو قول : الحبيب هو الذى غلبت صفاته على قلب المحب وانطابت صورته فيه مجردة ، ومنه ذلك الانطباع من قبول صورة غيرها ، وقول : الحبيب هو الذى يملك حسنه وكاله قلب المحب وجملة عوالمه وأبقى منه صفاته ونموته حتى يظهر الحبيب فى ذات محبه وجلته . ولذلك رسم المحبة عند الفقهاء : اتحاد النعم . والتدبير هو التصريف فى الشيء المدبر ، وقلته من الأحوال التى هو فيها إلى أحوال أجل منها . وقول : التدبير لإخراج كمال الشيء المدبر من القوة إلى الفعل . أو قول : التدبير زوال صفات النقص من الهل المدبر ، وإقامة الكمالات بدلها فيه . والآخرة هى المار التى يسكنها الإنسان بعد الموت . وقول : الآخرة هى الرتب التى يرتب فيها الإنسان بعد الموت . وقول : الآخرة خروج النفس الإنسانية عن الأمراض المادية ودخولها فى الأمراض الروحانية . وقول : الآخرة انفصال النقص من الأكوان المتبيلة واتصالها بالذوات الثابتة . وقول : الآخرة بحسب مذهب الصوفية هى انفصال الإنسان من صفات النقص واتصاله بصفات الكمال . وقول : الآخرة بحسب مذهبهم ترك الصوفى صفاته وأخلاقه ، والتجوه بصفات الله وأسمائه . وقول : الآخرة عندهم هى الفناء عن الهوية الحادثة والبقاء بالآنية القديمة . وقول : الآخرة عندهم ذهاب الآنية المجازية وتبوت الهوية الحقيقية . وقول : الآخرة عند بعضهم زوال < الحجاب > <sup>(١)</sup> وكشف الحقيقة . وقول : الآخرة رجوع الوجود المقيد للوجود المطلق . وقول : الآخرة استحقاق الوجود المقيد للوجود المطلق . وقول : الآخرة استحقاق الوجود الواجب للوجود الممكن وأخذها ماهيته وإعطاؤه لها به لا بها . وقول : الآخرة هى رد الأمانة وإسلاف [ ٧٥ ] السلام ، وإنصافه فى رد السلام ونيل السلامة . وقول : الآخرة فصل معلل وعهد مدلل وكال مرسل ، وتأخر تقديمه لم يزل ، ونظام جامع وغيور على حقه ، ومقيم على رقبته ، ومناد يحبيب نفسه ، وعالم يعلم عزه — فافهم والزم والله يفهمك بمنه وكرمه .

والإعانة هي الإقدار على الشيء . والمعين هو المقدر عليه . والتذكير هو التنبيه على أمر سكت . والتذكير كشف ما كُن في النفس . والهجر قطع مواصلة الحب . والهجر هو ترك إسعاف الطالب . والوصل هو انعطاف المحبوب على محبه . والوصل جبر المنكسر ومواصلة المقطوع . ولما كان الإنسان حيواناً ناطقاً ، والإنسان مكلف ومطلوب ، وهو من حيث هو حيوان بدبر ويختار ويجنب الملامم ويدفع المنافر ، كان له كل ملامم حبيباً وكل منافر عدواً . ومن حيث هو عاقل ومطالب للسعادة ومكلف بمعرفة باريه وبالعمل على الوصول إلى جنته وتحصيل رضوانه وهو ذو نفوس كثيرة وذو شهوة حيوانية ومطالب روحانية — فمن حيث شهواته الحيوانية يطلب الدنيا ويحب الملائعات المحسوسات ، ومن حيث نفسه الناطقة وعقله يطلب الآخرة ويميل إلى الخيرات الدائمة ، وهو قابل للتدبير وذو أدوات تكفيه في نيل ما يريد ويختاره من الأمور ، وطعن من إخراج ما في قوته إلى الفعل ، ومفتقر إلى العلم والمعين على تحصيل مطالبه . فلا بد له من المرشد الذي يهديه إلى نيل الخير ، ويعلمه كيف يحصله ، وبماذا يحصله . فخير الدنيا لا بد له من معلم يعلمه الصنائع والأسباب التي تحصل بها الدنيا ويديره ويعينه ويديره حتى يشتغل بذاته في كسب دنياه وتحصيل شهوراته العاجلة . وكذلك يحتاج في تحصيل الآخرة إلى المعلم والمرشد والمفيد الذي يديره ويهذب ويبين له الطريق الجادة المحصلة لرضوان الله وإلى جنته وإلى معرفته حتى يكمله في ذلك ويوصله إلى حيث يستقل بذاته في عبوديته . فالإنسان إذاً له مديران : مدير الدنيا ومدير الآخرة . وهو يجب أنخير ويميل إليه من صفة نفسه ، ويجب الوسائط التي توصله إلى الخير وتعلمه طريقه وتعينه على تحصيله . فهو يجب مدير الدنيا ويحتاج إليه ، ويجب مدير الآخرة ، ويجب ما غلب عليه طلب إحداها فيطلب عليه حب وسيلة ذلك المطلب ، وإن كانتا متساويتين في خلقه يستوى حب الوسيلتين بحسب ذلك . فله إذاً مديران ، وكل مدير منهما هو والد له ، ومدير له ، وله عليه حق ، وله في قلبه محبة ، وفي نفسه مودة ، فصار والد الدنيا ومديرها والد الجسماني منه ، ومدير الآخرة والد الروحاني . ولما كانت الدنيا ذاهبة ومنقطعة وغير باقية كان [ ٧٦ ] خيرها بالعرض ، ولما كانت الآخرة دار البقاء والقرار والدوام التي لا انقطاع له كان خيرها بالثبات . وهذه دار يرحل منها في أي سر وقت ، وينهب نعيمها . والآخرة يقام فيها ويبث ولا يفقد نعيمها أو ضده .

قال الشيخ رضى الله عنه : « وحيدك من يدبر أمر آخرتك » — معناه الذى يحتاج أن تتخذه حبيباً وتعتمد عليه وتتبعه هو المدير للآخرة ، ومدير الدنيا لا تعتمد عليه ولا تتبعه ولا تلازمه بالجملة ، وإن أحببت فتحبه بالمرض ، كما أن خير الدنيا الذى كان هو سببها بالمرض ؛ وإن كان يحضرك على ترك الآخرة أو يوقع عندك الفترة منها ، فلا تحبه بالجملة ، إذ هو عدوك بالمعنى . فإن أحسنت له وتبره فيكون ذلك فى الظاهر مكافأة لتربيته الأولى وسراعاة لصحبته ؛ وفى الباطن لا تحبه ولا تأخذ عنه ، وتصاحبه بالمعروف الجارى بين أبناء الدنيا ، وتتفصل عنه باعتقادك ومنهيك وهلك . كما قال تعالى : « فإن جاهدك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفًا واتبع سبيل من أناب لى » <sup>(١)</sup> . فلهذا سبحانه قد أمرك بمخالفة الأب الجاهل الذى لا يحض على الآخرة ، وأمرك باتباع الشيخ الذى يدبر الآخرة ويحضر على الله وعلى معرفته ، فاعلم ذلك ولا يخذلك وهم الظاهر وتحمل الآيات على غير مقاصدها وتسمع ما جاء فى الوالدين من النصوص وتعتقد أنها تخص على طاعتها من كل الجهات وأن مخالفتها لا تجوز بالجملة ، وبحملك ذلك إلى ترك السعادة والتفريط فى جانب الله فهلك وتقول على الله مالا تعلم . وإنما أراد بذلك مبرتها والإحسان لها فى حق التربية والصحة . فإذا عارضها القصد الإلهى وطريق الآخرة والسعادة وأداء حق الله تعالى — تغلب عليهما من كل الجهات ، ولا تنظر إليهما فيه . وأخبرهم قوله تعالى « قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم . . . الآية » <sup>(٢)</sup> وقوله فى حق إبراهيم عليه السلام « فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه » <sup>(٣)</sup> ، وقوله تعالى لنوح عليه السلام : « إنه ليس من أهلك » <sup>(٤)</sup> ، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا يكل أحد حقيقة الإيمان حتى أكون أحب إليه من أهله وماله » — الحديث وقوله : « سلمان من أهل البيت » <sup>(٥)</sup> . وهذه الأهلية ليس هى من النسب الحسى وإنما هى من القصد الإلهى والدين والأبوة الروحانية . فإن كان كذلك ، فصح أن المعلم المعين على الدار الآخرة والمدير لها هو الذى ينبغى أن يحب ويلزم ويتخذ رأيه وفعله ويعمل بقوته ، وهو قول سيدنا رضى الله عنه فى بعض

(١) سورة « لقمان » آية ١٥ . (٢) سورة « التوبة » آية ٢٤ .

(٣) سورة « التوبة » آية ١١٤ . (٤) سورة « هود » آية ٤٦ .

(٥) الصيغة المشهورة هى : « سلمان منا أهل البيت » — راجع كتابنا : « شخصيات قلقة فى



« الأرواح » : « ما عظم الحكماء مشايخهم وفضلوهم على الآباء إلا لكونهم كانوا سبب الحياة الباقية ، والآباء سبب الفانية » . إلا إن كان الأب من كل الجهات ، وهو الذى أراد بقوله هنا : « وحبيبك من [ ٧٧ ] يدبر أمر آخرتك » — تقديره إن كنت عاقلاً وسعيداً فلا تهاب إلا من يدبر آخرتك لكونك تحتمل القبول لمحبة الدنيا ومحبة الآخرة ، وفى ماهيتك ذلك ، إذ أنت مجموع من الروحاني والجسماني ، وكل قسم منك يطلب نوعه . فأمرك أن تضرب عن النوع العرضي وتهمل وسائله ، وتخصص الذاتي وتحب وسائله ووسائله . وقد نقل عن المسيح — صلى الله على نبينا وعليه — أنه قال : « لن يبلغ الجنة من لم يولد الولادتين : يعنى الروحانية والجسمانية » . ولا نفلن أن الإشارة هنا بذكر الولادتين لما يخصص الدنيا والآخرة ، وإنما علم أن الولادة الأولى التى هى الجسمانية متقدمة بالطبع فى ماهية الإنسان ، والروحانية متأخرة عنها فى ذاته ، وأن النوع الإنسانى محمول على الولادة الجسمانية بالنظر إلى ترتيب العالم من حيث الجزئيات ، فإنه ما يكون عاقلاً إلا بعد ما يكون حياً ، ولا يكون إنساناً إلا بعد كونه حيواناً ، وأن النفس الناطقة محمولة على النفس الحيوانية ، وأن الولادة الأولى قد صحت لها وفرغ منها ، وأن الجنة لا تنال إلا بإدراك الروحاني ، ولا توجد إلا فى طائه ، وأن السعادة والكمال والدوام لا تكون إلا فى معرفة الله والقرب منه ، وأنه لا يعرف إلا بالجوهر الروحاني المفارق للمادة . فنبههم بعد وجود الولادة الأولى على الولادة الثانية وحضهم على الانفصال من الأولى ، وأعلمهم أن الجنة فى الولادة الثانية وأن السكالك هناك . فكان ذكره للولادتين تنبيهاً على الثانية التى بها سعادتهم ، وذكر الأولى لكونها موجودة عندهم ولا يعرفون إلا لماها وعرفهم أنهم إن وقفوا معها لا يدخلون الجنة التى هى فى الولادة الثانية ، ونبههم على صفاتهم الأولى ومبداهم الأول ، فأعلم ذلك ولا تنوم أن لفظه يقتضى تخصيص الاثنينين ، وإنما أراد به تخصيص الثانية الغالبة عنهم — فأعلم ذلك . وقد تؤخذ من الأسماء المشتركة وتطلق الولادة بتشكيك وتصرّفها باستعارة الألفاظ إلى الولادة الواحدة الروحانية التى فيها سعادة الإنسان وكله وفى أيوته من حيث الإفافة ، ونحمل الولادتين من أجزاء ماهية النسبة الواحدة والعالم الواحد المفارق ، ونحمل الولادة من حيث تولد الشيء عن الشيء من جهة السبب والمسبب ، لأن الإنسان فى التوجه إلى السكالك يحتاج إلى عمل جسماني وبحث روحاني ، وهو سبب الاثنين ،

وهما متولدان عنه وصاحبان منه وإليه يكون الوصول بهما . فكانت معرفته بذاته ووصوله إليها نتيجة عن المقدمتين اللتين هما العلم والعمل : فمن حيث هو نتيجة معنى مولوداً ، [ ٧٨ ] إذ المولود نتيجة الأيوين في الظاهر ، وهما سببان له ومقدمتان . فلما كان تجريد الإنسان وإدراك حقيقته نتيجة عن العلم والعمل ، كان العلم والعمل شبه الأيوين ، وكان هو شبه الابن الذي هو نتيجة عن المقدمتين . وفي معرفته لذاته وإدراكه لما كانت جنته وكاله ، قال : « لن يدخل الجنة من لم يولد الولادتين » منناه من لم تظهر ماهيته وبحصل له حقيقته بالسيين : العلم والعمل ، إذ هما شرط في خروج الإنسانية من القوة إلى الفعل ، وبخروجها من القوة إلى الفعل هو الجنة ، وهو الكمال . وقد يكون أراد به إدراك حقيقة المبدع الأول والتجوهر به والاستيلاء على خاصية الإفادة والاستفادة ، وتكون الولادتان في ماهيته الواحدة ماهيته ، فإن المولود هو الصادر عن الشيء ، ويكون والداً من حيث يفيد لغيره وتولد عنه النفس الكلية وما بعدها ، فهو والد مولود مما ، ويكون له شرفان : شرف النسبة والخلافة في التصريف والفيض على غيره ، وشرف القرب من المبدع الأول وقبول الزيادة منه والنظر إليه — وهذه سعادة عظيمة ورفعة ، قال : « لن يلج الجنة من لم يولد الولادتين » : منناه من لم يصل إلى هذه المرتبة ، وهذا الجوهر هو المخصوص بهذا الشرف العظيم .

وقد خرج بنا الكلام إلى غير الذي أردناه في التفسير ولكن هو منه وداخل معه بالمعنى ، فنرجع فنقول : الحبيب حقيقة هو الذي يدبر سعادة الإنسان في الآخرة ، ويتم جوهره ، ويخرج ذاته الروحانية من القوة إلى الفعل ، ويستدرجه بالصنائع العلمية والعملية والأحوال الكسبية والخلقية حتى يبلغه إلى غايته ، ويمطيه كاله وحقيقته التي لا يمكن أن يزداد فيها وينقص منها ؛ وهذا هو مطلوب السعداء . والذي يفعل لهم ذلك هو الذي يتخونونه محبواً وقوة ووالد إفاضة ودليلاً إلى الله ووسيلة إليه ؛ وهذا هو الشيخ . فالشايع هم الآباء حقيقة ، وهم المحببون لنوحي المقول الراجعة والنفوس السعيدة . وأكملهم في ذلك وأولاهم بذلك الوارث المحقق الذي هو والد المشايخ والمريدين وقادة الميادين والمستفيدين ، وهو الذي قامت به الأوصاف المذكورة قبل ، وهو الذي ذكرنا في تفسير المسئلة التي قدمت قبل هذه التي فيها قوله : « ولا تخالط » — فهو المحبوب للكل

والكمال حقيقة . وأما قولي لك هو شيخ المفيدين والمستفيدين — فقد فسرتك لك في المسئلة المذكورة قبل حيث قلت إن كل آنية محاطة ترجع إلى آنية محبطة، ويرجع كل محيط ومحاط بالتركيب إلى الإحاطة الكبرى التي هي الوارثة المذكورة قبل . فهو إحاطة الإحاطات ومفيد المفيدين والمستفيدين [ ٧٩ ] وشيخ المشايخ والمريدين ومحبوب المحبين والمحبين — مثال ذلك في القول أن يقول . . . (١) .

---

(١) إلى هنا ينتهي الكلام في المخطوط وقد شغل آخره سطرا واحدا من الصفحة ٧٩. وباقى الصفحة أبيض، مما يدل على أنه كان في الأصل المفعول عنه نقص فوقف عند هذا الحد. وليس النقص إذن في مخطوطتنا هذه، بل في الأصل الذي أخذت عنه .

## كتاب الإحاطة

[ ٤٤٤ ] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم .

كلامٌ شير بوجه ما يشبه كلام البشر ، وإشارة ناصح في كل الوجوه يعقل قدر الأثر . قلت إن كان تحصيل الكمال الإنساني والمقصد الأقصى والشيء الذي هو من قبيل الشيء الذي ينال بعد نيل الشيء الذي يشترط فيه سر المسجد الأقصى ويخطف بعد عجز التهي ، ويقطف من شجرة « وإن إلى ربك المنتهى »<sup>(١)</sup> لأن شجرة طوبى وسدرة المنتهى مما يمكن في الإنسان من غير أن يبحث عنه بالعلوم العلمية والصلمية ويقتصر على تصوره وتصديقه ، وعلى ما يتم ويتضح فيها ولا يمتحن نفسه وعادته بالحكمة التي تقبل المعنى النافع حسب ما يعطيه ويتضمنه طبيعة البرهان ، ويصح له بها ما يجب كما يجب على ما يجب في الوقت الذي يجب ، ولا يكون بالجملة باحثاً ولا متألفاً فهو — والله أعلم — في الانصراف إلى ما يفهمه الإنسان من نفسه ومن القوة الشاعرة بالقوى التي فيه المتنوعة التي تنصرف إليها المعلومات والمدركات كلها ، وهي مثل الكليات التي إحاطتها بها ، وكل مركز بالنظر إلى جذبها إليها ، كالصور المقومة بالنظر إلى وجودها معها ، كالصورة المتممة بالنظر إلى اعتبارها . فالسعيد الظافر بها . وهذه القوى ترجع إلى قوة تسمى الكلمة الجامعة المانعة المحيطة بكل ما يتوهم أو يتحقق أو يتوسط في أمره ، وهي المعنى المشار إليه والمول — بحول الله تعالى — عليه . — وأول تلك القوى هي [ ٤٤٥ ] القوة النزوعية الجاذبة الدافعة ، وإن شئت قلت : الإرادة وقوة التعلق التي تربط في الوم الصفة بزمانه على المحل وتكون داخل الذهن وخلوجه ، وإن شئت قلت : الإدراك والقوة المحدثة التي يتكلم بها الضمير وتتأني بها المخاطبة في الغلغل ، وهي لسان الوارد والإلهام وبعض أنواع الوحي ، وهي الهائف أو محمله بوجه ما ، وإن شئت قلت : المنصلة والغبر ؛ فإن نجيع ذلك يرجع إليها ،

وقوة الملئكة وهى المعرفة والمحركة والباردة والمسكنة ؛ وإن شئت قلت القدرة والحيلة محمولة فى  
 جميعها أخصى القوة المذكورة ، غير أنها عارضة لها أو شبيهة بالماض بالنظر إليها مجردة ومن وجه  
 وجودها الرسمى فقط . وتلك القوة المتقدمة التى قلنا إنها جامعة مائة فحركة ، ولا تحرك ، وتحرك وتحرك  
 بجهة وجهة ثم تحرك ولا تحرك ثم الجميع ، ثم تكون لاساكنة ولا متحركة ، وهى التى تنزع وتدرك  
 وتغير وتقدر وتحد ، والدهن فيها وبها كأنه محيط بها بثبوت غير معين ، ولا يمكن أن يكون معها  
 شئ : لا قبل ماهيتها ، ولا بعد ماهيتها ، ولا مع ماهيتها ، بل لا يمكن أن يفرض فيها القبل والبعد  
 والمعية . وجميع هذه القوى هى التى يجدها الإنسان فى ذاته خاصة ، فمعك هذا البحث عن النفس  
 الجزئية والكلية وعن العقل الكلى وعقل الكل والعقول الشوائى والنوات المختلف فيها  
 بين المشائين وغيرهم وبين الشرائع والنواميس الوضعية وسائر المذاهب ، والروح الكلى على  
 مذهب الصوفية ، والمراتب [ ٤٤٦ ] المتوجه إليها على رأى بعض أهل الحق ، وبالجملة الروحانى  
 والجبائى ، لجميع ذلك إليها ينصرف وهى له كالأنموذج أو <sup>(١)</sup> كطليولى بوجه ما عند الضمناه  
 وهى الكل عند القوى المترك . ثم إذا نظر إلى ضميره وصرف الأربعة المذكورة إلى القوة المتقدمة  
 المحيطة بالكل ، وكذلك يفصل فى جميع أموره الواجبة واللازمة والعرضية ولا يترك شيئاً من  
 المعلومات الأربعة : أخصى الواجب والممكن والعدم والحال ، وجميع ما أحركه الحس أو تطرق إليه  
 الهم أو دل عليه الدليل أو علم بالبديهة ، ولا الوجود المطلق والمقيد والمقدر إذا أراد أن يقف على  
 الحق ويعاين مرضوه بيمين كماله ويظفر بكلامه وحقيقته إلا صرفه إليها فتأس بصيحتها بالشرك الذى  
 رسمنا فى « التوجه » و « الفتح المشترك » و « الرسالة الرضوانية » . وبما ينتفع به تصور الحياة المسارية  
 فى الموجودات والسكون المستند إلى الوجود وإلى وحدته .

فإن تأملت ، وإلا تأمل الذات العرئية عن المادة صعبة سكينته وأشخاص ، ثم الثبوت بها بشئ لا كالمتسند  
 إلى الشئ ولا كالمرتكن فيه ولا كالربوط عليه ولا كاللتم به ولا كالحال فيه حلول الماء فى الإناء ،  
 ولكنّه وجود يسيل ولا يقف ، ويستمر ولا يتخلف ، ويشار إليه بحبة مجموعة الأول والآخر

والظاهر والباطن إشارة من شخص فيه فكان ثم كان ولا مكان ، ثم كَوْن المكان وَدَوْر الزمان .

فإن تأملت ، وإلا أكثر من فرض الاتحاد بالقوة الوهمية مع علمك بأنه لا [ ٤٤٧ ] يصح في الواحد من كل الجهات لكنك تنتفع به وبه تخضع القوة المعلقة إلى قوة أظهر في قوة التحقيق . وتلك القوة المعلقة مع التحقيق كالقوة الخيالية مع العقل والبرهان في العلوم النظرية ، فإن العقل يقطع بالعلوم ويحصره ، واخيالية تتحرك وتطلب ما وراء المنحصر ، واختبر ذلك بما وراء العالم وبخللاء والملاء وما أشبه ذلك ولا تساعده من صفة نفسها . وفائدة الاتحاد ضبط النفس بشبهة ما وهمية ، عسى أن تقل حركتها وتنفذ مباحث عاداتها وتفرج بذاتها ، ويصح لك الشعور في الضمير بالوحدة المخطوفة بالقوة النازلة من القصد إلى فيض الهوية التي يلحقها الحق المفروض المسمى بالروح والواسطة والرب المألوف والصفة ، كما يلحق الحسن الصورة .

فإن تأملت ، وإلا فاجعل إعمال البرهان الصناعي والأقيسة الصناعية والنفسانية وجميع أنحاء المقدمات التي ما بين الناس والقضايا الخلية والشرطية — مقدمة ، والتوحيد الذي لا يصح معه توحيد بل يكفر به توحيد من لا يعلمه ، ثم الواحد وموحده وتوحيده — مقدمة أخرى ، ويكون الحد الأوسط هنا خير الأمور ، والأصغر الوقار ، والأكبر النفيد ، والنتيجة القبضة ، والقياس الاستخارة ، والبرهان انتظار الفتح . فاصبر على هذا الاصطلاح بقدر ما يظهر لك بالوهم بسلب السلب وإيجاب الإيجاب ، بل بسلب [ ٤٤٨ ] الإيجاب وإيجاب السلب ، أوترك الجميع محبة ثبوته ولا تهمل ما تجده من جهلك بنفسك ولا تخف من جنونك في هذا الوقت فإنه عالم أكل ، وهو الذي يسمى أكبر في كل لحظة وعند ما تذكر صورة هناك وبه تصل .

ومن صفة نفس هذا العالم الجبل بالأول والجلجل بما يحوى عليه .

فإن تأملت ، وإلا تصفح أحوال الملة وأحوال وضعها وأهلها وخذ نفسك بالتقليل فيها لا بالتصريف ، لأنك تريد أن تنال الإدراك المتوحد الذي لا ينال بزمانه عليه وهو مدرك ومدرك مما من كل الجهات .

فإن تأنست ، وإلا فافرض على وهمك تصور الفيض لكي ينقطع عنك الاستناد العلوي وتتصل بالصورة الحاضرة . فإذا وقتت هنا الموقف ولاحظت لك نكتة الاتصال ، فاصرف الفيض إلى اليوم والصورة إلى أوله والخصّ إلى آخره والوقوف والاتصال إليك تجد <sup>(١)</sup> أنك ، ما غيرت ولا غوّيت ، ولا تثبت على هذا الحال . وانظر فإنك أكبر .

فإن تأنست ، وإلا فارحل إلى رجل يدبرك بخواص الأسماء القائمة به . فإن نلت ما تريد وإلا فارحل إلى غيره يدبرك بالتصريف ولا تقبل العبارة في هذه المرتبة ولا الإشارة ولا اللطيفة ولا الدقيقة ولا الحقيقة إلا من جهة الشعور خاصة والنصيب الإلهي . ولا تقل : نعلم الوجود ونحيط [ ٤٤٩ ] بالموجودات ، بل تقول : نجد الوجود ونصرف في الموجودات ونحتاج أن نصل إلى دار — يستجيب فيك الجميع ويكون المخالف عندك أكثر من المألوف وتبقى ذلك حتى يكون الأمر بالعكس ولا تقنع حتى تجد النوات المجردة من تطورك والممكن من وهمك والمحال من خبرك والواجب عينك والرب المألوف حرفاً <sup>(٢)</sup> من حروف دينك الذي قرّضته لا الذي قرّض عليك قد كان ذلك ولسخ بالمضمار ، وعاد كلامه عز وجل افتقرتك إلى تقيّن ما بينك حالا وخبراً ، ومشاهدته بسكون أخبارك هويّة وآنيّة ، وتوحيده وقوفك على رشدك الثابت المصوم بوجه ما .

فإن تأنست ، وإلا فاعلم أن أمرك من فوق التصرف والعلم الثاني والثالث الذي لا حاجة للعقائد فيه ولا مدخل ويجد عند الخواص ، نعم وعن الأسماء الحسنى فإن المقامات لا تصح مع جميع الموجودات في وحدة محضة ؛ ولذلك الخواص لا تفرض في معنى فينكس قبل فرضه ويتنوع من صفة نفسه من حيث يثبت والمعلوم من كل الجهات لا اسم له يميزه عن غيره فإن ذلك ممنوع . قل لا حاجة لي بالصورة ، ولا منفعة في التوحيد ، ولا خير عندي في الفيض ، ولا سعادة في الحلول ، ولا فائدة في الاتحاد ، ولا شوق إلى مقام ، ولا غبطة باسم يفاير أو يتردد في أمره ولا يحتاج إلى

خاصة ولا إلى الخواص الذين أحوالهم منحلة وأحكامهم واقفة . فإن الحق قبل ذلك مكله ، بعد ذلك كله ، عند ذلك كله ، عند آخر ذلك كله . — وسلم على ابن العريف <sup>(١)</sup> وعرفه لا بتعريفه وخطه على عريفه ونسكة معرفته وكفر معروفة وسرى معروثة وسد [٤٥٠] معارفه . ثم انظر إلى الإحاطة ، وتأمل ما فيها ، وحرر القول فيها . وعندك أن تحصيل الحاصل محال ، والمعلم من كل الجهات لا يُظْفَر ولا يُظْفَر به ، وأن قولك الحق والوجود والشئ والأمر والنات وما أشبه ذلك من الأسماء المترادفة مع الإحاطة ؛ وقد يقال معها بتواضع ، بل هي الكل وإن صح أن يقال كل الكل والمعموم والخصوص والفرد والزوج والعدد والمعدود ثم غير ذلك من حيث هي ذلك . وبالجملة افرض أن المطلوب في شئ واحد ليس إلا وهو واحد وأكبر من أن يقال له واحد بالجنس أم بالنوع أو بالشخص أو بالفرض أو بعدم الانقسام أو بعدم المثل أو بالواحد الذي لا نظير له بالقوة ولا بالنقل أو الواحد الذي ذكر فيها بعد الطبيعة ، بل الذي ذكرته الصوفية ، بل الذي وجدته في أدواقها ، فإن ذلك كله انحرار الوجود . وكذلك الصورة التي يقال فيها إنها هو وإن الجميع جزء ماهيتها . وكذلك الواحد الذي يظهر أنه كالعارض للماهية ، ويشبه الوجود . وأن الواجب هو هذا والغير كلامية المتقدمة ، وقد يتوهم أنها الممكن وأن سوى هذا الوجود أو الموجود له وجه ذاته وهو الافتقار المحض ، ووجه إلى هذا الوجود به هو موجود . ولا توحيد الجثة ولا توحيد أهلها ولا توحيد من قال : « جل جناب الحق أن يكون مشرعا لكل وارد » ؛ ولا توحيد من قال : ما تعد الواحد من واحد . ولا توحيد من قال : لا يرى إلا بنوره ولا يشهد إلا بحضوره . ولا من قال : كيف يرى من به يرى . وبالجملة ، الواحد [٤٥١] ، منحصر في أربعة أجناس : الواحد بالاتصال ، والواحد بأنه كل وتام ، والواحد الأول البسيط في جنس جنس ، والواحد الكلي المقول بتقديم وتأخير على جميع ما عدها بعد الطبيعة . فجميع ذلك لا خلاص فيه ولا خلاص من حيث الكمال الذي فيه جميع الكمالات الثلاثة أعنى الكمال الذي يقطع الوجود ويحقق الحق ويستجيب الجميع فيه لا على ما ذكر ويمكن ، ونسكته متحرك وهو يتحرك معها ، وغبطته مقصودة كذلك ، ويشبه بالمغناطيس الذي يازم فيه الدور لمن فهم وضرب هذه الكمالات ثم صرفها . وهذا العلم في الغلغل قبل التصور والتصديق لا بهما . والجاهل الحكيم هو الذي يقول : الحياة شرط في العقل ، والعقل شرط في العلم ،

(١) أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله بن العريف الصنهاجي (٤٨١ / ١٠٨٨ — ١١٤٣ / ٥٣٦) صاحب كتاب « حاشن المجالس » . ( لثمة أسين بلايوس سنة ١٩٣١ ) . راجع عنه ابن خلكان ٦٧ ، « نفعات الألسن » ج١ ص ٦١٥ ، هنرات الذهب ١١٧ / ٤ ، « العبر » للذهبي ، الخ .



والعلم شرط في العمل ، والعمل شرط في الفضل ، والفضل شرط في السعادة ، والسعادة شرط في الخير ، والخير شرط في الكمال ، والكمال شرط في الوحدة ، والوحدة هي شرط في المطالب ، والمطالب هو الذي يقال بترادف مع الأشياء ويتواطأ قبيلها ، وباشتراك بعدها ، وبترجيح معها له ، وباشتقاق فيها إليه وبارتحال عنها منه ، وباستمارة فيها له .

والفاضل المليم يجعل الشرط في مكان المشروط ، والخليفة الحكيم يجعل الشرط المشروط من غير تقدم ولا تأخير . والحكيم المليم لا يjord ذلك لكونه ذلك .

نَحْذُ واحفظ الوقت واصرف ذلك إلى الوهم وإضافته ثم إلى المعنى الحاصل من غير تعليل ولا توقف ولا إجمال . فترجع إلى الإحاطة المذكورة فنقول : إن الخارج عنها ممنوع ومندوم لما قُبرنا ، [ ٤٥٢ ] والداخل فيها قد أحاطت به هي حتى بقول داخل وخارج ، فإنها لا تحيط بأعداد ولا بذوات مميزة ولا هي كالمكان ولا يمكن فيها المكان ولا الزمان ولا العدد ولا الإضافة ، ولا الأخبار ، لأنها إذا كانت الكل كانت بمعنى واحد ليس إلا ، فهي إحاطة تدور على شبه السلب في الزم الأول لأنها تجنب وتصرف وتعمل العدد إلى الواحد ، ثم تمنع زمان الإحاطة وزمان الجمع وزمان التفرقة وكأنيما لم يكن قط شيئاً مذكوراً إلا أنها القاكر والذكر والمذكور ، وبالجملة واحدة في الكل واحد واحد بحسب ما ذكر ، فكيف بحسب ما يراد أم كيفاً يوجد ؟ وهنا لَمَنْ تصور الوجود والعدم وقال كذا وكذا وهنا وذاك وأنا وأنت وأتم وما أشبه ذلك . ثم تدور حتى تهمل المخصص وتخصص المهمل ، ثم تدور حتى يصمت المسائل <sup>(١)</sup> وتنبه هي عنه لأنها هو . والمراد بذلك ألا تغاطبه ولا يغاطبها ، والمراد بذلك قطع النتائج والانفصال ثم تدور عليه حتى تكون الحق ، ثم تدور عليه حتى يكون الحق والباطل فيها ، ثم تدور عليه حتى يحقق الحق والباطل يطل ؛ ثم ترجع له دائرة وهمية يفعل فيها ماشاء ويصرف من شاء عن شاء ويصرف إليها ماشاء كما شاء ، ثم تدور عليه وتكون مصبته مصدبة لا تجوف لها وتكون حضرة يكون فيها الحق ولا شيء معه . والأول كالعرش ، والثاني كالكرسي ، والثالث السموات ، الرابع العناصر ، الخامس المولدات ، [ ٤٥٣ ] السادس الحركات ، السابع الأكوان ، الثامن الحياة العادية في الجميع ، التاسع الحى ، العاشر الصورة الجامعة ، الحادى عشر الكبير

بالقول الواحد بالوضع . وهذا كله هو فيها ، وهذا كله من فرض المتكلم ، ومن قبيل الشائع في  
 العرف الجارى وبالنظر إليها هي تدور عليه وتدبره حتى عن قوله إيه . ومعنى تدور : تحيل الأشياء  
 إليها ، ومعنى تحيل الأشياء إليها لكي ينقطع الوم ، ومعنى ينقطع الوم أن تكون هي عندك  
 الأشياء بمحملتها ، ومعنى أن تكون عندك الأشياء بمحملتها أن تكون هي أنت ، ومعنى أن تكون  
 هي أنت أن لا تكون أنت ولا هي . وهنا يكون من حيث الفرض والعدد والوم لا من حيث  
 الوجود . فإن الواحد من كل الجهات لا يصح فيه إلا ما قلنا . فترجع ونمنع جميع ما يفرض فيها  
 أو يهجنس أو يعلم وما أشبه ذلك . لا يقال فيها لفظة لأنها غير منسوبة لشيء ولا موضوعة في شيء  
 ولا يقال فيها كالجزء من الخط ولا نجعل في الوم مفروضة ولا كالبنز للنبات ولا في سطح  
 شيء ولا في وسط شيء ولا على شيء ولا من شيء ، ولا تمثل بالجوهر الفرد ، ولا فقدا قط  
 الفرد ، ولا تكون ميكيا للتمدد ولا مفهوم الواحد الأول ، ولا هي حرة عن ذلك ولا كالدائرة  
 فإنها لا تحيط بما يفرض عليها أو فيها لأن النقطة منها تشبه الخط والخط يشبه الدائرة ، بل كل  
 ذلك خط ، وكل ذلك قطعة ، وكل ذلك دائرة ، والأبعاد الثلاثة في الواحد منها كالواحد الثاني  
 من كل واحد منها ، فلا أبعاد فيها على كل حال من حيث المثال المتوجه [ ٤٥٤ ] ومن أثبتها  
 فقد جاز الأبعاد ، وبالجملة لا تمتد ولا حركة فيها لأنها لا تبدأ من شيء ولا تمر على  
 شيء ولا تتصل بشيء ولا تفتقر إلى محرك ولا تكون محركة لأنها ذلك بكيته والشيء لا يتعدد  
 في ماهيته من حيث الماهية المستقلة لا من حيث أجزاء الماهية ، فإنها ماهية لا تفتقر إلى حد ولا  
 يصطادها الحد بالحد . فمبها أنها وأينها كونها ، وكونها كلها . المقولات قطعة منها ، والنقطة  
 عندها كالخط والخط عندها كالدائرة فيها والدائرة فيها دائرة عليها لا وسط لها ولا قطب ، ولا ينهم  
 الحكيم والتطب ؛ فهي بالله في الوم وهي الله في الحقيقة .

إيه ا و ن الأوهام حتى قولك تدور وتكون وما أشبه ذلك . وبالجملة المراد بهذا التنبيه إنما  
 هو كالصوت الذي يوقظ النائم لا كالكلام الذي يطلب في مدلوله الفائدة ؛ فحين يقظان فيها ،  
 وإجامل من الناس بل الحيوان والنبات والمعدن كالشيء الواحد .

إيه ا ثم نرجع وقول : المطلوب الخارج عنها باطل ، والداخل فيها مثله كذلك لما أصلناه قبل

أن يكون من قبيل تفصيل الحاصل ، وهو من المحال لأنها لم تنابر شيئاً ، ولا غابرها شيء ، ولا ماثلت شيئاً ولا خالفت ولا خولفت ففى كل شيء ، وذلك الشيء كل شيء . فصحح للظافر بهذه الحالة أنه الأول والآخر ، والظاهر والباطن . فإن كان ذلك خبره فقد أفيد المقصود وهما ، وإن كان فى خبره وحاله معاً فقد أفيد تصريفاً ، وإن كان فى ماهيته لكونه [ ٤٥٥ ] كان فى غير ماهيته فهو وجود واجب . فمن أراد أن ينالها بالجملة ينصرف إلى الله العليم ، بل إليه هو أعنى التقديم الحكيم ، وتقبله على الترجوه والذكر لا على التعلم والفكر ، والله يسهل من جهة واحدة لا من جهة وحدته ، وبالجملة من كانت [ الكنه ]<sup>(١)</sup> ذاته فى الظاهر كان السكل وهما ، ومن كانت ذاته فى المحال كان حقاً وقتاً ما ، ومن كانت ذاته فى السكينة والتأييد والوجود الجائز كان الحق المنسوب بوجه أخص . ومن كانت ذاته الحق المنسوب بوجه أخص كان الحق المنسوب بوجه متوسط ، ومن كان الحق المنسوب بوجه متوسط كان الحقيقة بوجه أكل . ومن كان الحقيقة بوجه أكل وجد الله ، ومن وجد الله بوجه أكل أو بما يجد ذلك كان الله ولا شيء معه ، ووجد الأشياء فى ماهيته غير منفكة ، ووجدها قد قبلت على ذوات وهمية ، ومسميات خبرية ، ومستتركات منصرفة . فسبحان الكبير بالقول الذى يقال فيه شيء وأشياء بالوهم الواحد بالمنى ، والفرد بالفرد ، والفرد بالوضع . وهو واحد حتى فى وحدته ويحق لكأن أن يقرأ « فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون »<sup>(٢)</sup> .

إليه ١ من علم العبودية حقيقة علم الله عز وجل وهما . خلاف العالم الأول وأعوانه<sup>(٣)</sup> الذى يقولون : « من عرف نفسه عرف ربه » . وهيهات ١ المروف الذى إذ نظر إلى وحدته صحح أنها واحدة حتى فى العدد والمعدود ، إذا انقسم لم يعلم فلا تقديم ولا تأخير فيه إلا وهما ، ولا شرط ولا مشروط ولا سبب ولا مسبب ولا علة ولا معلول [ ٤٥٦ ] ولا واجب لغيره ، ولا يمكن فى ذاته ولا محال فيها محال تابع لما . فاقبض وابسط وحلل وركب يصح لك . غير أنه إن قلت كل ذلك

(١) بالهامش : النكه . — والأصح حذفها .

(٢) سورة « يس » آية ٨٣ .

(٣) بالهامش : « وأعوانه » .

لم تكن قلت الحق وقيل لك كذبت . وإن قلت ذلك في واحد والوهم منصرف قلت الوهم وقيل لك صدقت .

إليه ! فمن علم الأمر بكماله علم الروح ، والروح هنا شيء ما لمعنى ، لأنه فاعل أو منفعل . ومن كان ذلك كان نور الله المظلم ، ومن كان نور الله المظلم كان روحه القائم في الأشياء وبه قامت . ومن كان روحه القائم في الأشياء كما قيل كان نور الله الكاشف . ومن كان نور الله الكاشف كان روحه القائم بذاته . ومن كان روحه القائم بذاته كان هو الأشياء بوجه أنقص . ومن كانت الأشياء هو بوجه أنقص كان الإحاطة الصمدية . ومن كان الإحاطة الصمدية كان هو الأشياء بوجه أكل . ومن كان ذلك بجملة كان الكمال المذكور الذي ذكرناه في قولنا « إن كان تحصيل الكمال الإنساني » إلى آخره ، وكان المكمل لما سواه فكان الحق المصطلح الذي يظفر به بالجملة الحاصلة المذكورة ، ويصح له بعد ذلك أن يظفر بالحق الذي يظفر به . واختبر ذلك بطريقة القياس وأسباب المادة ، لا بحقيقة القياس وعرف العادة قدر أنك لا تلتفت إليها وتسرع في تقسيم المعلوم إذاً إلى الأوهام التي ذكرناها قبل وتقف عند الموجود ، وتحقق الوسائط والآلات والأمور والروابط بين الممكن والواجب والعلة والمعلول ، وقصد [ ٤٥٧ ] إلى القصد الأول والثاني والفصول المشتركة وعالم العقل الذي يذكره أفلاطون في قوله إن العلة الأولى في فصل النوع الأخير ، والعلم الذي تنسكبه الصوفية والأمثال المقولة والكليات والمبادئ والمراتب والتقديم والتأخير والقدم والجبروت والآنية والهوية ومن هويته آنيته ومن هويته غير آنيته ، ومن يعرض لشيء ومن حيث يكون ذلك الشيء موجوداً بالمرض المذكور ، ومن لا يكون وجوده عارضاً لماهيته ، ومن تكون ماهيته لا كما ذكرنا بالوجود هو حيز ما ذكر ، وتحقق الدهر والحركة والزمان وما صدر من العلم والنسب ، وما كان بالقصد والسبب ، وما كان في الشيء الذي لا وجد لمشيتته . ثم تأخرت ولم تزل وتقدمت ولم تكن ، ثم ألزمتها الحوادث في خبره والقديم في علم خبره ، والوجود شبه الواسطة أو كل ذلك ، وتحقق حق النقطة والمبدأ . وتقول : الموجودات التي حصرها هذا الوجود عشرة ، أو محمول وموضوع ، ثم قسمه وتقول : الوجود ينقسم إلى موجود قديم بغاية ، وإلى قديم بنير غاية . فهذا الذي لا غاية له هو الله الواجب الوجود العلة الخاتمة . خواصه خمسة عشر . وهو يوصف ولا يرسم ولا يحل إلا بالفرض

الملائم أو بملاحظة القائم ، أو أظهر من قبل الهائم . وأسماءه الأول تنقسم إلى أسماء ذاتية كالخلق والواحد وأزل وما أشبه ذلك ، وأسماء صفته كالعليم والسميع والبصير وما أشبه ذلك ؛ ومن أسماء فعله الخالق والرازق وما أشبه ذلك ؛ [ ٤٥٨ ] وأسماء تنزيهه كالقدوس والجليل والعزیز وما أشبه ذلك ؛ وأسماء التعظيم كالقادر والقاهر والغنى وغير ذلك من الأسماء المشتقة ، تمتد بامتداد المعلومات والمضمرات ، وتصل إلى الحق من ألف ، فلا نهاية لها بوجه ما . والمشاركة والمرتبطة مائة وواحد عند بعض الناس ، والمنقولة تسعة وتسعون ، والاسم الأعلى مذكور في سورة « النساء » ومكتوب في « الأنعام » ومقروء في « الأعراف » وموجود في « سبح اسم ربك الأعلى » . ثم تصرف هذه الأسماء صفات ، ثم تنظر هل تكون زائدة عليه ، أو ليست بزيادة ، أو يكون في كل واحد معنى كل واحد أو هو هي أو هي هو ، أو البعض منها هو والبعض منها هو والبعض ليس كذلك ؛ ومنها ما يقال فيها لا هو هي ولا هو غيرها ، ومنها ما يجعل غيراً محضاً أو يكون كالقوى الزائدة . ثم تنظر إلى ما تقدمه غاية ، وتقسمة إلى جوهر وعرض ، وإلى المجتمع منها وهو الجسم . ثم تنظر إلى الأكوان وتقسّمها إلى الاجتماع والافتراق وتقول الجسم هو المؤلف ، والجوهر هو الجزء الذي لا يتجزأ ، وهو الفرد إلا من مثله ، وهو الذي يأخذ قسطه المساحة ويملك وقبل<sup>(١)</sup> العرض من كل جنس وتقوم به الأحوال المعلقة وغير المعلقة ، وله جرم واختلاف فيه : هل خلق ساكناً ، أو متحركاً ؛ والأظهر فيه السكون . وكذلك اختلاف في شكله في تقسم العرض [ ٤٥٩ ] إلى غير وخلاف ومثل ، وتقسمة إلى مدركات الحواس ؛ وقد وصله بعض الناس إلى أربعين وإلى أكثر من ذلك . وقد يهصر ذلك ويقال : الله وأفعاله . وتحوز العبارة فيه ويقال : الوجود والمقيد والمقدر . ومنهم من قال : الوجود الأول الذي لا أول لوجوده ولا سبب له مقوم لما بعده . ومنهم من قال : كل شيء يحتاج أن يخرج من القوة إلى الفعل فهو القائم المقوم المتمم . وقد يقال : الجليل المعبر الذي يتردد الذهن في ثبوته ويسجز عن تصوره . لكنه يشير بمنه إلى جلالة مطلقة ، ويشير بها لها في ماهيته هو . وهذا الشعور هو وجوده وبه كان . وقد يقال الله كما قيل ، ثم الهباء ، والذرة ، والقلم ، ثم الواحى ، والأجناس ، ثم الأنواع والأشخاص ، وقد يقال الملائكة المطلقة ، والوجود المتبع ،

والقصة والتسعون وسيلة والمنوط بها وما وراء ذلك . ويحصل على أكثر من واحد ، وقد لا يحصل . وإن شئت قلت : الجواهر ينقسم إلى الجسماني والروحاني > والروحاني < هو الذي لا يكون متحركاً ولا ساكناً ، وهو ينقسم إلى عقول ونفوس سارية في الأجسام الفلسفية والطبيعية ، وإلى الصور المجردة ، وإلى الحيولى الأولى بحسب مذهب ما . وقد يقال العقل ، والنفس الكلية عند من أثبتها . والفلك ينقسم إلى تسعة أشخاص بحسب رأى الأكثر : فأول الأشخاص المذكورة الفلك الأطلس الحامل الذي ينحرك الحركة اليومية وحركته من [ ٤٦٠ ] المشرق إلى المغرب وكذلك رأس الجوزهر<sup>(١)</sup> خاصة ، ثم الفلك المكوكب وكواكبه ثابتة وفيه المنازل والبروج المنسوبة إليه بالصورة ، وإلى الأطلس بالهخاظة والتقسم والحصر والصور والكواكب المنيرة وغير المنيرة والثانية والأربعون صورة منها شمالي ومنها جنوبي ، والقطين الجنوبي والشمالي ، والمجرة والعميقات ، والجمانية . ثم الأشخاص الباقية المتحركة كل كوكب منهم له خمسة أفلاك : المثل ، والفلك المائل ، والفلك الخارج المركز ، والحامل ، وفلك التدوير . وقاطع الجوزهرات والنوهرات وذوات الدواب . والصحيح أنها تحت مقر فلك القمر كما برهن عن ذلك أرسطو في « الآثار العلوية » وأثبت أنها من بخار يصل إلى هنالك . وكيف بداية هنا الكون على كلام بليثياس<sup>(٢)</sup> في تكوين الكون من محدث فلك الأطلس إلى مركز العالم وكيف دوام الحركة في طول الأزمان حتى ظهر المزيد مما يطول شرحه في كيته ، وكيفيتها . وأن الشمس تطلع على قوم دون قوم وتكون في ساعة على قوم نهار وعلى آخر ليل ، والمركز ساكن بسرعة حركة المحيط ، وظهور المعدن والنبات والحيوان ، وينقسم المعدن إلى ما يذوب ويحترق وإلى ما يذوب ولا يحترق ، والنبات مما ينجم ويشجر ويقوم على ساق ، وينقسم الحيوان إلى ما يتكون ويولد ويبيض . فإذا أحلت على علم الهيئة وتخلصت لك هذه [ ٤٦١ ] القصة وجميع ما حلت وقسمت لكي تتبين به طمأنينة التأنيس ،

(١) الجوزهر : هو التقطعانان اللتان تتقاطع عليهما الدائرتان من الأفلاك اللتان تسميان المعقدتين ، وهي كلمة فارسية بمعنى : صورة الجوز أو صورة الكرة .

(٢) يقصد بليثياس الطوائى صاحب كتاب « سر الطبيعة وصنعة الخليفة » راجع عنه كتابنا : « الإنسانية والوجودية في الفكر العربي » ص ١٨٥ — ١٩٠ . القاهرة سنة ١٩٤٧ .

وترجع بعد خلاصك من القصة المذكورة إلى قبل نفسك تجد فيها جميع ما ذكر بوجه ألطف وهي له شبه أفوض ، فتعود إلى الإحاطة المذكورة التي خرجت عنها وأضربت عن تصورها ثم تجد خبرك كأنه الكل ويحتل الكل وتسمع أمثلة الجميع فيه وكأنه إحاطة أخرى . ثم تنظر إلى ذلك تجده ينتقل إلى معنى ما غير معين لكنه يعمه . وذلك المعنى هو الإحاطة المذكورة ، ثم ترجع فنظر إلى القسم المشار إليه المذكور خارج الذهن ، وإلى القسم داخل الذهن فتجد روح العالم الكلى وجسمه المطلق يحكمك في أمره والوهم الذى في هذا الموطن تجده كأنه محيط بالإحاطة المتقدمة وهو من حيث يحيط وهما مثالان ؛ فإن الأهم والأخص والأصغر والأكبر لا يمنع الشبه ولا يصل المثلية من طريقها ، وإن تغاير المثالان بوجه ما من جهة الممكن والزمان فلا يتغاير الوجود الذى يقال عليهما بنواطو . ثم ترجع إلى الوجود الذى ظهر عنه هذا هو فيه أو منه . أما ما يمكن فيه أو ما وجب له فتجده أعم من الثلاثة ، فتكون إحاطة الإحاطات .

وقد يقال إحاطة حقيقية تحيط بكل إحاطة وهمية . وهذه الإحاطة مع المتقدمة قبلها كالقوى المتقدمة مع الإحاطة المتقدمة وهي التي انصرفنا إليها ، وهي فقط ليس إلا . ثم ترجع إلى خبرك فتجد الجميع فيه ، وهو مع هذا يتحرك إلى أكبر وأكبر مما يقال له أكبر ، وهو الكبير المتعالي الذى يخضع له الوهم المحيط المحيط به ويسجد له من حيث الاستحقاق جميع ما ذكر ، بل يعلم [٤٦٢] بوجه ما من جهة ثبوته في الغاية لا غير . وبهذا يشهد الحق المطلق بالكلمة الجامعة المانعة التى تقدم القول فيها وتوسط وتأخر . وهذا هو الشرط الذى يدفع به كل شيء من طرفه إلى وسطه ، والوسط الذى يجمع الكل مضاعفاً إليه ويسلم له في إضافته الوهم الأول والآخر والظاهر والباطن ويقول كل شيء ، بل كل إحاطة وهمية ، بل كل إحاطة ثابتة ، بل الجميع الذى لم يقف القول فيه هالك إلا وجهه الذى لم يمكن أن يثبت معه شيء ولا يهلك معه شيء ، لأنه لو ثبت معه شيء غيره لكان الوهم ثابتاً بنفسه والإحاطة مختلطة والتوحيد مهلكاً ولكنه مختلا والمحال واقفاً . ولو كان في وقت ما ثم زال ، لزم أن يكون الحق موقفاً والتوحيد والكنه وما قبل هذا ممنوع لا خير فيه . — وقد بين لك بهذا كله ألا ينبغي لك أن تخرج عنها ولا يمكنك ذلك لكونك ذلك . فأنا نقول "فإليها يَكُنْ وجهك حتى إلى جهة الإضراب ؛ وإن عين البعد من عين الاقتراب ، لأنها المتعلق والمتعلق مما

اجتمعت عليك وانجذبت إليك لأنك إذا صرقت وجهك عن الوهمية تقع في الأخرى . فإن صرفته عن الأخرى التي هي الحقيقة لا تقع في غيرها لأنها جامعة ، وحينما تجد الضمير فينتقل من الإفكة الصغيرة إلى الإفكة الكبيرة حتى يقف الحال به ، فالتى تحصر الجميع حصر الدائرة النقطة وكلاعتراض الشديد السقطة اعلم أن ذلك في [ ٤٦٣ ] الأوهام المنتشرة المنجرة وأنه قد حاد عن صراط الدين أنهم عليهم الذى لا شيء أرق من نسبته ولا أحد من سنته ، فسبحان الذى يتوجه به اليوم ويتضرع لديه وعليه ! والعارف بمحط رحل خطئه بطوئته على الإحاطة ويقرأ على كل خطه « وقولوا حجة »<sup>(١)</sup> . وكما لا يمكن أن يتخطى بالخطوة محيط خط السماء ولا يبعد المركز أن يتخطى بطبعه سطحاً ما ، كذلك الإحاطة لا يشذ عنها شيء ولا يفوتها شيء ولا تحصل على شيء لأنها حصرت الأشياء ؛ ولا تحمل على شيء لأن الواحد في نفسه لا ينقسم في كل شيء ولا شيئاً شيئاً واحدة من جهتها من ذلك الشيء ؛ وذكر الأشياء وهم من الأوهام ذكر هنالك للبيان واضطر إليه بين التنوية بين مخاطب ومخاطب . فإذا فهم المقصود اقتطعت العبارات والأوهام في سجن الكافر الذى كفر بعبادته ولم يصل إلى مقامه ، كما أن الدنيا سجن المؤمن السالك . فمن علم هذه الدورة وحفظ بمحافظته هذه السورة وأكل من صورة البر ، بل طاف به صور البر وحكم موج البحر وفوج البر وينال على هذه النعمة الحمد للمعلم بخصيات الصدور الذى يجيب المضطر إذا دعاه ويثيب على كظم ففتات الصدور . ومن خواصه التثقت والاتفاق والإيمان المحض ثم الاتفاق . تارة يقول : ذمّام الدنيا مذموم ومهماها مهموم ، وأخرى يقول : « البصير الذى لا يرفل في أبواب اللامى »<sup>(٢)</sup> ولا يفل عن نواب الله ، وتارة تسمعه يقول : من صحا وصحح أسرارها بحا الله إسراره<sup>(٣)</sup> ، ثم الحق لا يعرف [ ٤٦٤ ] مروقاً ولا يفل منكراً ولا مروقاً ، ويغزن يراً باح به مروقاً ؛ ويجب : هذا مكتح من البحر مروقاً . وتبصره في وقت ما على شيء تضحك منه فيه السنة والفرض ، وفي أخرى

(١) سورة « البقرة » آية ٥٨ ، وسورة الأعراف آية ١٦١ .

(٢) ص : المى ١ . — وهذه الجملة وردت في عهد ابن سبعين لتلاميذه .

(٣) الإسرار : الغلظة .



يكنى عليه فيه من أجله إذا فقد السموات والأرض ، وبصره قد يخلق بالعلل والكسل ، وتخلل بمصلحة الخلل والزلل ، وتصرف في الضرورى بالملل ، وأقبح ما يكره في كل الميل . — هنا مما يظهر له من جعلهم بدلا من قبيح بفعله حقيقة ، ولا من جعله يره . ومع هذا يقول : **صِلْ رَحِمَكَ** فبهد الله تعالى قد رحمتك ؛ — يستقيم في النسكة ولا يقام عليه الحد ، ويختلف في المعرفة ولا يأخذ الرسم ، والحد يُنكأ في الشر ويُحصى في الظهور ويبعث ، ويستخلف في الجميع فيبحث ، ويحصى على سيره إذا سئل عن العارف فيقول : الله ولا شيء معه ، **مَنْ** إذا قضيت وفاء لك خاتنه الأمل وفاته ؛ رجل يجمع بين الضدين ، وينكر التجدين ومع هذا يحتاط على محاله احتياط البخيل على جواهر النقدين . تريد تتخلص من هنا كنه ؟ قل **رَبِّ مَا لَكَ** ، وعبدك هالك ، ووجهك هالك ، وحق سالك ، وأنتم ذلك . اختلط في الإحاطة الزوج مع الفرد ، واتحد فيه النجوى مع الفرد ، واتفق فيه السفر مع الفرد . وبالجملة ، السبب هو يوم الأحد ، والموحد هو عين الأحد ، ويوم الغرض هو يوم العرض ، والناسب من الزمان هو الحاضر ، والأول في الميان هو الآخر ، والباطن في الجنان هو الظاهر ، والمؤمن في الجنان هو [ ٤٦٥ ] الكافر ، والفقيه هو الفقى . وهذه وحدات حكى لا أحداث وهمية . والمؤمن الكافر هو الذى يقول : سبحان من جعل من كل فرد زوجين اثنين ، وجعل من زوج فردين ، وجعل من كل فرد زوجين اثنين ، ولم يكن قط في الوجود ثأى اثنين ، بل يقول : سبحان الفرد الزوج الحضيض الأوج . ثم يخرج عن هذا التوحيد المثالى ، وتفرعن هذا التجريد الخيالى . وتنصرف إلى قانون المبودية المكتفية وتقول : الكامل الكافر بوجه ما يضر نفسه بمضرتين ، ويبلغ من جُحُر صرتين ، لكونه يريد أن ينفعها بذلك منفعتين لأن الخائف من لدغة الوهم الأول في العالم الأول الذى يصحب بالوحد العبيد الأشقياء ، ويضر بالوحد السعيد الصم الأتقياء ؛ حرم نفسه الإعادة ، ففاته السعادة ، وظلمته فتنة المادة بخرق العادة . والسالم هو الذى يبلغ فيموت ، ويمد فيفوت ، ويكون بعد ذلك حيا لا يموت . **قَسِمَ** الوهم أنفع لسالك ، وحجره أجمع لهالك ، وكل ذلك أكل لهالك ؛ لأنه إذا قتل قد ، وإذا حق قد ، وإذا أضرم أوقد ، لم تكن النار أوقد . وبالجملة إذا قص إدراكه كل دراكه . فالتوجه إلى هذا الجهر خير ، والإقامة في الجهر شر . فإيما ما جاءه نهي الموصوم عنه صلى الله عليه وسلم من جهة التكبر ، أو من جهة التمعج ،

وما أراد الكافر إلا على القائد الجاحد لنكال الآخرة والأولى ، أو كان منه نبيا للتوسطين من باب الآخرة والأولى ، وكانت كلمة دبرته للضعفاء بحسب هرفهم وأمثالهم ومكالتهم لأنماهم .

إليه : البكال كنه [ ٤٦٦ ] الكائن ، والجال رسم الكلمن ، والجلال أسم المسكين ، والجليل رب التلوين والتسكين <sup>(١)</sup> .

إليه : هذه الكلمات كنز من كنوز الجنة ، بل هي ذات الرضوان والمينة . غير أن ذلك لا يصح إلا بفهم الواضع ، وقدر ما يفهم من كلام الوحيد الواضع .

إليه : إثبات السعادة في التوحيد المحض تحض الحرامن ، وتبيلها في الموحد بكونها كنه رضوان الرحمن !

إليه : إياك أن تتوهم في هذا الرجل ما لا يجمل به ولا يصح في حقه ، فتكون من الغاسرين . والأصلح أن تكون من الحاسدين بالحسن الذي يستحسن بين السعداء ، الذي تركبت ماهيته من القبلة وطلب التشبه بالأعلى وطلب الأخرى والأولى . « والله المثل الأعلى » <sup>(٢)</sup> . والذي ينبغي لك أن تعتقد فيه أنه متوسط بين الخليفة المستقل ، وبين الكيس المتنقل ، وهو يستدل من حيث يمثل ، ويمثل من حيث يستدل . وأنه جاز على المعلوم المحسوب ، وتوسط في الوجود المنسوب ، وتوجه إلى الواهب المحبوب ، لا بالكتوب ولا بالكسوب . وبلغ سبب الأوهام المرشدة ، والأنهام المثبته ، وهناك الحجاب ، وقهر الحجاب ، وفتح الأبواب ، وسلم الأسباب ، ورحل عن مكائنها ، لسكونه كان من كياتها ، وصح له بهذا أن يكون كنه الإمكانيات لا كنه الكالات ، وأسقط التركيب والتحليل ، وبذلك تسمى ، وسلم الكنه الكامل باحترامه للمسوء ، وهجر الحد والرسم ، ووجل الوصف والاسم ، وتعلق بالأعظم ، رغبة في الاسم الأعظم ، وأزم طبيعته الطيبة

---

( ١ ) التلوين : تنقل المبد في أحواله ، والتسكين هو التسكين في التلوين ، وقيل هو حال أهل الوصول .

( ٢ ) سورة « النحل » آية ٦٠



هذه تنبيهات روحانية ، وما بعدها مطلوبها داخل التن ، وكشفت به المناسبة الإلهية وحصلته الأحوال الإلهامية ، وفي تخالف ما فيها في المشروع وبماثلة في الموضوع ، شارح<sup>(١)</sup> الضمير بما عنده وبما يجد صاحبها من الحق الصريح من غير أن يشاركه في ذلك عقل العادة . ولما كان هذا التنبيه يشبه الإحاطة ويأتم بها ، أردنا أن نلحق فيه ما هو من هذا القبيل وجعلتها تسعة تشبيها بشيء ما . وهذه التسعة المذكورة تكلم عند رسمها المتكلم المذكور بكلمات ، وزعم المختلط بها يصلها ويسمها منه ، سواء غلب أو حضر أو صبت أو مات ، فإن الحقائق لا تقدر ولا تنفرد إلى صحت ، ولا تقدر بتقدير السكاك ولا تظهر بظهوره ، ولا تنشر في مسطور . والحقائق إذا وصلت إلى هذا الموضع ينطلق عنها الوجود ويحفظ الواقعات . فاحفظ [ ٤٦٩ ] أنت ذلك وحافظ عليه .

ليه ! ما تقول الإحاطة المستلزمة في شعر شاعر شعر بشعوره ولم يشعر بشاعره ، وشك في نأيه وساحره ، وتغير في أمره ، ووجد في ظفره ما لم يجد في خبره ، وتعلق بمجازة وطمع في خبره ، ثم تشفع بشأله تشبه فاستوحش ، تشفعه بالشفيع فقتوش ، ثم عقله بالوتر فتأنس ، ثم عكس وما اتكس ، وكشف المشعور به والشعور والشاعر وما تحسس ، ولا تجسس ، وتوحدت منه النفس والتفيس وألشد :

من كان يبصر شأن الله في الصور فإنه شاخص في أقص الصور  
بل شأنه كونه ، بل كونه كنهه لأنه جملة من بعضها وطري  
ليه ! فأبصرني ، ليه ! فأبصرته ليه ! فلم قلت لي : النفع في الضرر

قالت له الإحاطة المذكورة : وصلت فاعزم ، وجمت فاعزم . قال لها : العزم في الواقع غير جائز ولا نافع ، وقد كنت فكرت في عزمي ، ولذلك ما أدبرت في عزمي . قالت له الإحاطة المستلزمة : جميع ما جاء بواظنة الفكر ، وكل ما قيل محبة القوافي والبقتر متصرف إلى محسوب على ، والوهم عينه ووقته وأينه .

قال لها : قد علمت ذلك في الشعور الأول وفرغت منه . قالت له : من فرغت منه كنت عنه . قال لها : فما المصوب لإفقا ؟ قالت له : قطع التوجه هو الوجه الذي به ترأى ، وذلك الوجه توجهه دار إلى . فأنفتح ضد هذه [ ٤٧٠ ] المقابلة ؛ وما أمتحَ جَدَبَ الوم بالمقابلة ؛ ثم أُلشدته ؛ وبها أرشدته ، وذكرت له بيت لبيد<sup>(١)</sup> ، وقرأت عليه : « وما ربك بظلام للعبيد »<sup>(٢)</sup> . ففهم عنها وبذلك كان منها ؛ وظفر بأمنيته ، وزهد في زور الوم وكنب أمنية واتحد واحده بواحدة ، وتوحدوا بفضل من حضضي الممد إلى خروء الأحد . ثم نظر إلى ماهيته الثابتة في معناه المدمية التي يشار إليها من هويته المرضية الوجودية التي هي آنية الممكن عند الفلاسفة ، ومبدعة عند الأصولية ، وشبه ذلك عند المعتزلة ، ومعبدة له عند بعض الصوفية ، ومقومة عند بعضهم ، وهو ولا هي عند الأكثر ، وعند بعض المحققين نقطة مستقلة ثم قضية مفردة ، ثم ذكرناه قبل . فأنكشف له أن الوم أوم لواجده حتى لحقه الوم في وحدته ، وقسمها قسمين فصار القسم الواحد للآخر كالجلحد ، ثم زاد الأمر واقسم ثم صار أكثر من واحد حتى احتاج إلى شاهد وعسر وجوده فإنه موجد وهو بينه مستند . فطلبه الشاهد من العلم فامتنع ، ثم طلبه من العمل فارتفع ، فانصرف إلى الشاهد وطلب منه الشاهد فوجد عنده الشهادة ؛ ومات على هذه الشهادة فخص له وطاب وانطبع ، وحكم له الحق لجمع القسمين في واحد وقال له : لم تكن قط أكثر من واحد . ففند ذلك قالت ماهيته لهويته : [ ٤٧١ ] أنت أنا . فسمعتها الآنية فقالت لها : أتأنا . فاستجاب لها الإحاطة وقالت : أنا آنية الآنيات ، وهوية الهويات ؛ وماهية الماهيات . وكل ذلك قل أو كثر معنى واحد ، وذلك المعنى هو أنا ، ومن قال معنى أنا أوقفته في العنا ، إلا إن قالها من حيث ويصرف الشاهد والمشهود إلى جميع الأوهام ويدور بالسلب من أجل . على حينئذ يكون أنا قال لها : قد كان ذلك ؛ قالت له : فأنت أنا ، وأنا أنت ؛ وأنت وأنا مناه أنا . وهذه كلمات نافعة إذا لم تنصرف إلى الافتقار ، ولا تتطور في مرات الوم والافتقار ؛ وتنصرف باللهو

(١) أي : ألا كل شيء ما خلا الله باطله . وكل شيء لاهلالة زائل

سورة « نصبت » آية ٤٦

والسب وتكون مكاتبتها من الوهم والكذب ، ولا خير في خطية غالبة ومكانة باطلة .  
 إليه اجمع ما تسمة من الرجال يذكرونه في حق المؤمن الكافر والكافر المؤمن حاصله  
 هو الذى يكفر بما لم يؤمن بما أنزل الله على عباده الذين اصطفى ، وبما يجهلونه فيما أنزل  
 على نبيه المصطفى ، ويكفر بمن يكفر بأحوال الرجال ويكونهم يطلقون الكفر بتقديم وتأخير ،  
 واشتراك الاسم ، وبجهة وجهة ، ويكفر بمن ينكر طول ظهورهم ، وتطورهم ومنازلهم  
 ومنازلاتهم وطبقاتهم ، ويؤمن بغيرهم الذى يغيب فيه الغيب ، ويحقق فيه البهانة الأصلية  
 والغيب ، ويصدق بجميع المراتب وبكل ما يتعلق بالدور الراتب ، ويفتبط بامام أمام أسوة ذى الذهن  
 الثابت . فسلام على عباده الذين [ ٤٧٢ ] اصطفى ، ومنهم محب هذا الجليل ، وارث محمد ،  
 وحسبة آدم ، وقرّة عين الخليل ، ولثله يقال عبد الجليل .

إليه فقط ! إليه الملة أعظم من أهلها ! إليه عز على ليت شرى إليه ! قهر البعض وجهل  
 الكل بوجه ما . إليه للحروف معنى ! إليه للأسماء أسماء ! إليه والمادة مهلكة ! إليه ومن انصرف  
 إلى نفسه نُسّ عنه . الدور محجب ! إليه القرآن كنه الكمل . إليه ! الله فقط ، لاشك في ذلك !  
 إليه ! أردت بإيه أن هذه المخاطبات نشأت بين مخاطب طابت أنفاسه وبين مخاطب طيبة أنفاسه !  
 إليه الوهم بضر وينفع الخاطر القوى . يقال التوجه شيخ البصير . ذكر أن المطلوب في الخلد محبة  
 الشوق يهدي . ملازمة الدعوة عون الله . الوحدة حضرة الواحد وغبطة المتردد . رسول الله  
 لا ينفك عن التقصد ، ولا ينفك أسره خوف . ما بعد المادة حرمان ، والوقوف معها نكس ،  
 والغروج عنها بأس شديد ، والاستعانة بها يؤس جديد ، وإحالتها بما يجب . جد الحبيب  
 استجلاب الغريب . ماهيته الهمة السنية . الأسوة بالواجب هو التّحرّق الأكبر . الترفع  
 الكثير ذات الشقاوة . الخوف والتكذيب والاصطلام عين البعد . إقامة الحق في جميع  
 الأمور حكمة محضة مبشرة . لقاء الرجال طبيعة الخير . استسلام السالك أصل الناسك .  
 وقتك من أجزاء [ ٤٧٣ ] ماهيتك ، فلا تعامله إلا بالخير وأحوال الحياة والسعادة  
 والصمود .

إِيه ! الله قطع ، لاشك في ذلك .

إِيه ! قبح الله الوهم ! حرم الذهن والفهم وشغلها عن تصحيحه وقلبه حتى حال بين المرء وقلبه . يعتقد على المرء حتى يقسم نفسه إلى غير وخلاف ، ويجعل وحدته نجس بمد الحصول الطبيعي إلى الائتلاف ، فنع الواحد من وحدته وصرف المستقيم على حيدته . قائله الله هو الضيد الفاضب والحق الفاضب . ومن جملة ضرره تناليله لمن لم يُحَدِّثْهُ العلوم ، ولا أدبته المعارف ، ولا انتقاد برعوته قط إلى عارف ، وألقى عنده أن الوحدة المطلقة والواحد من كل الجهات هو هو لا كما يجب ، ولا على ما يجب ، ولا بما يجب في تصوره وتطوره بل يوهم غير محصل كسبه إهمال رتبة للرجال ، وأفاده شيئاً تستعيز من فتنه فتنة الدجال ، ثم يعود بمد ذلك به إلى العبد ، بل هو الله بل هو السهو ، بل هو الوهم ، بل هو البهم . وهو لا يعلم وفي ذاته لا يعلمه ، وكذلك كل شخص ركب من الجبل والصادقة ومن البلاغة ، وبعد العبادة يسوى في التخصيص ، ونفخ فيه روح سلب التخصيص . إيه ! قل أعود بالله من . ثم أعود بالله عن . ثم أعود بالله لن . إيه ! هذا الوهم هو الملك ، وهو البحر والفلك ؛ وهو الأرض والسماء ، وهو القصد والمعنى ، وهو الدر والهبا . والماء والبرزخ طبيعة البسيط ، والممكن [ ٤٧٤ ] والممكنات طبيعة المركبات ، والإحاطة التي قلنا فيها كبيرة وصغيرة ، وآفة وثابتة ، ورئيسة ومرموسة ، ومحطة ومحاط بها ، وعامة وخاصة — طبيعة مشتركة ؛ فلا وهم إلا الوهم ، ولا إله إلا الله ، بل ليس إلا الأيس قطع ؛ وهو هو الله الله الله الله الله الله الله ! هكنا ورد ، وهكنا وُجِدَ ؛ وهكنا رُسِمَ ، وهكنا فُيِمَ ، وهكنا كان ؛ وهكنا هو . إيه !

هذا تقييد قيل فيه الحق ، وظهر فيه الحق ؛ وأملأه عبد الحق . وبالضرورة أن الفرع محمول على الشجرة ، وبالاتفاق قامت شهرة الواضع من ضرب سبعة في

عشرة<sup>(١)</sup> . والسلام على المنكر والمسلم ، والفالط والمنفالف ، والمهل والمفتبط ، والفافل والمنفافل . فالسلام علىؑ لؑذاؑ ، ثم السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وعلى الجامع لفقائف الأكواف بالقصد الثاني ، وعلى الوسيلة المرتكزة بالقصد الأول ، وعلى طالبها بالقصد الثالث ، ثم ذلك وما أشبه ذلك ، وعلى آله وسلم تسليمًا .

كل كئاب « الإحاطة » للسيد الشيخ الوارف المحقق سيدى مهد الحق بن سبفن .



## رسالة النصيحة أو التورية

[ ٨٢ ]

وله رضى الله عنه ، وصلى الله على سيدنا وولانا محمد وآله وسلم كثيراً .

نصيحة نصّحها من يحضُّ على الله ويستجلب حده لكل القابل لها . ونستلزم الكمالات ونعطى أسبابها بسعادتَيْن وحكمتَيْن وخبرَيْن باعتبارَيْن وجنتين وقصدين ؛ يُحصِّلها مَنْ هِىَ هُنايته تجذب الواجب لذاته المرحومة بالذات ؛ ويتردد فى مدلولها ويتخلق بها مَنْ يُمْكِن منه أن يتعرض للخير بالعرض ؛ وقصدها وجه مدلول شرحها . ووَضِعتْ للعالم واخلاص ، فإنها صالحة بالجميع . وهى موضوع الشريعة ومحول الحقيقة . وماهيتها مركبة من الأنس بالله ، وسبب الأنس به ، والذلة الروحانية والعبادات القلبية والجسمانية . وبالجملة : جُلَّتْها صالحة ، وتجارُتها رابضة ، وسمايتها ناجحة . والله هو أولها وآخرها ، وظاهر قصدها وباطن مجدها . وقد حان وقتُ بُنْها ، فنبدأ فنقول :

يأبى الباحث عن تحصيل كماله واستجلاب ما يجب كما يجب فى الوقت الذى يجب من يجب  
بمن يجب على ما ينبى . عليك بذكر الله الذى عَلِمَكَ وأَرادَكَ وَعَلَّمَكَ وحَكَّمَكَ من كل الجهات  
وهو بِدُكَ<sup>(١)</sup> : اللازم ، ووجودك الثابت ، والمُنْقَلَب . وهو الذى يُستَعِدُّكَ ، وسعادتك رضوانه<sup>(٢)</sup> ،

(١) البِد : فى الأصل : العزم ، وبالمعنى الصوفى عند ابن سبّين : المثال الأعلى . ولابن سبّين كتاب  
رئيسى هو « بد المعارف » منه مخطوط فى استنبول وآخر فى برلين . وكتب عنه الأب لاتور فى جملة  
« الأدلس » :

Esteban Lator : Iba Sab'in de Murcia y su « Buñ al-Arif » Al-And. 1944,  
vol. IX, Fasc. 2, p. 371—417.

(٢) الرضوان : الرضا . أى أن سعادتك فى رضا الله منك .

ورضوانه يصلحك إلى حضرته ، وحضرته تخزن<sup>(١)</sup> ذاتك من ذل الكون المهلك والممكن<sup>(٢)</sup> القابل المتقلب ، وتحكمك في الرحمة والوجود المطلق ، وتصرفك في المقيد ، وتطملك على المقدر ، وتبلغك إلى أقصى الإنسانية من جهة التخصيص وبحسب الأمور التي لا من جنس ما يكتسب ولا من جهة المادة والعلوم المأخوذة الشريفة والأحوال المذكورة — فاعلم .

ومن جملة خيراته الميزة ذكره لك عند ذكرك له في حضرته مع أهله . ومن جملة فوائده السكرية ما قال رسول الله ﷺ : « خير ما قلته أنا والنبيتون من قبلي : لا إله إلا الله » . ومن بعض فضائله كونه يفضل الدعاء ويزيد خير المتصف به على خير المنصف بالدعاء . ومن نوره ونعمته قول الله تعالى : « فاذكروني أذكركم »<sup>(٣)</sup> — فجميع هذه الكلمة بين الأمر والجزاء والارتباط وشرف الحكمة والكرم المحض ، وأوجب على جلالة ما لا يجب عليه والقطع بالسعادة ، إذا حصل هذا الأمر بحسب ما ذكرناه ، لأنه إذا ذكره إنما يذكره مع السعداء فلا سبيل إلى شقاوته . وقد يتفسر هذا بقوله [ ٨٣ ] تعالى : « هل جزاء الإحسان إلا الإحسان »<sup>(٤)</sup> — بوجه ما . ومن نوره وجلالة قدره قوله ﷺ : « من قال الحمد لله رب العالمين فله ثلاثون حسنة » . وجميع ما جاء في أم القرآن إنما هو لكونها احتوت على كليتي القرآن والأسماء المظهرة والمضمرة والمشتقة . ومن شرفه الأحاديث الواردة في الذكر وما يسطاه ، وما جاء في ذكر اليوم واليلة والأحاديث المنقولة عنه عليه السلام في الذكر وأوقاته ومواطنه ، والظاهر منه والباطن ، والعلني والجلي ، وعدده وما جاء في أسمائه وفي ذكره بها وفي حفظها ، وما أعد الله في ثوابها . وهو يسهل على الطباع مع كونه يصحبه الأنس ، ويكاد يمتد مع الأنفاس . والذاكر الصادق هو له كحياته ووجوده بقدر ما يُقدَّر له من العمر والأزمنة له في الذكر . وأما إذا وقع التحقيق في هذه المسئلة فإنه أكثر من الزمان المحسوب له ، فإنه بحسب نيته وخبره . فهو مع كل نفس يقول : « الله » ، « الله » ، ويعتقد فيه

(١) بمعنى : تصون ، تحفظ .

(٢) الممكن : في مقابل « الواجب » . والممكن متغير متقلب ، إذ هو ما يجوز أن يكون بخلاف ما هو كائن ، أما الواجب ثابت ، لأنه لا يمكن أن يكون بخلاف ما هو كائن .

(٣) سورة « البقرة » آية ١٥٢ . (٤) سورة « الرحمن » آية ٦٠ .

ألف ألف. فأنه لا يضع له ما يريد ، والكريم لا يُتهم في أخلاقه . وأيضاً هو يذكره بلسانه ، وهو الذكر الذي قلنا فيه يمتد امتداداً .

وأما ذكر قلبه فهو الذكر الذي لا يأخذه الحصر ، فإنه بالجوهر الذي لا يدخل تحت الزمان — فافهم . وأيضاً إذا ذكره العبد يذكره والشئ الذي يعلمه الحق لا نظير له في الأعمال والفضائل . وكل فضيلة يتعب فيها ويطول أمرها ويحتاج في سلوكها إلى زمان ليس باليسير والكل دونه . ولو فرضناها فوقه في الوصف الواحد لكان هو يسرعه وما جمل فيه من الثواب يعطيه من صفة نفس وجوده في المكلف . مثال ذلك : إذا قدرنا الصلاة المفروضة صلاة العصر تفضل « لا إله إلا الله » الكلمة الواحدة أو الثلاث كلمات أو أكثر بكنا كذا حسنة أو نجعلها تزيد عليها مائة حسنة — لكان الذكر أجل ، فإنه يقول بطول يومه بل ببعضه ما يصح به إدراك المائة والمائة ألف . فكيف والأمر قد جاء في الذكر بأكثر من هذا فكيف والذكر هو الصورة المثقولة والمنشئة لجميع الوظائف الشرعية ، ولا تصح وظيفة شرعية إلا به . ومن جملة بركاته : طهارة الوقت مما لا يصلح ، وإعمال السيئات ، ومواقة الملازمة ونور الله في ذلك الوقت وفي ذلك الحل من ذلك القلب ، وحفظ اللسان وسائر الجوارح على جهة المواقة والإلزام . ومن جملة فضائله التشبه<sup>(١)</sup> بالله فإن الله يذكرُ ويصح منه ذلك ويطلق عليه ، ولا يصح منه الفكر<sup>(٢)</sup> . ومن فضيلته أنه معقول في القدم ، فإن الله تعالى كان يشي على نفسه ويغير عن جميع معلوماته . والفكر وسائر الأعمال حادثة إلا ما كان من هذا القبيل . ومن فضيلته أنه من أسماء كتاب الله عز وجل<sup>(٣)</sup> . [٨٤] ومن فضيلته أنه المراد بالقرآن ، والقرآن كله هو الذكر الأهل ، وهو أجل معجزات النبي ﷺ فإنه صفة « ذات » الله عز وجل ، وماعداه من المعجزات صفة « فعل » الله ، وهو من المعجزات الباقية

(١) لأن النصف ، كالحكمة في تعريف أفلاطون لها في الكتب العريية ، هو « التشبه بالله بقدر الطاقة البشرية » .

(٢) أي الفكر المنطقي بمعنى استخدام التصورات والتسديدات في البراهين لإدراك المغولات . لأن علم الله بالأشياء مياغر عيان غير منطقي .

(٣) إشارة إلى الآية : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » (سورة الحجر آية ٩) .

وغيره من المعجزات الداهية بنهاب وقتها وهو معجزة كانت وقيت . ومن فضائله أنه هو الذى يُطلَب بعد الموت وفى المواضع الضيقة وفى وقت الحاجة . ومن جملة جلالته أنه فى الحيوان العاقل وغير العاقل :

وفى كل شيء له آيةٌ تدلُّ على أنه واحد<sup>(١)</sup>

« وإن من شيء إلا يسبح بحمده »<sup>(٢)</sup> . وأما من أثبت نطق الموجودات فأمره أعظم فى حق الذكر ، وأما من أنكر ذلك ( فقد ) ألزم ذكر لسان الحال . ومن فضيلته ثبوته بعد الأعمال فى الجنة ، وإن كان غيره من المقامات يثبت مثل ثبوته . ومن فضيلته كونه فى كل مقام بالقوة لأنه يمشى ويتصل حيث تتصل النية لأنها هى التصدد ، ومفهومه الخير الصادق والعزم الثابت والتصديق الخالص . ونحن قد ذكرنا أنه ينقسم إلى ظاهر وباطن ؛ والكلام هو المعنى القائم بالنفس وهو الدائر فى الخلد بحسب منسوب ما . وكل كلام هو لله أو من أجله أو يذكر به أو يوظفونه فهو ذكر . وأيضاً إذا قلنا مقام التوبة : أين الذكر فيه ؟ قلنا التائب يدعو ربه : فقد ذكره بلسانه وقت نوافله وخلاته ، وقبله حيث يغير عن عزمه على الفرار من العودة وإخباره عن الندم . وجملة هذا كله هو حال التضرع . فإن قلت : هذا مقام الدخول غير مقام الذكر فلا يدخل أحدهما على الثانى . قلت له : الدعاء هو الذكر إن لم يقرن مع الطلب ؛ فإذا حرر القصد وجرد الفرض كان الذكر الأكبر . وإذا وقع الاشتراك صُنف الذكر . ومقام التوكل ذكر الله وذكر القلب مما فرغ منه ، فهو يذكر صفته أعنى علمه ، ويذكر قدره وقضائه أعنى إرادته ويذكر قدرته . ومقام الرضا يذكر فيه صاحب ذلك المقام حكته وعمله وحبه فى كل حال كان عليه ، وحينئذ يصح له مقامه . ومقام التوحيد يذكره فى وحدته وفى كونه واحداً واحدة ، بالتصنع والسبى والتقسيم ، فبعد ذلك كما وجدته أنا . ومن فضيلته أنه يذكر بالهدى الأول ويظفر بالصدق يقية . ومن فضيلته أنه يتطور فى القوى النفسانية .

(١) بيت شعر لأبى العتاهية (راجع ديوانه ، وراجع « الأغاني » ج ٤ ص ٣٥ و ١٨ . طبع دار الكتب المصرية ، الطبعة الثانية ، القاهرة سنة ١٩٥٠ ) .

(٢) سورة « الإسراء » آية ٤٤ .

(٣) كذا ، والأصح : ذك .

وهذا الذكر المحمود هو الذى يقع على ما يجب ويتعلق كما يجب ، لا الذى يصدر من غير المتقدم أو يتوهم به المنوع العقلى أو الشرعى . وإنما الذكر المراد هنا المحمود من كل الجهات ، وإن كان الناس من العلماء أو من المتوسطين أو دون ذلك — الخير فيه إذا تم على سداحه من جهة مقوله . ومن فضائله عناية ربنا عز وجل بالمؤمنين بقوله : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [ ٨٥ ] اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا » (١) . ومن فضائله كون رسول الله ﷺ ذم آخر الزمان بعدم الذكر فيه ، بقوله : « لا تقوم الساعة على أحد يقول : الله ! الله ! » ومن فضائله قول رسول الله ﷺ : « أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتدفعوا أعنقهم ويضربوا أعنقكم ؟ قالوا : بلى ! قال : ذكر الله » — فهذا المختار قد اختاره لنا لأنه قال أرفع الأعمال . والماعقل يختار الذى يختاره له المرشد . وشهادة النبى ﷺ صادقة ، وهو لا يخبر إلا عن الله . والله قد أخبرنا بمثل ذلك . فأى دليل نطلب بعد نصيحة الله ورسوله ! وأى إرشاد أرشد من لإرشاد الله ورسوله ! ثم فضله على الصدقة وعلى الجهاد وعلى الشهادة لأن الذى تضرب عنه لا يعيش . وهذا إذا سلم من الشوائب وحُرِّز من الاعتراض لا شيء أظهر من فضله — فاعلم . ومن فضيلته قول رسول الله ﷺ : « إذا مررت برياض الجنة فارتعوا . فتبيل له : ما رياض الجنة ؟ قال : مجلس الذكر » . ومن فضيلته أنه لا يفوتك حتى فى المواضع الغير طاهرة . فإنك مُنِمَّتْ أن تذكر الله بلسانك فى موضع الحاجة ، وأمرت أن لا تفعل عن الله طرفه عين — فبقى لك ذِكْرُ القلب أو ذكره بالاسم المضمير كما جاء وقد جاء بالاسم الصريح . ومن فضيلته أنه يدفع البلاء عن العبد إذا طاف به فتود رحمة الذكر عليه تحفظه ، وقد جعله الله للمؤمن النذركم قطعا كلمنا وحرما آمننا . ومن فضيلته أنه ينقل من التيبة إلى الحضور ثم إلى المشاهدة . ومن فضيلته أنك إذا ذكرت الله حتى تنسى به كل شيء أهلك الله به كل شيء وملسك كل شيء صالح . ومن فضيلته أنه قياسك مع ربك فى المقابلة والمصاحبة والاعتباط ويقدر ما تجد نفسك فى الذكر ومع المذكور هو لك كذلك وأنت معه على هذا القياس — وقد جاء : « أنا عند ظن عبدي بي » — الحديث . ومن فضيلة الذكر قول رسول الله

ﷺ حاكياً عن الله تعالى : « أنا جليسٌ مَنْ ذَكَرَنِي » — فالصلى ما هو جليس الله إلا من حيث ذكره فقط . ومن فضيلته أنك تذكره بوضوء وغير وضوء ، وطاهراً وغير طاهر ، وعلى جملة تصرفاتك : إن كنت واقعياً أو قاعداً أو راقداً أو على جنبك — فافهم — ومن فضيلته أنه يتقدم على أوّلات الصلوات أعنى الفعل وهو في وقتها ، الذي هو الامارة والسبب المظهر للحكم . وهو الذي لا يمتنع بغيره من الوظائف في دعوى الإسلام من الكافر وإن صام وحج وجهد ودفع زكاته حتى يُسمع يقول : « لا إله إلا الله » أو يعبر يصلي ، وما ذلك إلا لما يُعلم أنه يذكر الله فيها أو لكونها تتضمن الذكر ، فاعلم ذلك . ومن فضيلته كون الاسم الأعظم أجَل المكاسب ، وهو ذكر الله المحمول على الماهية . ومن فضيلته كونه لا يتقيد بزمان بخلاف بعض العبادات ، وكل غلبة<sup>(١)</sup> شرعية ينقصها وقت ما [٨٦] كشر رمضان مرةً في السنة ، والحج مرةً في العمر ، والزكاة في السنة ، والجهاد في وقت دون وقت وقد يجب ولا يجب ، والصلاة خمس مرات في اليوم واليلة — والذكر مع الأنفاس ، ويثبت في دار الجزاء ، وينفع قبل الموت ، وفي حال الموت ، وفي القبر ، وفيما يُبْذَرُ ويُتَعَفُّ به الرجلُ الرجلُ والوالد الولد وبالعكس . ومن فضيلته ما جاء في الخبر أن جبريل عليه السلام قال لرسول الله ﷺ إن الله تعالى يقول : « أعطيتُ أمّتك يا محمد ما لم أُعْطِ أحدٌ من الأمم » . فقال : « وما ذلك يا جبريل ؟ » قال : قوله تعالى « فاذكروني أذكركم »<sup>(٢)</sup> — ولم يقل هذا لغير هذه الأمة . ومن فضيلته أن الملك يستأذن الناكر في قبض روحه . ومن فضيلته ما جاء من مومى عليه السلام أنه سأل ربه : « أين تسكن ؟ » فأوحى الله إليه : « في قلب عبدي المؤمن » — ومفهومه ثبوت الذكر وتحير اللب في الذي يجب ويجوز لله ويستحيل في حقه وكونه لا يسهه أن يذكره بأكثر من الذي يجب له ولا مثل الذي هو عليه — فتشقق أنه دون ذلك . فنقول : المُطَفُّ<sup>(٣)</sup> لا شيء يصح له ولا المقتصد ، والنصيب الصحيح في المقصد . ومن فضيلته أنه بقدر ما يكون من الناكر يستخدم الملائكة في غرس الأشجار . وقد جاء أن الله عز وجل قال : « يا ابن آدم ! ما أنصفتني : أذكرك وتنسأني » . ومن فضيلته أن الخلاوة انحصرت فيه

(١) ص : وضعية . (٢) سورة « البقرة » آية : ١٥٢ .

(٣) المُطَفُّ : الذي يمحض الشيء حقه .

وفي قراءة القرآن وفي الصلاة كما جاء — وإذا نظرت إلى هذه الثلاثة تجدنها مفهوم الذكر وهي هو . ومن فضيلته ما جاء في الرقام<sup>(١)</sup> وما يحفظ به من الجلال . ومن فضيلته أن التنوع الواحد منه يشبه عبادة أهل الملكوت والعالم المنفرد فإن تلك النوات ذاكرة بالتنوع المحمود ؛ وبذلك يفضل جميع الوظائف الشرعية ، فإن جميعها لا يطلق على تلك النوات ، وإن أطلق على جهة التشبيه وذلك التشبه لا يتعلق إلا بالوضع والقصد لأنه على المعنى من كل الجهات أو هو يقع على معنول الشبه المألوف . بل بالذي قلناه فقط . وقد نقل عن بعضهم أنه قال : « يقول الله عز وجل إذا كانت الغالب على عبدي ذِكْرِي حَسْبِي وعشقتني » . ومن فضيلته أنه عند بعض أهل الحق إذا أهمل من أعظم سيئات المقربين ، ولا شيء عندهم أعظم من إهمال ذكر الله .

ومن فضيلته أنه عنوان القلب ولسان الصديق وممول علة ذكر الله ، وفي بعض الكتب المنزلة : « وأذكرني حين تنصّب أذكرك حين أغضب ، وأذكرني حين ترضى أذكرك حين أرضى ، وأفرح بنصرتي لك فإنها خير من نصرتك لنفسك » . — وُجد بعض الرهبان<sup>(٢)</sup> وهو يستغيث فقيل له : « بماذا ؟ » فقال : « ذكرته وصمت بين الذكر بقدر ما ينفوت فيه قدر ذلك ، وزمان النغلة عن الله حرمان عظيم ، فأني يبيض أحوالي محروم . وفي يوم هذا أعود بالله من هذا اليوم » . وقيل لراهب آخر : « أنت صائم ؟ » [ ٨٧ ] فقال : « أنا صائم بذكر الله ، فإذا ذكرت غير الله أفطرت » . ومن فضيلته أنه أنزل على موسى حكمة في يوم الثلاثاء وكلمة يوم الخميس ، قال لذلك عنه صاحب<sup>(٣)</sup> « دلالة الحائرين » . وقيل لبعض أحبار اليهود : « اعبُد ربك ! » فقال : « قد فعلت ذلك في وقتي هذا » . ثم قيل له في ذلك ، فقال كذلك . فقيل له : « وأنت لك هذا ! أنت تباهت » . فقال للقاتل له : « أنا ذا كره ، وعادته متى تمكنني بالإدراك من كل شيء حال ذكره » . وقيل لبعض الحكماء : « ما تفعل لو أنك تحمّل وتحمّل في جزيرة منقطعة وتفقد المؤانس

(١) مصدر من رقى يرقى ( بالكسر ) رقباً ( بضم الراء وفتحها وسكون الياء ) ورقية : استعمل الرقية وهي أن يستعان على جلب منفعة أو رفع مضرة بكلام أو عمل .

(٢) لاحظ نقل ابن سبئين هنا عن أخبار الرهبان ، مما يدل على اطلاعهم على شيء من أحوالهم .

(٣) أبي موسى بن ميمون الإسرائيلي ( ١١٣٥ — ١٢٠٤ م ) .

وجميع الطيبات ؟ » قال : « تشبه بالعالم العلوى » . قيل له : « كيف تذكر ؟ » قال : « أذكر عيني وشيئني وظاهري ماهيتي وعلوئى الذى أبحث عنه الذى لا أول لوجوده ونجد الجميع وتشبه فيه بأشرف النوات » . قيل له : « وكيف يحصل لك ذلك ؟ » قال : « إذا أنا ذكرته استقامت نفسى على طريقة أهل الكمال وتذكرت واستجاب الأمر فيها ، وبذلك يحصل لها التعلق بعالمها فيعود الأمر من قوة الاستغراق إلى الحال الشبيهة بالنوم فتترك الجوارح ويقع الكشف ، ولا شيء أجل من هناك » .

ومن فضيلته تجديده اللذة فى كل لحظة . ومن فضيلته أن لذته روحانية وهو مذكوره بممزوج من جلال رجال الله . ومن فضيلته أنه يفعل فى البديعى<sup>(١)</sup> ويوجد فى الكفار ، وإن كان الكافر يطلق الذكر على غير وجهه ولنير الله — فالأمر إليه يرجع . ومن فضيلته أنه يوجد فى الإقرار ، لأن الحكمة تشهد أنه إذا غضب المبطل فى الحق أنصفه المضل المرفوض فى الوجود ، وإن لم يتم بالمبطل قام بمهية الوجود ويشهد له لسانها . ومن فضيلته أنه يتعلق بالكواكب وبجميع الصور والكواكب العلوية وبالمتحيرة<sup>(٢)</sup> وبالقوة فينتفع به الناكر وإن كانت المنفعة غير متبررة فشراف الذكر فيها ظاهر . ومن فضيلته أنه لا يصح من أحد إلا ووقته فيه محفوظ ، وإن قدرناه بموت فيموت فى الوقت المختار المأمود وهو يذكر الله والله يذكره .

ومن فضيلته ما جاء عن جعفر الصادق رضى الله عنه الذى حكاه جابر بن حيان<sup>(٣)</sup> أنه كان يتكلم فى جميع العلوم عقيب الذكر . وسأل بعض الفلاسفة فى يوم حضوره للناس بمحضر الجميع منهم فقال له : ما دليلك على أن للعالم فاعلا مختاراً يختار حدوثه ؟ فقال : أرأيت لو أنا قدرنا لهذا

(١) أى البشعة ، Horijo ، صاحب البدعة .

(٢) المتحيرة : السكواكب السيارة .

(٣) الصلة بين جابر بن حيان وجعفر الصادق مشهورة مذكورة — راجع « الفهرست »

لابن التديم ، تحت اسم جابر بن حيان . وراجع :

Paul Kraus : Jابر Ibn Hayyan. Tome II, Le Caire, 1942

وراجع أيضا كتابنا : « من تاريخ الإلحاد فى الإسلام » ص ١٩١ — ١٩٧ القاهرة سنة ١٩٤٤



الحدث الذي يختار ويدبر الأكون وهو حكيم لا يفعل إلا الأولى ويتقن المصنوعات — أى شيء كان يظهر في هذا الوجود ؟ وهنا منى على صورة الفرض لا على أنه على صورة الدليل . قال له الفيلسوف : كان يفعل ما ينبغي ويتقن الأشياء ويضع كل شيء في محله . قال له جعفر الصادق فقد كان ذلك وما قدرته قد وقع . وجاء عنه — رضى الله عنه — أنه كان يوماً يذكر الله فجاءه بعض الناس فقال له : ما أقوى دليل على [ ٨٨ ] وجود الله الذى أنت ذا كره ؟ قال له : وجودى ، وذلك لأن وجودى حدث بعد أن لم يكن ، بأى (١) فاعل ؟ يتمتع أن يقال فاعل وجودى أنا ، لأنه لا يخلو إما أن يقال أحدثت نفسى حالماً كنت موجوداً أو حالماً كنت معدوماً ، فإن أحدثت نفسى حالماً كنت موجوداً فالوجود أى حاجة (٢) له إلى الوجود ؟ وإن أحدثت نفسى حالماً كنت معدوماً فالعدم كيف يكون موجداً للوجود ؟ فدل على أن الذى أنا ذا كره هو الذى تشير إليه بالاستشاق وهو الصانع الفاعل لوجودى ووجود غيرى ، عز وجل ، ظاهر لا يتأويل المباشرة ، باطن لا يتأويل المباحثة ، يسمع بفراغة ، ويصير بفير حذقة ، لا تصد الصفات ولا تأخذ السئات ، القديم وجوده ، والأبد أزله الذى أين الآن (٣) لا يقال له : أين كان .

ومن فضيلته ما جاءه من بعض الملوك مع بعض الرجال : كان يذكر ربه ويحضر الناس على ذكره . فقال له الملك : لمن أنت ذا كره ؟ فسكت عنه . فقال له : « كلمنى » قال : « أنا أفكر في هذا البستان الذى كان خراباً ، ثم من بعد ذلك صار من أخصب الموضع ومن أرفها وذلك من تلقاء نفسه . قال له الملك : « أنت مجنون » . قال له : « بل أثبت ذلك الذى ترتفع في بستان وجود الله وتسال عنه . فأعطاه الجواب ، وكان يذكر فلم يقطع غيره ، والله يديه بالغيث الكريم . وقد حكي عن على عليه السلام وهو يذكر أنه قيل له : « هل تذكر من تبصر أو تعلم ؟ » فقال : « لم أعبد رباً لم أره » . فقيل له : « كيف رأيته ؟ » فقال : « ما رأيته بمشاهدة العيان ، ولكن رؤية القلب بمحاثق العرمان » . فقيل له : « صف لنا هذا المذكور » . فقال : « إن ربي لطيف الرحمة ، كبير الكبرياء ، جليل الجلالة ، قبل كل شيء ليس له قبل ، وبعد كل شيء ليس له بعد ،

(١) ص : به (١) (٢) ص : حاجة .

(٣) أى هو الذى خلق السكان ، فكيف يقال : أين هو

ظاهر لا بتأويل المباشرة ، باطن لا بتأويل المباحة ، يسمع بغير آلة ويبصر بغير حدقة ، لا تحده الصفات ولا تأخذه السئات ، التقديم وجوده والأبد أزله . الذى أَيْنَ الأَيْنَ ، لا يقال له أين ؛ وكَيْفَ الكَيْفَ ، لا يقال له كيف . هذا حكاه جابر بن حيان فى « الهداية » ، وابن الخطيب<sup>(١)</sup> فى « المطالب العالية » . وحكى مثل ذلك من طيب كان يعرف الله ، وكان إذا ركب الأدوية يذكر الله وينفعل بالذكر . قيل له : ما الذى حملك على الذكر إذا ركبت الأدوية وتنفعل لذلك ؟ قال : « أستعين بذكر الطيب على العلة ؛ وأيضاً أبصرت الإلهيىء الجفء يعلنى ، وألعب المسك يلين — ففرت أن الأمر آخر . وأيضاً ذكرته لأنى عرفته بحيوان صغير وضع السم فى أحد طرفيه والشفاء فى طرفه الآخر » — وهى به النحل .

ومن فضيلة الذكر أن بعض الملوك — وقيل هو الموفق بالله — حجج وكان قد حضر عنده جماعة من النجيين . فأضمر لهم ذكر الله ، وقال لهم : أنتم تقولون إن الإنسان يضم فى قلبه وتخبرونه بما أضمر ؟ قال له أحدهم : نعم يا أمير المؤمنين ؛ قال : قد أضمرت فهل من يكشف ذلك ؟ فسكلم كل واحد [ ٨٩ ] منهم فلم يصب . فقام أعظمهم — وهو أبو معشر<sup>(٢)</sup> — والله أعلم — فقال : أضمرت ذكر الله ؟ فقال له : صدقت ، أخبرنى كيف اطلمت على هذا . قال : لأنك لما أضمرت أخذت ارتفاع الوقت فوجدت نقطة الرأس فى وسط السماء ، ونقطة الرأس شىء لا ترى ذاته ويرى أثره وخيره ، ووسط السماء أرفع موضع فى الفلك فعلت أنك أضمرت ذكر موجود لأثرى ذاته . بل يرى أثر خيره ورحمته ، وذلك الموجود هو أرفع الموجودات ، وليس هذا الموجود إلا الله تعالى .

ومن فضيلته أنه ينفع فى مبع خواص من السيمياء وينفسد تسع خواص من السحر . ومن أراد استعمال قوى السكواكب بحسب صناعة أهل العلم الرياض لابد له من الذكر ، وذلك بعد المستورية

(١) ابن الخطيب : هو الفخر الرازى صاحب التفسير ( المتوفى سنة ٦٠٦ هـ ) .

(٢) أى أبو معشر الفيلسوف المشهور ، صاحب كتاب « الألوف » الخ — راجع عنه القفطى : « أخبار الحكماء » ( القاهرة ، ص ١٠٦ وما يلها ) ، « والفهرست » لابن النديم ( ص ٣٨٦ ) ، « وطبقات الأمم » لصاعد الأندلسى ( ص ٨٩ ، طبعة القاهرة ، وص ١١٢ ترجمة بلاهير ) .

أعنى أن يكون الكوكب في بيته أو شرفه في الوند وينظر الكوكب إليه من بيته أو شرفه من الوند كالزهرة في الميزان في الطالع، وزحل في الجدى أو في الميزان، والمريخ في الجدى. واعلم أن الكوكب إذا كان في الحيز أو البرج أو المستوية كان أظهر فعلاً وأقوى تأثيراً، ثم يسد إلى اتخاذ الصورة والاسم والبخور والأفعال. مثال ذلك برج الثور: تستعمل صورة إذا كان في الوجه الثاني، ويريد الحكيم أن يخدم أمره، يتخذ صورة ثور مضروب الوسط ويناديه: «لرل» ، ويبرخر بذنب الفأرة ويضلل الأمور المهلكة بإذن الله؛ ويقول في جميع خدمته: «ياجر لايل» ، يادبرلايل، «ياجر لايل». ومفهوم ذلك: يا مالك القوى السارية في الأجسام الفلكية والطبيعية والنوات المارقة بك والقي فوقها، يا نور النور.

فهذه من بعض فضائل الذكر عند من لا علم له بالمذكور. والله قد ربط عاداته في تعظيم ذكره عند المؤمن والكافر ويكون الأمر من حيث الحق في غاية التمام والحسن، ومن حيث الناكِر الذي يذكره على غير ما هو به في غاية النقص، فإنه تعظيم ذكره، ولا يسأل عما يفعل، وذلك لزيادة جلاله. وأكثر من ذلك ذكر الجهاد له بلسان الاستحقاق.

وبلغى عن اليهود أنهم إذا عزوا على وضع الهيكل لا بد لهم من أسماء يذكرونها وحينئذ يضمنونها، وتلك الأسماء: «واهِ بُدْ الأبد الأوحسان هرشان أورشان». ومفهومه: «يا مَنْ مِنْ أَجْلِ أَحْرَقَ الطامع بشرته وتوجه لبعض مخلوقاته الشريفة! أنتم علينا بنسمة منك تسرى لنا وتفصل في أحوال أرواحنا، يا أصل كل شيء ولا أصل له، يا بُدْ مفهومه، يا مَنْ يقوم به الأشياء وهو في كل شيء بشيئته».

والسودان إذا أرادوا أن يتخذوا الصور المحيية يكتبون أسماء الله على وجوههم، وتلك الأسماء موروثه عندهم، وهي جملة: «يايى فاشى بر رجع ششاع». مفهومه: «مَنْ ذَكَرَ اللهَ فَرَّ مِنْهُ كُلُّ عَدُوٍّ» فأمدَّ الله يقدر ولا يقدر عليه.

والإفرنج لا يصح البابية<sup>(١)</sup> منهم المكناة حتى يذكر به [٩٠] بلسانه ثم بلاهوته: يذكره

(١) أى البابا، رأس الكنيسة الكاثوليكية = Pope.

بلسانه حتى ينيب ، وبلاهوته حتى يصيبه شيء شبيه الجنون ، يذكر الله بالأفنومية وهي صفة ذاته وما أشبه ذلك وهذا كثير جداً . وكان سقراط يقول في كل صباح : « أنا الدليل بالذات وأنت العزيز بالذات ، فلا تجعلني بمنزلة من السدء بالعرض . يا مَنْ هو صورة كل شيء وقياس هذا العالم ووجوده القريب ، احببني من كل ما يقطعني عن كمالى » وكان يكثر قول : « أنت أنت أنت » — قليل له : ما هذا الكلام المهمل المبهم ؟ قال : « هو يتحدثني بما وجب له عندي وأنا أسكلمه بما وجب له علي » . فإن ذكرت نفسى فجددتها قد استحقها فنقول : « أنت ليس إلا » ، وإن ذكرته هو تجدده قد استجاب عندي وهو ماهية ما أنا عليه والعالم يسبيله فنقول أنت . قيل له فقل : « هو » — قال : « أثير بغير فحاده على الخصوص . وكان أفلاطون يقول : « يا نور العالم ! يا سبب الكل ! يا مبدع الكل والتتابع ! كم ذا تنجرد ونمود إلى هذا الجسم وترجع في علم العقل إليه اقو في بحيث أثبت عندك ولا نمود ، فإن صرفتنى إلى هذا الهيكل فاشغلنى بك وألهمنى بالرجوع إلى حالتي التي انصرفت من حضرتها الشريفة . يا غاية العقل والعلم ، يا لثة الهمة يا أمل الحكمة ! » وكان أرسطو يقول : « يا هلة الليل ، يا أزل الأزل ، يا سبب<sup>(١)</sup> أول ، يا واهب العقل ! قو نارك . يا من تكرم علينا بالوجود ، لا تهمل نفوسنا في عالم الطبيعة وخصصنا في حضرة الجود » — وبلغنى أن الهراصة<sup>(٢)</sup> كانوا يسمون نهارهم وليلمهم إلى زمان الذكر ، وزمان معرفة مدلوله بينهم ، وزمان اختيار ذكرهم وتحقيق حقيقة قبول المذكور عليهم بوارق طارق أو حال خارق أو إشارة في السكون أو ملك مخاطب أو زيادة رحمة أو خير مكتسب .

ولكل نبي دعوة ، وتلك الدعوة ذكر خاص . وساعت الأنبياء لا يمكن فيها المناجاة ، لأن اللطائف إذا تواردت على المحل لا يسع العارف إلا الذكر . وبلغنى أن آدم عليه السلام كان يقول : « اللهم أرخني بجنتك التي لا يتوقف فيها ذكرك » ، ولا نفقد فيها ذاتك . يا مَنْ أسجد الملائكة لعبدته وهو يعلم منه أنه يعصيه بعد ذلك . يا مَنْ كرَّمه لا يتوقف على الجزاء

(١) كذا ، وصوابه يا سيأ أول .

(٢) راجع عن الهراصة وسورة هرمس في الفكر العربي — كتابنا : « الإنسانية والوجودية في الفكر العربي » ص ١٦١ — ١٩٧ ، القاهرة سنة ١٩٤٧ .

والمسئلة ، ولا يستند إلى ما قبل ويكثر . يا واسع الخير ! يا رحمن ، يا حلیم ، يا الله ! . وكان إدريس عليه السلام يقول : « علنتُ أنك العليُّ الكبير الشأن ، المنعمُ على كل ذاتِ حادثة ، العالم بكل الكائنات ، الذي له الملك والحمد . فأنعم عليَّ بما علنتني ، وخلصني من ملاحظة غيرك يا ذا الملك والسلطان » . وكان نوح عليه السلام يقول : « اللهم أنعم عليَّ بالصبر حتى نفرج في الدنيا والآخرة بدعوة الحق . يا حق ، يا مدير الخلق ولو في رجل واحد . يا الله : يا الله ، يارب ، يا رب » . وكان يقول في السفينة بحسب ما نقل : « اللهم سلم وأنعم علينا بالعافية ، وادفع [ ٩١ ] عنا غضبك : لا طاعة لنا عليه ، وانظر بعين رضوانك إلينا يا رحيم يا رءوف ! » وكان يقول بعد سلامته : « يا وهاب ، يا محسن <sup>(١)</sup> المذنبين ! ثبتنا على طاعتك ولا تهملنا وعافنا » . وقال عند موته : « سُبحان الحق الذي لا يموت » . وكان إبراهيم الخليل عليه السلام يقول : « اللهم بحق كلمات الصنف آتسنى بك وبلغني غايته في جوارك ، وارحمني بمضرة رضوانك ، واجعلني في الأرض أسرةً صادقاً يجنب عبادك إلى رحمتك ، وحدثنى في سرى بما تكشف به عن ملكوت السموات والأرض ، واجعل فريقي صالحاً » . — والذبيح <sup>(٢)</sup> عليه السلام كان فداؤه ذكر ربه في قلبه بصفة الرضا . ويعقوب عليه السلام قسم ذكره لربه وجهه ليوسف ، فكان عذاب ياطنه لأجل المساواة . وكذلك يوسف : طال أمره لكونه ذكر غير مذكور فنار الحق على ذكره له ، ولكونه وقعت فيه المشاركة . وهذا في حق يوسف عليه السلام مما يحمد لأنه عاتبه على المباح فدلَّ على أنه اصطفاه . والكلام عليهما يطول ذكره لأنه من قبيل القصص المذكور الذي تعظمه العامة ، بل من قبيل التحقيق الذي تعظمه الخاصة — وكان موسى عليه السلام يقول : « نذكرك في القلب مرة ثم نبصره به فأنعم عليَّ بالنظر إلى وجهك ، كما أنمت على المذنبين من عبادك » . وما ذاك إلا أنه غاب ذكره في بصره فأبصر الحق بالحق ، وطلب ذلك من جميع الجهات . وكان هارون عليه السلام يقول : « اللهم أريح عبادك ، ومَهِّدْ بلادك » . وكان عليه السلام يقول : « ذكر الله

(١) كذا ، وصوابه : يا محسنًا .

(٢) أي إسحاق ، أو إسماعيل بحسب اختلاف الرأي في ذلك بين المسلمين ، ولأن كان الثابت من التوراة أنه إسحاق ،

شرية القلوب ونصيبها من نور الله . اللهم طهر قلوبنا بذكرك حتى نذكرك بما تحبه كما تحبه .  
 وفي التوراة : ذكرى رحمة للعباد لا يصلح معها عذابى . فأوحى الله إلى موسى عليه السلام :  
 « اذكرنى فإن بذكرك لى كنتك ، وبه ترائى وأنا مع الذاكرين » . فقال موسى : « يارب  
 أمنت فتم لى ؛ ما ليس لك فإنه مثلك وليس لك مثل نفسك » . فأوحى الله إليه : « من استند إلى  
 كفىته ، ومن ذكرنى فقد بلغ إلى حضرتى » . وكان داود عليه السلام يقول : « الحمد لله على  
 حمده وعلى ما بهمه » فأوحى الله إليه : « يا داود ! احمدي وزد في حمدي ! » فقال : « يارب !  
 وهل يستطيع أحد على حمدك ، فإنما حمدك نعمة من النعم » . فأوحى الله إليه : « عفت ذلك فقد  
 حمدتني » . وفي الزبور : « يا داود ! أنا عند ظن عبدي فليظن بى خيراً » . ومعناه : أنا بحسب  
 ما يظهر عني ويذكرني . وفي الزبور : « يا داود ! أنا بذك اللزم فالزم بذك » . ومفهومه : أخبر  
 عن واجبه فيك وعن استحقاقه لك — وهذا هو ذكر القلب وذكر بعض أهل التحقيق أنه كان  
 إذا أراد أن يفعل الأمور العجيبة ينكلم بكلام غريب وبمهورف مقطعة فيفعل الأمور الغريبة  
 صلى الله عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين . وسليان — عليه السلام — فعل بالذكر والاسم  
 واختار ما [٩٧] صحت ، ودعوته كلها ذكر . وبه علم منطق الطير والذكر المشترك والنطق العام  
 المقول على كل موجود بل على كل معدوم بوجه ما . وبلغنى أنه كان إذا عزم على الحركة ويريد  
 تصرف النوات التي حصرها عالم الكون ينكلم بكلام خفى ويستدعى الجميع أسرع من الطيف .  
 وأفاد فلك لبعض خدامه ، فكان يفعل ، حتى كاد أن يفعل فيه . وكان يذكر حتى يفعل في  
 الموجودات ويظهر فيها المعجائب . وكان في خاتمه ، مكتوب : من علم الله ، علمه الله علم ما لم يعلم ،  
 وملكة ناصية كل ملك وخلق ملئكه ، وجمع له بين ملك الدنيا ونعيم الآخرة . ومن ذكره  
 بحسب علمه زاد له من ذلك وأيده بروح منه . وذكر الله هو الروح الحافظ . ومات زكرياء عليه  
 السلام وهو يقول : « الحمد لله الذي جعلني من عباده الصالحين » . وفي الإنجيل : « لا تخف في عبد  
 لا يذكرني » . — ولا يدخل الجنة من ذكر غير الله أكثر من الله ، فكيف ! وفي الحديث  
 الصحيح : « ما من ساعة تمر على العبد لا يذكر الله فيها إلا وكانت عليه حنة يوم القيامة  
 وإن دخل الجنة » . وذبح يحيى عليه السلام وهو يقول : « مولاي ! رحمتي بالقرب منك فارحمي

بجميل التقاء . — وذكر الله جنةً لا تصيب بها مصيبة لمن يخلص بها . وفي الإنجيل : « يا عيسى ! اذكرني كما يذكر الولدُ والده » وفيه : « نعمة المؤمن محل الذكر ، وحمل الذكر حضرتي » . وفيه : « الحكمة الصادقة ذكر الله مع أهله وفي وقت التفتة بين التالفين » . وكان لقمان يقول لابنه : « لا تطلب الحكمة في بطون الأوراق ، ولا تسمها من الألسنة ، ولكن انظر الصنعة واذا ذكر الصانع يُرشدك لكل شيء » . وأصحاب المسيح عبادتهم الذكر والسياحة والتجرد والصوم واستماع المواعظ والطوائف والبراريق ، وهي الآن سنة الزهبان .

وإذا ذكر الله وقع الجلال في الضمائر واعتزت الأرض بالكنه اللازم لها والمملكة الواجبة في الأشياء الظاهرة بها . وقد جاء في الحديث الصحيح أن المؤذن ما يقرأ أذانه على رطب أو يابس إلا شهد له بالإيمان يوم القيامة . وقد قيل في قوله تعالى : « فما بكت عليهم السماء والأرض » : إنه الذكر في مواطن التعب ؛ وقد قيل : هي العبادة . وكيفما كان الأمر ، الذكر لا يفوت أمره ، كان بسيطاً أو مركباً .

وأما نبينا عليه السلام فقد بدأت به وبكتاب الله تعالى ؛ وقد جاء في ذلك من الأحاديث ما لا يحصى عددها . وكان الصديق رضي الله عنه يذكر في نفسه ويقول : « أسمع من أناسي » . وعمر رضي الله عنه كان يذكر بالجرير ويحارب عدو الله الشيطان . وعثمان رضي الله عنه كان يقوم الليل كله بالقرآن ، وهو الذكر من جهة الاسم والمنقول والجميع . وعلى عليه السلام خطبته معروفة وذكره لا يمكن أحداً<sup>(١)</sup> أن يستريب فيه . والسلف [ ٩٣ ] الصالح كذلك كلهم ورجال الرسالة الذكر عندهم مقام كريم . وهو لا يترك في السلوك ولا في الوصول لأن كل واحد من الواصلين يذكر ما هو بسبيله ولو بالقلب ولو بالذكور ولو بإخباره عن قطعه ، ولو بالوقفة . وبالجملة لا بد من الذكر وهو يتقسم ويتأخر ويقارن المقامات والذات والأحوال والجميع . وأويس<sup>(٢)</sup>

(١) ص : أحد .

(٢) أي أويس القرني ، راجع عنه : « السكواكب النورية » للفناوي ج ١ ص ٢٩ ( القاهرة سنة ١٩٣٨ ) ، أبو نعيم : « حلية الأولياء » ج ٢ ص ١٦٢ . الشمراني : « الطبقات الكبرى » ج ١ ص ٢٤ .

رضى الله عنه كان مقامه الذكر المفرط والبكاه ، وكان فكره يتأخر عن ذكره ومات وهو مُقَدَّمُ  
أُسْوَةٍ لأهل الطريق ، وذكره فكره معاً فافهم !

ومن فضيلته كونه فرضاً عليك : مفرداً ، ومركباً : تارة وحده وتارة بإضافته إلى عبادة أخرى .  
وهو أول ما تستفتح به الرسل لعباد الله . وأما المحدث فينقل فيه الوجوب والتدب . والفقيه يوجبه  
عند تذكر النعم وفي الصلوات المكتوبة ومن حيث المسلم ، ويحمله إذا أفرط وإن استغرق فيه  
الوقت كما يجب . وهو عنوان السعادة عند الموت . وهو الأول في الدين ، والآخر من أول ما يطلب  
المكلف به ، وعند الموت . وهو ظاهر في اللسان ، وباطن في الجنان . فقد ظهرت فضيلته في صناعة  
الحديث والقياس وفي الأحوال ، فإنها تكشف فضله وتحض عليه وتبهر إليه . وبالجلة ، فضله في  
العقل والنقل والإجماع والقياس لا يخفى إلا على مجنون أو محروم أو مُبَاهَت أو بطَّال أو جاهل —  
وأعوذ بالله من هذه الأوصاف . وكذلك وجوه التصوف : أما الأول فيقول<sup>(١)</sup> : الذكر يحفظ نظام  
الأحوال وينشط القصد ويحرره ويُتَوَرَّعُ الفتن الباطنة . والثاني يصمده فإنه يصرف الوهم إلى مرتبة  
التقدير ويقطعه باقتطاعه هو ولا ينقطع إلا في المذكور ، والمذكور هو المقصود ، والمقصود لا وَهْمَ  
فيه . والثالث يحضُّ على متملقاته بحسب محل ، ومن جهة وجهه . والذكر الجوهري يحده في تطوره  
في جوهره المنتظر ، وكان ينتظر به جلالةً مجهولةً في تحقيقه ، ويسوقها هو . ولولا التلويلُ كنت  
أذكر ماهيته بحسب الوجوه والمراتب التي فوقها ، وما بعد ذلك . ولكني راغيت الكلام على  
مكانه وفوائده ومقاييسه واستعماله كيف يكون ، ومع من ، وفي أي وقت ، وبماذا ، وكيف ماذا ،  
وأين ، وما غايته ، وما نسبته ، وما حكته في الثناء عليه والحث على استعماله واتخاذها ، وإن كان  
الكلام المقدم فيه الكفاية . وأيضاً وصلته للوجه الثالث : فإنه فوقه بوجه أكل يسر تصويره  
على الجاهل فيعود بوجه أقص عنده ، فاعلم ذلك . وأيضاً إذا وصل الكلام لفص التحقيق يتجرد  
الاصطلاح الغريب ويفرُّ الذكُّ من قلب الذاكر ويُطَمِّعُ على قلبه ، ويفرُّ الذاكر فرار الشيطان  
أمام الذكر في العرف الأول ، لأن الكذب لا يجوز على الله ولا مع الله ، ولا شيء أكنب من



لسان الإضافة ولا شَرَكَ أَقْبَعُ من شركها . لكنه يقام له قوة إلهية فيعود فيفضل كفضل التاكر .  
 لكن لا يُعتبر في ذلك الذكور [إلا الله] [٩٤] وبُذِّ البُذُّ وهو هو الموهو ، وإن كان الذكر يكون  
 الكُتْنُ البسيط الساذج الذي يفرض تمظييه يوم المقاتل وحرص المذْكَر .

فنتقل ذلك ونمود إلى الأصل الأول، فنقول : إذا أَرَدْتُ أن تذكر فضلك بطهارة عمَّا لك الجسماني  
 والروحاني والأمل الواقع فيهما والمفهوم منهما والصادر عنهما وجميع الواحق حتى التي ترجى أو تقدَّر  
 أو يُخْبَرُ عنها وتستمدلأس قطع وتكثيف الذات ولو بالخير الكاشف المقرر على نكتة السكينة؛  
 هنا إذا أردت الأهل ، وإلا فأى شيء كان منه اظهر فيه بالذات . — ويستحب للمعل أن يكون  
 فارغاً من الطعام إلا أن يكون الناكِرُ من المارفين ، وهو الذي ذكره إخباره عنه أعنى القريب في الكلام  
 فله أن يذكر كيف شاء ، وينظر الأشياء التي كان يذكر بها رسول الله ﷺ . وقد يجب للهمة أن  
 تجمع أسماء ذات الناكِر المذکور وأسماء صفاته وأفعاله وتمظييه وتقديمه والكلمة الصادقة  
 بالاعتقادات السببة ، وهي كلمة : « لا إله إلا الله » . فإذا وجدت النفسُ الأنسَ بالصيغ ، اصبر  
 عليها حتى تجد الأنس بالمدلول . ثم اصبر عليها حتى تجد الأنس بما يجب له . ثم اصبر عليها حتى  
 تجد الأنس بها في النفس والحال ، لا في الاعتقادات والظهر . فإن لم تجد إلا الصيغ حصَّ الناكِر  
 على الخلوة واجعله يقرأ سورة « الواقعة » . ويستحب له أن يقطع الصوت الحسن الذي لا ينشط إلا به ،  
 فإنه يحجبه عن مطالعته ؛ ويسمع بأذنه وبالإيقاع فقط وأهوذ بالله من هنا ، وإن كان يسمع بالجميع  
 فلا بأس به أو يكون من المارفين ويحسب ما ذكرناه . ففرج ، فنقول : إذا وَجَدَ ذلك — اقله —  
 يقول ويعتقد أنه لا فاعل إلا الله . فإذا وجد الدلالة يبتدئ في مظهره بالدليل قبل المدلول وتقع  
 المساواة — اقله — يقول ويعتقد أنه لا حى إلا الله . فإذا وجد الاجتماع يحكى معتقده والجمع  
 يشهد على ماهية تعليقه وتصويره ويحصره حصراً الفائرة لما تحويه ويتفعل مع ذلك لهيئة ذاته وضعف  
 مرض عاتقه قد أخذ في الانحطاط — اقله — يقول ويعتقد أنه لا موجود إلا الله . فإذا أَبْصَرَتْ  
 الآنية هي الهوية ، والمعلوم هو العالم ، والميت هو الحى ، والظاهر هو الباطن — لا من جهة الدليل  
 ولا هو من قبيل أنا هو وأنا الله وما أشبه ذلك — فوض أمره إلى . الله إلا إن كنت صاحب اسم  
 فأنسه وبلَّغهُ الأمانة الثانية ، والله هو المدير فإن الناكِر حقيقة هو المذكور .

ذكر آخر . واذكر باللسان وانهم باللبان ، ثم اذكر باللبان وحرك اللسان ، ثم اذكر بالقلب والرب ، ثم اذكر بمحققة القلب حيث هو الرب ثم لا بالرب ، ثم اذكر بالرب ، ثم لا بهذا ولا بهذا ، فإن السبب عند الله ينقطع بالله والله لا يذكر نفسه وذلك الذكر غيره أعنى غير المذكور ولا يذكر عبده وهو هو ، ولا يسع في الوجود انخلو عنه مع امتناع [ ٩٥ ] ذلك فيه وإن كان بوجه ما به . ولكن هنا دقيقة إذا قلت: الله ولا شيء معه ولك حالة ماغريبة الهيئة هي تلك ، والذكر هو المامية الشعور بها وهي القضية التي لا تنتقل وتستقل ولا تكون بحيث يرد عليها العالم والكشف والحاضر والغائب فأبشِرْ فإنك الاسم الصحيح والخليل الخاص من حيث أو هاتك وسلبها ذلك والمطلوب الجميع . وهنا يصل بعض الناس من يتوهم أنه وصل وقطع بالوصول ويحجر الواصلين ، بمعنى أنه قد لا يستقل ، واستغنى ، فينقلب وينقلب من دار مولاة حيث أراد الحلول فيها بعد طول المدة . وذلك أنه وصل إلى آنية<sup>(١)</sup> بسيطة لا يمكنه أن يسع من غيرها ويحجب القلق في ضميره من الأفيار<sup>(٢)</sup> ثم ينصرف إلى مناه الساكن فيجد المبدأ والمآل للأفيار ويحصر ذلك كله على الوهم وهى ملك الخيال ويستند إلى مواجده ويطلق التوحيد المحض العام الذى يشوبه شيء ويصرف الأشياء إليه . وينظر الناس بعين الرحمة ، فليتنظر نفسه بين الإنصاف ساعة ويرجع البصر كرتين ويفوض في جلال الذكر . فهو الذكر الأعلى الذى لا تنطبق الآنية إلا على مظاهره ولا يطلتها على جهة المطابقة إلا هو .

ذكر آخر : الذكر مشاهدة إذا كان من الضمير الأعلى بمعنى أنه يستجيب فيه المذكور أى المدرك والمشعور به .

ذكر آخر : بل بحر تجري سفينته تحت موجه ، وجواهره فوق أوجه . إن كان الذكر يحمل إلى الله فقد كفر الناصر بإجماع أهل الذكر الخالص ، وإن كان يحسبه عنه فالأمر أضر ، وإن كان لا يحمل ولا يمنع فهو الوهم الأول الذى لا يذكره العارف . وإن كان هو الفكر — بمعنى أنه لا يذكر إلا من يعلمه ويطلق القول عليه كالقول على القوة الوهمية والخيالية والمنكرة والذاكرة

(٧) جمع : غير .

(١) آنية = enai = وجود .

وكيف يطلق جميعا بحسب المواضع وكونها واحدة بالموضوع وكثيرة بالانفعالات والتغييرات والاستعدادات — فالناكر من الأشقياء . وإن كان الذكر ذكر العابدين ، فالناكر من أعداء الله الحبين . وإن كان الذكر ذكر العلماء ، فالناكر من النافلين . وإن كان الذكر بالعرض المخلوق فالناكر لم يتميز فضله من الحيوان غير الناطق . وإن كان الذكر بالجراحة ، فالناكر من عباد الله للبله ، نعم ! وقلبه يجهد حلوته . وإن كان الذكر يُطْلَبُ به الثواب ، فالناكر من الأشقياء عند الصوفية . وإن كان الذكر لكي يحقر به الناكر ، فالناكر محروم النصيب . وإن كان الذكر لغائب فالناكر من أرذل الكفار . وإن كان الذكر يُصلح الوقت ، فالناكر ممقوت . وإن كان الذكر يُبيح حلل الناكر فالناكر برىء عن الله . وإنما الذكر نُكْتَةُ إن وجدت كانت وكان الكل ، وإن استدعيت لم تكن ولم يصح البعض . ومن كان ذا كراً بالوجه الشرعي واستقام على ذلك ولا يطبقه على مقام يطلب به المرتبة المشار إليها من فص الهوية ويتأدب مع الرجال في مواجيدهم ، سَلِمَ حاله . وهذه الاعتراضات [ ٩٦ ] هي بالنظر إلى الأعلى والأولى فقط فلا يتوهم غير هذا . وبعض هذا غلظ بعض أصحابنا وتوهم أنه وصل واتسكن قصده وضمف سيره ولم يصح له إلا خطبة وهم مهلكة فنفته الغاية لكونها غالطة في نيل الغاية . وشرح حاله هو أن الرجل نظر بعض نظري ولم يحصل حرف ما بعد الأجسام وما بعد المفارقات ، مثل عالم الوحدة والمسائل المويصة ؛ ولا هو كان من حيث الصوفية من كل الجهات بل أخذ البعض الذي لا يتم من كل نوع ذلك وكأنه وجد الآنية مهملة الشعور والإدراك ، وسلم الجلال للجليل ، وافترقت الأغيار لوجوده ، وهي بالنظر إلى ذاتها ماهية فقط لا أنها وجود ، ولا هي به بالوجه الذي لا يصح معه الكفر البين ، ولا يمكن معه وحدة الوجود الحمود عند الصوفية ، وقامت معه المعية المتداخلة الخفية التي يتوهمها جميع من لم تهتده علوم التحقيق التي هي أعز من الأمر المرتكن والمربوط والمستند والحال والملتحم . وهي عنده أجل من أن تكون كفية المكان من حيث الفاعل ، لا المعية التي يأخذها قسطها من المساحة وكذلك مية الزمان جازها ومية المرتبة ومية أخرى وهي عنده مية التقويم والتنميم والإلزام والمصاحبة المدبرة . — فإن صرح أن يقال في الحق إنه الوجود بذاته عنده الذي عرض للماهية ، فهو ذلك أو شبيه به . — وذلك المعية تشبه الارتباط ويتحل الشيء إليها

بالاستحقاق وكأنها بوجه ما عنده مُقدَّمة وبآخر قياسٌ ، وثالث نتيجةٌ . وهو يتوهم أنه يجدها لا من جهة النظر فإنه حيث نظر انتقل من تأمله فيها ، وقد تكون عنده من قبيل الأحوال ، ويطلبها مع الغير بالوجه الذي لا يطل بها في ضميره — وهو مع هذا يجب أن ينسب إليه أنه يعلم . ولما كانت عنده من قبيل الأمور التي يلحقها الذهن كما يلحق الحس الصورة غلط ضميره حتى حمله أن يسكن في وجوده ويشخص في الصورة الخارجة . ويحملة ذلك الشخص إلى المشعور به داخل الذهن ، فيتركز الماهية والوجود العارض لها وينظر ذلك في نوازل الهياكل المنتصبة والمظاهر المتصرفة . وفي هذا يظهر على الملل لذةٌ وبهجةٌ ومرورٌ فتصبيه سكونية وقوة يقطع بها وينكر كلَّ طريق يفارها . وبعد هذا كله خلَّصه الله من شرك شبيهته المستطرفة عنده التي يتوهم أنها عناية الله به .

ذكر آخر ، بل بحر آخر ساحله في وسط : لا يصح الذكر إلا للرجال السُّكَّال إذا كان على ما يجب ؛ ولكل أحد فيه قوة ودولة بقدر طاقته . والنافع للشيخ أن يذكر ذكر التدبير لأصحابه ، وهو أن يختار لهم الأوقات الخالية إذا أراد بالذكر الحضور النفساني ، أو في وقت البطالة إذا أراد أن يجمع أصحابه على الله ، أو في وقت الغفوف إذا دَّبرهم بالسُّكَّال المتصل . وعلى التلميذ [ ٩٧ ] أن يذكر الله سبحانه بذكر شيخه ويستغرق في مشاهدته فيذكر عند ذلك به فيجد ما يجده الشيخ . والصوت الحسن مما يصلح به . وعلى الشيخ أن يتكلم في المواجيد إذا علمها من القوانين ، وينوع الكلمة إذا أبصر الضمير يقف ، وينتقل إلى النبي إذا استقام الذكر في الله لكي تصلح يدرسته الأعراض . وإذا ذكر التلميذ الله وتوَّسل إلى الله في قائمة الذكر القريبة بشيخه وبما هو عليه من التوجه جعل الله الشيخ له مرآة قصيدة ، ينظر فيها ما شاء . ثم يستقيم في ذلك حتى يبصر المظاهر الدالَّ عليه قد انصرف ويحده من جهة توجهه إليه . وبذلك يحق له الوصول إلى حضرة الصديق ، ويدخل في عباد الله المقربين ويفرح بنفسه .

ذكر آخر . محبة إنابة وتمة وسيرة جميلة وعلم النكته ، ويحث عن الإحاطة والكامة الجامعة المانعة ووجود ما خارج الذهن ودخله في مدلول الذكر وكأنه يحكيه في نفسه ، وتخصيل الدليل الصادر عن الماهية . ثم يقول عند اهتمامه بمقدار انبعاثه له : « لا إله إلا الله ، حم ، لا واجب

الوجود إلا واحد ، ألم ، لا موجود آتيته هوته إلا الأزل ، كيمص . ثم يقول : « الله الله الله » . ثم يذكره بنكره ، ويحذف القول ، ويحقق العزم ، وينصرف إلى ملاحظة الذهن لقضية الحال ولاستنادها إلى مواطن التطلع ويسكن وينبه الوهم العزيز الذي موضوعه التلذذ الموجه المتوجه ويصير على السلاخه ، ويتجرد عن القوى الروحانية . ثم يفعل ذلك مرة أخرى ويفرغ من قلبه خبر العالم الفلسفي والطبيعي والروحاني والمثل المتوهمة في الكليات المنبثرة في الوجود المنتسب . فإذا عطس أنف استرواحه برجع المواهب الماحية للحد القيمة في المطلع ووجد ذكره في ذاته المستطيرة ، كان فهو الصواب . ثم يفعل مرة ثالثة بعمرة تحصل المواقف وبحسب حكم الواقف من ذلك ما ذلك حتى يستريح الوهم وتفرغ النفس ويتقدس بمجاورة الحل المسكل المقدس والقل بما فوقه بالنظر إليه إذا تحكم بالمطالب الأصلية . والتعليل لا حكم له ، ولا يحتاج ؛ وقصاؤه قبول كالات وأدب في ذلك ، وحكم بأن ما هو بسبيله يفارق ما كان عليه ، لا أنه أهمل القواعد من كل الجهات بل من جهة وجهة . وإن هيمن من الحكم وترتيب القدمات ، فما هيمن من قبول ما يجب ، وأن هذا المقبول هو من الغرابة والجلالة بحيث لا يدخل تحت الأمور المعروفة .

ذكر آخر : اذكر في نفسك أنه قد ذكرك ، ثم اذكر ، ويكون ذكرك من مراقبة علمية ومقام الإيمان وذكر مشترك . ثم اذكره من مقام الإحسان ومراقبة قلبية وذكرك في آخر المشترك ثم اذكره . وذكرك من حيث ذكره والذي كنت تعلم قد كان أن يكون مشهوراً وأنت تراه يتشخص في مؤذرك الهيبية المحركة للضمير الفاعلة في النفس . وتقرر الملاحظة وكأنك تحدثه ، ثم تفرط في ذلك حتى تجد ما يكاد أن يكف [ ٩٨ ] الذكر للأدب الذي يجده مجازس الملك إذ جالسه . وأيضاً مشاهدته فيها السكافية . ثم تجلّذ على الذكر حتى تبعد المشاهدة المنسوبة . وينعكس ذكره لأنه حالماً وأنها غيب الناك ، حتى نسي أمره فلما أفاق وجد الذكر وسبب المشاهدة فيه أقوى من الأول . ثم اذكر بعد هذا الذكر حتى تجد مطلوبك أقرب من الأول والأمر أتم وأعظم وفوائده أجل وغيبته أقل . ثم اذكر حتى تنيب قليلاً وتخصر كثيراً . ثم اذكر حتى تنيب فيه وتخصر عنده . ثم اذكر حتى تخصر ولا تنيب . ثم اذكر حتى يعود الذكر في الحل دون قصد وإرادة ، وللقصد والإرادة في التنزيه ومشاهدة الجلالة وأنت تعلم وتوسع . وهنا هي نهاية الذكر .

وبعد هذه المواطن يحرم الذكر على الخاصة لأنه من الأفعال المسببة . فإذا وقع الميل ويخاف على المطلوب المحصل أن يفوت محبة السبب — قطع السبب ويبقى الطالب الذاكر مع الفائدة فقط . غير أن هذا الناكر إذا كان في هذه المرتبة وغامر بهذه المنزلة وكان أمره في الوقت المطلوب على حالة من الأدب المأمور به ، وكما يجب — فذكره محفوظ . وإن كان على غير ذلك مع كونه في فترة يظهر عليه علل مجون التوحيد المخادع للضعفاء — فالذاكر مخدوع . وإن لم يظهر عليه في هذا الزمان المطلوب به شرعاً المراد الشرعى على كماله وهو مع هذا في غيبة من ذلك القبول فنيه بين الأولياء خلاف وليس باليسير : منهم من يسلم له لأنه غير مكلف ، ومنهم من يقتله فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلم عنه هذا . وإن كان الأمر مثل هذا والمحل تجري عليه الأحكام والهمة والإدراك والنفس في عالمها الكريم تركب كانت المسكنة الموروثة على الخصوص .

ذكر آخر : من ذكره به ذكره عهد القديم ، ومن ذكره فقط وهو بسيط الخبير المتقدم جذبه إليه ؛ ومن ذكره وذاكره يتأس به فله عليه .

### ذكر المقامات والأحوال

#### في مفهوم الذكر وأحكامها في الناكر

إذا ذكره التائب وأخذ نفسه بالذكر المستقيم لعظمة ما يجد من النشاط ولما هو بسبيله من أس الذكر يندر كثره الأول ؛ ويركة الذكر يقوى عزمه على الأفعال الجيلة والخروج من المنومة ويسهل عليه رد المظالم . فإن لم يجد إلا بالذكر تعظم التهمة فهو يعطيه إما الخلق مع الاستطاعة فيعطى ما أخذ ، ويكف عن الذى فعل ويحرض النفس على الخير . وإما يفسح له ثوابه المجتمع له السهل الكثير ، فيعطى ويبقى له . وهو رحمة سترها الله عن الأشرار وكشفها لهم بعد ذلك ، وكشفها للأخيار وسترها عنهم به عند ذلك إذا ظهر ذلك وكان من هو من ذلك ذلك أو بذلك في ذلك .

ثم هذا التائب الذاكر ينقله ذكره إلى الأوبة ويكشف له عن أنواع التوبة السبعينية . وقد بين الله عليه ويعصمه من التوبة في التلويح أو يتحف بمفهوم التوبة من التوبة . وقد يكون المراد

بالذكر بعد توبته [ ٩٩ ] ويفتح له في الوقت اليسير ما لغيره في الطويل . والمراد على ضربين : مراداً بسبب وهو الذكر أو ما أشبهه من مقام صادق أو خبير طارق أو رجل ذائق ، وقد يكون ذلك كله . ومن ملك خاصية أو أنعم عليه باسم من أسمائه قد يدخل مهما بوجه ما . وأما ذكر المجاهد في مقام المجاهدة فيقويه على مكابدة أمرها ويسود الجهد المولم من جملة الملوذاته وتعود عاداته بمجاهدة ثم تعود مألوفة وعادة كالأولى بل ألد . وحينئذ ينبغي له أن ينتقل ويحق له ذلك ، لأن غاية المجاهدة تشكيل النفس وإصلاح أخلاقها وثبوتها على الأحكام الشرعية ثم على الإلهية . ثم يسود الأمر في غايته > إلى < اللذة والأس ، ولاتمجد النفس ما يسوؤها ، ويرتفع <sup>(١)</sup> معقول الجهد والمفهوم منها الذي جاء على المبانيمة بذكر الأس وغايتها أيضا المشاهدة . والذكر هو الحرك الأكبر في ذلك ، فإنه إذا ورد الأمر الصعب على النفس في حال الذكر يسهل . وأيضاً فالذكر يذكّر الناعل فيخاف أو يرجى في الوقت أو يستحي منه إذا ذكر — وجلة فضائل تصدر منه في ذلك لا تحصى . وقد ينقله من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ويسينه على مجاهدة النفس لقواها . والجسم كذلك وجميع ما هو فيه بالقوة والفعل من هذا القبيل ومن هذا النوع . والعقبات التي ذكرها لإبراهيم بن آدم <sup>(٢)</sup> رضى الله عنه ، قد قيل إن السلوك عليها بالذكر خجبة التخلق ، والقصد الصادق والممة الجارية تقطع . وأخبر أبو العباس بن العريف رضى الله عنه أنه أبصر لإبراهيم بن آدم في النوم فقال له : « لم قطعت أنت المقامات الستة التي ذكرتها ؟ » فقال له : « أى المقامات تريد ؟ » قال : « العقبات » . قال له إبراهيم بن آدم : « العقبات قطعتها باسم الله الأعظم والتجملد الخالص » .

(١) ص : ارتفع .

(٢) هو إبراهيم بن آدم بن منصور بن يزيد بن جابر ، ( أبو إسحاق ) القيمي المعجل . زاهد شهر ، مولده في بلخ ، وكانت وفاته أمام غزوة بحرية في تاريخ يرجح بين سنة ١٦٠ هـ ( ٧٧٦ م ) وسنة ١٦٦ هـ ( ٧٨٣ م ) . وقد صيحت حول حياته أسطورة شهيرة . راجع عنه : « دائرة المعارف الإسلامية » تحت المادة ، ثم « طبقات الصوفية » للسلي ( مخطوط المتحف البريطاني ورقة ١٣ ) ، « حلية الأولياء » لأبي نعيم ج ٧ ص ٣٦٧ — ٣٩٥ ، « كشف المحجوب » للهجوهرى ، ترجمة تكلمون ص ١٠٣ وما إليها .

قال له : « ومن لا اسم له ؟ » قال : « يذكر المسبي » . قال أبو العباس : ففعلت ذلك وانتفعت به ، وجميع ما أنا بسبيله من بركات وصية إبراهيم بن آدم .

وذكر صاحب الغلوة يُنتفع به في خلوته فإنه بنادم ربه بذكره ، ويتلذذ بالأس به . وأيضاً بإفراط الذكر في الغلوة يجد المواجد العظيمة وينال المراد منها ، لأن الذكر إذا ذكر على ما يجب ، دبره المذكور ، فإنه من أجله وله انقطع . وهو سبحانه يعلم ذلك . وأيضاً بدوم في خلوته فإنه مادام يذكر يذهل عن نفسه وعن أخبارها بالجملة وعن الأهل والوطن ، فيستقيم من غير أن يقر عليه وقته . والمراد بالغلوة الفرار إلى الله ، فلا شيء أولى من ذكره فيها ، بل هو الصورة المقومة لحال الذكر والمتئمة له ، لأنها عندهم من أمارات الوصلة ، والذكر هو الرابط لها . ولما توجه لما يحمله به ، وجب أن يفر عن أبناء جنسه ويستوحش من غير الله ، وبذلك يظهر عليه ذكره في جملة أحواله وتصرفاته بالمضمار . وبالدكر يتحقق له بالله ، فإذا ذكر الله وعظم الذكر تكبر الهمة ويصغر [ ١٠٠ ] كل شيء عنده ويبصر الأشياء ساجدة خاضعة لله العظيم ويصبيه حال الإخلاص الذي إذا قام به نفر أمامه الأمور الكاذبة لأنه الأفراد المطلق . ومن جملة ما يفر عنه الأخبار الكاذبة ، حتى إنه يقول لم كفر إلى الله وإننا ندم عبادته ولا نفسى يُسلم لها أنها تأخرت من شرم إلى خيرها بل هم بالله والله وأنا من الله ومع الله ، وكل واحد منهم له ذلك . ومتى ألهم لذلك يسلم من استصغار الخلق ومن شهود مزيته عن الخلق ويظفر بالتواضع . ومن رأى له مزية على أحد فهو متكبر . ويحركه الذكر لطلب ماهية الذكر فيحتاج إلى علم ما يمنع ذلك . ويُكشَف به ما يجب للذكر وما يجوز عليه ويستحيل في حقه أو تظهر عليه أحوال فوق العلم النظرى فيعجز عنها فيُحَوِّج الأمر إلى رؤية الرجال . وهنا كله من فضائل الذكر . وأيضاً يمكن من خروجه عن النير أن يعلم هل يصح له ذلك ، لأن الذكر لا يتم له من حيث هو ذكر إلا بما يحبه المذكور ويختاره ويرضاه فإن ذكر المشرع ما هو كذكر غيره ، لأن ذكره لا يتعدى فيه النقل ، وله ذكر يزيد وينقص وتبدل صيغه . والأمور إذا انحصرت بحسب الأحكام الخمسة يحتاج أن يعتبر مدلولها . فإذا كان ذلك كله احتاج التذكر إلى معرفة ما يجب عليه في الشريعة ، وما يحسن به في الغلوة ، وكيف يكون حكماً . وأيضاً الذكر يحجره إلى أن يستزل عن الأخلاق المنمومة لأن الذكر يطلبه بطهارة القلب



والهل على الإطلاق وبعم سائر الأعمال الظاهرة والباطنة ويسكن في ضدها ويتصف بها ، وحضرة الحق لا يتجر إليها ولا يتميز فيها إلا الطاهر التقى والمجد التقى ، والمزلة الصادقة إنما هي في فرار النفس عن التقيح المهلك لها لا البعد عن الأهل ، بل العارف النبيه هو الذى لا يكون تحت قسمة النوع وهو نوعٌ وحده ، ويكون من الناس وهو واحد من الناس . وهنا كله بعض فضائل الذكر .

وأيضاً الذكر في الخلوة والمزلة يملك أن يكون أنسك به لا بهما ، فإنه إن تأنست بهما في الخلوة أو المزلة إذا خرجت عن ذلك فقدت الأنس بالله ، وفقدت لذة الحق لأنها علة وملول وأعوذ بالله من ذلك . وأيضاً الخلوة الصحيحة التى من أجل الله يبنى أن تكون كلها بالله ، والله ، وإلى الله ، ولا يوجد في الهل ذكر أحد غير الله . وأيضاً من ذكر بحسم وكان من حيثه أتمته الحواس ، ومن كان كذلك مع نفسه أتمته الأمانى والأوهام ، ومن اعتزل عن ذلك وخلا بمحييه وذكره — أعانه على الجميع وملكه من الكل وبلغه إلى غاية آماله ويستميل نفسه إلى قول :  
الله ! الله ! الله !

### ذكر الذكر ونوره ونصره في مقام التقوى

التقى إذا [ ١٠١ ] ذكر عظم خوفه وكثر أدبه وحضر في وجه الوعد والوعيد ، فيذكره بخوف فوت الوعد وخوف ضر الوعيد وقيامه به . وأيضاً التقوى تحض على مجانبية جميع ما يبعد عن الله ، والذكر يحرر هذه المجانبية ، لأنه إذا استغرق أزمته التقوى منى هم به وسواس الوم ذكره الذكر كفره حزمه إلى الأدب وأقام على خيره الأول . وأيضاً الذكر بالله وأفعاله وصفاته ، فيطلب التقى أن يصل على تحصيل متعلقاتها ، فيذكره بالآخرة ، ويشوقه إليها . وأيضاً الذكر نور ، والتقى يمشى بالنور على بصيرة ، وهو الذى يعلم جهة المضار فيتقيا ويكون منه دائماً وحينئذ يكون مدركها قتيماً . ومثال ذلك الرجل الذى يقول : هذا هو السبع — فإذا لقيه في الطريق وهو مع هذا لا يفر عنه لم يُفد علمه به الفرار عنه ، وإذا جمع مع العلم به الفرار عنه سلم وظهرت السلامة بازواج العلم والصل . وإذا لم يفعل ما يجب في ذلك كان مثل الذى لا يعلم به ، بل الأول أصح

إخباراً منه ولعله بكونه لا يُخَيَّر عنه يكون سبب سلامته منه ، فإن النفوس إذا لم تُخَوَّف لم تُحَفَّ — فافهم . وكل خير يطرأ عليها منها فإذا انفلتت فقل فيها وبالعكس ، وهذا على جهة الأكثر .

### ذكر فضيلة الذكر في باب الورع

الورع إذا ذكر زاد ورعه وحُفِظ حاله ، لأن الورع كناية عن ترك الشهوات ، أو ترك ما لا ينيك ، أو ترك المشغل بالجملة ، أو إهمال ما لا تحمد عاقبته . وذلك لا يصح إلا بالتقليل والزهد المحض ، ولا يقوى إلا بالتقوى ، ولا يمشي نحو الصواب إلا بالعلم ، ولا يدوم إلا بالصبر ، ولا يحمّد إلا بالرضى ، ولا يكمل إلا بالأُس بالله . فإذا ذكر الورعُ الذَّكَرُ اللهُ في كل حين قامت معه زواجر الأحكام الشرعية وعظمة الأمر ، فإنه يسمع ويرى من حيث الأمر والنهي والأمل في الله وما هو بسبيله من الاجتهاد على تحصيل البعض من نوره ونعم داره وخزن أغراضه وسجن همته . فإذا كان هناك ، يسرح الجميع حيث يجب . فإذا همت النفس منه بمباح طلب الذكر منه سلامة الباطن من المحنلات وطهارته وطاقته . والمباح يجر إلى أمور ، وقد تهصّب بنظر ما ، فكيف ! وأيضاً يشغله الله عن فعله مع كونه في غاية الزهد والمحافظة على الأحكام ، فيسكون الأمر على أنم ما يمكن . وأيضاً الورع هو الذي يجعل الشرع في يمينه والعقل في شماله ، فامرؤ له وتوقف فيه من جهة ما في شماله ، عرضه على ما في يمينه : فإن قيل ، وإلا تركه وفر منه . وهو ينظر بمرآة الأحكام الخمسة<sup>(١)</sup> ، فإذا أراد أن يتصرف في شيء نظر إليه : هل هو من الأحكام الواجبة ، فيسرع إليه ويقضيه كما أمر ليس إلا . فإن الورع في الأمور ؛ إنما هو في تناوله على ما يجب وكما أمر وسرعة [١٠٢] القبول لا غير . وغير ذلك لا يصح ، لئلا يصدر من ذلك سوء الأدب . والزيادة على الشارع كفر وبهتان ومحال . وله أن يزيد وينقص في المباح والنوازل وما أشبه ذلك ، وإن كان ندباً جَدّاً وأخذ نفسه بالكثير لا بالتقليل . وإن كان دون ذلك يفعل فيه بحسب هذا التقدير — فافهم . وهذا يحرمه له الذكر ويذكره به ويزيد له فيه وينشط وكأنه يسمع

(١) وهي : الحرام ، الحلال ، المندوب ، المباح ، المنكروه .

الأمر عز وجل يقول له افضل كذا أو اترك كذا ، أو يقدر ذلك داخل ذهنه . وأيضاً قد يستحي مع الذكر أن يفعل القليل الحمود . فكيف الكثير من المذموم ! وبالجملة الذكر جُنة<sup>(١)</sup> وجنة ومنة .

والورع إذا حرر القول فيه هو للذكر الخفي ، لأنه حينما ذكرت له النفس ما يحبه ذكر له العلم والعقل والشرع ما يجب عليه ويُذكره لما يحبه المذكور . ذكر المذكور المحبوب عنده من أنواع الذكر ، فإن المحبوب عنده من أنواع الذكر هو الذكر الذي يذكر الذكر على مرضاة مذكوره المحبوب عنده ويُذكره بصفاته وبما هو عليه في معاملاته . وإذا كان الذكر بخلاف ذلك يقال له الصوت أو انظر الهمل أو هو الذاك الصامت ، لأن المراد من ذكر اللسان تصور القلب ، والمراد من ذكر القلب كشف السر وذكر الروح . والمراد بكل واحد مما ذكر : الله .

### فضيلة الذكر في مقام الزهد

الزهد العرفي هو الترك المستدل لما لا يجب ، أو لما يشغل ، أو يضر نوعه وإن لم يضر شخصه وهو الذي يحض على الورع من صفة نفسه ، ويسود الزاهد بسببه — وإذا انضاف إليه الخوف والعلم استقام الأمر . وهو ينظر إلى التوبة في البداية فيقوى طلبه ، وينظر إلى السلوك ويتأذ به ويأس بتحقيقه فيه ، وينظر إلى الغاية ويتردد في أمره لأنه قد يظهر له في الغاية أنها لا تتأهل إلا بعلم ما وبسبب ما فيكون محيراً في أمره لأنه ما بين أن يطلب الكمال فيطلبه الشرط يعض ما خرج عنه أن يعود إليه كما يجب ، ويطلبه المقام بالثبوت ، والهمة إن عكست قد تطلب الأولى . فإن جهلت فتعقب بالأول ، وتُحِيل الثاني . هذا هو زهد البعض ، والزاهد غير مراد . وأردت بهذه الكلام التوسط .

(١) اي : وقاية .

وأيضاً الزهد هو فقد ما إليه يحتاج بإرادة . وأيضاً الزهد هو الفقر ، غير أن الفقر الثرى أجل منه ، وهو المذكور في « الفقيرة <sup>(١)</sup> » . والزهد الثرى أجل من الثوى . وأيضاً الزهد — إذا كان على هذا الحال والمحل — كبيرٌ بمعنى أنه هو بحسب خيره ، فتارة تراه في الأمر المأمول من الدنيا ، وأخرى تبصره في الحقير منها ، وذمته عليه مملوءة بالحكم وبالأمر الشرعية المالكة للكتابات المعتبرة في الدنيا والآخرة . يحمّد بالجملة ، وقد يحمّد منه الزهد المنسوب ، والزهد المحسوب . وهو إما في النفس وهو زهدها في [ ١٠٣ ] عالمها ومنصرّبها وميبتها ورياستها وينهزم في هذا جميع أخلاقها ، وإما في الأمور التي فوقها . وهي إذا طازت بكما فتزهد في الأمور المنتظرة المأمول عليها عند الجميع — مثال ذلك : يزهد في العلم بمعنى لا يفتنّ به في وقت ما ، لأنه يطلب المعرفة ، ويزهد في المعرفة لأنه يشهد بالمعروف ، ويزهد في التضرع إلى الله من النار لأن القرب من الغافل أبطل عليه وهم الغفل ، ويزهد في التأهب لنعم الآخرة لأن اللذة القائمة بالجوارح استغنى بها عن كل لذة . ويزهد في ذلك لأن القصد أطلق له . ويزهد في ذلك لأن الهيبة هيبة في المكنة . ويزهد في ذلك ، لأن الحد حصره . ويزهد في ذلك ، لأنه مدلول الرضى . ويزهد في ذلك لأجل ذلك ، وفي ذلك أنه ذلك ، وكذلك بعد ذلك في وقت وجسود ذلك . والزهد الذي في الجسم هو يعظم بحسب وجوه المتروك — مثال ذلك الزاهد في الإكسار الذي لا يقتنع به إلا برسم الغير المضطر وهو مع هذا الحسن يستجلب شهواته من الصور الطيبة ، وجاء يجلب العسير ويكون خليفة ملك الأرض وله نفس تطلب اللذات الطيبة ويحجّ في الطلب قوة اعتماد سلامة أعضاء وقوى وملكة خصال يمجّز منها تفرحه بالمجد والتعظيم ، وما أشبهه . ولا نسبة بينه وبين من هو دونه مع كونه لا تيمّة تلحقه وجلته تقيه . فاعتبر ذلك وقسّ به وانسج على منواله الواحد في الوجود — والوجود قد يطلق في المقامات بمعنى ما ، وبالأوجه الذي يقال أتقتل ورحل وأخذ الأمر وظهر الصعود إلى غير ذلك لا أنه يعود إلى العرف الأول فيحمله . وهذا النوع من الزهد الإضافي . وأما الزهد الجليل فهو الذي يكون به الزاهد غريباً في الآخرة ولا يتعرض إلى الأسباب المطلقة ويكون ممّا تاركاً على الإطلاق لغير الله على الإطلاق ، وهو بالجملة زهد لكن يكتسب كماله . فإن كان زاهداً

---

(١) أي في الرسالة « الفقيرة » .

على الإطلاق حتى في الذي يسرى له من الله كن مطلقاً ولا خير فيه ، إلا إن كان خيره الله ،  
أعني أنه يقول المقصود العين التي لا يصح . مما طلبها لها والأمر من جهتها وبحسب ما يقال ، فترك  
ما يضره ويقول : ومن حرر الوحدة . وهذا يعني سلب وجمع على مجموعه ، فجمع وعوض بزهد  
ويحرر بذلك .

فإذا كان الأمر على ما ذكرناه فليكن أن تعلم أن الذكر هو الأصل في ذلك كله . وما حملني  
على ذكر الزهد وتسميم ما ظهر لي فيه بحسب هذا التقييد وكوني أخفت فيه زيادة ما أردت  
بذلك التنبيه على خسارة الدنيا وكونها مهلكة وهي العلة القريبة والناطة بالجلجلة ومصرف المم  
السكرة - فافهم !

ونعود إلى فضل الذكر فنقول : ما من نوع من هذه الأنواع إلا وقد يجمع لك في كلمة  
واحدة وهي جميع : من ذكر الله ولم يُثْبِتْهُ عن غيره ولا تأتس به ولا تمتنع به على ما سواه  
فلا خير فيه [ ١٠٤ ] ويكاد أنه لا يمكن منه الخير ولا يصح فيه وجوده ، وأعوذ بالله منه .

وأيضاً الزاهد من أجل الله هو الذي يزهد في أهله ، ولا يزهد في الله ولا في صفاته . وذكر  
الله هو الذي يثبت على حاله ، وهو الذي يثبت المقامات . وإذا زهد الزاهد وهو يذكر ربه ترك  
ما يجب تركه ، وتمسك بما يجب من أجل الله ، والله هو الكفيل به لأنه عز وجل يقول : « أنا  
جليس من ذكرني » . والحاكم العادل المرشد المسلم المدير الفقي إذا تصرف عبده معه أعني  
بمحضه ، وهو يذكره بمعنى أنه يشاوره ويطلب منه أن يختار له الأوكى ، وهذا هو الذكر النافع  
الذي يعقل فيه هذا كله . وما يمكن مولاه المذكور أن يتركه يتركه ما لا يجب أن يتركه ، ويتمسك  
بما لا يجب أن يتمسك به ، بل يجرى في أموره وأفعاله نحو الصواب . فذكر الله هو الملم الأكبر  
وهو شيخ الشيوخ ، وهو يعلم الملك ، ويعقل في حركة الفلك ، وبه يمت النبي ، وبه يعلم ويعقل  
ويحكم ، وكذلك اتباعه إذا تم على سباده ، أعني الذكر الحكيم . وهذه المقامات ذكرت  
فضيلة الذكر مما يظهر لك جمده في كل طور ونوع من أنواع شروط الكمال . ولما ذكرته قبل  
أنه بماهيته في كل المقامات من حيث هو جزء ماهيتها - احتجت إلى ذكره هنا من حيث هو  
منهم ومقوم . وبالجلجلة هو الفاعل للخير والشرف والكمال من حيث تأثيره في النفس الغافلة وبكبره

يذكر وبالوقوف مع واجب منطوقه وما أشبه ذلك . وهو المادة من حيث أنه الموضوع الأول . وهو بهذا النوع يقال بإشتراك بأنه : الكتاب والسنة ، والجميع يرجع إلى معناه الموجّه . وأنا عنيته به هذا المعنى وتعاق اصطلاح به وخصصته بذلك . والمُشاكاة في الاصطلاح من شيم أهل التصور . وهو الصورية ، فإنه المعنى المحمول والشكل الظاهر في الضائر وفي التعبدات ، وهو المتمم لنا تقدم .

واكتفيت ببعض هذه المقامات لأنى ما قصدت إلا الأنموذج والتنبيه فقط على فضائله من جهة الدليل . وذهبت فيه إلى البراهين الإقناعية والخطابية في البعض ومن حيث البعض ، فإن من أهل الأحوال من هو هذا الكلام عنده من برهان وجودي ، ومن العلماء من يجعلها من قبيل الأمور الخطابية ؛ وفيه مخاطبة برهانية بل مخاطبات ، وفيه ما قوته قوة الجدل ومن مخاطبته ما هي شرعية بالقصد الأول ، ومنها ما يستند إلى النقل والعقل بحسب ما ينظر فيه أو يقبل وبحسب حُب الناس . وبالجملة خاطبت به من قام به هذا المقام أو تشوّقه أو تعرض إليه أو نبهه الأغراض أو مشاركا في العلوم متدلا . ومن أراد الاجتماع بي في منطوقه وبيانه والانفصال عن متشابهه وما يجب فيه — أهلا وسهلا به حينما شاء من المواضع المعتبرة وغيرها . والله يعلم أنى يفضله ولم يمدّ النظر فيه ولا أمكنني ذلك [ ١٠٥ ] ولا تصفحته ولا غيرت فيه ما جاءه من عند الله ، أعقى الواقع من غير فكر ولا روية ، فإن الكل من عند الله على الإطلاق . كذلك أكثر تقييداً بالمرسومة في هذا الشأن بخلاف غيرها من التقييدات . وجملة الأمر ، فرغت منه في يوم الثلاثاء من العشر الأول من شهر صفر سنة ثمان وخمسين وسبعمائة ، والعمر آخر سن الشببية ، وقيدتها في ثيف وساعة والسلام على المطفف في الرد والتبول ، والمتنصد والمقصر بحسب منازلهم ، ومن جهة ما يجب ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

تنبيه حميد . وصية صالحة منوطة بهذا التقييد وخاصة به . حافظ يأبى الله كرهه على أوقاته ، وإبحث عن صيغة الذكركر الخاص بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وبأوقرت الذي كان يستعمله فيه ، وبكيفية ذكره ، واحتفظ جميع ما جاء في ذلك ، وحافظ عليه واذكركر لستكحضر ، ولأن يذكركر الله عز وجل ولأن تكون في حضرته . وغير هذا صوت مسموع في عالم الطبيعة لا يتعدى ولا يعمل الذكركر

إلى ما يهدأ وأعوذ بالله منه . وَخُذْ نَفْسَكَ بِمَوَاطِنِ الذِّكْرِ الْمَحْبُوبِ الشَّرْعِيِّ ، مثل الذِّكْرِ الْمَذْكُورِ فِي الصَّلَاةِ ، وَالذِّكْرِ الَّذِي قَبْلَهَا وَبَعْدَهَا ، وَعِنْدَ الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ ، وَعِنْدَ النَّوْمِ ، وَعَقِبَ الْقِيَامِ ، وَوَقْتُ الْوُرُودِ ، وَفِي دُخُولِ الْمَسْجِدِ ، وَفِي الْخُرُوجِ مِنْهُ ، وَعِنْدَ النِّيَّةِ فِي الْإِحْرَامِ ، وَبَعْدَ التَّكْبِيرِ ، وَفِي رُؤْيَا الْحَالِ ، وَالصُّبُورِ الْمَهْلَةِ ، وَوَقْتُ الْأَذَانِ ، وَإِقَامَةِ الصَّلَاةِ ، وَبَعْدَهَا ، وَعِنْدَ سَمَاعِ الدُّعَاءِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَفِي الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ ، وَعِنْدَ سَمْعِكَ أَصْوَاتِ الْحَمِيرِ الْوَحْشِيَّةِ ، وَالْإِلْسِيَّةِ ، وَفِي الْمَوَاطِنِ الْغَالِيَةِ ، وَحَيْثُ الْغَافِلُ وَالْهَاجِزُ وَالْجَائِزُ ، وَعِنْدَ سَمَاعِ إِصْصُوفِيَّةٍ وَقِيلَهُ وَبَعْدَهُ وَفِيهِ إِذَا حَضَرَ الْمُسَاعِدُ — وَلَا نَفْسَكَ أَمِيلَ لَمْ يَزَمْكَ وَأَثْبِتْ عَلَى عَهْدِكَ وَتَصَرَّفْكَ مِنْ غَيْرِهَا ؛ وَكَذَلِكَ عِنْدَ الْإِحْرَامِ فِي الْمَوَاقِيتِ ، وَعِنْدَ دُخُولِ مَكَّةَ شَرَفَهَا اللَّهُ تَعَالَى ، وَقَدْ قِيلَ — وَفِي مَرَضِكَ ، وَحَقِيقَةِ ، وَحَالِ مَوْتِكَ . وَإِذَا عَزَمْتَ عَلَى الشَّرْعِ فِي شَيْءٍ فَقَدْ كَرَّمَكَ اللَّهُ تَعَالَى ، ثُمَّ صَلِّ الصَّلَاةَ الْاسْتِخَارَةَ . وَعِنْدَ رُكُوبِكَ الْبَحْرَ ، وَالْحَيَوَانَ ، وَفِي قِتَالِ الْعَدُوِّ ، وَعِنْدَ إِطْلَاقِكَ عَلَيْهِ . وَالذِّكْرُ الَّذِي جَاءَ بِمَحْصَبِ الْأَيَّامِ وَالْأَشْهُرِ وَأَوْقَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَمَا جَاءَ فِي الدُّخُولِ عَلَى الْمَوْلَى وَغَيْرِهِمْ ، وَعِنْدَ الطَّعَامِ ، وَفِي حَالِ النِّكَاحِ ، وَفِي الصَّلَاةِ عَلَى الْمَيِّتِ وَفِي حَالِ تَنَاوُلِهِ حَتَّى يَصِلَ إِلَى قَبْرِهِ وَيُفْرَغَ مِنْ أَمْرِهِ ، وَفِي زِيَارَةِ الْقُبُورِ ، وَفِي مَعَاهِدِ الْحَجِّ وَمُنَاسِكَةِ يَوْمِ الْوُقُوفَةِ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْوُقُوفَةِ ، وَوَدَاعِ بَيْتِ اللَّهِ وَمَا يَلْزِمُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ ، وَدُخُولِ مَوْضِعِ الْحَاجَّةِ ، وَإِرْسَالِكَ الْجَوَارِحِ عَلَى الصَّيْدِ ، وَكَذَلِكَ السَّهْمِ ، وَفِي الذَّبِيحَةِ ، وَدُخُولِ الْبِلَادِ ، وَالْأَبْوَابِ وَعِنْدَ الزَّرْعِ ، وَتَعْلِمِ حَبْنِكَ وَجَوَابِكَ لِلْمَلِكِ فِي قَبْرِكَ ، وَفِي الْاسْتِسْقَاءِ وَالِاسْتِصْبَاحِ وَاسْتِدَادِ الْأَسْمَارِ وَوَقْتُ الطَّاهُونَ ، وَتَذَكُّرِ الشَّجَرِ ، وَذِكْرِ الْعُلَمَاءِ وَالْخُلَفَاءِ وَالصَّحَابَةِ ، وَصَلَاتِكَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، وَكَيْفَ السَّنَةِ مِنْ غَيْرِ السَّنَةِ ، وَفِي الْأَسْوَاقِ وَعِنْدَ رُؤْيَا الْمَعْيَانِ<sup>(١)</sup> وَالْمَطَرِ وَالْقَمَرِ [١٠٦] وَالشَّمْسِ فِي الطَّلُوعِ وَالْفُرُوبِ ، وَالْبَحْرِ وَالسَّمَاءِ وَالْبَرَارِيِّ وَالْمَطَرِ ، وَعِنْدَ كُلِّ حَكْمٍ وَكُنْ ذَكَرَ خَاصٍ . وَعَقِبَ الْبَلَاءِ وَالنِّعْمَةِ ذَكَرَ مَنْقُولٍ ، وَكَذَلِكَ النِّعْمَةِ وَالْمَافِيَةِ ؛ مِثَالُ ذَلِكَ يَقُولُ عِنْدَ الرِّزْقِ وَالْمُنْعَةِ : « مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ ! اللَّهُمَّ أَنْتُمْ عَلَيْنَا بِالْبَصِيرِ » ؛ وَعِنْدَ النِّعَمِ : « الْحَمْدُ لِلَّهِ » . وَقَدْ يَكُونُ الذِّكْرُ فِي ذَلِكَ وَاحِدًا إِذَا كَانَ الْإِدْرَاكُ وَاحِدًا وَالرَّجُلُ مُتَوَحِّدٌ وَالْوَحْدَةُ مَقَامُهُ وَمَعْلُومُهُ . وَهَذِهِ كُلُّهَا مَحْصُورَةٌ مَذْكُورَةٌ فِي الشَّرِيعَةِ مَسْمُوعَةٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَمُسَوِّبَةٌ لَهُ وَالصَّحَابَةِ وَالْأَصْحَابِ وَلِاتِّبَاعِهِمْ وَتَحْتَاجُ أَنْ تَبْحَثَ عَنْهَا وَهِيَ أَكْثَرُ مِنْ هَذِهِ . وَإِنَّمَا ذَكَرْتُ لَكَ الْمَوْمَنَ مِنْ جِهَةِ أَنْ تَشَوْفَكَ وَتَعْرِضَكَ وَكَيْفَ تَفَرِّقَ بَيْنَ الشَّرْعِ وَغَيْرِهِ .

وأما الصوفية فلم أذكر ، وكلها ترجع لأحكام الشريعة . فإما منه مذكور وهو بحسب وظيفة ما شرعية وذم عليه لا سبيل إلى الزيادة فيه والنقصان منه . وهذا الذى ذكرت لك : منه ما جاء من قبيل الأحكام الحسة وذلك بحسب اعتباره من المذاهب والاجتهاد والتقديم والتأخير والإطلاق والارتباط ، ومنه ما هو بحسب حكمة ما ومقول المعنى وغير ذلك مما لا يجمل بهذا التقييد ذكره ويطول الأمر فيه . - وقد فرغنا من المسحوق المحصل ومن شروطه وأحواله ، وغرضنا أن نذكر لك ما سمع من الرجال بحسب مواجدهم ونفكرهم ، والذي يرجع منه إلى الأول ويجمع معه بأقل تأويل وأقرب مفهوم ، والذي لا يرجع ولا يقرب بحسب الأكثر والذي يبعد أو يعسر صرفه للأول على بعض الناس بالجملة وما أشبهه . وما نقل عن الأنبياء عليهم السلام بغير اللسان العربى فهو مع ما نحن بسبيله من الحق بحقيقة المثل ، فإن الفصلاء بالجملة ما اختلف أحد منهم فى البحث على السكال ولا على ذكر الله بما هو ذكر ، وإنما اختلف فى الطريقة الشرعية أو فى صفات الحق أو فى صفات الله أو بعض الاختيارات والمبادئ والفايات قطع .

فقول : أجل ما جاء فى ذكر الله عن اليهود عشر كلمات مفهومها لا يشد عن مفهوم آية الكرسي وآخر سورة الحشر على خلاف بينهم فيها . وفى الإنجيل تسبيح يوحنا وكلام المسيح الذى كان يتكلم به فى الليل ، وحاصل ما فهم منه مجموع فى هذه الكلمات التى نذكرها لك وهى مزودة منى ، غير أن الذى ذكر ينتفع بها وهى : « عرس اش عرس صبح راهبا ايدجا ايم اردع صسر عرجم كعلم » . وقد ذكر أبو طالب المكي فى كتابه مثل هذا . والأصح عندى أن يتوقف فى المسحوق من أهل الكتاب كما جاء فى الأثر ، إلا ما ينقله الرجال عن الرجال وعن الأحوال .

ومن أسرار الصوفية الذى ذكر المحمود هو الذى يصدر عن الرجل فى حال الشهود وهو الفصائل عديم وبه يقع الانتفاع وبه يفهم عن الله ونبيه وعنده وهو لا ينضب فان [ ١٠٧ ] الله إذا تميل يجعل قلب عبده كرسية الموضوع لحكمه وعرشه المدبر لعله فى عالم الطبيعة المدبر . وهذا الذى لا ينضب للعربى ، ولا للعجمى ، ولا هو بحسب لسان ، فإن الحضرة الإلهية واسعة وهى تمتد على حكم الممكن القابل الواسع الكلى . هنا ما كان منها فى المدرك المحصل للنوات ؛ وما كان منها يرجع للحد الأعلى هو على جهة الوجوب ، ولا يمكن فى هذا أكثر من هذا — فاهل . وأيضاً



الروح لا تنحصر اللغات ولا يخاطب بها ، وطبيعته قبول الكليات ؛ وإذا ترك هو وعلة الدوى يعلم وينقل من صفة نفسه ، فكيف تطلبه بأثره ونحب أن تجعل الظل يحكم على الشخص والآلة على الصانع ! وأيضاً الرجل هو في الأرض أتموزج مجموعهم فلا يحمّره شيء إلا الجلالة المنسوبة إلى الله في مظهر مفروض أعنى جزءاً منه في ذلك هو يسنّره ويحترمه وذلك يلزمه . وأيضاً الرجل هو رحمة على العموم ، وهو يدبر أهل الأرض وخطابه لا يتوقف . وأيضاً الملك إذا خاطب لا يستند إلا إلى المجاور المحفوظ والروحاني المؤمن ، والقرين قد يحدث بغير لغة الرجل الأولى . وأعلم أن للملازمة أذكاراً مختلفة ، ملك المطر تسبيح وملك الرعد كذلك وكذلك للملازمة السموات أذكاراً مختلفة ، وللملازمة الأرض ، وللعقيم الآن في الجنة ولأهلها بعد ذلك . فلا تتوقف على ذكر ولا تنكر على الرجال ما تسمع فلملهم كوشعوا وخوطبوا . ومن هو قلبه فارغ ينتظر ما يرد عليه من الأزل لا يحمّس ولا يقيّر عليه . وقد جاء أن للحيوان البري والبحري أذكاراً . وقد جاء الذكر على الصوم في الجهاد وغيره في قوله تعالى : « وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ »<sup>(١)</sup> . قل إذا وجدت البحر والوجود والحمد : « قهرم طمس هوانم صنعج ، ذلکم الله ربکم ، يا يایا . - ذلك من جهة المسئلة ، ذلك من جهة أن تختار ، ذلك من جهة شكره . والذي تحتاج أن ترتب في ذكر الله أن تبدأ : « بسم الله الرحمن الرحيم » وتصل على ملاسكته ورسله وأنبيائه وأتباعهم وأتباع أتباعهم ، وترضى عن أهل الملة وعن رجال الله كلهم ، وعن المؤمنين من الإلّس والجن ، وتقرأ « الحمد لله » إلى آخرها وأول كل سورة ووسطها وآخرها كلمة ، ألقى آية قطع ، ثم تود تكرار السور ألقى فيها الحروف المفردة ، وتقرأ سورة « الإخلاص » وآخر « الحشر » ثم تقول : « الله ! الله ! الله ! » وتقرأ : « آمّن الرسول »<sup>(٢)</sup> وتقول : « الله » سبعاً ، وتقرأ « شهد الله »<sup>(٣)</sup> وتقول : « الله ! الله ! الله ! » مائة مرة ، وتقرأ « إن ربكم الله »<sup>(٤)</sup> ثم تقول « الله » وتقرأ سبع آيات من أول « الرحمن » ثم تقول « الله » وتقرأ آية الكرسي ونوح صوتك وكيف أدرت انطق والذي تجد نفسك فيه أجمع .

(٢) سورة البقرة آية : ٢٨٥

(٤) سورة يونس آية : ٣

(١) سورة الإسراء آية : ٤٤

(٣) سورة آل عمران آية : ١٨

وأطيب وأجل الذِّكر ما أنت فيه كذلك . وعليك بالترجيع ، والترتيب فيه كذلك حتى يطيب لك إن كنت ممن يطلب الأنس وإن كنت في ذاك قد وجدته في الجوهر . ومتى أردته يصلك فاك الخيار وجميع ما توجه الضمير إليه [١٠٨] اذكره به ولا تُبالِ ، وأى شيء يخطر ببالك سمّه به ، ومن اسمه الموجود كيف يخصص بأسماء منحصرة إلهيات الله لا اسم له إلا الاسم المطلق أو المفروض . فإن قلت : نسميه بما سمى به نفسه أو نبيه — يقال لك : من سمى نفسه « الله » قال لك : « أنا كل شيء وجميع من تنادى أنا هو » . وإن صمب عليك هذا ، فسمى تسلم أنه معك بالعلم والفعل . فإذا سلمت هذا تسلم أن الذى استجاب لك إنما هو الوجود . فإذا سلمت هذا سلمت ذلك فعجل بذلك ولا تكن كذلك فما يحق لك ذلك . يا هالك ، يا مالك ، انظر من حالك وقل بعد ذلك : يا حق ! يا أبد ! يا راحم ! يا أحد ! يا أكبر ! يا واجب الوجود ، الذى الوجود ووحدته واحد ! يا ماهية كل ماهية ! يا آتية كل آتية ! يا مصلى قد تبعت ، ارحنى قد هلك ، أغثنى قد عجزت ، خلصنى ولا حاجة لى بشيء لأنك كنت عينه ونخاف تفتنى بمجرد الطلب ، لسنكته من أجلك فأجمنى بك ، واجمع على إياك ، واجملنى إلى هندك . عرفتك فلا شيء يقتضى ، إذ لا شيء عندى إلا أنت . وكان بعضهم يقول : « يا الله إلها ها يا الله إلا يا يا الله إلا إلا إلا يا الله الأيا » . وبعضهم كان يقول : « قد قد هذا هذا هذا هذا له له له له » . وبعضهم كان يقرأ القرآن فإذا ختمه يقول : ختمته بالجسم ونصب أن نختمه بالروح ، ثم يقول : نعم نعم نعم ! وهذا كله أردت أن نعرفك بتراجم الأمور وبين المعلوم وبحقيقة الأمر فافهم . والسعادة كلها صمدية محمدية خلدية ، ومعاد النجاة والرحمة والبركة على الجميع .

قال ذلك عبد الله وهو عبد الحق<sup>(١)</sup> بن مراتب توبة رسول الله ﷺ في اليوم ، لطف الله به ، والحمد لله وحده . قيدها للمحقق على الإطلاق ، ومن أجل الله بالتصديق الأول ، ولولاه الصالح النبىء التحبيب المحب فى الله ولأهله : نور الدين بالتصديق الثانى : بأنه يبحث عن سعادته ويسمى في صلاح ذاته وإصلاح عبادته ، وقد عزّم على تفصيل معناه والظفر بما تنناه ، ونسك بحبل حب الله ،

وجعل حب رجاله يميناء ، ثوره الله العالم الذى يحدل إلى المعرفة وإلى مضاعفات اليقين الثلاثة وإلى العلم المحسوب بعدها بصيرته ، وأصلح سره وسيرته وسريته ، وحله على الطريقة وجمع له فى كُتبه المسكوتى بين الشريعة والحقيقة<sup>(١)</sup> ، وكشف له عن حقائق الأمور حتى يبصر المقولات بعين قلبه كما أبصر المحسوسات بعين حسه ، وأبده بروح منه وعرفه طريقه وحبيب له صديقه وفريقه وأنعم عليه بالنور الذى إذا قام به أبصره بنفسه وأبصر به ما سواه ثم يبصر به فقط ثم ما هو على ما هو به بما هو هو حتى يصل إلى الشاهد لنفسه المتفق من جميع جهاته ، ورزقه الله التجوهر بالحمود المديبر. وبالجملة عرفه الله الحق وحرر له قصده وحفظ بمجده وأدام بمجده جده ، ورحم والده وجده [١٠٩] ويسر له حده ، وألهه حده ، وجدّ له فى ذلك جده ، وعبطه بوجوده وتواجده وقوى له وجده . . . وسميتها «التورية» منسوبة إلى لقبه ، فانها مرسومة برسمه ومشهورة باسمه . ورضى الله عن المعتر عند المعتر وأنعم عليه به ، وجعله أجل من الذى يقول وقوله الحق وقطعه الصالم الذى يشتر فيه إلى البحث عن تحصيل السعادة وتستطرف فيه المقامات وخرق العادة محي الدين بالله ومن جميع أصحابنا وسلام الله عليهم بجميع أنحاء المحامد المضافة له ورحمة الله وبركته . يا نور الدين ! اغتبط بهذا القرب الذى تلقبك الله به ، فإنه فى غاية الحسن واشكر الله ربك عليه واجعله مذكرك بالله . وإذا دهاك أحد به تذكر به إلى ملو له العزيز واسمع منه وحصل قوانين الذكر المذكورة ونادم بذكر المروف بك باسمك المذكور باسمه ، ويكون الذكر والمذكور والذكر منك وإليك . واعلم أن النور محمود الحال ، وكل طائفة تعظم هذه الكلمة ، والله يقول : « الله نور السموات والأرض »<sup>(٢)</sup> ، والنبي ﷺ قال لأبي ذر وقد سأله : « هل رأيت ربك ؟ قال : « نور أنا أراه . والنور كثير المفهوم وعزيز العلوم وجليل القدر فى القلب . وهو الضياء لنة ، وهو الذى إذا ظهر ظهر بنفسه وظهر به ما سواه محسوساً ومقولاً ، وهو الشاهد لنفسه ، المتفق من جميع جهاته ، الذى تدركه الحواس الحس ويتطرق إليه الوهم ويدل عليه الدليل ويُعلم ببديهة العقل . وهو

---

(١) الحقيقة : هى التصوف .

(٢) سورة النور : آية ٣٥ .

طبيعة الأرواح، بل هو الوجود على الحقيقة، وهو الكشف الظاهر. ولذلك يجوز أن يقال في القرآن « نور » فإنه يكشف وبه تبصر طرق السعادة. والنبي نور، والعقل نور، والعلم نور، والشيخ نور، والطريق — وما أشبه ذلك. والناس يسلطون هذه الصيغة، ومن عظمتها دخلها التأويل الكثير الخارج منه المرقى خارج الفهم والداخل، والخارج الفلكي قد عُبِت موضوعاته أحق الكراكب، والطبيعي أحق النار كذلك، وذلك على جهة مجاورة المثال ولكون الكشف الذي يتناسب والداخل النفس والقوى والعقول المستفادة والأحوال الشريفة. والمتكلم يقول في قول الله تعالى: « الله نور السموات والأرض »، معناه: هو الهادي وصدق، ويقول هو خالق النيرات وصدق، ويقول هو مُنَوِّر وصدق. والفقهاء يقولون ذلك بحسب ما تقول العرب. وقد قال بعضهم: العلم نور يضعه الله في قلب عبده. وإذا عدل في ذلك عما تقول العرب أطلق على مدرجات، لأن العرب تطلقه على الضياء.

والصوفية تطلقه على الأحوال الكاشفة تارة، وعلى الأرواح أخرى، وعلى المواهب ثالثة، وعلى المشاهد رابعة، وعلى الاستغاثة خامسة وفيه قال أبو طالب المكي: « لا يرى إلا بنوره، ولا يشهد إلا بحضوره »؛ وعلى ما ينص السر، وعلى الظفر بالعلم اللدني، وعلى الوجود، وعلى الجلال المطلق، وعلى التوحيد الخالص. وإليه أشار الغزالي في آخر « المشكاة »<sup>(١)</sup> وقسّه [١١٠] إلى أقسام، والأول منها تكلم عليه بحسب الصنائع. والمحقق يجعله الإحاطة وقصّ التطور، والقضية الجازمة، والتفديس البسيط، والعين الجامعة المانعة، والعموم الواحد، والامتداد القصير، والوجود الغائب الحاضر، والمحق الذي لا يخبر عنه، وإن أخبر عنه وقع في غيره أو فيه بالوهم من حيث أن له ذلك كله من غير قصد للمخبر.

والفيلسوف يطلقه على التواتر المفارقة بالجملة، وعلى المفارقة بالنظر إلى ذواتها، لأنها فارتقت الأجسام لا من جهة الاستعمال كنفوس الأفلak والنفوس الجزئية. ونور الأنوار عندهم هو الله.

---

(١) أي « مشكاة الأنوار » لأبي حامد الغزالي — راجعها في « الجواهر الفوالى من رسائل الغزالي » طبعة هي الدين الكردي، القاهرة.

ومنهم<sup>(١)</sup> من يقسم الأنوار إلى ثلاثة والرابع هو الطبيعي ، وهو عديم على جهة ضرب المثال بالنظر إلى الأنوار . ومنهم من يطلقه على الميولى وعلى الصورة المحرّدة والمثل المخلّقة<sup>(٢)</sup> . ومنهم من يقول : عالم النور هو عالم آخر فوق ذلك كله ، وهو العالم الذى هو الله على الخصوص ، والله عديم أجل من أن يطلق عليه اسم النور ؛ وإن أطلق عليه فإيما هو فى بعض المظاهر للتشريف .

والجهوس يُطلقون النور على الله ، وعلى الخير المحض . — والبراهمة إذا ذكر عندهم اسم النور يسجدون فى ذلك الوقت عندما يذكر بينهم إذ يسمونه ؛ ويتكلمون بكلمات مفهوما بعد بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم : « أنت ! أنت ! أنت ! تعاليت يارب الأرباب » . والنور عند اليهود حينما جاء فى توراتهم المراد به عالم الملائكة وحضرة الحق وصفاته . وعند الإفرنج هو كناية عن اللاهوت ، وبالمخصوص فى عيسى<sup>(٣)</sup> : هو النور الذى أهبته إلى الأرض ، وهو واحد بالموضوع كثير بالقول والهيئة ، وبالعكس إذا تشخّص المظهر المتغير . وبالجملة مذاهب الإفرنج خسة ، النبية منهاهى القرينة من الفلسفة ، وكلها تتكلم فى النور وتعظمه ، وغير هذه الخمسة لا تصلح لشيء ولا يصلح الكلام فيها لحكيم ولا لمسلم . والقوم على فلسفة أفلاطون عاكفون وهم لا يعلمون . وأعوذ بالله من دين لا يُعَلَّم فيه قصد الله ولا تحرّر فيه قوة نبية ومراة .

فاعلم النورَ يأنور الدين ! فاعتقد أنه من خواص الدين واشكر مالك يوم الدين  
هزّ وجل .

(١) الإشارة هنا إلى السهروردى المقتول ، خصوصا . راجع « هياكل النور » للسهروردى المقتول .

(٢) راجع عن المثل المتألفة نهرتا : « المثل العقلية الأفلاطونية » نشرات المعهد الفرنسى للآثار الشرقية ، ص ٨٥ — ص ١١٥ ، القاهرة سنة ١٩٤٧ .

(٣) الإشارة هنا إلى الآيات الأولى من الإصحاح الأول من « إنجيل » يوحنا . — ويظهر أن ابن سبئين كان على علم واسع بمذاهب النصرانية .

نَشَأَتْ مَذَرُ بَعْضِ الذَّاكِرِينَ . كَانَ قَدْ كَظَمَهَا ، صَيَغُهَا فَصْلُ الْمَقَالِ ، وَمَدْلَوْلَهَا نُورُهُ شَجَرُ  
نُورِ الْخُلْدِ حَيْثُ الْحُلُّ وَالْحَالُ تَحْضُ عَلَى اللَّهِ وَتَصْدُ عَنِ اللَّاهِي . قُلْتُ : ذَكَرُ اللَّهُ حِكْمَةً لَا يُمْكِنُ لَهَا  
إِلَّا ضَمِيرُ الصَّدِيقِ . ذَكَرُ اللَّهُ نُورَهُ ، وَلَكِنْ لَا يَبْصُرُهُ إِلَّا نُورُ حَقِيقَةِ الْبَصِيرَةِ . ذَكَرُ اللَّهُ لِسِمِ  
حَضْرَتِهِ وَلَا يَدْرِكُهُ إِلَّا صَدِيقٌ . ذَكَرُ اللَّهُ نِعْمَتَهُ الْأَصْلِيَّةَ ، وَطَرِيقَ جَنَّتِهِ الْأَجَلَةِ ، وَعَيْنَ جَنَّتِهِ الْعَاجِلَةِ  
حَالِ الذَّاكِرِينَ رَاضِعَةً أَنْفَاسِ الذِّكْرِ ، وَلَا يَشْمَهُ مِنْهُمْ إِلَّا مُنِيبٌ أَوْ مَدْرُكٌ . ذَكَرُ اللَّهُ عِبَادَةَ مَلَاحِكَتِهِ  
وَسَبَبَ قَرَبِهِمْ . ذَكَرُ اللَّهُ خَيْرَهُ الْمُعْتَبَرِ . ذَكَرُ اللَّهُ عَقْلَ مُسْتَفَادٍ . ذَكَرُ اللَّهُ نَتِيجَةَ مَقَامِ الْإِحْسَانِ . ذَكَرُ اللَّهُ  
نَتِيجَةَ مُقَدِّمَتِهَا [ ١١١ ] الْإِيمَانَ ، وَبِرَهَانٍ قِيَاسِ الْإِخْلَاصِ . ذَكَرُ اللَّهُ رُوحَ مُنْفَصِلٍ يَحْفَظُ الرُّوحَ الْمُتَّصِلَ  
فَإِذَا اتَّصَلَ كَانَ أَوْصُولٌ . ذَكَرُ اللَّهُ لَهَّ لَا يَكْفِيهَا أَحَدٌ . ذَكَرُ اللَّهُ اسْتِرَوَاحَ الْأَرْوَاحِ لِعَالَمِهَا وَسُلَّمَهَا الْمُتَنَسِّبِ .  
ذَكَرُ اللَّهُ بَابَ الْفِكْرِ النَّافِعِ ، وَذَلِكَ الْفِكْرُ بَابُ التَّطَلُّعِ الْكَائِفِ ، وَذَلِكَ التَّطَلُّعُ بَابُ التَّصَفِّحِ  
الصَّادِقِ ، وَذَلِكَ التَّصَفِّحُ بَابُ الْإِتِّصَالِ الثَّابِتِ ، وَذَلِكَ الْإِتِّصَالُ بَابُ الْخِلَافَةِ الْكَامِلَةِ ، وَذَلِكَ  
الْخِلَافَةُ بَابُ الْحَرِيَّةِ ، وَتِلْكَ الْحَرِيَّةُ بَابُ الشَّأْنِ الثَّابِتِ ، وَذَلِكَ الشَّأْنُ بَابُ السَّكْنَةِ وَالْبَابُ الَّذِي  
يَلِي هَذَا وَرَدَ الْأَمْرُ بِسَدِّهِ ، وَجَاءَ النِّهْيُ عَنْ فَتْحِهِ . وَقَدْ فَتَحَ بِالْإِزَامِ فَافْهَمْ . ثُمَّ افْتَتَحَ حَدِيثَ نَفْسِ  
نَفْسٍ — قَبِطْتُ مَنْ يَذْكُرُ ثُمَّ يَنْسَى فَيَجِدُ ، أَوْ يَجِدُ ثُمَّ يَذْكُرُ فَيَنْسَى ، وَهَجَبْتُ مَنْ يَذْكُرُ  
وَلَا يَنْسَى فَيَجِدُ ، بَلْ مِنْ يَنْسَى وَلَا يَذْكُرُ فَيَجِدُ ، بَلْ مِنْ يَجِدُ وَلَا يَذْكُرُ فَيَجِدُ ، بَلْ مِنْ يَجِدُ  
وَلَا يَنْسَى فَيَذْكُرُ ، بَلْ مِنْ يَجِدُ ثُمَّ يَذْكُرُ وَلَا يَنْسَى ثُمَّ لَا يَجِدُ ، بَلْ مِنْ يَجِدُ ثُمَّ يَنْسَى فَيَجِدُ  
بَلْ مِنْ يَجِدُ وَلَا يَذْكُرُ وَلَا يَنْسَى فَيَجِدُ ، بَلْ مِنْ يَجِدُ ثُمَّ لَا يَجِدُ وَبَعْدَ ذَلِكَ يَجِدُ ، بَلْ مِنْ لَا يَجِدُ وَلَا يَجِدُ  
أَنَّهُ لَمْ يَجِدْ وَلَا يُمْكِنُ فِيهِ أَنْ يَجِدَ ، وَلَا يَقِلُّ الوجودُ فِي غَيْرِهِ ، بَلْ مِنْ هُوَ ذَلِكَ بِجَمَلَتِهِ ، وَلَا يَصِحُّ  
فِيهِ ذَلِكَ بِالرُّوحِ الَّذِي نَذَكَرُ فِيهِ التَّقَدُّمَ وَالتَّأْخِيرَ وَالتَّوَسُّطَ قَبْلَ تَنْوِيعِ الشَّيْءِ الْمَشَارَ إِلَيْهِ مَحَبَّةَ مَجْمُوعِهِ  
الَّذِي قَرَضَهُ الْوَهْمُ وَتَوَهَّمُ فِيهِ الْأَقْلُ وَالْأَكْثَرُ ، وَالْكَلَامُ فِي الْإِنْسَانِ بِحَسَبِ اصْطِلَاحِ الْوَاصِلِينَ  
بِالْوَصُولِ الْمُعْتَبَرِ . فَإِنَّ لِنَاسِ الْحِكْمَاءِ وَبَعْضِ الصُّوفِيَّةِ هَيْئَتَانِ وَآلَةٌ حَرَمَانِ ، وَبُيُوجُهُ مَا يَهْتَنَانِ  
وَمُظْهَرُ رَحْنٍ وَحِجٍّ وَبِرَهَانٍ ، وَبِالْجُمْلَةِ لِنَاسِ عُلَمَاءِ خَاصَّةٍ الْخَاصَّةِ يَنْشُدُ :

أَنَا الْغَرِيقُ فَمَا خَوْفِي مِنَ الْبَلَلِ ١٩

فإذا صعد إلى حقيقته بالتركيب ينشد بيت لبيد<sup>(١)</sup> إذا نزل بالتحليل . ثم يقرأ « سبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون »<sup>(٢)</sup> ؛ ويشيئها بقوله : « أفي الله شك »<sup>(٣)</sup> ويردف بقوله : « قل أمر ربي بالقسط »<sup>(٤)</sup> في نهايته ووصوله الذي لا يصبح بعده ما يفرض فيه بوجه ولا على حال ولسان حاله يقول : « وإن إلى ربك المنتهى »<sup>(٥)</sup> وإنسان خاصة الخاصة ينشئ أمره بين مظهر ومظهر ، ويتوسط في حق وانجرار وهم ، وينتهي حيث يستقر كنهه بمعنى أنه هو ومحود في مهد سكونية محبة بساطة حرة عن شوائب التقديم والتأخير والعدة الذي يجمع بين العدة ووجود الوحدة المطلقة أعنى وحدة الوجود ويكشف عن كل ما يدخل تحت هذا القبيل من الأمور الإضافية مثل الزمان والمكان والتقدم والحدث والفعل والمفعول ، ولا ينكر وجود ما في وجوده إذا كانت الماهية هي نفس الوجود . وهذا الكلام عنده بحسب الناس وتكون النفس تطلب بشأنها ، والموضع لا يسع فيه أن يتكلم فيه بما هو به على ما هو عليه أصلا : وكل كلام في التحقيق هو بخلاف الحق أو معنى يظهر [ ١١٢ ] عنه ولا يجتمع معه في الدلالة ويجتمع معه في الوجود . ومن أهل الحق من أنكر هذا وقال هذه بَيِّنَةٌ وهمية ، ومنهم من أنكر على هذا المنكر لا من حيث التعليل فقط بل من حيث ذلك والملاحظة والتعقيب . فترجع إلى حاله فنقول : هو يستند ويجمع أخباره وكلامه قطرة وانماد وهاجرة وقبض وبسط . ثم ينظر في هذا ويحيله ويعود إلى الوحدة النقية الخالصة التي تنكأ أن تعزى عن الوحدة لإفراط أفرادها ولكونها أنكرت النسب والأسماء . وهذا التوقيف عنده هي العبودية ، وهي التي تقدم منها بساطة الوحدة في وجودها بها وقيامها عليها فقط . هذا عند بعضهم ، وبعضهم يمنع ويهدد أخباره كلها وحينما يجد الضمير سكنه بها ، وهي أيضا تهذه به . وإثبات نص الحق وأصله قد نهت عليه في « يد العارف » وفي كتاب « الإبهت » وفي البحث « في الشأن العزيز » ، ومن قبله هو قطع مستمر وكُنْهٌ لاحق وحمد غالب ، ونور مرسل ، ثم ما هو أعنى هذا المنكر إليه بشرط أن يترك ، فاعلم واجعل ، وبالعرض المقبر فكيف . والحمد لله وحده .

كملت الرسالة النورية بمون الله ، فالحمد لله .

(١) الإحارة إلى بيت لبيد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل \* وكل نعيم لا محالة زائل

(٢) سورة « ياسين » : آية ٨٣ . (٣) سورة « إبراهيم » : آية ١٠ .

(٤) سورة « الأعراف » : آية ٢٩ . (٥) سورة « النجم » : آية ٤٢ .

## رسالة

بسم الله الرحمن الرحيم وصلّى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم كثيراً دائماً<sup>(١)</sup> .

[ ١٢٩ ] الله فقط . الله المستعان والمستعين ، والإعانة معنى فيه في كونه معيناً ومستعيناً . الحمد لله في الأزل والأبد وليّ المجد ، ومن هو بهما عين الحمد والحمد . والصلاة على من به تمّ القصد وعنه بعد الأخذ تعين الرد ، وعلى جبران نشأته التي هي يتيمة المقعد ، وهم الفرايد المختلفة في النضد من معنى القرب والبعد ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالسارى بذاته في أفعاله عن أسمائه بصفاته أحب فتسمى بالحقّ ، وأحاط فتسمى بالعالم ، واستدعت معانيها الظهور فتسمى بالمريد ، وقبلت ذلك فتسمى بالقادر . وهو عين الأول والآخِر والظاهر والباطن . هو عين كل ظاهر حقّ له أن يسمى بالظاهر ، وهو معنى كل معنى حقّ له أن يسمى بالباطن ، وله القبلية المرتببة الوجودية بالفضل لحقّ له أن يسمى بالأول ، وإليه يرجع الأمر كله بحقيقة الإيجاد وبحكم أن عدم النهاية هو له حقيقة حقّ له أن يسمى بالآخر ، وله الإحاطة وبعين ما هو به محيط هو به عالم ، فهو بكل شيء عليم . أسماءه اعتبارية فذلك لا يمتثل ، ولكون مسماها واحداً فبعضها من بعض يتقبل ، فاسمه المعين له من الألوح هو بالنسبة إلى ما تعين من القلم الآخر لكنه يعينه بالنسبة إلى ما تعين بعد الألوح هو الأول ، والتعين صفة المتعين والكون هو حقيقة المتكوّن . فاعجب له من ثابت متلوّن ومتبدّل متعصّب الترتيب الطبيعي الذي جماعه التركيب العرشي هو حكمته حقّ له أن يسمى بالحكيم ، ومتأدّير ما ترتب تناسباً ومتنازلاً هو المقدّر لها حقّ له أن يسمى بالمقدّر والترتب والمقدّر . ليس عين معانيه وليست غيره ، فالحكم لما يثبت الحكم له بها ، وهي هو فالحكم كله ، لا يريد إلا ما قبله معانيه وهي هو ، فقبولها نفس إرادته إن كلياً فكلية وإن جزئياً فجزئية . حدوث العالم ثابت له في الأزل وهو هو . فالحدوث واجب ، والحدث حق لا زب لم يتجدد له التجدد ، فأين التجدد ؟ ما هم من يضاف إليه غيره ، فأين

(١) هنا ورد العنوان التالي : « خطاب الله بلسان نوره » ونظن ذلك خطأ ، كما يظهر من آخر هذه الرسالة ، فهي رسالة الألواح : أما « خطاب الله بلسان نوره » فهو الرسالة التالية بعد .



التمدد ؟ ينظر العبد لخدمه فيه بعين الملامه والتوحد ، والنظر والمنظور عين في شرع التوحيد . ينزل الأمر فيه منه عليه ، وينسب الشيء إلى غيره فقتشهده فتجده منتسباً إليه . ما عبد غيره ، ولا تناول متناول إلا خبره .

الله فقط . وإلهكم إله واحد لا إله هو الرحمن الرحيم ، له الملك في بعض ما ذكر ، وله الحمد بملك ، وله ما لا يمكن وجوده في الملك ويمكن في الملكوت في بعض ما ينهم من لازم البعض ، وله الطول في الجميع ، وله ما وراء ذلك بما ينهم من وراء ذلك ، وله الحق الذي يدل عليه صفة ذلك الدليل ، وله الكل في موضع اعتبار ما وفدت فقط وله الأول والآخر ، والظاهر والباطن من كل ما كان منه . وذلك على ثلاثة أنحاء . وانظر ذلك في لازم العلم وفي لازم الفعل ، وفي وصف الوهم بين ذلك إلى الله مرجعكم [ ١٣٠ ] إذا بعد المفهوم الأول الذي عليه الإجماع « الرحمن على العرش استوى » (١) ليت شعري هل كان ذلك ولم يزل ؟ أو حدث بعد إذ جاء بحسب ما يجب في حقه أو هو بحسب قراءة ما أو إلى الله علمه ، أو هو في كنهه كل أحد والأبوحج يخصص مهمل الذات إذا علم العبد الله هل يصح له أن يقول أنا مع ذلك أم لا وإذا علم العبد العبد هل يصح له أن يقول الله ، أم لا ؟ أم هل له أن يجمع بين ذلك ؟ ما أعجب الحب في قلب من لا يوجهه إلى شيء حتى تقرأ ملباع التحقيق ، وكذلك التوحيد وكذلك المعرفة ، وأكثر المقامات هكذا ! انظر إلى ذاك فإن شعرت بالكمال اعرض عليها ما ينبغي أن تسكت عنه وما ينبغي أن تعلم وما ينبغي أن يفعل وكذا وكذا وكذا ، فإن وجدت فهي التي لا يزداد فيها وينقص منها فتحتاج إلى نيل ذلك وتصطاده في كل مكان فبده بأي شرك يمكنها إن أحببت الكمال وإن كمت أو تأخرت فتعلم أنها ناقصة والنقص يجنب النقص ، كما أن الكمال يجنب الكمال ، والكمال ينقسم إلى كمال به تصبح ماهيته وكأنه كمال ذلك الكمال ، وهو صلاح ذلك الاستعداد والفضة الشريفة التي خلقت ورأسها إلى فوق من حيث بدئت فقط . وإن قال الوهم إليك عني بذلك كنهه ويخدمه باطله الذي وصل لبعض ضفاه الوقت وخدمه في الله من حيث شرع في الوصول

إليه بواسطة التوحيد الذى تختصره طباع الجاهل المعظم نفسه الذى لا يصح له الحال ولا يصححه من أحد لطف الله به به الحمد لله عليه أريد على ما حصل منه بأى نوع كان .

الله فقط الكل له بالإصالة كل كمال ، وهو الكل بالمطابقة ، وبالتضمن عين السكال وسراج الجلال وغاية الجلال ، وبالاتزام ما أنا عليه . ولئى بالإصالة كل نقص وفى الجزء ، بالمطابقة ، وبالتضمن غاية القبح ونهاية النقص والحفارة ، وبالاتزام ماله . فلى بالإصالة ما ليس له بها ، وبالتضمن كذلك ، وبالاتزام ثبت الاشتراك ، الرجل من يحكى الوجود منهم الشوضى هو الكل بك معيناً ، وكل السكال بك معيناً ، وأنت الجزء به معيناً ، وجزء الجزء به لا معيناً ، وأنت به لاشىء وهو بلا أنت ثابت أبداً ، فالسكال له بك معيناً وكمال السكال له بك لا معيناً ، وبدونك لا وصف له سوى الثبوت ، وهو الوجود فى كل موجود وهو مع كل شىء ، ومتى سرى من ذلك الشىء حكم إلى غيره فنه لا من ذلك الشىء فله فى ذلك الحكم إيجابه وللشىء فيه الشبه فيه فقط لأنه فى الماء ماء ، وفى النار نار ، وفى الخلد خلد ، وفى المر مر فمهما سرى حكم من شىء إلى شىء فله الإيجاد وللشىء فيه الشبه ، مثال ذلك : هو مع السراج نور بصورته فيسرج منه سرج كثيرة تشبهه ، والإيجاد لمن هو مع كل شىء بصورة ذلك الشىء ، ولو كانت تلك السرج التى أوقدت من السراج من ماهيته هو لغيت ماداته بإيقاد جلته من [١٣١] السرج منه ، وكان يظهر فيه الضعف قليلاً قليلاً حتى ينفى . وإنما الإمداد من الأمر الذى هو مع كل شىء بصورة ذلك الشىء ، ولا صورة له هو . ولو قيدته صورة مالم يكن مع كل شىء ، إلا بمعها فقط — تعالى وتقدس فهو الوجود كله ، ولا وجود لشىء معه إلا لعلمه به . أنت علمه ، فانت به ثابت من حيثية مقابلة علمه إياه وهى التمييز وبه هو موجود من حيثية أن علمه عين ذاته وهى ألا تمييز . وأنت المتعين من حيث أنت صورة فى العلم ، لا من حيث إطلاق العلم . فإن عرفته فى كل شىء عين كل شىء لا الصورة التمييزية لم تجهل فى صورة أصلاً ، ولم تكن ممن يشغل له فى غير الصورة التى يعرفها فيشغذ منه حتى يشغل له فى الصورة التى يعرفها فيتبعه . وهذا وإن كان من السعداء فهو بعيد من أهل العلم بالله جناً . وأى معرفة لمن يعرف المطلق مقيناً بصورة ما فهذا إلى الجمل أقرب منه إلى العلم ، غير أن بركة الإيمان وسعادته شلته فيقتسم بسعادته فى الجنة من وراء غيب الإيمان ، وشفع له النبي الذى صدقه فرفعت له الحجب وقتاً ما فيقتسم بالمشاهدة بحسب حاله وعلى قدر نصيبه من رسوخه فى الإيمان وأخذته لنصيبه من مقام الإحسان فإذا هو كأنه

يراه إلى أن رآه . وأين هذا المقام من مقام من رآه من عرفه في كل شيء عَيْن كل شيء سوى تقيده الشيء وتعيينه بأنه هذا ، فإنه لا يجوز إليه الإشارة لأنه لم تقيده صورة قط . فمن عرفه كما قلنا ورآه في كل شيء لم ينس قط ولم ينسحب عليه من عتاب الآية شيء ، وهو قوله « لسوا الله فنسيهم »<sup>(١)</sup> حاشام من ذلك بل ذكره دائماً فذكرهم ورأوه في كل شيء ومع كل شيء ، نشاهدكم كذلك وشهدكم بالكمال .

### فصل

الثبات هَرَبِيَّةٌ عن المادة ، والعلم كالشوب بها شيء لا كالستند إلى شيء ولا كالتركيز فيه ولا كالربوط عليه ولا كالملتحم فيه ولا كالحال فيه كعقول الماء في الإناء ، ولكنه وجود يسيل ولا يقف ، ويستمر ولا يختلف ويشار إليه صحة مجموعه الأول والآخر والظاهر والباطن . فالثبات مع العلم دائماً وهي الباطنة وهو الظاهر بخلافك أنت الظاهر ، وعلتك باطن أبداً وما في الوجود سواء ملك وسواك به ، فأنت معين صورة علمه وغير معين علمه ، وهو علمك ، وحكمه فيك بخلاف حكمك فيه ، ترى وتبصر وتعلم وبك يرى ويصير ويعلم .

### فصل

الأمر الغريب منقول من علم المح فعله في الإنسانية إنسان ، وفي ح ح ، وفي ن ن ، وفي ج ج ، وفي العاليية علم ، وفي الماقلية عقل ، وفي ح ح وفي ذ ذ وكذلك في كل مرتبة لا ظهور له إلا بالمراتب ولا وجود لها إلا به . فكل ما عقل أو أحس فهو وجود ومرتبة ، والعقل مرتبة والاحس مرتبة ، والمراتب زائلة ، والوجود ثابت ، والثابت حق ، والزاغل وهم وباطل . أما كونه باطلاً فبين لأن المراتب هوارض للوجود ، والعرض لا يبقى زمانين في [ ١٣٢ ] التحقيق ، فهو باطل

(١) سورة التوبة ، آية ٦٢ ،

أيضاً . فإن أردف بعده عرضٌ مثله في الزمان الثاني وآخر في الثالث توهم أنه باق ، وإن أردف ضده قيل ثمان . وأما كونه وهما قَبَتَيْنِ أيضاً لسببين أحدهما أن العرض لا يدرك تاماً ، ولا يؤثر تاماً ، إلا بجوابيه أزماناً بالأمثال ، فذلك البقاء المتوهم يؤثر أزماناً في الإدراك ، والإدراك والتأثير لمرض مشروط بالبقاء ، والبقاء وهم . والسبب الثاني أننا خلق أن ينسب كل ما أدرك من الأحكام حساً أو عقلاً إلى الثابت لا إلى الزائل لأن نسبته إلى الوجود الثابت حقٌ ، ونسبته إلى المرتبة الزائلة وهم ، فثبت أن الحق هو الوجود ، والوهم هي المراتب الزائلة والباطلة وكل شيء هالك ، وهي المراتب الوهمية إلا وجهه وهو المجد والوجود وهو الأمر الذي لا تخرج عنه حقيقة من الحقائق الموصوفة بالوجود . ولا وصف له ولا نمت ولا حدٌ ولا رسم بالنظر إلى ذاته سوى أنه وجود . ولم يوصف أيضاً بالوجود إلا بالنظر إلى الموجود . والموجود إما واجب الوجود وهو الشكل والهوية ، وإما ممكن الوجود وهو الجزء والماهية . فالربوبية هي الهوية التي هي الشكل ، والعبودية هي الماهية التي هي الجزء . فما من حقيقة منسوبة إلى الهوية بالأصالة إلا واسمها كل ، وما من حقيقة منسوبة إلى الماهية بالأصالة إلا واسمها جزء . ولا وجود لكل إلا في جزء ، ولا لجزء إلا في كل . فالتحدُّ الكُلُّ بالجزء . فارتبطا بالأصل وهو الوجود ، واختلفا وانفصلا بالفرع ، وهو نسبة ما به التعمد والتمييز . فالعامة والجهال غلب عليهم العارض وهو الكثرة والتعدد ، والخاصة العلماء غلب عليهم الأصل وهو وحدة الوجود . فمن كان مع الأصل لم ينتقل ولم يتحول وثبت على علمه وتحقيقه ، ومن كان مع الفرع تحول وانتقل وكثرت عليه الأمور ، فنسى نفسها وجعل . وإذا انقسمت الأشياء لم تعلم معاً ، وإذا توحدت علمت علمها وعلمها ذاتها .

### فصل ——— ل

اقتران متغير بمتغير : زمان ، وثابت : دهر ، وثابت بثابت : أبد ، وثابت وحده : أزل .  
 ارفع الإدراك والعادة بالعلم أو بالتصريف لا حسن ولا قبيح :  
 حاسسته هيولى كلٌ حُسين ومقتايلسُ أفئدة الرجال  
 الوجود قضية فيها كل شيء حاضر ، والحق مع كل شيء ، وفي علمه كل شيء في الأزل والأبد ، وعلمه عينه ، وهو لا تحكم عليه الأزمان ، والشكل حاضر في القضية .

## فصل

العقل خَلَقَ ضابطُ للمعوم ، وميزان لما يقيدها ويضبطها ، ويميز مصيحتها من سقيمها ، والا لسان الخليفة خَلَقَ ضابط لجميع الصور الحسية والغليالية ، وميزان لما يقيدها ويضبطها وهو الميزان الأكبر والغليفة الأظهر ، ميزان الموازين ، وخليفة الخلفاء . والعقل بعض ما فيه ، والعلم جزء مما يحتويه . إن شهد لها [ ١٣٣ ] حصاً ، وإن لم يقبل ما شهدا به لم يُقبل . فلي ما سواه يوزن بهما لا عليه ، وإليهما ينسب المعجز والقصور فيا اختلف فيه لا إليه ، لأنه أكبر منهما وأجمع لمنوف الشرف ، وهما جزء ماهية منه . والفصل هو المخلوق على الصورة ، والمخصوص باليدن وبأحسن تقيم ، ويعلم الأسماء كلها ، ويعلم الأولين والآخرين ، وقاب قوسين وبالقسم بحياته وسعة قلبه ما لم تسعه السماء والأرض ، وبأن من بابه قد بايع الله ، وبأن الله رضى إذ رضى ، وبمعية الله وخلقه ومنته وكلامه . والسلام على من تأدب مع السلام بالاستسلام وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الله فقط : من انفصل من خط وهم واتصل بنقطة حق مُحدّ حاله ، ومن حقق حقه الكامن بحقه الجلى ووجهه المنجر لم يموت عليه وهم غيره الظاهر والباطن . من قدس من كذا وأتصل بأكثر من ذا وذا ووقف حاله في كذا عظم حاله في عالم عاداته وصغر في حضرة سمعته ، لأن جميع ما هو من هنا القليل من جملة الأوهام المنحلة . فلا ينبغي لمن علم الحق أن يشككه ضده ولا يبتدل فيه جهده ويبذل فيه جهده في طلب جده ، لأنه تعالى جده . ومن استقل ولو في قوله لا عبارة في الذي عنده ولا إشارة ، أعنى لاهبارة لفظية ولا إشارة قلبية ، لأن العبارة تسكلم بمد محركة ما يتقدمها والإشارة تتوسط بين ذلك وتلك ، ولا خير في السكلم ، والحقيقة لا تسمى ولا تسمى ، ولا يتقدمها شيء ولا يتأخرها شيء ، ولا تتوسط في شيء ، ولا يقال على كثيرين ، والله يتسكلم ويغير ويحقق الحق ولا يلفظ . ولأنك يحيط ، وإحاطته منحلة عنه محمولة فيه مشار إليها به وإليه بها جزء كل وكل جزء مهيوم وخصوص وخصوص وعوم ، كله أكبر من جزئه ، وجزؤه أكبر من كله ، وجزؤه أقل من كله ، وكله أكبر من جزئه ، وكله أكبر من جزئه ، وجزؤه أكبر من كله ، وجزؤه أقل من كله ، وكله أكبر من جزئه ، بل لا سلك ولا جزء له بالنظر إلى الحق محبة ذاته ولما بالنظر إلى الحق محبة الوهم . فهو الأول

كما ذكر وهو الآخر فيما ذكر ، وهو الظاهر في جميع ذلك ، وهو الباطن في تقدير أمثلة ذلك المقدرة . وبالجملة الإحاطة الأولى علمه ، والثانية التي تنسخ الأولى ذاته والوجود ، والثالثة ذاته فقط . ثم الإحاطة التي لا تغفل فيها الإحاطة ، ويندغم فيها المحيط والمحاط به معاً ، فمن امتنع من العبارة كما قيل يكون إلهياً بشرط أن يكون جوهره كاملاً ، وإن لم يكن كاملاً فهو منموم الجملة . فاجتهد أن تكون قضيتك من قضايا الوقت الواحد من الجهة الواحدة بالخصّة الواحدة في الوجود الواحد بالثبات الواحدة وهي هي ، ولا تغفل : لم كان كذا ، ولأى شيء كان كذا ، وانحصر كذا في كذا ، وعجز هذا عن هذا ، ولم يكن ذلك على ما ينبغي كذلك وتقصّى كذا وتعرضى كذا — قهلهك وتخرج من إحاطة المحقق المشار إليها والمألوف عندهم عليها ، لأن حرف العلة يجرّ إلى لواحق مدلوله وذلك يعطى المبدأ المضاف المقسم والمنقسم [١٣٤] ولا حاجة للمحقق بمعنى ينسب أو ينسب ، فإن ذلك دليل على وجود الحائل والمنع ومع هذا يخبر عن عدم الحصر ويوقف الضائر على ملاحظة نكتة الوحدة . وإذا قدرنا الوحدة المطلقة البسيطة ، لم يصحّ لنا غيرها ولا الكلام عليها ولا ما يقال أو ينوّم ولا ما يشار إليه أو يُتفهّم بوجه ولا على حال . قل : أعود بالله من علم اليقين ، لأنه بين علم وهمي وجعل مهلك . وقل : عصمتي الله من عين اليقين ، لأنه وهم متعلق بأمثلة . وقل : حجب الله عني حق اليقين ، لأنه شرك الضائر إذا استقل سكونها في خطبة ذلك المعنى بذلك الشيء الذي يشبه الحركة الدولابية وتنموج فيه المقاصد ويعظم فيه حال الخبر والخبر وتوحش النفس وتنشق الفطرة وتصدع مرآة المقاصد .

الله فقط : الله في كل شيء بكلمة ، وليس في الكل والبعض ، وهو شيء فيه ما ليس بشيء وما هو شيء معاً . فبين ما ترى ذات لا ترى ، وذات لا ترى عين ما ترى . فجاء من ذلك أنه حصر من انحصر ، وبسط من أبسط وانحصر ، وانبسط .

إليه : الحال من الأسماء الثابتة ، وقصد المتكلم يعلمه الله تعالى أجمع الأشياء إليه ولا جبر دنا بنبوته وتدل برسالته فكان قلب قوسين أو أدنى . الأيدقضايا والقضايا أزل ، والأزل على مشار إليه ، والمشار على ذات ، والثبات واحدة . الله فقط — لا شك في ذلك .

الله فقط ! يا أيها الصحيح المريض ! مَرَضُ عَيْنٍ جِيسِكَ سَبَبُهُ حِمَّةٌ عَيْنٍ قَلْبِكَ ، والله يشئ مرض عينك الواحد ، ويحفظ عليك الصحتين ، ولا يرفع سببه من حيث هو صفة طبيعة كمالك ويرفمه من جهة حاله في وقت ما ، ولا يرفع الأفعال السَّيِّئَةَ من أجل الممرك السَّيِّئِ . وبالجملة ، حفظ الله ذاتك من كل الجهات حتى تعبد الجلالة من جهة الملكة ولا يفوتها مع ذلك ماهية العافية العامة . والسلام عليك بحسب هذا ورحمة الله تعالى وبركاته ! وَكَمَّهَا ذَلِكَ ، وهو عين ذلك عند ذلك ، وعند نفسه ذلك ، وبما هو غير ذلك عند ذلك هو ذلك ، وبما هو عند نفسه ذلك هو غير ذلك . الله ذلك .

الله فقط ! يا هذا والذي أخبرك به رضى الله عن الحق منك ، وحفظك من ضده فيك ، أن " كلام الله جزء ماهية التطور ، وهو غاية المعتدل ، وبما ظهر لى في الوجود أن القوات كلها ذات ذلك الوجود من كل ما يلزم عنه . وأنت انظر إن وجدت لوجود صورة إشار إليها ، فالترم البعض من موضوعك ، أو استند إلى بَدْءُ المقوم لك . والوجود في كل موجود هو الحق فيه . وقولك الجسم والجوهر والعرض هو الوهم ، وهو غير الجليل ، وما يخالف الحق . المبحوث عنه بالحق في الخلد هو الأمر الذى يمتد على العوالم ، وتلك العوالم هى أمور الله ، ولذلك يقول الحق : « وإلى الله تُرْجَعُ الْأُمُورُ » (١) . وإذا هزمت على الله ، أى على القرب منه ، خلص نفسك من البعيد عنه من صفة نفسه وأخلص في الإضراب حتى لا يبق في [ ١٣٥ ] ضميرك من تخير عنه ولا من تقدر أنه يخير عنك . ثم اعزم بعد ذلك واعزم ، وخذ نفسك بالتجديد الجاهد لجميع ما يجمعك أو يفرقك ، لأن ذلك كله يجرى إلى الأول من العبد والآخر من الأصل ، وذلك على خطر .

الله فقط ! ما حَرَّكَ الله قَلْبَ من يجهل إلى مخير ما وهو بعيد عنه لأن حقيقة محبوب الله إدراكه الأمور على ما يجب وفي الوقت القريب . وهو أيضاً لا يمكن أن يهمل الأخرى والأولى في الله قط ، وهو يجد الحق على كل ما يمكن ، ويهمل الشيء في محله . ومعنى محبوب الله من ثبت خيره فيه ، وتحقق ضميره كجمله منه ، ووجد أنه به وكان مجموعه على حظ وافر منه ، وكان الله معه بتقيد

أوامر سموده وصموده . وإذا بلغ غاية ما تبجل له بداية غاية أخرى . وإذا بلغ تلك كانت مقدمة نتيجة أعلى . ولا يقف قصده إلا في حصر الواقع وامتداد النوازل واستجلاب الإعلام القاطع . وهذا هو الذى يقول فيه محقق العهد الثائب أنه ينصرف إلى خبر ما هو مظهر الفضائل ، وما يمكن أن يكون بعده إلا الصور السكائمة واللوات المستمارة التى كل ذات منها إلى حد ما نهايتها لأنها تتحد في سكونه تلك الآنية لا الآنية . وهذا يحدد بوجه ما . والذى يُقَوَّل عليه أن الله لا إله إلا هو . وهذه الكلمة أجمعها دائرة وهمية تنفي الدوائر الداخلة والصفات أيضاً .

الله فقط شأن الله منبر لا يصعد عليه إلا خطيب الوجود بتدريج نور الله ماهية الأرواح الطاهرة . ولأجل ذلك يصير ما وراء وراء . طريق أهل الحق حكمة كتبه المنزلة ، ولكنها لا تصح من كل حكم وتصح من العاقل إذا ذكره حضور التخصيص وجذبه يد القبول . قول العارف « الله » يدل على أن ذلك بسط فسانى ، وإلى الله عاقبة الأمور . التحمل يقلل قوّة الخصومة ، ويحلل مركب المتابعة . التصرف بالإخلاص يقطع رقية الضجر ، والقضاء بالأحكام الشرعية يعلم الاعتدال ، ويبرئ إلى العدل والزيادة . مَنْ جمل سنة رسول الله مرآته التى ينظر فيها صور الأولى والأخرى استقام سلوكه . دين الله من حافظ على جلته بكل أنحاء المحافظة وجد الله حيث اختاره الله له ، ومكنه من التراجع الحجة ، أعني : الخلافة ، أو الإمامة ، أو القطبية ، أو قوة التحقيق الذى لا ينسب إلا بمضاف الأصل الذى ما سمع وهم فرعه أو المعنى الذى جميع ما ذكرناه من بعض مظاهر سلوك الأبرار بالعالم والعمل والاستعداد المشترك وسلوك المفرين بالعالم والعامل والاستعداد المستند وسلوك أهل الأزل بالذات المستقيمة فقط . كل كنه لا يمنع عن نفسه فهو منك ، وكل خبر لا يسكن الضمير معه وإن كان يعلم ويعمل به ويظفر بخواص العادة به هو من قبيل الأوهام التى لا تقال بحبة تكليف ولا دليل ، وهى الثابتة فى الآخرة . وهيات ! أين الله من ذلك ! بمعنى لا سبيل إليه بذلك كله . من سمع كلامي وتمذّر عليه فهم الحق فهو إما ج وإما ح وإما م ، وإما طبيعته منه [ ١٣٦ ] فقط .

الله فقط ! لا حول ولا قوة إلا بالله ، بعد مدة وفى إثر شدة . وبأمر آخر كشف الحق ، وحق العالم به أنه لا ينال إلا به ، وظهر له أن ألوم هو القاطع وهو الحاجز بين الحق المستقل وبين التابع



الموت ، ألقى الذى يظن به ضمير المتعبر الذى لا عين لضميره ، ولا هو فيه قوة التبيين ، وأنه مع ذلك كذلك بوجه يشبه الراجع على أجزاء ماعية ينسبها فيه بما هو هو ، وإن كان هذا لا يصح فى أعلى من هذه المرتبة فهو القول النافع فى هذه . وبعد ذلك حدث الذهن به النفس ، وحدثت النفس الإرادة ، وحدثت الإرادة القصد الحرر ، وحدثت القصد الحرر العزم المخصص ، وحدث العزم المخصص الجذم الحرر ، وحرك الجميع الهمة الجليلة ، وحركت الهمة الجليلة السيرة الجليلة ، وبالنظر إلى السبب الباعث الهمة هى الحركة للجميع ، ومن حيث ترتيب الوجود ونظم الأجزاء فى سطح الضمير الذى هو اللوح الجزئى هى حركة - فافهم . وحركة السيرة والهمة معاً إرادة الله المتعلقة به على سبيل العناية إن كان ذلك كله نحو الصواب والمطلوب الصحيح والظفر بالدول الأول ، وإن كان بالصد فتشكر مواكب البحث المهلكة قابلة ، وتودد كواكب الكشف الخفار أكفأ ، أو يتعلق ذلك كله بمطالوب وهى ، ويقع الأس به ، وتسكن النفس عنده . وأعوذ بالله من أحوال يكون الصراط المستقيم فيها قد وضع على حاشيتى جهنم الأوهام ، وجنة التبيين أمامه . وإنما الذى يبحث عنه أو يفرح به أو يكل به الرجل هو الصراط المناسب البسيط الموضوع على محل الأس والتيسير ، ويكون طرفة الأول على جنة المأوى ، ووسطه على البرزخ الجلى ، وطرفة الآخر الذى هو بإزاء الوجود وفى مقابلة ذاته ألقى الوجود فى مكان النهاية التى تصور فيها المألوف ويتجلى فيها متبر الأمل للقسط المميز ، ويصبح به الوصول إلى الله الذى لا إله إلا هو . فإن الله لا يظهر فى ركة الإخلاص التى أفرد فيها الشأن العزيز وظهرت صورة الجلال المطلق الذى لا ينسب إلا من حيث يقوم أو يتم على العموم خاصة ، والله تعالى يقول : « وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى » <sup>(١)</sup> ويقول : « كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ » <sup>(٢)</sup> ويقول : « أَفَى اللَّهِ شَيْءٌ » <sup>(٣)</sup> يريدنى شىء ، حتى فى الشك ، فإنه به تردد من أجله وفى روايته ثم يقر الضمير وله منافع جلة ، لأنه يحمل إلى أدب الأقل محبة التبيين والقوى يعين <sup>(٤)</sup> الضعيف . وأحسن ما قيل فى ذلك : يا الله ، أنت أنت أنت أنت الأحدث وأنت المعنى فى معناه ! وأنت ذلك بينه ! متى وجدت نفسك تحديقك بالكمال وأدواته فيها فأخبرها بالأول فى ذلك ، وكيف إلى الله يرجع الأمر كله والحمد لله وحده .

(٢) سورة « القصص » آية : ٨٨ .

(٤) كذا فى قولها : يعين ؟

(١) سورة « النجم » آية : ٤٢ .

(٣) سورة « إبراهيم » آية : ١٠ .

الله فقط يستمد الهم الحق الباحث من سعادته المتعبط بصلاح عاداته وإصلاح عبادته الذى يطلع فى الجلال المكتسب [ ١٣٧ ] ويزعم أن ذلك فى ماهيته يشبه علة النسب ، وهو مع هذا لا يصبر من شأنه فإنه من غير كونه على تمييز ماهيته المخلوقة إلى فضاء الماهية و ينتظر العارض الثالث من المرتبة الواسعة التى بها تكمل ماهية ذلك الجلال فإذا بَسَّرَ الله فيها به ويصح له أن يدخل فى زمرة المتقدمين بحمد الله على سر ابن باحور الثالث المحفوظ، وبمدها يدخل المخلوقة ويتعرض لرحمة الميقات ويرغب فى كلام بَدَّه المصاحب الأول والآخر وبه كذلك الظاهر والباطن فإذا بَسَّرَ الله ببعض المخلوقة > ...<sup>(١)</sup> < وبنت يصبر على متابعة الطلب لكشف الحكيمية المشخصة لكل ماهية منسوبة . فإذا قال ذلك ، ثبت على ضميره فى إشارته على حين مراداته تلك العين الأولى . وعند ذلك يطلب الرؤية للفص من كل ذلك بكل شيء فى كل شيء من كل شيء من كل شيء لكل شيء . وهذا الطلب لهذه الرؤية هو الذى يسعف فيه الطالب ، لأنه لَيِّنَ فى حين . وإذا بَسَّرَ الله فى الكوكبية والقمرية والشمسية ، فينبى أن يلح على أصله الذى لا يغفل على فروع نفسه حتى يحكى ذلك الأصل ، ويدوم أمره على صراط التوحيد الذى يطلب به التقويم والتتبع وتحصيل ذاته المتبصرة الآخرة عن المعتبر الذى لا يمكن معه النظر ولا التوجه ، لأنه إذا همَّ العالم أو العارف أو الحق بالإخبار عنه انعكس حُكْمُهُ على ذلك الخبر القريب وإلى الله سَفَى الأحوال كلها ، فاطلبها منه .

وقد بذل الناصح مجهوده ، واستفرغَ وسنه ، وقرر مع الاستخارة على حديث المكانة ، وسلم فى ذلك رضوان الله وأرشد إلى مثله النصيب الذى يلزم فى الجزء الأول. فإله ذلك ، وهو علة كل وصف محمود حتى مفهوم الرحمة والرضوان . والسلام على محل الأصول المعجبية ورحمة الله تعالى وبركاته .

كملت «الألواح» .

## رسالة في أنوار النبى

### بسم الله الرحمن الرحيم

وله رضى الله عنه وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم .

الحمد لله الذى بنوره يُعلم ويُبصِّر ، ويحضره يعرف ويُشهد ، الذى خلق النُّجُوم والنجوم المسخَّرات ، وأودع الأرواح سرَّ عبده الأول الأوصل ، وذكرها صورة الفارق للعواد ، وجعل القلوب مظاهر ملكه الأكمل وزينها بالعلوم والعقل المستفاد ، وجعل طريقة خليله إبراهيم عليه السلام بما ظهر من الأنوار لعالم الإنسان ، وطريقة حبيبه محمد ﷺ بما بطن من الأسرار ، وخصه بمقام الإحسان فكان ذلك مريداً وكان هذا مراداً . ثم إنه مات وخلفت محمده كما خلفت موسى ، وهذا بالضد توفى صلى [ ٢١٨ ] الله عليه وسلم وخلفت شريعته والذى كان مبدئاً فى حياته ﷺ اجتمع بعد مماته ، ولا تركته العناية حتى جعلت من الرسل من يتبعه وهو عيسى عليه السلام . فلما أبصرت هذه العناية الكبرى ، وحقت أن كل درجة بالنظر إلى درجته هى النعمة الصغرى حتى عظم أمره فى الدنيا وأكبر أمره فى الأخرى . وإذا أبصرت من آياته ما أبصرت بهنك ثم أتتكم بعدها أخرى اجتمعت فى نفس ونزعت بالجملة إلى حضرة جلالاته حتى أتى غبت بذلك من حسن ، وأهملت معاشرته جنسى واشتد بالفلو فى صلاته أنسى . قلت من غائب عينه إرساله وزاجر أكمه لإجلاله : يأبى الإنسان والمراد بهذا الجنس وله أقصد بالخطاب ، ولا أبالى على أى حال كان ، فإن الحقائق إذا تعينت ، ونور الله إذا كان مظهره الأفضل هو به على الوجه الأكمل والتقدير الأوصل — قيل فيه بحسب الطاقة : فمن مُسلم ومن ضده ومن عاش ومن مبصر ، ومن مُؤف ومن مقصّر من ذلك ، ومن مقتصد ومن مطفف ومن مجتهد .

وقد خرج بنا الكلام إلى غير الذى قصدناه بالقصد الأول وبالتقصداً يمتاً كان فدرج فقول : يا هذا المسلم النور ! قد استولى وتراكم بالفرض وزاد حتى غلب الكمية والكليات بل المخطوط

المتوهمة ، حتى أنه يفوت ما يقال وما يتوهم وما يعلم ويقدر ولا تلاحقه مبالغة الإحياء والناس في تصويره على أتمهاع وعلى مراتب . ويقدر نصيب كل وعادة الله تعالى في عبادته أن ما من عليم إلا وفوقه عليم ، وما من حكيم إلا وفوقه من هو منه أحكم ، وفوق الكل أحكمُ الحاكمين العليم الحكيم . ثم انقسم اعتقاد الجهال على أربعة أقسام . والذي يرجع إلى حاصل ما يستقدون ويقولون فيه أعنى في نور النبوة والمقام المحمدي على أتمهاع . فنترك الكلام على الخالف لنا إلى موضع آخر ، وتشكلم على مراتب أمته ﷺ وخصوصاً على المعنى الحاصل المعلوم م.م من حيث النارهنة ومن طالع ظهورها .

فقول : هم أربع درجات ؛ وبينهما <sup>(١)</sup> طبقات حون كذا وعند كذا منها بالنسبة إلى كل واحد . فالذي في الدرجة الأولى هو الذي يقول أنا أعترف واستخرج في ذلك المجانب وأصرف الأمور إلى مراتبها الأولى . والثاني الذي يتلو في الدرجة الثانية هو القائل : ما هذه إلا مصيبة أو شبهة يثقب فيها مع الخالف لنا في المسئلة لكنه إن شاء الله وإنا إليه راجعون . والثالث الذي بينهما هو القائل : هذا ينبغي أن يُكتم ولا يتكلم به فإنه يخاف مما يعود على العوام به . والرابع هو الذي يقول : هذه مصيبة أصيب بها عين الإسلام ولها من كائنة [ ٢١٩ ] ما أصعبها وكانها ثانية لنفخة الصعق أو هي أختها ، هذه مبطله ، هذه قاصمة الظهر ، هذه غير هينة . والذي يجد الأسف ولا يمل هو يمتد في الأولى إلى الثانية . والذي يضحك ولا يعلم ما أمره في ذلك بالجملة وكأنه غير متبهر عنده إلا من حيث أنه يقول إذا سمع القول ققط وما يشعر النفس بأمر يوم أو يحرك ، وهذا يمتد مع الثانية إلى الثالثة ، والذي يقول هذه من الشروط وإذا كان الله يفعل هذا بحبيبه فما يفعل بغيره يفعل ذلك من قبل الموعظة .

والجميع ومن ذكر يضحك منهم العلم وتبكي عليهم المعرفة ويهملهم التمكن ويهملهم التحقيق فاعلم أنت وأهل الدرجات أن نور السموات والأرض رسول الله ﷺ مظهره ومشكاة مصباحه ووجهه زيتونه زيتها ثم هو نفسه نور الله ، وكذا وجهه ومعجزاته وآياته ومجموعة ما قال في ذلك وبعد نور النبوة واتصافه بها وقوله اللهم اجعل لي نوراً في قلبي ونوراً في جنسي ونوراً في شعري ووقت تبع جوارحه كلها كذلك — ثم قال ﷺ : واجعلني نوراً ، ثم كان ﷺ يذكر الله في كل زمان

فرد ، والقرآن من أسمائه النور وكان يتلوه وعليه أنزل بالملك تارة وتارة من حيث روعه الداخل ، ثم طلب الرقيق الأعلى عند موته وحمل الأنوار وروحه هناك يتم . فهذه أنوار ، معها أنوار ، وأنوار بعد أنوار . وقبل أنوار ، ثم أنوار لا نهاية لها ، ثم نور الله الذي لا يُحد ولا يكتف ، لا يفوته في روجه وعقله وحسه وخياله وجميع مواده الباطنة والظاهرة ، ثم أنوار آيات تلحق بناته ينبئ أن يقال لا نهاية لأنواره . ثم إذا نظر إلى مضافها وإلى مشارها بالجملة وإلى جملة ما هو عليه لا ينبغي للعقل إلا أن يقول : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء »<sup>(١)</sup> . وبعد هذا كله لو سمعت من المحققين من أمته : ما هي الأنوار ، وإلى كم تنقسم ، وما المراد بها ، وما عللها وكونها ؟ هي عندهم حوالم الاتصال الثلاث ، والكمال الثاني ، وبعد هذا كلامهم فيها ، وفي التجليات هو المطلب الأقصى للمباحث والمناهل بالأمم الخاص المميز ولم ما هو أعلى . فكيف لديهم الذي هو السبب لذلك كله وهو الصورة المفيدة لذلك وما يصلون إليه حتى أنهم يضعون من الأنوار القلية التي يشرعها اصطلاح الحكماء وكذلك يطلون مراتب المثل المعلقة بعد الطبيعة بالجملة وأنوار التولد والاستدلال ، وغير ذلك بالسكية ، والأنوار الحادثة في النفوس الجزئية وكذلك يسفرون بالأنوار المضافة بعد علم المألوجي<sup>(٢)</sup> علم الوحدة وعلم أحكام التوحيد هناك . ولم في الأنوار جملة مقاصد ما هي من قبيل ما يذكر عندهم . فإن أضف أنوارهم عواشق الأنفول من هدم [ ٢٢٠ ] فاعلم أي قلت ذلك لكي تنقبه . وأما أنوار المقامات والأسماء عندهم ثم الأنوار الباطنة والعلامة الآلية ونور الإحاطة ونور التقدير المثالي ونور التعرض الذي يصحب لصاحبه السكينة ، ثم نور الله الذي إذا فرض دائرة وضعية كان الحق المحض ذات المقدر الواقف . فاعلم يا هذا من يكون الضيف من أمة محمد صلى الله عليه وسلم يجد أن هذا عين الهبوب الأعز عنده ، ثم يطلب له بيان حال مجده إن كان يريد أن يبين ذلك ببرهان ، فهو صاحبه بالجملة . وإن كان يريد أن يبين البين فهو يتحرك في سلسلة جنونه وينوع السفن ويقسم أشخاص فنونه . وإن كان على جهة أن يقال هذا يقول وهذا ينطق بكنا وبروم أن يحدد — فقد قسم ظهره قوله : « وما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد »<sup>(٣)</sup> فمن أمر من أجله

(١) سورة « المائدة » آية : ٥٤ .

(٢) سورة « ق » آية ١٨ .

(٣) كذا ، وصوابه : الثالث ، أي الإلهيات .

رجال الله أن لا يرفعوا أصواتهم ، فكيف يسمح به أن يُتهم أن يدبر بنير مجده الإلهي ؟ ! أعوذ بالله من الحرمان . التوبة يا غير خبير ! التوبة يا غي ! التوبة يا غافل ! التوبة يا غاغل ! التوبة يا جاهل ! التوبة يا ضعيف المجمع ! وسلام على من اتبع الهدى .

### القول على أنواع أنوار رسول الله صلى الله عليه وسلم

لعل أن أنواره ﷺ تختلف باختلاف متعلقاتها ومضائفها ، ومن حيث الأقل والأكثر ، والأشد والأضعف — هذا بالنظر إلى نوع النوع لا أنها تنقص أو تضيف من حيث أنها أنوار إلا بأمر يلحقها في نفس الأمر . فمن ذلك نور عزته ، ثم نور الغاية الإنسانية ، ثم نور الإدراك ، ثم نور النبوة ، ثم نور النشأة ، ثم نور الساقية ، ثم نور التشريف ، ثم نور التبدل ، ثم نور التركيب ، ثم نور المولد ، ثم نور الخلقة ، ثم نور الترية ، ثم نور الانتقال ، ثم نور النهاية ، ثم نور التضمن ، ثم نور المادة ، ثم نور التسخير ، ثم نور الانبعاث ، ثم نور اللواحق ، ثم نور الجلاء ، ثم نور الخطابة ، ثم نور المقايسة ، ثم نور التفضيل ، ثم نور الإحاطة ، ثم نور الحصر ، ثم نور الكشف ، ثم نور التزكية ، ثم نور المسكاة الكبرى ، ثم نور الأفراد ، ثم نور الذكر والعلامة ، ثم نور العلانية ، ثم نور الخصوصية في أول حاله ، ثم نور الخير المحض ، ثم نور اللواء ، ثم نور العبودية .

فأما النور الأول — وهو نور العزة — فهو نور الشهادة التي تقال مع شهادة الله : هنا كشف من عزته عند الله . ومنها أيضاً في جملة أحكام أمته صلى الله عليه وسلم فيها يتبع : كالشهادة في الصلاة والأذان .

وأما الثاني — وهو نور الغاية الإنسانية — فهو شأنه الذي كان ليلة الإسراء ، فإن الأنبياء خير البشر جاز عليهم في السموات ثم تركهم وقطع عوالم الملائكة . فهذه نورانية كشف بها أنه وصل الغاية وبلغها ثم وصل إلى محل الكروبيين ثم إلى أكثر ، ثم إلى آخر [ ٢٢١ ] العارة الروحانية والجسمانية .

وأما النور الثالث — وهو نور الإدراك — فإنه أدرك الله وأبصره على أي نوع كان وعلى

أى منهج إن كانت العلمية أو الأخرى . ثم كان يبصر من خلفه صلى الله عليه وسلم كما كان يبصر من أمامه . وأيضاً أدرك الجنة قبل موته . وأيضاً كُشف عن الذى فى قبره يُعَذَّب . وأيضاً كُشف له من الجنة فى عرض الحائط . وأيضاً أبصر الملك على صورته التى خلق فيها ثم على أنحاه بعد ذلك . هذا نور كشف له عن أعز المبركات كلها .

وأما النور الرابع — وهو نور النبوة — فهو ما ظهر له من الآيات وما تحدّث به من المعجزات ، ثم ما أدرك من النوع الأكمل . هذا كشف له به عن مقام النبوة وأظهر الله به قدره ومكانته .

وأما النور الخامس وهو نور النشأة فهو الذى كشف له مكانته ، وعناية الله به ، وحفظه ، وما فعلت الملائكة به ، وتطهيره ، وشقّ بطنه ، واتصافه بما يجب وكونه كان يتنبا محفوطاً حتى إن أمّه الأولى حدثت عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يسبح فى بطنها — وعند ولادته تغفر ربهما . وأمّه أحنى أم تريته كذلك كانت تقول إذا أكلت الطعام المختلف فيه لا يشرب لبنها . وجعله الأمر كان مجموع قرائن أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأما النور السادس — وهو نور السابقة — فكونه فى الأول أريد بذلك فإنه قد أخبر أنه سيّدٌ وَلَدِ آدَمَ ، وكان ، وكل ذلك من الله ، وخبر الله لا يتغير وكذلك علمه لا يتبدل . وأيضاً كونه قال : « كنت نبيّاً وآدم بين الماء والطين »<sup>(١)</sup> . فكشف له هذا الطين أنه كان مشتهراً ما بين الأنبياء فى الأزل قبل السكون وأظهر أنه نبيٌّ ، وهو ممكن الوجود وقبل كونه . وهذه أيضاً سابقة ثانية . وكذلك اسمه فى الوحي إذا أرادت الملائكة ترحم عباد الله وتدعو الله فيهم لكن يُدْنِم أو يُرْفَع عنهم المذابح النازل — قصوده وتوسّلو له به . ذكر ذلك ابن شيوخ ورفعته إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

وأما النور السابع — وهو نور التشريف — فهو النور الذى كشف له عن الخصوصية الملكية ، ورسم اسمه مع اسمه فى الوحي ، وكتب بالنور .

(١) راجع من هذا الحديث وشبهه بحث جوفيتسهر فى كتابنا « التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية » ص ٢٢٥ — ص ٢٣٠ . القاهرة ط ٢ سنة ١٩٤٦ .

وأما النور الثامن — وهو نور التبدّل — كشف له عن مقام القرب وهو قوله تعالى ثم دنا فتدلى لأمر .

وأما النور التاسع — وهو نور التركيب — فهو الذى انكشف له به عن الناية العظمى فى التوحيد . فإنه كان إذا فكّر فى الموجودات ثم فى النظام القديم ثم فى سرّ القدر ثم فى الأمور العالية كان يُفان<sup>(١)</sup> على قلبه إذا ركب هذه المعلومات المريزة .

وأما النور العاشر — وهو نور المولد — فإنه كشف له عن سعادة مولده بالبرهان الفلكى الإلهى السامى . فإنه كان له نصبةٌ عجيبية لم ييسر قط فى أيام العالم مثلها ، ثم ظهر [ ٢٢٢ ] يوم مولده فى الأفاق مائة معجزة : منها خلود نار فارس ، وانشقاق ليوان كسرى ، وزلزلة أهداد<sup>(٢)</sup> الهنود .

وأما النور الحادى عشر — وهو نور الخلقة — فكان صلى الله عليه وسلم يظهر بين عينيه النور الذى لا يطفى على أحد حتى إن من العرب من كان يفتنيه فى إيمانه عن طلب المعجزة والآية منه . ومع ذلك أيضاً النور فى تبسمه وفى جبينه كما حدثت عائشة رضى الله عنها وفى موضوعه كله ولما كلامه وأفعاله وحركاته كل أكرانه ، وما ظهر من خلقه ، وما بطن من مجموعه أنوار هذا فى أصل وضعه . وكيف ، وهو أيضاً قد قال اللهم اجعلنى نوراً بعد ما عاهد أجزاء بدنه صلى الله عليه وسلم . وهذا كشف له أنه النور ، بل نور النور الروحانى والجنائى .

وأما النور الثانى عشر — وهو نور التربية — فما كشف له عن العناية الحافظة له والمعصية الإلهية التى لا يشترط فيها العقل وأسباب التكليف والعلامات مثل السحابة التى كانت تُظِلُّه ، وما ظهر فى بيان البيت ومبارحته لأبى جهل — هذه كلها أنوار كاشفة لأمر خلقه للمادة .

وأما النور الثالث عشر — وهو نور الانتقال — فهو النور الذى كان يُبصّر فى عين أبيه وأمه ، وما سمع فى ذلك بعد ما حملت به أمه وكونه صلى الله عليه وسلم ورث ذلك منهم بعد ولادته صلى الله عليه وسلم وانتقاله من الظاهر الظاهر إلى الظاهر الباطن . وحكى أبو الفضل عياض أنه كان كل



من تقدم من آباءه صلى الله عليه وسلم إذا أوقع في الرحم ما أودع الله تعالى في ظهره من نُعمة المصطفى صلى الله عليه وسلم يبعد الفراغ والكسل وتختل عليه أحواله كلها حتى جابه في الناس ، هذا بالنظر إلى مكانه الأول — وهذا النور كشف له عن نورانية نُطقته صلى الله عليه وسلم .

وأما النور الرابع عشر — وهو نور النهاية — فهو نور الله تعالى الذي ختم به النبوة وانتهى الأمر عنده وصور التكميل بالجملة . وهذا أظهر له صلى الله عليه وسلم أنه خير الرسل . فإنه كَسَخ ما ظهر أنه صاحب نهاية الأمور الذي يرجع إليه والكامل الذي لا يمكن أن يزداد فيه ولا ينقص منه .

وأما النور الخامس عشر — وهو نور التضمن — فهو الذي كشف له به أن الذي كان عليه أسهل وأكمل من الذي سلكه أبوه إبراهيم عليه السلام . فإن هذا كان في أمره كالتفكير المحبوب ، وأبوه كالطالب المجتهد . وقصة انتقال إبراهيم عليه السلام تعلل بالحال .

وأما النور السادس عشر — وهو نور التسخير — فهو كشف له ﷺ أنه الغاية في السموات والأرض ، وأن القمر انشق له ، والكواكب سخرت لحفظ نظام ملته . وتلك أيضاً معجزة ظهرت في مدة ملته صلى الله عليه وسلم وهي باقية وغفل عنها كثير [ ٢٧٣ ] من الناس وهي الشهب التي ترسل على الشياطين . وما ذلك إلا بركة كتابه ولأجل موضوعه . وكذلك الملازمة من تسخير وختمته ، فإنها تكنب فضائل أمته صلى الله عليه وسلم وقاتلت معه صلى الله عليه وسلم وإلى الآن أولياء أمته في مناديتهم ومخاطبتهم مشافة وكذلك الصور الروحانية كلها . وهذا نور كشف له أنه المدكّل في السموات والأرض وفي كل العوالم .

وأما النور السابع عشر — وهو نور العادة — فإنه أظهر في أيام الدنيا وأيام العالم وأيام الدين من العدل وصلاح الأحوال وسياسة المنزل والتبديير المحمود فأظهر له أنه الحكيم الأعظم .

وأما النور الثامن عشر — وهو نور الأتباع — فما ظهر لهم من النصر بالسنان فإنهم استفتحوا بلاد الكفر من بعده صلى الله عليه وسلم وما فتح الله به وما ظهر على رجال أمته من الكرامات وعلى العلماء من العلوم على أمتائها . وبالجملة ظهر أن الأمر فيه مع الأنبياء والرسل هو الأمر فيهم مع العلماء والملل والنول وقوله تعالى : « وكنكك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس » <sup>(١)</sup> فهي ذلك — الآية .

وأما النور التاسع عشر — وهو نور الواثق — فما بعده من الآيات التي أخبر بها . وما أيضاً في العالم من المجايب فهي له حتى فضائل أمته فإنها هي فضائله . فإن قلت : لا تنحصر كراماتهم وعلومهم . فقد قلت لانهائية لمجراته صلى الله عليه وسلم هو ، فإنه الأصل في ذلك . والذي يفيد الكرامة بقبيته هو الكمال . حتى أن هذا النوع باتباعه يرجع على المعجزة الحاضرة معه ، فإن تلك بإزاء تكذيبه ولضرورة المعاند ، وهذه من عند الله على جهة الإكرام ثم هي أيضاً مركبة بزيادة أمر محمود . وهذا أظهر له صلى الله عليه وسلم : أصل كل فضل وسعادة وعناية .

وأما النور العشرون — وهو <sup>(٢)</sup> نور الجلاء — فهو كشف له أنه واحد <sup>(٣)</sup> الله في التخصيص ، والشفاعة تدل على ذلك وأشباهاها .

وأما النور الحادي والعشرون — وهو <sup>(٤)</sup> نور الخطابة — فكونه كَيْفٌ له أنه الذي أوتي جوامع الكلم .

وأما النور الثاني والعشرون — وهو <sup>(٥)</sup> النور الذي سميت نور المقابلة — فهو كشف له أنه إذا جمع في الذهن جميع الأنبياء والرسل في تقديره لفضائلهم ودليله أنه أعلم الخلق بالله والدرجة التي هناك لا تقاس بما بعدها . وإن تعددت فإن المجموع لا يقوم منه ما يساوي ، فإن النوات لا تتحد — فاعلم . وأيضاً إذا قلنا إنه أفضل من إبراهيم فالمرتبة أو الدرجة التي يفضل بها أي شيء يقاس بها لا بد لها

(١) سورة البقرة : آية ١٤٢ .

(٢) (٥ و ٤ و ٣) ص : فهو . (٣) كذا :

من تنظير تنظر معها ، ثم سلمنا أنه أرفع الأنبياء منزلة في الجنة والسكك دونه ، فلا ينفع ما عظم واجتمع فإنه مع ما هم فيه ينظر إليهم من تحت . فاعلم ذلك ولا تقيس الأمر فيه بالمحسوس فتقول هو صاحب ألف درهم في التمثيل وهم من مجموع [ ٢٢٤ ] السكك منهم وإن كان لكل واحد منهم مائة جلة . قيل لك ما الأمر الذي نحن فيه هذا يشبهه ، فإنك هناك تقيس الأمر بقدره وهي درجة عند الله — فاعلم .

وأما النور الثالث والمشرون — وهو نور التفضيل — فهو يكشف له صلى الله عليه وسلم عن قدره بالنظر إلى الرسل عليهم السلام ومقره له بأنه سيد ولد آدم عليه السلام وقول الله تعالى « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً » <sup>(١)</sup> فنحن في الأمم مثله هو في الأنبياء والرسل عليهم السلام .

وأما النور الرابع والمشرون — وهو نور الإحاطة — فهو يكشف له أنه عين المعنى المجموع الذي إليه تصل العناية العلمية والعملية ، وكل محمود محترم يشار إليه فهو الذي أحاط بها ، وجميع ما تفرق في الأنبياء اجتمع به وله ولائته وفي ملته صلى الله عليه وسلم .

.. وأما النور الخامس والمشرون — وهو نور التخصيص — فهو النور الذي يكشف له عن الخواص عن المراتب وعن المنامات حتى عن أقصاها يمكن . فإذا قدرنا أنه نالها لا يجد أحد بعده ما يطلب مثل ما تقول بقيمة الدهر عند الملك لا يملكها أحد معه — كذلك القول فيه ، فله الوسيلة والدرجة الرفيعة . فهذا هو الحصر ، فإنه الذي ملك الأوفى من الكل .

وأما النور السادس والمشرون — وهو <sup>(٢)</sup> نور العلامة والدلالة — فهو الذي كشف له صلى الله عليه وسلم صورة منتظرة ومعتبرة فإن الكتب نطقت به ، وكذلك الصنائع العلمية كلها حتى الكهانة . ومن علاماته أيضاً ﷺ ما ظهر عليه ﷺ حتى خاتم النبوة الذي بين كتفيه ﷺ ، وما كان قط لأحد ، ثم علامات صدقه المتأخرة . وهذا يكشف له أنه كذلك وحده .

(١) « البقرة » ١٤٣ .

(٢) ص : فهو .

(م — ١٤ الرسائل)

ومما ينبغي أن يقال لأهل الكتاب هذا نبينا ﷺ قد أخبرنا عن أمور وقد ظهرت بعده، حتى أن من بعض أتباعه لو تحدى بها لم يعلم حدود رسوله وجد الصواب في قطع الخصم وأتم ما الذي أخبركم به، هذه أنواره ١

وأما النور السابع والعشرون — وهو نور الخصوصية — فهو الذي يكشف له أنه لا مقام أمامه ولأمر ما بعده والسعادة الإلهية، فإنه نال ما منته النير في السعادة .

وأما النور الثامن والعشرون — وهو نور الخير المحض — فهو الذي يكشف له عن كمال ما ظهر منه وما بطن له : فإنه في نومه معصوم الخيال، وفي ذلك الملام، وفي قيامه ويقظته لا يتعلق عن الهوى، وفي عقله فلم تغلب قط شهوته عقله : فأنَّ عِلْمَ الكتاب والنضال على ما ينبغي، وعلم إذا أفرط في ذلك حتى قال الله تعالى «واذكرن ما ينزلن في بيوتكن من آيات الله والحكمة» (١) — قيل من السنة .

وأما النور التاسع والعشرون — فهو نور اللواء — وهو النور الذي يكشف له أنه ينشر مجده في القيامة .

وأما النور الثلاثون — وهو [ ٢٢٥ ] نور الانفراد — فهو الذي يكشف أنه ﷺ خير منبوع، قال تعالى : «كنتم خير أمة أخرجت للناس» (٢) فتبوعها خير منبوع .

وأما النور الواحد والثلاثون — وهو نور العبودية — فهو يكشف له عن الإضافة الخاصة التي هي نفس النعم قطع . قال تعالى : «سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى» (٣) .

وأما النور الثاني والثلاثون — وهو نور التزكية — فهو يكشف له كونه صلى الله عليه وسلم حجة الله على العالمين .

وأما النور الثالث والثلاثون — وهو نور المسكنة الكبرى — فهو الذي يكشف له عن

(٢) سورة آل عمران آية ١١٠ .

(١) سورة الأحزاب آية ٣٤ .

(٣) سورة الإسراء آية ١ .

جلاله ﷻ في التكامل وفي التعديد وفي التتميم وعوالم غير هذه ومعنى غير هنا كله . وأيضاً كون بعض أمتة يتجلى له الله خاصة ولتناس عامة . وهذه مرتبة أعلى مما ذكر . وبهذا يكشف له ﷻ عن أمر ما عند القول منه ما تفرض مقدمة ولا تضع قضية ولا تنتقل مخاطبة مناهية . وهنا يجب الإمساك عليه . فاعلم ذلك كله وكيف كشف له حتى ان أموراً قل وجودها في الملائكة فكيف في غيرهم ! وهنا كشف لنا أنه في عوالم غير هذه وبقي في ذلك « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » <sup>(١)</sup> .

فاعلم ولا تقل يا من هو من أهله إلا أنه هو النور المحض وله ملاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . كلت والحمد لله رب العالمين .

---

(١) سورة « الأنبياء » : آية ١٠٧ .

## رسالة خطايبه بلسان نوره

بسم الله الرحمن الرحيم

وله رضى الله عنه . وصلى الله على سيدنا وولانا محمد وآله وسلم كثيرا .

الله قط اخطاب الله بلسان نوره ، الرابط ، المدير ، السامع ، المنظور ، المتد ، المنحصر ، الواقف ، الراجح ، الظاهر بهذا كله فى الضائر والمهم . الكثير بحسبها وبحسب إدراكها وأنصبت بها وحظوظها ، الواحد الثابت لقائه من ذاته من حيث قمة الوجود .

وقصدنا ذكر الخفيات ووقوعها فى النفوس من غير متابة أو هام العادة وتعليل علوها ، وتحرير القول الذى يسم من اعتراض أهلها ومن تخليطهم . قال <sup>(١)</sup> الله تعالى « أصبح من عبادى مؤمن بجلالى وكافره » ، فالمؤمن من قال الله ولا شئ معه إلا التواتر المتعلقة الموضوعه الراجحة إلى استحقاقه الذى يلزم فى أولها وآخرها وظلها وباطنها الناطقة المخاطبة بما يجب لجلاله لمن علم عنه به له من غير بحث يغاب يوم البعث بل بحث عرى عن شوائب الوسائط القاتلة لشخص الكمال يذكّر نفسه بعلوم علما المفارق الكريم وينصفها بنفك وتنعمه هى بالتشبه والرجوع إلى [ ١٣٨ ] منهاها العزيز ، إن صح أن يقال على جهة المجاز لمن أخبر عن ماهيته وعن أجزاء كلها المنبث فيها لما رجع إلى منها . وهنا المؤمن هو الذى يضع الحق ويقول ويحده بحجة ذلك . وهنا الإيمان هو الذى يكفر به الزانى إذا أوقع المصيبة قيامه به ويزيد وينقص ، لا على الوجه الذى يريده الحديث ، ولا يفترض عليه باعتراف التكلم ، ولا هو التصديق المفهوم عند بعضهم بل هو الشعر الأكبر من السرّ الأرفع . وبالعرض وقفت المواقة فى الاسم ، وبالتات هى الخالفة فى الحد والرسم . وهنا القول الذى قيل فيه هو خطاب الله هو من قبيل قول المصوم الواحد فى كماله الشرط فى نيل سائر الكالات حيث قال : قال الله : « أصبح من عبادى » — الحديث ؛ فإن النطق الذى ينبعث على التعبير

والصبيغ منوط به ، وهو لا يتقدمها ولا يتأخرها . وجلة ذلك في النفس على جهة الخبر هو الذي منع أن يتعرض إليه في الاشتراط ، وهو الذي إذا انضاف إليه الوجد المالحى للمادة الظهيرية في المحل المستدل لا إلى معنى يقال له كذا وكذا وأكثر من كذا . وإذا ترك على حاله البسيط وبحسب القول لسب يحسب ما سمعت وعلمت ووجدت .

وقد خرج بنا الكلام عن الأسلوب الأول ، ولم نخرج من المقصود النافع — فنرجع إلى ضد هذا المؤمن فقول : والكافر هو الذي يقول ضد ذلك ، ولا يجد من نفسه أن يكون كذلك — فاعلم . واعلم أن جوهر النفس بما هو هو يمشق الجلال ويجهد ويجد الانبعاث إليه ، غير أنه عدم التعيين قطع به ؛ نعم ، ويعلم النسبة الكريمة على العموم ويجهل الحكم ، ولذلك يعظم الخسيس الخساسة في بعض المواضع وهو في ذلك على الأصل لا على ما يجب أو يجب . ومع هذا فيجهد بلسان النسبة في كونه يجب التعظيم ، ويعلم المعظم والمعظم ويذم لكونه ما هو ذلك ولا عمل على ذلك ، فهو يعلم من وجه ويجهل من وجوه ، وذلك لأجل علل عديدة : منها الأجسام ولواحقها ، وقواها المتوسطة الطبيعية والمشاركة بينها وبين العقل الحيواني والنفس الحيوانية صراط ، لا يقطعه إلا السعداء ، والنباتية والمنجزة المتطورة التي أخبر عنها القرآن العظيم ، وبالجملة القوى الجسمانية والطبيعية والروحانية والمادة المهلكة والمناهج المبعدة والكسل والملل والخسوف وفساد التوجه وعدم المرشد وقلة المساعد . جميع ذلك كله من أجزاء ماهية القواطع لها . فالسيدة هي التي استجابت إليه ورسوله في وقت الدهوة ، لأنها وردت بالأدلة الأصلية الواقعة في فص النفس المناسبة لها الصادرة من علمها الصحيح التصيب السالم من كل الجهات الآخذ عن الله من غير شيء مشغل غريب ، ولذلك يحمد الأمر الغريب هنا ويتم في ذلك العالم ، لأن الخبر عندهم هو الذي قطرك عليه ولم يعقد قط منهم ولا منه ، أعق العالم الفارق [ ١٣٩ ] وسأمر الذوات الفارقة . فإذا بلغت النفس السعيدة دهوة الله في الأرض أجابها بملهيته من جهة الوجود لا أنها سمعت فهتت فحكمت فقبلت ، وهي دعوة الله الصحيحة التي لا يصح من صاحبها الفكر بونه من الوجوه فإنها ماهية ، وتغيرها من جهة وجودها أو كونها ذاتاً لمضافها لا يمكن ارتفاعها قط في الوقت الذي يشار إلى مجموع ذلك ويعلم بقيد الوجود أعنى الإنسان بما هو لسان . وقد يتغير المحل من جهة الأمور الطارئة عليه .

وتغير الصفات وتبدلها لا يناسب تغير الثبات ولا يقال عليه هذا القول ، فإن الموضوع إذا ثبت جاز تبدل الأمراض عليه . وإذا كان الأمر بالعكس عدم الجميع . وكذلك النسيان لا يصح من هذا المدعى ، فإنه لا ينسئ ذاته ، وجميع ما أشبه ذلك هو كذلك . وأى شيء أكبر من هذه الدعوة المزينة ! فمن جاء إلى الله بهذه الماهية جاءه الكمال بالضرورة محبة ذلك ، فإنه إذا كان الإيمان شبه طبيعة المؤمن ، والإيمان هو الشرط والمقدمة الصادقة وقد كان المطلوب كما ذكرنا — لأن الجوهر الفارق من صفة نفسه تحت ربه الأعلى ، وما منعه من ذلك في الكافر إلا الحائل القاطع المهلك — فدعوة النبي جاءت تطلب الضرورة من الكمال ، لا لأن تذكره قطع بل لأن تعلمه ما بعدها وتسريح به نفوس الممجدين ، وجاءت تذكّر الجاهل المشتغل بتغير إنسانيته ويكون عليه حجة بعد ذلك ، والله يمان <sup>(١)</sup> على ظلم الطبيعة فكان على ظلم النفس لذاتها لأنها حرمتها عالمها الذي معرفة الله فيه طبيعة أهله . ومن نظر هذا النظر في النفوس يعتقد بحسبه رحمة الله في الآخرة بعد حين للعلم والخلص ، فإنها وإن كانت شديدة قد تجمدت هناك ، وكانت مع هذا التجرد تفعل بحسبه ومفهومة ليس إلا الحب والعلم وطلب الأولى . وإلا فلا يقال تجرد . فإن القائل « النفس تجردت » إن أراد أن جوهرها خدس الجسم وهو متصل بها فلا علم له ، ثم ولا عقل مستفاد . وإن أراد بالتجرد انخلاص من المشغل وترك استعماله ، وذلك المشغل خارج عن النفس بالحد والرسم ، يلتزم ذلك كما قلناه . وقد ذهب إليه بعض المرجئة والرحمانية وبعض أهل التصوف ، ويوافق بعض الفلاسفة في ذلك . ولولا خوف التطويل كنت نمرّك ذلك كما يجب . إلا أنه يقال للتكلم بهذا والقائل به وهو من المتشركين بالوجه الذي يعتبر بعض اعتبار الأشياء راجية لإرادة الفاعل المخصص الذي جعل ذلك فيها بحسب حاجته ومن أجل دعوة وشرع خاص ، ومنع أن يكون في غير هذا الأسلوب وفي غير هذا الأمر المذكور وفي غير هذه الدعوة ولقدار سعادة ترفع أو راحة تُرعى أو عمل صالح يصلح لطاعته وبعض ذلك بالإجماع بل بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل بنص القرآن فاجتهد ولا تركب الخطأ وتزوّد بزاد التقوى [ ١٤٠ ] وتوجه إليه بالذي ذلك عليه ، وأكمل جميع المطامع بالجملة . ويقال له هو أيضاً إن ثبت حب الله قربه هناك بالقوة في وقت الفضل والفعل بعده ، فإنه



نعم الشنيع والكريم لا يتصب حبيبه على الإطلاق . وقد شامت الحكمة أن يقابل الظاهر بالمثل ، ويقابل الإحسان بالإحسان وإن سلم للتشرع أن الإرادة سالحة لأن يستل المحب النار وضد الجنة يقال له أراد الله في السنة الإلهية المتقدمة التي منها السنة المتأخرة وتبذل بها الشرائع أن حبه لا يقوم بشق طبعه على حبه ، فوعزته ما تبقى به ، لأن الحكمة إن درجت مع الكرم والحلم والتنبيه الذي جاء وسريرة الانفطار وحكم المضار بالأنس وبالمافية بعنه وبالرضوان معها ؛ إلا أنه هنا دقيقة إذا أراد ذلك حجبها ومنها الشعور حتى هناك ، فكان الأمر كما تهدم . وبعد هذا كله أحرم الناس من فاته من الله ساعة في الدنيا فقط في وقت فقط . فكيف والأكثر في الدنيا والبعض في الآخرة هذا إذا صح هذا البعض أو يسلم القول فيه ، فكيف المفقود من كل الجهات ! وإن سلمنا الرحمة فاسلمناها في الماضي منها الخارج بالجملة عن جلال الأنس . واعلم أن الحرمان عبارة عن فقد الأنس بالله ، وسلب الاتصاف بمدلول الرضا ، وبُعد المحل عن الاستعمال الذي لا يمكن فيه ظهور نعمة الله على الرجل .

وقد حاد بنا متابعة المغانى عن طريق المقصود ، وبذلك الحيدة سلك العقل على جادة المقصود الثاني ونبه على نهاية الأولى . وجاء من تلك الحيدة الأولى والاستماعة الثانية صراط الخواص ؛ ولولا ذلك لكان صراط الأبرار وأعوذ بالله منه في هذه المقام — فنمود إلى ما كنا بسبيله من جنس ما نحن عليه فنقول : الإيمان لعان الماهية ، والنطق الصالح هو نطق الوجود ، والدعوة التامة دعوة الباطن الظاهرة على الظاهر بالحقيقة الباطنة عن الوهم بالجهان ، فاطلب الأمور النائية بالنظير ، وحرر القول في السكل بالعين ، وهول على الوجه الغير بالشعور اغتلاف بالعلم المثل بالخال البعيد عن ذلك بالإلزام القريب منه بالدليل الجميع بالجميع ، بل الفرد بالفرد ، بل البعد المفروض الذي لا ينسب وكل الأشياء له ومنه أو هو أو كذلك بتشكيك أو قريب من ذلك بنوع من أنواع الصنع ، أو هذه أو هذا أو هو أو ما في الصدور ، أو الذي إذا نظرت في المكتوب أجابك وكان جوابك . وحاصل ذلك كونه ماهية أوهم الوهم فيها الاشتراك ، ويسطعا حيث قبضها ، وفيها حيث أظهرها . فكان من ذلك نكتة صعبة ، وضد ذلك فكان ويكون والكائن ، ومفهوم ذلك المظاهر والمراتب والأسماء المسميات والقوانين ، وحاصل ذلك لواحق الذات وكلامنا وهم على وهم .

شرح : حقيقة الماهية صورة علمية ، ظهرت الذات بحسبها ، فظن أنها ذات أخرى ؛ [ ١٤١ ]  
 وإنما هي مظهر للذات ومرتبة فقط ، والذات بها وأمثالها ذات فقط لا زائد ؛ وهي بدون الذات لأشياء  
 أصلا . فأين الاشتراك ؟ ومعنى بسطها حيث قبضها إنما ذلك لما ظننت أن لها في البين وجسود  
 ما تماثل به الذات في الوجود وتشاركه فيه فتقول أنا عين موجودة أنبسط بذلك وادعت الظهور ،  
 فكان ذلك عين قبضها لأن الحقيقة أن الظاهر الموجود إنما هو الذات بحسب مظهر مظهر من صور  
 علمية ، فهو الظاهر والصورة له ، والمكس وهم لا أصل له . فمن عرف الحقيقة كان له في البين شيء ما  
 وهو ظهور الذات بحسبه . فذلك الحسية مبسطة بهذه المعرفة . ومن جهل الحقيقة ورأى أنه هو  
 الظاهر الموجود فقد قبض من هو الظاهر الموجود حقيقة ، وبسط نفسه التي لا شيء لها من نفسها  
 إلا بما هي أمر ما فيه . فإذا قبضت من هي أمر ما فيه منه قد انقبضت هي ، وإذا أنبسط من ظهر  
 بحسبها ولا شيء لها هي في ذلك سوى تلك الحسية فقد أنبسطت هي من تلك الحسية . وكذلك  
 الغيبة والظهور : إذا غابت الذات بظهور الصورة وهما فقد غابت الصورة بتبعية غيبة الذات . وإذا  
 ظهرت الذات بتلك الصورة حقيقة فقد ظهرت الصورة بالتبعية . فهذا معنى غيبها حيث أظهرها ، وقبضها  
 حيث بسطها — والله أعلم . هو مع كل شيء ولا شيء معه ؛ هو عين كل شيء وعين ما ليس بشيء  
 وأجمع الأشياء إليه ولا تجدها معه ، ما ع ذلك فقط لا شك في ذلك عز على إلهائه في بعض  
 الأوهام المتخللة المنحلة المنجرة نعمة الله المشار عند الخاصة إليها والمعول عند جسيمهم عليها لا تصح  
 محبة الأوهام المتخللة الصادرة عن المألوف الأكبر . فكيف بالاستناد إلى خسارة أخس المظاهر ؟  
 فاعتبر بأبها المتبر ١ عند المتبر لا يحد الحال حتى يصبح الظاهر ١ والسلام عليك الأول وعليك  
 الآخر ، وعلى الذي على ورحمة ذلك بذلك وبركاته به ومنه وعن نصيبه جملة صحيح حالها وخسدة ،  
 وواحد صحيح حاله جملة ، ووحدة صحيح حالها جملة ، وواحد ووحدة لا تغير عن فعله تفعل  
 ولا تعلم غير ذاته تعلم ولا تعتبر غير متبر تعتبر ورحمة الله هي الله وإن كانت المألوفة قل أحوذ  
 بالله منها . والسلام ، ماد على ذاتكم المجتمع من ذلك ، ورحمة الله وبركاته .

وله رضى الله عنه : القرآن وصية جاد بها الوجود على العموم .

الله فقط ١ ق والقرآن المجيد : ح / ع / يامن سخر الله له خاطري قد استخرت الله العظيم

على فك زئور سكتات الضائر ، وإفشاء أسرار مهمات السرائر والبشائر . وادفع ذلك المجموع  
 الحبر لمجموعك الظاهر الصادق الموقر وشأنك وما أنت به وعلوم التحقيق منك ومنها ، والله سبل  
 عليك ، ويدفع الأسرار المضمون بها عليك ، ويحمل ذهابك على صراط الوفا ، ويسبقك من  
 سلسيل الصفا ، والمخاطر الكريم في ذلك أحكم شاهد بصدقه [١٤٢] وأفضل عالم بوجود حقه .  
 وكل طبيعة زكية من كريم رفته وعظيم مجده . وإذا علمك الله ، وأرشدك إلى دورة مناره صحبة  
 إشراق نوره وكيفية ناره ، وعصمتك من بُعد الشقة وعظيم الأمر والمشقة ، وظهر لك الأمر الذي  
 لا تستطيع على إيماده لأنه لا يتكيف له حدث ولا يوصف له عدد . فأبشر بالقوانين التي نالها أهل الله  
 قبل الفترات الكونية . فافهم من هم وما نهت عليه . وإذا حاسبت فهمك ووجدته لم يتحسبك في  
 متحمل مواهبك تلك وحفظها وما كمن عن قليلها وكثيرها ، ثم تجد مع ذلك الروح الكلى خلفه  
 يتملق به ووجهه يقابل رآة أمله في الله ، وأمله ذلك ينصره الرضوان والنخصيص فاغتنب به  
 واجعله طيب مرض الشبه ، وأرسله إلى حضرة التقديس حيث تال مرتبة الشبه ، وتركيب كلاك  
 به ، قد جاز عقبة القبور وجميع ما يحتاج إليه الكامل غير محبوب ولا مستور . وبعد هذا المعين  
 يرتقب الوقت المصمود الصفات التي تجمعت من أجزائه الدهر الكثير الانفتاح ، ويكون ابتهاجك به  
 ابتهاج العليل بالشفاء عقيب الإشفاء ، ومن الاستعداد المستحسن الفطر بالقديم الذي تطلع بمنادته  
 أهلة الزيادة والبدور ، ويعين على إخراج ما تكنه الضائر والصور وتنحفظ به الأوامر محبة تلك  
 الأمور . وهو الذي إذا غبت عنه قلبت يذكرك قلبه ، وتمرضت بخيالك عينه ، وأهممت بهاتف  
 مودتك محمه . وهو الذي يسفح على أثر الأجرة ذممه . فإذا أحسن الله بك إليك أحسن أنت  
 في حفظ ما أنعم الله به عليك ، وقل الحمد لله على نعمة الموافقة وحكمة المصادقة ، ثم قل : أعاد الله  
 المساعد من كل عرض ومرض ، وأنهض حضراته بما سن وفرض ، وعامله بالجد الصاعد ،  
 والسعد المساعد ، والنصيب الزائد ، والسلامة من القول الخالد ، من الفائد .

وما يحتاج إليه أيضا وظيفة الصوم في أكثر ليالك وفي أكثر ذلك اليوم ، فإنه يجفف رطوبة  
 الأسباب القاطمة عن وجه المطلوب ، ويؤلن ييوسة الأحوال المانعة من الشأن الموهوب ، وتقل

حركة القوى الهولانية وتستقيم الروحانية ، فتركها لحواس<sup>١</sup> الجسد ، وينام الجسم وتستيقظ النفس ، وتعمل ما يجب على ما يجب في الوقت الذي يجب ، وتعلم الإخلاص حكمة وجوده نعمة متعددة وهو رأس الفضائل الإلهية وهو أسوأ ومقرومها وإفراده وتجريد الضمير به إلى جهة الله خاصة صورة نعمة ، وبه يفارق المحقق العالم المجهوع الكثير السكليات الطبيعية والعقلية والمنطقية في واحد ، ويجد المجد المنتظم في شاهده . وإذا استعمله السالك على جادة المخلصين تحدث الجلالة بمناقبه التي اشتهرت اشتهار الصباح ، ومكلمه التي عمت كل سقع عموم المطر هبت به هبوب الرياح ، وذلك لما يجعل الله فيه من الفضائل البسيطة الخالصة العريضة [١٤٣] من شوائب الاحتمال المقدس في مجموعها الذي لا يصح به صدق التحدى ، ولا يمكن فيه فعل التحدى ، ويكون واحداً لأن مفهوم ما هو بسبيله ماهية الوحدة والتوحيد . والله لا ينكفل إلا لمن هو معه ، وهو أيضاً به ومعه ، الله يجر لنا هويته عندنا فأنها حرة بالنظر إلى ذاته والمجد لله وحده .

الله فقط ! بعض أهل الله « لا خَوْفُ عليهم ولا هم يحزنون »<sup>(١)</sup> ، والخلفاء لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . وعباد أسراره لا يطلق هذا عليهم لأنه إليهم ، وأهل الحق منهم الخوف وفيهم ، وكذلك الحزن . ومن ألقاه الله في مقام المظاهر ولم يظن لذلك هو في مقام الرضى ، ومن ألقاه في ذلك وهو يجد ذلك هو المظهر الذي ينحط الكون من سمائه إلى أرض عالم النكون . ولأجل ذلك يقول بعضهم : « ما يفعل الله شئنا حتى يعرفني به » ، لأنه المظهر الكريم المعتبر المشار إليه .

الله فقط ! يا من التفت ويلتفت : لا تلتفت إلى جهة وهم هنيان بعض الصوفية ولقولهم توحيد الذات وتوحيد الصفات وتوحيد الأفعال فإنه بعيد في بعيد في بعيد ، وهم في وهم في وهم . غير أن ذلك الوهم وهم لا عاقبة محوثة له ، وأوله فيه وآخره به ، وظاهره عليه وباطنه إليه .

---

(١) سورة « البقرة » آيات : ٣٨ ، ٦٢ ، ١١٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٧ ، « آل عمران » آية ١٧٠ ، سورة « المائدة » آية ٦٩ ، سورة « الأعراف » آية ٣٥ ، سورة « يونس » آية ٦٣ .

ولاحظت إلى قول بعض الفلاسفة في قولهم : « عالم العقل » و « عالم النفس » و « عالم الطبيعة »  
و « الأول » و « العلة » و « الواجب بذاته » وجميع ذلك من مفروضات الأوهام ، وذلك أنهم  
يظهر لهم من الحقيقة جملة مدركات وهمية بالمدرَك العظيم الذى يظهر لهم ، وهو أجل من غيره . وهو  
مع هذا لا يستطيع على وصفه عظيمهم ، هو عندهم العلة والسبب الأول وذلك المشار إليه بالجلالة  
المطلقة . ولذلك يعتمدون على وصفه بالسلب وغير ذلك من المدركات التى هو بضد ذلك ، هو  
عندهم بحسب مرتبته في إدراكهم فافهم . فالأعلى هو عندهم في رتبة العليا والمتوسط في المتوسط  
والكل ذلك .

ولا تلتفت إلى الفقهاء فإنهم لا مرتبة لهم يمكن بها الاعتراض عليهم ، ولا هم من قبيل اعتراضه  
هو أعنى الحق — فاعلم ذلك . لأنهم زعموا أن الأعمال هي المرتبة الشريفة لا من حيث التخلص  
النفساني وما بعد العمل وفائدة التجرد والتخلق وأسرارها الباطنية ، بل من حيث الحكاية وتلك  
الحكاية مكنوبة على الملم أو محروقة أو منقولة على غير وجهها فافهم . ومع هذا هي عندهم في الغر  
لا في الأثر ، وفي المدرسة لا في حقيقة المدرس ، وفي الكتاب لا في الكاتب ، وفي الكافد  
لا في الضمير . ومع هذا هم بها يؤذون عالم التنبيه وأشخاص للنباهة .

ولا تلتفت إلى المتكلمين ، فإن حاصل أمرهم أنهم يعتقدون في الله أنه خيال الإنسان ، وذلك  
انجيل فرضه وهمهم قديما والشريعة عندهم مفهومة لعقلهم المقول .

الله قطع يا من بالمرصاد ، إن ربك الوهي بالمرصاد . وكذلك قال إن الأول في الوهم [ ١٤٤ ]  
الآخر بمعنى الباطل في الحقيقة الظاهر بمعنى السكون للعيان الباطن بمعنى الصدم في الجنان شاء وبه  
ثبت لا بذات متميزة ولكن يظهر فيه منصرف إليه وهو لم يزل كان ، وبه كنت لا بتقديم  
ولا بتأخير ولا بعله ولا بمعلوم ، بل بحقيقة جامدة موضوعة لما يفرض الوهم ظهر وبه ظهرت ،  
لا بفعل ولا بفيره ، ولكن بهوية أو بقضية أو بنك المختلف لا من حيث هو هو ولكن بما أنا  
هو . وقد يتوهم الجاهل أنها سطور تمتد وتقف ، وتقطع وتدور وتفرض ، أعنى تلك القضية ،  
أعنى ذلك المقضى ، أعنى ذلك القاضى ، أعنى ذلك بما هو ذلك بحسب ما يجب له ذلك . فصح

من هذا أنه هو شاء فقط ، وأنه هو كان فقط ، وأنه هو الظاهر فقط . ولما لم يختلف في ذاته ولا في لواحقه وانصرف إليه ودار عليه امتدّ فيه واقطع به وليس في شيء من ذلك نعم ولم يكن ، وحقه شيء من ذلك ، ولا يمكن فيه ذلك ، وإن كان يجوز عليه ذلك لأنه كله ذلك ذلك ذلك . فهو الظاهر والظهور والمظهر والمُظهر ، وهو الكون والسكان والمكون ، وهو الإرادة والمريد والمراد ، وهو إذاً هو وكأنك تشير إلى خط لا أول له ولا آخر له ، بإشارة لا أول لها ولا آخر لها . وذلك الخط ينقسم إلى نقطتين بحسب ما فرض . والهو هو يطلق على كل قطعة بمعنى الخط ، وعلى الخط بمعنى النقطة والنقطة تم تعقد ولا تشير أن الخط يتشبط في الوهم ، ثم يكن أمّاس ثم ترفعه بعد ذلك الوهم وقبل ذلك الأعقاد صعبة تلك الإشارة وترك المهل البسيط صعبة الأعقاد البسيطة والوهم المركب .

لديه . لما فرغ الوهم من هذه الأحوال قالت الإحاطة : من حيث الضمير المستقل جميع ما يظهر للحواس وتتعلق به القوى الطبيعية والنفسانية وكل أنحاء العلوم والصنائع أعنى علوم أهل السماء أو علمهم وعلوم أهل الأرض أو فهمهم من الله هو ، بوجه ماله وهو الذي يظهر لبعض أهلها أعنى الإحاطة المتقدمة أنه العبد أو القضية المزودة المتطورة الكثيرة بالنسب والقضايا المقدرة والمعنى الجامع الذي يحاط بتقدير سته من حيث التسليم ، مثل ما تقول : تحيط بالعدد أى معقوله ، ويعلم أنه يمر إلى غير نهاية وقبوله التركيب والاستمرار ملحيته عندي هو . وأيضاً فما علم وحرز القول فيه وألفته الطبايع جلوه العبد ، وما كان غير ذلك ولم يفارقه في الوجود أعنى الذات الواحدة هو . ومع ذلك تقول : تلك الإحاطة هو الجزء لنفسه وهو الكل لها ولكله . ثم تقول : جزء نفسه ، ثم تقول : هو المنزه عن ذلك ، ثم تقول هو هذا المشار إليه للثابت المنصّت الكون ، لا المصمت الخط والمادية ، بل هو هـ هـ فدهـ حيث يصبق لا إله إلا الله ، وحيث يقال على كثيرين بالمعنى الواحد في الشيء الواحد وكذا ذكرناه في الخط المتقدم . ثم تقول : هو الصورة المطلقة وقولها قول واحد ، وبعضها تظهر صعبة العلم بكلمها وتجتمع [ ١٤٥ ] أجزاء ماهيتها من جهات كثيرة مثل لو اعتقدنا أن الصفات القديمة المحبولة على الذات أو المشار إلى الذات صحتها كثيرة بالقول واحدة بالموضوع ، أو كثيرة

بالموضوع وأحدة بالقول، لقرب الأمر من الأمر الأول. فاعلم أن هـ عندنا سيدها وعبيدها، وبعضها أوكها.  
 إيه، من هـ الأول الوهمي ومن هـ الآخر الوهمي ومن هـ الظاهر الوهمي ومن هـ الباطن الوهمي  
 ونزعم أن الجزء الذي يطلق عليه هـ خير من عالم الأفعال عند العظم. وبئس ما قالت وبئس  
 ما اعتقدوا، ونعم ما اعتقدت وبئس ما قالوا، ثم تستقيم وتسكن في فصل قصدها فقط، وجملة الأمر  
 الأوهام بحسب علمها. بوجه أقص والأوهام التي هـ فيها. والضمير قد خطب بعض حق ما هي  
 نصيب حق بوجه أكمل وهـ الذي لا إله إلاه، والذي لا يمكن أن يكون، وإلا، وهـ وبمده و و  
 بحسب، وفافهم تطور هذه الإحاطة المنحطة، وأعزل ضميرك عن هذه الخلطة، وقل له يقرأ وقولوا  
 حطة<sup>(١)</sup> واحنف غير الإحاطة، ولا تحط بها ولا تجعلها محيط بغيرها. واعلم أن هذه الكلمة أوهده  
 الحكمة قبلت وأريدت ووضعت لأن يستقر صق التوحيد ويصح برهان الوحدة وتستقل فطرة  
 مواهب الفطرة القابلة لحقا الكامل الظاهر المتوجه بالنصيب الإلهي، واحصر نفسك في جهة  
 الاستخفاف، وجرها بعد ذلك إلى الأصل الذي لا تقوم عليه الفروع ولا يثبت في موضوع، وإنما  
 هو مثل الشيء الذي يفرض فيه الشيء، ويقسم بالفرض والتقدير، لا أنه قسم ولا أنه اجتمع من  
 كينها وكذا وكان كذا بعد ما كان كذا وقل الإحاطة من هـ ممتدة وبه واقفة، وإليه موجة،  
 وجهه حائرة، وبه قاعة. واجعل تلك الإحاطة المتقدمة كالخير الذي يراد لغيره وحقق منها في  
 أول أسرها مالا يعتد في آخرها، واعلم أنها حيلة لكي تكون، وهي هي شبكة وحدة الاتصال  
 ولذلك يفرض فيها الوصول والانفصال. والأدب مع الله أن يقال الله لا قبل شيء، ولا بعد شيء،  
 ولا مع شيء. ومنه أن تقول الكل عنه وقد عزمت على الكف بدعجز الجنان والاسنان،  
 والكف من حيث المستع لا من حيث الملقى.

والحمد لله على نعمة الله القائمة الكائنة للظاهرة الباطنة.

الله فقط بمن. قال ذات الله هي ح السارية في الموجودات لم يقل الحق المحصل على ما يجب،  
 ولا هو أيضا ظهر كذبه حقيقة وتحقيقا. وأيضا المقدرات تمنع من إطلاق هذا كله. وأنت قد صبح

عندك أنها واحدة بمعنى لا يفهم بتسليمه الفصل الذى به يقال المقدر والواقع والمقيد والمطلق ، وما أشبه ذلك — فيازم من منهبك هذا منهجب هذا القائل . ومن منع العلة والفاعل ولا ينسكّر قبل تحصيل الكمال وجود الملازمة ، بمعنى الافتقار وصدور الأشياء بمعنى الاختراع بالوجه الذى يجعل ويصح — يلتزم ذلك القول الأول وينفصل عن اعتراض الثانى ، فافهم . غير أنه يقال له : ما تقول فى المحل الذى تحمل فيه الحياة أو تظهر فيه [١٤٦] أو يظهر أثرها أو بمعنى ما به قبل ذلك كله هل هو غيرها ، وهذا لا يصح ولا يسع فى مكان حصر التحقيق ؟ فإن هو أجاب وقال : ألوم تشخص ، وذلك التشخص من الأوهام المنحطة أو المنجزة ، قد يسلم له القول ويسبر عليه قليلاً حتى ثبت كنهه ويسكاه الله ويبصر الحق القائم بالحق ، ولأجل ذلك يحذف المفروضات كلها أو تفرض من أجله .

الله فقط ! من أخلص لله وإخلاصه ذاته وذاته جميع الأمور كلها وتلك الأمور عين نفسه هو السلام ومن علم الحق بمد ذلك وذلك الحق عين باطله ، كان المؤمن ، وذلك المؤمن هو ذلك ، إلا أنه مثل نفسه التى كان عليها التوجه واصطادها القصد المستبّر .

الله فقط ! اغتبط بحالك يا أيها الماجد الخبير ، فإنك بالجملة انفصلت عن المؤلف واتصلت بالمعتبر . ومن هلك ألوم فيه حبي الحق فى قلبه وعينه ويده وفيه . وإذا وجه الله عدوه إلى حبيبه وقبل رسالته المدبرة وصبر على مخالفتها المألوفة جاهد الله بمد ذلك بنفسه فى نفسه ولم يحوجّه إلى باطل بعد ذلك . ومن طلب مشروط سعادته ولم يقرر على عيبه ثم أبصر بمد ذلك ضجة شرطه لا يحمل صورة قصده ولا يحمل طلب جده . وهذه سيرة القوم . ومثلك ملا ينبغي فى حقه أن يتحلى طمع شيء لم يدقه وقد كان ذلك فاغتبط بضجة الحال ، الأس الخالص عندهم الصادر عن الله لا بكل إلا بالله وبما جاء عنه ، وأن تكون النفس الرميصة معه على أى حال كان .

عدو الله إذا هاداك نعمة الله عليك لأنك نسبة الشبه المستقيم ، وبذلك يظهر بصيبيه . روح الله يظهر فى بعض المظاهر المتبعة للطبيعة وللجزء الطبيعى منك فلا تنسكّر ، وقد كان ذلك فاعلم ودليله سرعة القبول وكون المقصد القاتل فى مظهر القتول . خرب الله نظام كبد الكنود



بمحكمة المقول وسنة المقبول . محب القسط من دعوة الجراف ، وضحك البرهان من حجة البينات .  
وعجبت من استقامة سير السني يمرض مركوب السني . هذا يهوى في المأوى بصاحبه ويعترف في كل  
زمان برا كبه ، وهذا يستقيم ويصل ويتصل ثم لا يتفصل . الله أكبر على أوذل عباده !

الله فقط ! إذا حضر الله عبده في وقته وضيق عليه في حادثه ، وذلك العبد مع هذا . عز  
وجل على أي حال كان ، وهو في ذلك الوقت ذلك الوقت وفي تلك العادة غبطة وسرور وثبت  
وشكر واستخارة وحكمة وجميع ما يجعل بهذا كله — وصل مقام الموحدين بالتوحيد المشترك ومقام  
التسليم بالتسليم الخالص ، ومقام الصبر بالصبر الجوهري المقول بالعمل . وإذا كان الله مع التقدير  
بالتدبير عذبه تارة ونعمة أخرى . وإذا كان التقدير مع الله عذبه بمعنى نعمة ، وبالعكس . وإذا  
كان الله والتقدير مع الله من حيث الأمر وفقه الله توفيق العارفين . وإذا كان التقدير ذلك المطلوب  
وأصله ثابت الفرع وقهره ضعيف الأصل شاركة . وإذا كان [١٤٧] بالسكن زاده . وإذا كان  
ذلك بمجملته وتطوره مزدوج المتابعة والتركيب انصكست مظاهره الوسطى عليه وملك طرفها .

والسلام على الجزء المعلوم منك ، والكل محسوب عليك ، والنقطة الجامعة ، واخطأ المنسوب .  
والدائرة الخامسة ، ورحمة الله تعالى وبركاته الله الله الله الله الله الله !

الله فقط ! أنس العارف في سلامة قصده ، ثم في تحصيل مقصوده ، ثم في أمثلته حتى تنفذ . أهني  
الأول لا في المطلوب الخالص ، ثم في أمثلته الواقعة في القبول الممتدة في أجناس المواهب أو مهاب .  
والحمد لله . شأن العارف لا يصح وأحواله أولية أبداً وكمال الحق في ذات الله ، وله في ذلك ثلاثة  
مطالب وسر واحد وسريرة مكشوفة .

الله فقط ! « أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسَ »<sup>(١)</sup> الآية . هيبت ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ! « هذا  
بلاغ للناس ولينبروا به »<sup>(٢)</sup> . روح الله لا يتوقف على أحد ، ولا هو هو في الناس بمعنى واحد ،

(١) سورة « المنكوبون » آية : ١ - ٢ . وتامها : « ألم . أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا  
وم لا يفتنون » .

(٢) سورة « إبراهيم » آية ٥٢ .

وإن كان بمعنى ما هو واحد « هُدَى للمتقين الذين يؤمنون بالنيب<sup>(١)</sup> » نعم والذين إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً . الله قَصدُ الحكيم ، وهو مقصود الصوفي وهو > - .<sup>(٢)</sup> المحقق . كثير البحث لا يصل إلى علم السكينة وإن كان على طريق الصمود لا على طريق السعادة ، وضمينه لا يفلح وهو لا يتوجه أو يتخالط المتوجه أو تكون همه نحو الصواب ، وكثير التوجه لا يصل إلى علم الوحدة وإن كان على طريق السعادة لا على طريق الصمود . والنيب خير البشر فلا تغفل عن شرك فيه تعمل وهو عري عن سوابب العلل الدالية والعملية ، وهو من قبيل علوم الذوات المجردة ، وضيم السعيد يخطئه ، ونكتة توجُّه نجهده ، وملاحظة صدقه فيه أعنى في الشيء الذى هو قوة محضة ، والنفس تمنع من الاقتباط به ، والقصد يوقفها ، والقلب يضرب عن اعتراض زواجر المادة ينتظر ذلك . والله هو المستعان .

الله فقط ! صاحبنا صديقنا حينئذ ذلك الرجل ! حفظ الله عليك آخر ما أنت بسبيله . ما أكرر ملادة الأمل والطباع وإن كان في وقت ما أمل ما في نفس ما ونفس ما منها بحسب رأى الصحيح لا خير فيه وهو لذة وسرور ، وبالجملة في الجميع فإن معناه لا يتبدل رسمه بحسب الموضوعات ، وإنما تبديله وما يحد منه أو يُدْمُ يرجع للكشف والقبض الموفق . وما من طائفة من الطوائف إلا وهى تبحث عن خير ما وتشوق إليه . وهذا لما من حيث هى صاحبة منهج وعين المطلوب الحق .

وقصد الطالب الرشيد لا يصح من حيث الأمل ولا من جهة الظهور المطلق ، وإنما أمر ذلك يبداه الله ومن الله ، فهو أول الطلب وبه تصح العاقبة المحمودة ، وهو يكشفها . فإذا كان الأمر هكذا فعليك به في كشف كل عاقبة وفي كل حال وفي كل شيء . يمكن أن يكون جزء علته في المجد أو هو المجد بينه فإن الجميع له من كل الجهات حتى في المعارف المحصل عنده وقت وجودك وفي زمان الإدراك . ومن نظر هذا النظر القريب من حيث التأمل [ ١٤٨ ] في واجب واجب وفيها يصح منه عنه عز وجل سلم الأمور إليه ، وعلم أن الله هو الغاية المبحوث عن كل غاية من أجلها ورضوانه هو البداية الصادقة لأنه الحق المدبر ، وهو السلوك لأنه الصراط المستقيم ، وهو الوصول لأنه ماهية

الغير المحض ، وهو ذلك الذى بعد ذلك كله لأنه الواحد المحصل بالكنه الفائر . شطت مراتب  
المعارج لمن جاءها بالتقديم والتأخير ، وعلى من نالها بالمقدم والمؤخر ، وقربت على الذى يصلها  
بالواصل لا بالوصول ، لأنه به صفة حقه يصل وإن بحث عنه على ترتيب الأفعال الثوابى أعط صفة  
الصواب إلى أرض المحاربة الوهمية ، وكان تارة بوجهه وحقه ، وأخرى بوجهه خاصة . رأيتك يأبى الخبر  
نحب التوجه إلى جهة ركن كمالك الممكن بوجه الإنابة لا بوجه الجلالة ، وضمت منك أن اللغات التى  
تقول أنا بها أو أنا عنها وجميع ما يقال بعد ذلك بحسب ذلك ليست هى إلا وهمك ، وهو الراجع  
إلى أشد وأضعف خاصة . وصحة هذا القول أن الفعل المألوف الذى لا ينفك عن فله إذا استصحب  
الحال فيه ودام أمره وموّه على النفوس حتى يكون الحكم له ، كان السكك له من كل ذلك الشخص .  
وأيضاً الذات العزيزة التى يقول العزيز بها على زعمه أنا تلك أو أنا بملك ، ثم يطبق ذلك على  
مجموع وهم الملل لا يدخل في ميدان السباق بمركوب التخطئ ، فتكون كبوته محسوبة عليه .

الله فقط ! كيف المعرفة كنه الحقيقة . كيف كمال المحقق ناز الحق . هو الروح الباصر من عين  
المحقق ، والمثبته به . إذا أبصر يكون . بركة الأوهام . وإذا تكلم يكون كلامه متنازع باب حقيقته .  
من حقيق الحق وعلم مطلوبه كما يجب وكان على بصيرة وبينة من شأنه وجد الله عنده ، وارتفع  
سراب الإضافة القائم في صدره المحتوى على الأخبار المألوفة عنه ، ولم يشغل شأن غيره ، واستجاب  
الزعم المنبثت الخالص في روعه الأصم المصمت الشاخص المنتظر ، جعل الأحوال الإلهية ولما يجب  
ولما يعين ويفرح به ، وهو كل ذلك بوجه أخلص له التصرف ، وله الملك ، وله الحمد ، وله الكلمة  
العليا ، وله تخصيص الأخرى والأولى ، وله إعمال نكال الآخرة والأولى ، وله الله الذى هو به  
هو ما هو ، وإن ضعف ذلك منه لأجل أنه هو ، وإن كل لا يمكن أن يكون إلا به وعنه يا هذا من  
بعض ما في سورة « الفتح » ، إنه خطاب الله لأهل منزلة المجاورة ، وهو لجميع من آمن به ولم يعمل  
إيمانه فيه ، وكان على صراط مستقيم لا على صراط الاستقامة . ولما كان لكل متوجه مشار ما إليه .  
ذلك التوجه ، فله من ذلك الفتح بقدر قوة ذلك التوجه ، والقرب من ذلك المتوجه إليه ، والفتح  
من كل الجهات حتى في الشيء الذى لا جهة فيه أكل من الفتح المقيد المنحصر في حيز ما ومكان ما ،  
( م - ١٥ - رسالته )

وفتح الكامل منه ما هو فيه ، ومنه ما يتصل بشيئه ، ومنه متصل ومنفصل . وهذا الفتح الذى فيه اغلغى على الخيرات الأربعة : أعنى الأمن من الذنوب ، وتنميع النعم ، والهداية [ ١٤٩ ] المحضه ، والتعصر الثابت القوى الظاهر الكبير المتعبر أن يخرج من مفهومه أوج السكال وفعله وعادته ودرجته . فافهم يا هذا والذى أخبرك به ، رضى الله عن الحق منك ، وحفظك من ضده فيك ، أن كلام الله جزء ماهيته التطور ، وهو غاية المتنبل . وبما ظهر لى فى الوجود أن التواتر كلها ذات ذلك الوجود لامن جبة ما يبرز عنه وأنت انظر إن وجدت للوجود صورة يشار إليها ، فالتزم البعض من موضوعك ، واستند إلى بُدك المقنوم لك . والوجود فى كل موجود هو الحق فيه .

وقولك الجسم والجوهر والعرض هو الوهم ، وهو غير الجليل ، وما يخالف الحق المبحوث عنه . فالحق فى الخلد هو الأمر الذى يمتد على العوالم ، وتلك العوالم هى أمور الله . ولذلك يقول الحق « وإلى الله ترجع الأمور » (١) وإذا هزمت فتوكل على الله ، أى على القرب منه ، خَلَصَ نفسك من البعيد عنه من صفة نفسه ، وأخلص فى الإضراب حتى لا يبق فى ضميرك من تخبر عنه ولا من تقدر أنه يخبر عنك ، ثم اهزم بعد ذلك واهزم وخذ نفسك بالتجلى الجاحد لجميع ما يجمعك أو يترقك لأن ذلك كله يمر إلى الأول من العبد والآخر من الأصل ، وذلك على خطر .

الله فقط ! كتاب من ذلك الواحد إلى ذلك وذلك . أما بعد ، فإن الواحد الحقيق لا يعود غيره ولا يبعد مثله ولا يمكن خلافه ، فإن انتهاء هذه ( — والهوة فى بعض الإحاطة ، فيمكن منسجا بعض الاتصال ، وإن انتهى هنا — قد يمكن من واحد أمركا الجميع لأن الأكثر يغلب الأقل ، والسلام على الواحد الثابت خاصة ، لأنى أقسمت أنى لا أطلق السلام على الباطل ، وبمشت فلم أجد الحق إلا هو أعنى ذلك ، والسلام على مناه ، والسلام على السلام يصح حقيقة وإن دُم شريعة . والمواضع معروفة ، والحق بنية التبيه فقط . ومن قل الحمد لله قال أصغر السكيات بالنظر إلى جلال الله ، وقيل له على لسان الإلصاف كبرت كلمة تخرج من جانبه .

الله فقط ! جمال وجه تقوى الله أشفل ناظر الرشيد عن سواد . لأنه معتدل الروح والصورة .  
 وفصاحة « إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » <sup>(١)</sup> عمرت أذن المستقيم : فلم تعملها عجمة  
 الحموى . والوقوف مع قوله « ولا تستوى الخسفة ولا السيئة » <sup>(٢)</sup> الآية منع بالاعتدل أن يتوجه  
 إلى حب العيب والظهور والانتصار إلا إن كان من أجل الله ، فهو منه عز وجل لاعنه . لطف الله  
 به . ولذلك يقول الغافل المتلون لظالمه مثل قوله . ويتعرض له بمثل تعرضه . والحاضر إن كذب عليه  
 قال إن كان ذلك حقاً أحسن الله لقليل ، وإن كان باطلاً غفر الله له . ومن صبح عنده أن مدبر  
 العالم لا تقوته الجزئيات ولا المقدرات ، وأن العوالم بحسب التضايح المفردة لم يتخس إلا الله : فإن  
 حركة زاجر شربته استقام سيره صُحْبَتِهِ ، ويكون معه على أى حال كان .

إلى الله أنت فلا سبيل أن تقول أنا وأنت وأنت أنت أصفى الذى أنت به له ، بل الذى  
 هو أنت . وعند تحرر ذلك قل بذلك وبما يلزم من ذلك له جميع ذلك ، أو هو كل ذلك ، لكنه  
 لكفنا يدخل تحت جنس الشرف ولا لله فافهم .

مَنْ خدع رسول الله ﷺ أظهر الله [ ١٥٠ ] عليه غير الذى يحبه وأبواه ذكره وسئل بنابر  
 رسالة ذكر السفير ﷺ وبذلك يستحق المكر إياك والتأويل فى مضنون الصغيرة فإنه يعمل إلى يقين  
 الكبيرة . من ارتكب القبيح واستوى على ظهر الفرر الماهل إلى منزلة المكر ، حيث يساوم الوهم  
 ظالم الشهوة شهد عليه النور الإلهى بالجلل والحرمان وكان عدو الله الأخص . مَنْ تعرض إلى عداوة  
 الله خرج من مخالطة أهله واستوى عليه بُشْتَانُ ظُلْمِهِ لنفسه ، وكان ظلاله المدمر منه ، وأعوذ بالله  
 من ذلك !

الله فقط ! يا مظهر هداية الله ، كيف تفهم ؟ قل « إن الهدى هدى الله » وبأى وجه بتعرف  
 فيه ، وما هو ، وكيف يحفظ ، وحال نيته ما هو بالجللة وما مفهومه فى الله وفى الناس ، وهل يرجع  
 للذات والصفات والأفعال ، أو للذات خاصة ، ورجوعه للذات : هل هو بمعنى التبل ، وكأنه يقول

لا نعمة إلا الله لأن الهداية الفعلية المصرة قد صَحَّ أنها من الله ، فأى فائدة في الإخبار عنها ؟ وأيضاً الله لا يدخل تحت عموم ما ولا يقال فيه إنه مع غيره بالمعنى الأكثر ، ولا مشاركة بين القديم والحادث حتى يقع الترجيح بينهما في ذلك المعنى المشترك . وأيضاً الذي أحاط بكل شيء من حيث وجوده على الإطلاق لا نسبة بينه وبين ذلك . فابقي إلا أن المطلوب الذي جاء بصيغة الطلب هو المطلوب العزيز ، وهو لا يظفر به بالعلم قط فإن<sup>(١)</sup> الحال عند أهل الحق مثل العلم عند أرباب الأحوال ، فانهم .

• الخارج عن الدائرة يلحق في مرسوم الوجود ، والمتوسط يتنب ، والمنصل بالهيكل نوع منه آخر . لا تلتفت وهم الامتداد فإن نهاية الافتقار في الجميع ، وبمحة ، ولا تعرض إلى حصر الكلّيات ، فإن الأول منك يأخذ ذلك منك ، واجعل ذاتك بين ذلك وبالنظر إلى التعتنين . أنت ذلك ، وفي ذلك والسلام على الأول منك والآخر ، والظاهر مثلك والباطن ، مع ذلك ، ورحمة الله تعالى وبركاته !

الله فقط ! تسمع همه المقتصد في استجلاب النعيب لموضوعها الطبيعي لمصلحة مدنية ، ولا تسمع للنفس في شيء من أمرها ، لأن ذلك يجرُّ إلى فساد الأصل . هداية الله أبوابها ثلاثة : أحدها موافقة الأمر ، وثانيها نتيجة ذلك ، وثالثها ثبوت توفيقه . خذَل السالك يظهر في جملة مواطن : منها كونه يشهد لنفسه بالصحة مع وجود السقم ، وموافقته لنفسه . وكثرة موافقته لأهل الله ، والحسد مهلك للفحص به ، وللآخر في عالم الطبيعة بمشاركة همته . قوة الحسد لا يمكن به نيل فضيلة الإلهية بإجماع أهل الحق ، وبما يعطيه الدليل ، وبما يلزم على الإطلاق . ما أقبح من قال : أنا من أهل ، وسيرة الشيطان وأهل ظاهرة عليه ! ما أجل من أخذ نفسه بالتحول حتى يظهره غراب المضار ببحث الاضطراب ! نِمَّ الرجل من كان الله معه وهو مع نبيه في فعله وقوله واعتقاده وحاله ، وتزلّه ، وأخذ بيد شرعه عنه وبأية بروحه ، ودفع له أمه كله ، وكان به في كل مطالبه ، ووكله على كُنْه مقاصده ، واستدل على الشرف بشرفه ، والتزم طاعة قانونه كله .

[ ١٥١ ] ليت شرى كيف يجتمع الله والعدم ! مَنْ ذا الذى يقول « الله » فيه وم نفسه ، ثم يصديه الضجر بعد ذلك ، ولم يسمع العرب وحكمة قولها محبة مثلها القديم « يداك أوكنتا وفوك نفع »<sup>(١)</sup> . قوله « تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شيء قدير »<sup>(٢)</sup> اشغل الأرواح الطاهرة عن تدبير علم الأبعاد المختلفة . إن كنت تريد أن تقول الله ويقول المعمار منمنك لييك — امثل أوامر الحق وخذ نفسك بالتخلق به . ما أغفل مَنْ يقتفر إلى > أن : يسمع حكمة البراهمة حيث يقولون : مَنْ صدق فى يقظه يصدق منه جميع ما يصرفه فى النوم — لأن الحق هو الغالب عليه وكان هو أحق بذلك ويثبته إلى أهل الطافوت . متابعة القول والقليل تصدُّ عن التهم . والحال المرشدة للعقل والقوى النفسانية والطبيعية إن فى الروح لميرة ، وفى العقل أخرى ، وفى الظاهر جملة . والله الذى لا يود ولا موجود ولا معلوم غيره وإن شك ضميرك فى المعلوم والحال وتلك المذكورة فيه ذلك وأنا أريد السبب والغافل فافهم . لا يصح من الله إلا ما هو من الله ، وحاصل ذلك : كُنْ معه فى مدلول رضوانه يَكُنْ معك فى جميع مقاصدك السكرية ، وهو المحيط ومنه الخير . نعم ، نعم ، نعم ، لييك ، لييك ، لييك ، صدقت ، صدقت ، صدقت ، « إن فى ذلك لذكرى »<sup>(٣)</sup> . الآية .

الله قطع ! إذا آمن الضمير بجلال الله عز وجل وكفر بأخباره المنبئة من قوته الباحثة فيه ، وأخذ من حديث خله الأسفل وأهل حديثه العلوى ينبئ أن يتدارك لضرورة ما هناك يبحث عليه بقوله « أفغير دين الله يفتخرون » ، وله أسلم مَنْ فى السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون »<sup>(٤)</sup> . وتحشر له أخباره الراجعة كلها ، ويقرأ عليها بها فيها منها من أجلها ، « وأوفوا الكيل إذا كتم وزنوا بالتسلسل المستقيم ذلك خيرٌ وأحسن تأويلاً . ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً »<sup>(٥)</sup> . فإذا بلغ مقام الإسلام بمحجته والإيمان بنبته والإحسان بطبيعته وأذكره ولا تعرفه أنه من عند الله لأن الحق لا يقرر على ما هو منه ، والظهور الحق فى الضمير الذى هو مرآة وجوده المصاحب هو ذلك الحق المكتسب ، وذلك الذى ذكر

(٢) سورة « تبارك » آية : ١ .

(٤) سورة « آل عمران » آية : ٨٣ .

(١) راجع « أمثال الميداني » .

(٣) سورة « ق » آية : ٢٧ .

(٥) سورة « الإسراء » آيات : ٣٥ - ٣٦ .

هو « ولقد جئناهم بكتاب فَصَّاناهُ عَلَى عِلْمٍ » إلى « يفترون »<sup>(١)</sup> إن ربكم الله رب العالمين بأهله .  
يا قومنا ، يا من تعين على الحرمان صاعهم ، وبالمضمار أنصافهم ، إذا كانت النكتة لا تقف ولا تتحرك  
كان المجهنوم بها ، ويظهر المحيط هو المحيط به ، والإحاطة مما ، وتنصرف القوى بالدور الراجع والمعنى  
الجامع الذى تنفس به ريح النلط ، وتنف به رطوبة التقوية القائم على كل نفس بما عبثت وانتكست  
ويستقيم الواحد ولا تسع فيه الوحدة ، فكيف من يقدر ، وما هي القدرة ، ومن يدرك ، وما هو  
الإدراك ، ومن يخبر ، وما هو ذلك الخبر ، ومن يريد ، وما هي تلك الإرادة . وإذا صمت لسان  
التحقيق واستجاب الله له عند دهوة التسط ، وسكت الضمير ، وكان الله ما [ ١٥٢ ] به هو ذلك  
المدرك المسكوت عنه والمبحوث به فيه وإليه عليه من القائل ومن المدرك ومن المتكلم ومن ومن  
قلت : ذلك لأن الإشارة تميز إلى مقابلة الأنفاس بحسب الشعور والمرتبة المعقولة مسئلة جوابها وجود  
عينها . وإذا أخبر فعند ذلك بماذا يخبر ، ولم يكن له في وقت العلم أو المعلوم ثبت هل ذلك من  
صفة نفس ذلك الحال ، أو المجر هناك ، أو كلمة « وما أنا بظلام للعبيد » . هي الحافظة الحائلة ، وذاتها هي  
الحال الحاجز وما لا يمكن للعبد أن يصله بنفس ماهو عبد الله . هنا إذا جعلناه على مفهوم هذا . فافهم  
إذا كان الله ولا شيء معه ، فمن الذى يقول الوهم أو يحده . والشرط في جوابي أن يكون من النفس  
إلى اللسان ، ولا يلفظ به إلا بعد ما يوجد أو يعرف أو يُعلم أو يُسلم . وإذا أراد الله أو قدر على من  
يقدر ولن يريد ولن يسمع هل كل ذلك يشبه ما يمكن من ذلك خاصة ، أو هو إلى الله علمه . وقد  
يسمع الجواب بتركه عنده . والسلام على أهل الله ، ومن يجب به . كلام الله دواء الضائر وفهمه عين  
الشفاء ، والمواقة أهني مواقة الدواء فالمتكلم إذا خاطبه حال القريب السليم الذى كان سبب  
مرضه التحكم في حكمة الحكيم وبها شفاؤه ، فاتها تضر بالوظائف وتنفع بالانبات وإذا أراد الرجل  
الكبير يمرض ويصح في وقت واحد يقول ويجدر إذا أن يصح فقط يرفع البعد الجوارر هبت في  
وقت ما يحصر العلل المتخللة الممتدة في الهياكل الوهمية التي هي أكثر امتداداً من الكم  
المنطقي . فلما هزمت تذكرت ما يجب للذات التي لها الأزل ، وبها الأبد وجميع المضاعفات ، فاستقيمت



على الكف وقبضت كل ما كان منى أراد ذلك ، حتى اللسان والجان والكف ؛ واستغفرت واستغفرت الله على تعظيم شأنه . يا الله ! خلّص القصد ، فإن القاصد قصدك قطعاً ، والمقصود أن تكون مقصوده بماحية ما . والسلام على من افتقر إليها وكان به ، لا منه !

الله فقط ! دقيق التحقيق صعب التحصيل ، وجليله كثير الأوهام . بش العلم علم التعليل ، فإنه يستجلب بالتعب ويحدث التعب ويتعلق بالتعب . وأوله اجتمع من قلت وقالوا ووسطه من أما وأن وما أشبه ذلك ، وآخره من هو وأنا واحتمال الضد أسبابه قريبة منه جداً . ونعم العلم علم من كلم الحق وتكلم به ووجده عنه وظهر له به أن العالم والعلم والمعلوم حينئذ <sup>(١)</sup> بالوجه الذي يصح به ذلك . عجبت ممن ينفق ماله في أيس الأذات وأصغرها ، ولا يشتري به الأحرار ، أعنى بفضاله ويربح الدنيا والآخرة . الحر هو الذي يقول ما يجمل بنا أن تكون لنا الأسرار ، وأولياؤنا محرمون منها ومن مواهبنا ، ويحتال على ذلك حتى يؤدّي أماته . ما عظم الحكاء أسيائهم وفضلوهم على آفاتهم إلا لأنهم كانوا سبب الحياة الباقية والآله سبب الفانية ، إلا إن كان الأب من كل الجهات . شكر النعم أكثر من النعم الشخصية لأنه يبق [ ١٥٣ ] وتلك تقى . الإنصاف والعدل والتخلق بالحق على أى حال كان ميزان الله في الأرض . لا تعجب من جميع ما يحدث في عالم السكون من الأمور العجيبة والأحوال الغريبة ما دام مطلوبك لم يتحصل مع كونه هو عندك وأنت له به طالب وهو المطلوب . كل المعاجيب في نفس الإنسان حتى استحسان النقص والإضراب عن الكمال والغفلة عن الله ، وفيها أيضاً الله الذي هو به للذي هو العلى الأعلى ، فذلك لا إله إلا هو ، وهو هو . أرفع الرجال من حقق بعد قرب ، كما أن أحسن الناس في عادة الصم من تواضع بعد رقة ، وترك حقه بعد قدرة ، وأنصف من نفسه إثر قوة . من تشكى بالدنيا فقد بعد عن رضوان الله لكونه في غير مقام الرضا والأمور الإضافية منك ومنها ، إلا إن كان بالنوع الذي يبعد عن الله فذلك يبعد والله المطلع . لمن آمن بالله طابت الدنيا وصحت الآخرة ، ولمن علم الله حق معرفته وتقدر ما يصح له ملك الدارين ولم يقتبط بنصيبه منهما ، ولمن وجد الحق واستقام منه القصد فيه وأبصر ذلك كله ، إما في ذاته أو بذاته ، وإما بقرب في بعضها لم يرخص إلا بالله ، كما أنه في الدنيا لم يرخص إلا الله . ما افتقر ضميريه قصد ، ولا قلب فيه خل . الناقص القصد يقول له لسان الآخرة : يا بطل

في صيف دار الأولى ضَيِّغَتْ كَيْفَ اللَّب . عقول الحكماء العلماء بالله تحت ظل توفيقها ، كما أن عقول العلماء بالمادة تحت أسنة أقلامها ، فإن القلم أحد اللسانين ، والخط عقال العقل ، والقلم أحسن الآلات في استخراج أخبار الضائر بعد اللسان النصيح ، غير أن القلم يثبت ، بلوله بعد كلام النفس به ، واللسان يذهب بحسب ذلك الزمان . إلا أن وقع في قلب الحق ، فهو أثبت من القلم والقرطاس ، لأن ذلك يعطى جملة أنواع : منها ما يثبت بالتنوع ويزول بالشخص ، ومنها ما هو أعظم . والقلب أجل موضوعاً من القرطاس ، فإنه قرطاس القلم الإلهي . وقد قيل عن جعفر بن يحيى أنه قال : « لم أر بأكبراً أحسن تبهما من القلم » ، وقال المأمون : « لله دُرُّ القلم ! كيف يحرك وشئ المملكة » ، وقال ثمانية ابن أشرس : « ما أترثه الأقلام لم تطعم في درسيه الليالي والأيام » . هذا في قلم القوم العَمِّ ، فأى شيء هو قدر قلم أهل الحق المصطلح عليه ! فإنه خليفة السبب الأول في الأكوان ، وخليفة الصفات ، وهو الفعل المطلق ، وهو أيضاً الوجود الممكن ، وهو أيضاً قضية التطور ، وهو أيضاً الروح المأنوف ، وهو الحركة ، وهو الحياة في اصطلاح قوم . وتحت هذا الاصطلاح علوم يعلمها الله وأهله فقط . إذا جاءك الله بحبة فله فاستقم كما أمرت ، وإذا جاءك بحبة صفته تدلل بمضار مؤثرت . فإذا جاءك في موكب أخبار التوجه حيث يظهر الله عادة الروح في الروح ، فكُنْ من حيث من جاءك ، وذلك بحبة ذكره يمثل ذلك الوجود أو الوجد ، ومن استمد إلى ذلك بحال الاقتصار والإنابة ، ويشعر نفسه بما تعلم أنه ذلك الذي هي بسبيله ، محمد [ ١٥٤ ] الله على كل حال . وبعض الرجال عَوَدَ نفسه في ذلك الوقوف مع الاختيار بالحروف لكي يجد القلب أو الضمير عنوان ما هو بسبيله قد جاءه بالله وأمره عند الله بد ، وحكته بيد التطلع الأعلى وحمته ذاته ، لأنها انضافت أو كانت به أوله أو من أجله . وبالجملة المقصود من هذا المقام أن يكون جميع ما يعرف واحداً ، فإن قلت يعلم فهو علم ، وإن قلت يقدر فهو قدرة ، وهكذا — فافهم . ومن حيث هذا سلام الله على عين الأمل منك ، ورحمة الله تعالى وبركاته !

الله فقط . الله هـ // ح // فقط لا توحده وأنت موحد ، ولا تعلم وأنت عالم فقط ، ولا تحب ولك قلب ، ولا تفرح ولك مقام ، ولا تهزن وأنت بالله ، ولا تحب البحث وأنت عاقل ، ولا تتكلم وأنت حاضر ، ولا تصالح وأنت قائل ، ولا تبجح بللمدة وأنت للغير أو من أجله ،

ولا تمنع وأنت مالك، ولا تمهد وأنت راعب، ولا تستعمل الصوم وأنت محسك، ولا تتخلق باسم وأنت تنادى أو تنصرف، ولا تقب هناك وأنت تبغى، أو تنسب، أو تحسب، أو تبهج المجد، أو تبهج الوجد، أو تصمد الحظ، أو تصاد لاه الا والا، الاح الا ان لا لك الا لا الا لا والله ع ل لى ل .

الله فقط ! بسم الله ذلك إذا أردت أن تتلذذ ويقوى أنسك ويقع على عين آخوضج النوات الفاضلة — فأرسل بالك المرسل صفة الفكر المتقابل، والميل المتذلل في الصدر المحب، والقوة المنيفة في زمان الترك، والمسكان الفقير، والغذاء المقيم فقط، والوحدة الخالصة، وتكون سيرة الرسل، وشأن الملائكة بين يدي، وطوبك وعين استخارة همتك تصرف ذلك، ثم انقل القصد وجميع ما ذكر إلى الذات الواحدة والأمر المتوحد، ولازم الأحوال التي لا من جنس ما يكتسب، والتي هي فوق ما بعد الطبيعة، واستروح تقدير الحضرة الصائفة وكأن ذات الجلالة مظهر الجليل وأنت متطفل وكان المجموع إلى أمر ما أنت بسبيله ينصرف، والله شبه الفائرة بحوله وقوته منك . متى تذكرت عالم هلاكك اخشع وفر إلى الله في ذلك كله، ثم التزم ذلك الفرار ولازم حالات واخطف ذلك الوصف بيد الوجد. ومن مثل هنا يظفر، وبمثله أيضاً. وإذ لاح لك صدق دعوة وإجابة دعوة وكشف معنى ونجريد حال وإظهار فضل — افرح بمباينة الله، فإن الله لا يبيع إلا بيد كشف الجلالة وهي الحضرة القائمة في طباع الأحرار . وبالجملة كتف نفسك الميل إلى خرق العادة وانظر الأحوال العزيزة، واختار حالاً من جهة نصيبه في ذلك حتى يصلك الفتح محبة التتميم والهداية والنصر وإسقاط المانع في أنحاء الزمان، وهي المفرة التي تعلق مع سنة الله لأنها ستة تطلب بها الأرواح في السموات والأرض، ورسلا أحكام الله المتعاقبة به خاصة .

واعلم أن السفر كلها هي الرسالة الأولى [١٥٥] وهي النور المستوى ولا يسعها إلا الله أو الشيء المحيط بالجملة . فاعلم ذلك واعلم ما دفعته لك . وبعد هذا الارج لا تهمل نفسك، ولا تهمل شأنك فيها، وابحث عن كل ماهية تذكر لك فيها، وخذها بالله على العموم، واتخذ عادة ثانية، وطبيعة خامسة . وتذاكراهما ومكاناً ذهنياً ومكانة عقلية، وذكر آصورياً وسورة صورية ووصفاً ظاهراً، ونهماً بالله عنه .

كثيراً وكلاماً مع الناس قليلاً ، وفي هذه المرتبة يتعلق الأمر بالكمال . وجنح ما يقال في عادة الصم يتكلف فيه تكليف ، لا يطلق يطالب هنا به — فانهم .

الله فقط : ينبغي لمن عزم على معنى ما يشخصه أن يبدأ فيه بما بدأ به الله إن كان ذلك الشيء أو ذلك المعنى مما يبرز أو يقدر أو يوجه عليه ذلك كله . فإن تعذر عليه ذلك بالوجه الذي ذكرناه ، فيبدأ بحسب حكمة الحال ، أو من حيث يسلم فيها على الإحلاق . فإن تعذر بالجملة فتعلم أن ذلك الأمر المدير خارج المجد وبمبدأ من نوعه فيتنجب بالجملة من قام بقلبه البحث عن سعادة الإنسان ، وعن حقيقة العلم والعالم والمعلوم ، وعن الشريعة ولواحقها ، والحقيقة وطريقها ، وعن الله بالسكينة ، وعما يحدث عند ذكره والتوجه إليه ، وعن الولاية ، وعن كل ذات رئيسة ، وعن الرئاسة فيما ذا تصح وبمن تصح ، وكيف تصح لمن بحث عنها ، وما نهايتها في الناس ، ومن رئيس الناس ، وبما كان له ذلك ، وهل يتوقف الكمال المعتبر عليه أو في الناس الإمكان على ذلك ، وما الضمير وما غيره ، وهل ينقطع الموصف أو يختلف . وإذا ذكر المقام أو الاسم ، أو شيء هو إلى الله أو في الله ، أو ما كان من هذا القبيل المقصود الوقوف على حقيقته ، فهو الرجل الطالب خاصة عند انقواص ، والواصل عندهم هو الذي غفر بمدلول هذا المفروض كله كيفاً اتفق له ذلك وبقدر قوته في ذلك وحمته .

ودرجات الرجال على أنحاء والوصول يختلف في الناس كلهم ، وبهذا الميزان يحكم على المراتب خاصة . ومن قام به الوجدان الخفض ، والميل المستولى ، ولا يحدته الضمير بذلك ، وهذا وهو وأنا وأنت ولا يمين له من المطالب المذكورة ما يضع عليه خبر حمته ، وغايته الاستناد إلى ما هو بسبيله محبة الحال واللذة فقط فهو الموثق . فإن كان في إكرام من الله وأفعال الله بين يديه على جبة المسكة وتطوره في أمر منهم ، وذلك الأمر محفوظ القدر شريعة ، فهو الموله المعتبر . وإن كان في البعض فهو بحسب ذلك . وإن جاءه ذلك كله لأعلى الأول ، ولا من نوع الآخر ، وجميع ما تفرق في الكل ظهر عليه ، فهو المراد الأعلى ، بشرط أن يظفر به بنير تكلف ولأطول مدة ، وإن كان بخلاف ذلك . أو ضيف في ذلك ، أو هو بوجه على جهة الأكثر ، وبآخر نحو الكسب أمره في ذلك على .

حاشيتي النقيض ، والزمان فيه ما يبعد وما يقرب ، وقد يشترك الأمر في ذلك [ ١٥٦ ] ، وقد يكون على جهة الأكثر ، فهو بحسب ما يظهر في هذا الإلزام .

الله فقط ! حضر عبد الله ، والله في الله ، فما كان من الله صرح له ذلك لأجل استحقاقه للجميع ، وإن كان المضاف من قبيل الأوهام ، فهو مملوؤه الراجع ، ومدركه الدافع ، أو حقه الراجع ، ولذلك يجده كل من وجدته بقده ، ويكون تحققه لتلك الحق محبة تلك الحقيقة من مقام أهل الوجه الرابع والسكال بعد لم يحصل على جهة الملكة . وما كان من العبد لم يصح له أن يكون في تلك الحضرة محبة ذلك الحضور ثائي اثنين . غبطة أهل الله بعلوم التحقيق لا يصح إلا بنوع منه ، والخصيص هو المشار إليه في الجميع .

الله فقط ! وصلى الله على الشرط في نيل الشرف والسكال الجامع لخلق الأكوان بكنهه الأكبرى محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما الله الله الله الله الله الله الله الله ، كل ذلك ذلك ، لا كل شيء ذلك ، لأن ذكر الأشياء لا شيء عند الاعتبار الحر — فافهم !

الله فقط ! من اعتمد على خير طبعه ، وطبعه في التطور الأوسط قد تارة تقرير الأول الذى هو قريب من الفطرة الأولى وهجز من المتمم الأعلى ، فعليه بالخلوة المحمودة التى فيها نور الله لما صحت الذكر ، ولما صحت الفكر ، ولما صحت التوجه إذا لم يجد الرجال في الوقت ، أو في المكان أو فيه أعنى في طبعه وقوته لكونه لا يحصل أحوالهم . وإن تضرعت الخلوة عليه فعليه بالدعاء والإنابة المشوقة التى فيها الحركة البائرة على موضوعها . وإن تعذر الأمر عليه ، يستعد للرحلة عن نفسه بالجملة أو بالجهد الذى لا يصح معه ردة طبيعية . هنا إذا جد وعزم على السعادة .

وإن كان حاله يقتضى حب السكال ويمجز عن لقاء المكل وعن أدوات ذلك بحسب ما ذكرناه ، فينبغى له أن يتوب توبة التقدير ، ويرغب في نشأة الطبيعة ، ويستعين بالكتاب الذى أنشأه السكون الراجع . وحروف تلك الألفاظ الملك الواحد ، ومفهومها الفقر والاضطرار الذى يشهد على الإحلاق ، والرجوع إلى الله بالسكينة . فإن تضرع الأمر في ذلك كله بترك خبره في الأمل منشوب

القصد ، وشأنه كله بعد في التقدير . والله يحفظ ما ظهر وما بطن منه ، بمنه وكرمه . والحمد لله . الله الله . إذا لاح نور الله ح ل ا ع ، لا يشك الرشيد في ذلك كله ؛ وإذا ظهر بالجملة ل ا ج د / فقد عظم أمره بالله . صحح وحرر ، وجرب وكرر ، وعجل وحلل وركب ، ونوع وكبر .

الله فقط ١ « الناس كلهم مائة لا تجد فيها راحة » <sup>(١)</sup> « يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا » إلى « وجيها » <sup>(٢)</sup> .  
 « يا أيها الذين آمنوا » إلى « جهولا » <sup>(٣)</sup> مع التقرير والسمة المرجوة . « قالوا أئمتك لأنت يوسف » <sup>(٤)</sup> ومع نهاية ذلك الأمر والتنبيه والتحدث المحفوظ والاحتياج . « قالوا تالله لقد آتاك الله علينا » <sup>(٥)</sup> ومع التذكير لأمر تخصيص الحظ النفساني [ ١٥٧ ] « وقد همك المعتبر » قالوا : تالله إنك لفي ضلالتك القديم » <sup>(٦)</sup> إن الذين آمنوا ، ثم أعوذ بالله من أحوالهم ، ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ، مع وجود الظفر في الطبعة فكيف لأن الظهور المحمود هو الذي جزء علة في كمال مصاحب « إن يشأ يُذهبكم أيها الناس » إلى « قديراً » <sup>(٧)</sup> فكر الضمير في تهديد ما لم يجب فقال لسان حله أبود من وفطر في مقاصد الصديق ، فقال أنا الصديق . وثقه في مكابدة من لا تنفع فيه وصية الغريب الناصح ، فقال له وُسْلُ ثيابك رحمة به ، والحر هو الذي يتحمل في إقدامه ، ويتحمل في إعدامه . وإذا صح عنده أن الذي لا يبطئه قد تألم منه ، وناله جور العساة ، وصقله للمناجاة وجه الفهر الجائر من أجله فيريه ولو بالانفصال من موضوعه داخل ذهنه رغبة في إدخال السرور عليه ، حفظكم الله ! ما كان من الشخص المؤخر فقد تأخر وتقدم تأخره قبل تسميته بالمؤخر ،

(١) حديث نبوي .

(٢) تماماً من سورة الأحزاب آية ٦٩ : « يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً » .

(٣) تماماً من سورة الأحزاب ، آية ٧٠ - ٧٢ : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً » يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله فقد ظفر لوزاً عظيماً . إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ، وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً » .

(٤) سورة : يوسف ، آية : ٩٠ . (٥) سورة : يوسف ، آية : ٩١ .

(٦) سورة : يوسف ، آية : ٩٥ . (٧) سورة : النساء ، آية : ١٣٣ .

والرجل قليل الحركة ويكاد لا يقدم رجلاً إلى جهنما ولا يؤخر أخرى . وأما أحد فساكن الذي صرف عنه وبه محمود العاقبة ، وعند الاجتماع يقع الاعلام مشافهة بأمره . ومع هذا انفصل وانفصل الإنشراح عنه واستصحب الحال في ذلك ، والناس ما هم شمسك . ولا لسانهم لسانه . والله الذي لا إله إلا هو ما كنت في أمر كرهته أنت متى إلا بالله وبأمره إلا في الأقل . وذلك الأقل إذا نظر فيه لا ينكره إلا أهل النيرة بالله . إلى متى عتاب من شئت حاله ؟ وما الذي حملك يا هذا الحبيب الذي يجب إكرامه على استجلاب الأوجال من أجل من لا يتناسب أمره ، وأمره في ذلك إلى الله ؟ عذرتك والله وما عدلتك ، وكلامك عندي مستبر الجملة . وإن كان يسرك سرفي فأنا آخذ بنصايه مركوبه بيد النبطة ، لولا ما توى رعوة بعض الناس لم نجعل بعد قراءة مكنوتك في خلدي غير الحركة التي يقال معها : لا أوحش الله . وسلام عليك ، وأستودعك الله . وما أشبه ذلك . وإعلم أن الله يحسن لبعض عباديه . ويدبره بحكمة البسط والتبسط . ويحفظ حياته الروحانية بالنفس النقيس . كأيدبر الحياة الطبيعية فيه بحركة تنفس الزمة والنفس . وبالجملة إن استعظمت أنت تهنر أخبارك فنعمة وأفية والحمد لله . وإن غلب الحال وطال سبب المتابعة جرفني نظري . علاج ذلك وقد نظرت . وإن كان خنياً فيظهره الله بوجه ما في وقت ما مع شخص ما لا يعرفه أحد منكم ولا يظهر عليه أثر التوقع في المهمات . وإذا أبهرته ذكرك بقصدك فساكن سبباً لتزينة الحال في الحال . والذي منع الغير أن يحد ذلك في الأكثر هو بُعد الشبه . وأعلم أن متابعة الجزئيات تبصع أحوال الغافل عن التقية المفروضة تورث كوث الراحة ، وتستجلب ما لا يحد على الإطلاق ، والله لقد ، والله لولا ، والله ما ، والله إذا ، والله إن رضى الله عنكم أنا ، والله شاكركم وفداً [ ١٥٨ ] معاملتكم الجميلة بما يجب . وإن كنت مع هذا لا أنفك عن التقصير وغرضي إظهار ذنوب البعل ، وهذا ما يمين لي في هذا الموضع ، أعني البلد بل الإقليم . ومفهوم هذا ضح عني أن الراحة تقع عندكم بانطروج من أرضكم وهما ، وبالاقامة معكم حقيقة ، ولولم قدرها ولواحق الهيكل تقلب على مرسوم الهيكل العقل يقتبط والنفس تنفقه ، والشهوة تحسك ، والجسم يفعل ما عول قلب الحق على غير حقه ، فإنه به وله فقط . ولا بد للعالم من بده . حديد التوحيد لا يجنبه من حجارة الألفاظ إلا مغناطيس قوله تعالى : « هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن » .

الله قط : ما حرك الله قلب من يحبه إلى غير ما هو بعيد منه ، لأن حقيقة محبوب الله إدراكه الأمور على ما يجب وفي الوقت القريب . وهو أيضاً لا يمكنه أن يهمل الأخرى والأولى في الله قط ، وهو يحق الحق على أكل ما يمكن ، ويحبل الشيء في محله . ومعنى محبوب الله من ثبت خيره فيه وتحقق . صيدق الإرادة سبب هدى الله القريب أو علامته ، وهدى الله هديته للأرواح ، وذلك الهدية روح الروح المعنوي . من زعم أنه ينال حظه من الله بغير حظه منه فقد غلم نفسه بجعله المطلوب . إن نطق العارف بما هو عليه . وعبارته تنفيذ بالقوة وبالمفهوم وبمدلول الصيغ ، فهو معلوم لنفسه ، وإن زاد بقدر ما يقع الفرق بين المدرك داخل الذهن وخارجه .

وأما المحقق فمعلوم أمره إلى الله وحده ، ولعمري الواحد . ولا يمكن غير هذا عقلاً . إذا وصل الصديق إلى الشيء الذي يصدق به على الكشف والتحقيق والحصر ، فتصديقه لم يدخل تحت جنس الصديق المتوسط . وإن كان ضد الذي فرض فتصديقه تصديق المتوسط ، وإن كان على بينة من قوة تصديقه إلا على الوجه الذي يطمئن به القلب من مشاهدة الأفعال ، ولا على الأدلة المذكورة المشهورة ، بل بأمر هو ذلك الحق ، ولا عين تبصره ، ولا عقل يحصره ، ولا علم يكشفه ، ولا قوة تقدره ، ولا إدراك يخصمه فهو المطلوب الأعلى وهو الذي يفهم القوة من القوى ويبحث عن السفاد بالتوطئة الإلهية ، ويكون قلبه من قبيل الشيء المطبوع . وهنا بحث لا يصح مفهوم صناعته بوجه ولا على حال . وشأن الله هو الأول والآخر على الإطلاق ، وهو الظاهر والباطن في الأكثر ، وهو الكل بما هو ذلك . ولا حول ولا قوة إلا بالله في جملة ما هو عليه . إلى الله يصل العارف ، وبه يعلم العالم ، ومنه ينطق الحق ، وإليه يستدل الباحث ، وعليه يسلك المستقل ، وعنه يتخير المولود ، وله ينكر الكافر ، وبه يكفر ، وهو الظاهر في كونه لأنه بالوجود الصاهر عنه . لا إله إلا الله قط .

الله قط : النقطة سر الحروف ، وسبب الخطوط وباطنها ، وله نسبتها ، وهو النسب الصحيح الذي يبلغ إلى السر ويدل على الأثر ، وشاهده الموجود في الغيب يشير إلى الوحدة به ، وزيهانه في الشاهد [ ١٥٩ ] يدل على آية الجمع في مواقف السمع ، يقول من لم يوتر قلبه منا . النقطة وجود



مفرد تدلّ على آية أنا وآية أنت وهوية هو .. وهذه أسماء موجودة بعد وجودها ، ورسوم بادية عنها حدود تقتصر لها وتسرها بالتصريف وتظهر بالتشريف . النقطة تشير إلى وحدة المحقق عند سلب الإرادة ونيل المراد ، وحذف مسافة الموجد ، والأشرف وقطع التقسيم والاشتقاق .

الله فقط ! الله هو الذى وجب له الوجود والوحدانية والكمال ، ووجوده ينبئ على نفي التشبيه ، والتشبيه ينبئ على إثبات التميز والتغيير والتأليف ، والوحدانية تنبئ على نفي الشريك ، والشريك ينبئ على الاتصال والانفصال والحلول والانتقال ، والكمال ينبئ على نفي النقصان ، والنقصان منها ما يمنع الأفعال ، ومنها ما يمنع الكمال ، ومنها ما يمنع الإدراك .

الله فقط ! من طلب عناية الله بالله وجدها . ومن طلبها منه بع وصلها بمجموعه المدبر . ومن اجتمع حتى يجدها بجوهره وجدها بالله ودبرته حقيقتين . ومن استند ولم يفصل وأصله صحيح التوجه ، وآيئته سالمة امتنعت في حقه ، لأنها كانت تكون عبثاً . والله عز وجل هو الذى إذا صاحب الصفة من جهة فى اصطلاح بعض الناس لا تصح إلا وهى حكمة ، ولا تصح تلك الحكمة إلا وهى ذات ما . وتلك الذات لا تصح إلا به ، وهذا الرابط لا يكون إلا من ذاته ، ولا يكون ذاته بل هو المعلوم المحصل المتوجه . فاعلم ذلك !

الله فقط ! المحقق لا يقسم الوحدة ولا ينسبها لغير الله ، ولا يصرفها لسوى الواحد الذى ينوب هذا الجمع المحقق هو الذى لا يلحق بالتحقيق ، ولا ينسب إلى الجمع والتفريق . الوحدة لا توجد دون الذات ولا تصرف للمؤمن فتستتر بين ذاتين ، وتقبل من رتبة الإحاطة بوجود المقامين ، فإن الذات والوحدة مقامان ، ووحدة التوحيد لا يطلق عليها ذلك .

الله فقط ! العلم يصرف ويثبت وحدة التنزيه إلى الموجود . الوحدة وحدته ، والموجود هو الوجود له ، وبه الوحدة لا توجد دونة ، ولا تنسب لغيره . الوحدة لا تشير إلى مقام معلوم دونة ، ولا تدل على سواء ، ولا تثبت مع وجود الأوهام ، ولا توجد دون المقام . الوحدة به والكثرة له والأسماء تنصرف إلى الواجب ، وتجميع معلوم الجمع الواحد فى الشاهد والغائب .

الكنهية بالنسبة إلى الوحدة تشير إلى جمع الأسماء والمسميات لديه وتصرف الإحاطة إليه . وقوله تعالى : « هو الأول والآخر والظاهر والباطن » جمع الوجود بأسره وأتقنه لنفسه وهو الموجود والوجود والنشر والجر والشاهد والغائب والمشهود . قوله : « وما ريت إذ رميت » الآية دلت على ظهور المقام الجامع بمعلوم المقامات المصروفة إلى الوحدة المنسوبة له ، وهو الموجود والعالم والعلم والحاد والمصود .

وقد أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإثبات والتنزيه والجمع والتوحيد وسكونه إليه بقوله [ ١٦٠ ] « لأحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » . الجمع لا يحجب الأوقات والمواقف والمواقف ، ولا تستر المرسومات ، ولا تستقل دون المعلومات . الجمع الواحد لا ينبغي عن الظاهر فيعلم فيه ، ولا ينتقل في الباطن فيفقد منه . الجمع لا يخفى له الوارث ، ولا ينزل له إلا في الجمع . وجود بمجود بمعلوم الوصل ويجمع الترفع بالأصل ، وهو عهد المقام الذي يصرف النظر إلى وحدة الشهود في الشاهد ، وينسب الوحدة إلى الواحد .

الحق لا يصرف إلى الماضي والمستقبل فتطلبه المواقف بلواحق الحجب المرسومة ولا يتشوف إلى الوقوف في مواقف الحدود المألومة . الحق لا ينتقل إلى معلوم دون معلومه ، ولا يبصر في جمعه وتقريبه غير مقامه ، وما دون هذا التحقيق فهو وهم لا يجوز مع برهان التوحيد ، وتلبس لا يفرج عن منابه .

الإحاطة : هي التي تصرف بالتنزيه إلى الله . ولا يستدل عليها بدلالة مختلفة الحدود ، وهي حضرة الجمع الواحد المتفقه من جميع جهاتها بإيقاع التحقيق بمعلوم الحق حق لحق ، والوهم معروف عنه ، والأول هو الآخر . تجد الوحدة التي لا تضاف إلى غيره ولا تعرف إلا له ولا تنصرف إلى الأبد دون الأزل ، ولا إلى الأزل دون الأبد . الحق بالحق لا ينسحب عن الحق ، ولا يحكم إلا به ، وله ، وهو الذي يصرف الحق إلى آتية الحق ، وينسب وحدة الذات إلى التنزيه من كل الجهات . ولهذا المقام أشار الحق بقوله : « كان الله ولا شيء معه ، وهو الآن على ما عليه كان » .

الله فقط ! هو الأول من حيث هو الآخر ، وهو الظاهر من حيث هو الباطن ، وهو بكل مدلول منها هو ذلك . ظهر التزييه ويطلق التشبيه ، لأن الجسم ما بين نهائيتين وعدمين ، لأنه هو الذى كان فى النظام القديم يشمل كلية الممكن تمام . تخرج من العدم والجواز إلى الوجود الشخص والنبوت . ويمكن منه وفيه أن يرجع على ما كان عليه ، فهو الذى لا يلزم من فرض وجوده وعدمه محال . وهو واقف من صفة نفسه على حاشيتى النقيض . والسلام على من اتبع الهدى !

الله فقط ! قدّر أن الوجود كله صورة واحدة محيطة بظاهرها وباطنها ، وأن باطن تلك الصورة يحيط بظاهرها ، وظاهرها مواز لباطنها ، وأن تلك الصورة المحيطة بالكل مشتملة على كل صورة ، ومحتوية عليها لا تشذ عنها صورة واحدة من صور الموجود ، لا ظاهرها ولا باطنها . وقدّر أن الوجود كله مشحون ضوئاً بمضاهى فى جوف بعض ، ومجاورة بعضاً ومباينة عن بعض ، ومنها ما يكون بعضه فى جوف بعض صورة أو صور ، وبعضه محتويّاً على صورة أو صور ، وكذلك المجاورة والتباعد . وقدّر أن فى مركز ظاهر الوجود نقطة صورتها صورة المحيط ، ونبتها إلى كل نقطة من الوجود نسبة واحدة ، فهى بمقابلتها كل نقطة بناتها ومحاذاتها لها مشكلة بشكلاها ، وتلك النقطة أيضاً مشكلة بشكلاها هى لكن من حيث الوجه الذى [ ١٦١ ] يلها منها فقط لا من كل وجه لهذه النقطة ، فإن هذه النقطة مقابلة بناتها لكل نقطة وليس كذلك سائر النقاط ، لأن كل واحدة منها لا تقابل بناتها سوى هذه النقطة التى فى عين الوسط . وإن حاذت غيرها فبوساطة هذه النقطة التى لها محاذات جميع النقاط بناتها . وقدّر أن الصورة المحيطة بجميع الصور لها سم من حيث هى صورة فى متصور قائم بذاته وهى غير قائمة ، والمتصور من حيث هو موصوف بها اسم ، ولما ارتبطا ارتباطاً لا يصح انفكاكهما أبداً دخلت العمرة فى الحجب إلى يوم القيامة . لم يصح الإخبار عن مطلق الصورة إلا ومطلق المتصور مصحبتها ، ولا عن محيط المتصور إلا والصورة مصحبتها . فالمتصور بالصورة يسى بظاهر الصورة ظاهراً وباطناً ، ويحكم عليه بكل حكم قبلته الصورة من إطلاق وحصر وغيبة وحضور وأحدية وكثرة وجمع وتفرقة وسداجة ولون وحركة وسكون إلى ما لا ينضب كثرة من الأسماء والعصمات . فالصورة من حيث هى جميع التمددات والتقلّبات والتحولات والنامل ، والمتصور من حيث هو لا من ( ٢ - ١٦ رسائل ابن سينا )

جهتها ألا وصف ولا نعت ولا اسم ولا رسم ولا حد . وإن كان له شيء من ذلك كله ولكن فبأول مرتبة مصرية إطلاقية ، فله الإطلاق والأحادية والجمع والسداجة والسكون والثبوت وشبه ذلك . وللصورة لا من حيث هي لكن من حيث يفسد قيامها به نقائص هذه ، ولا حديث عنها ولا عنه إلا يقيد ارتباط بعضها ببعض ولو في أول مرتبة من مراتب الارتباط نقائص تلك ، وهي الحفرة والكثرة والتفرقة والألوان والحركات والانتقالات لكن لا يقع الحديث أبداً إلاّ عنهما معاً وإن كان الكثرة والتمدد وأخواتها . فتأمل كل كلام منطوق به : فأى القسمين غلب عليه فالحكم به ؟ فإن كان الكثرة والتمدد وأخواتها فاعلم أن الخطاب به هو الصورة والخلق ولتصورها وصفاً ، وإن غلبت الوحدة وأخواتها فالخطاب بذلك التصور والحق . فإذا رأيت التمدد والتنقل والحركة والولادة فذلك للصورة والخلق ، وإذا رأيت الوحدة والثبوت ولم يلد ولم يولد فذلك لحق القاسم على كل نفس بما كسبت . فكل شيء هالك للصورة والخلق إلا وجهه ، لأن الأراضى وهى الصور لا تبقى زمانين أصلاً ، بل تتبدل فى كل نفس إما بمثل أو ضد أو خلاف ، لأنها لذاتها فانية . وإنما المسمى بقاء يفاير توارد الأمثال فى كل نفس ، فيظن أن الثانى عين الأول وليس كذلك ولا ينبغى ذلك ، لأن القاسم به كل يوم هو فى شان . يريد تعالى كل نفس فيرد المثل بعد المثل ، ولا يشعر بذلك المحسوس ، فيظن أن ذلك الأول باق . وهيهات إلا بقاء إلا لله وحده ، والفناء لكل ما سواه بالثبات فى كل نفس ، والصورة الجزئية تبقى بتوالى الأمثال ، وليست أمثالاً تماماً فإن مثل الشيء على تمام نفسه فقط . فلو لم يكن بين الأول والثانى من التفاير إلا أن زمانيهما متفايران لكنى ، فكيف وشمّ تفاير يظهر أثره على [ ١٦٢ ] التراخى : كالانتقال من طفولة إلى شبوبة إلى كهولة إلى شيخ ، من بلح إلى رطب إلى تمر . وأما مطلق الصورة فيقالها بعد انقلاؤها من صورة ما سواه كانت أمثالا لها أو متضادات أو متفايرات . المقصود عمران مطلق الصورة الوجودية صوراً . فالوجود واحد هو القاسم بجميع الصور ، عين انطالى عنها على التعاقب ، والصورة هى المالكة دواماً المتعاقبة دواماً كائنةً بآئنة ، شاهدة غائبة ، قديمة حديثة ، موجودة معدومة وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

الله فقط ! أشهدت الماهية المنسوبة القائمة بالماهية الأصلية القائمة على كل نفس بما كتبت منها أنها لها من صفة وجودها حال وجودها وإيجادها ، وأنها مقيدة بها ، وذلك صورة لها . وتلك لا يانها منها إلا ما يلزم من المقوم والنتم والمخصص فقط . وزعمت أن الماهية المطلقة الوجود واحدة من كل الجهات ، والمقيدة واحدة من جهة معقولها الكلى ، وتقال على كثيرين بالنظر إلى مشار مشار ومعلوم معلوم . ثم قالت النسبة القائمة المحاطة من المطلقة للعقيدة إن كانت وجودية فهي هي ، وإن كانت غير ذلك فلم تظهر العقيدة من حيث ظهرت ، بل الظاهرة المطلقة وظهرها لها . وهذا فيه بحث وليس بالقليل . وإن كانت وهمية قريبة من الوجود وبعيدة من المدم فيكون من قبيل الشيء الذى تنصرف لوازمه إلى ذاته وتعود إلى ماهيتها بالمرضى وتباعد عنه بلوهم في المعلوم المفارق وفى المدرك بالطول والعمق والعرض . وإن كانت واحدة من حيث الماهية ، أعنى أنها لا يمكن فيها بمسماى ماهية إلا أن تكون فى الوجود وحدها فهي الوجود خاصة ، لأنه لو كان للوجود ماهية غيرها لكان يلزم أن يقال للوجود ماهية وماهية بما هو موجود ، أو ماهية لا كلامية ، أو ماهية الماهية ، وهذا فيه ما فيه . أو يقال بإزاء المدم ، أو بالمعنى الذى لا يقال فيه إنه لا من قبيل المدموم ولا من قبيل الموجود ، أو يقال بإزاء الموجود بالوجه الذى لا يقال فيه عرض له الشيء أو عرض فى الشيء وما أشبه ذلك ، أو يتوهم أنها ثابتة فى المكان المقدّر الذى منه فى الزمن معنى ما يعرض له الوجود ، فيعود بذلك المعارض موجوداً إما يشار إليه ويؤمل عليه ، ويتطرق إليه الوم ، ويدل عليه الدليل ، أو يقال إنها أعم من الوجود أو الوجود أعم منها . وهذا كله لا يصح ، إذ الحق لا يكون إلا المعلوم الشاهد لنفسه المتفق من جميع جهاته ، وهى به ماهية . ففيه وبه أدركت ، وهو أظهر لاحق لاسبتها . وهذا كله عسير التحصيل من جهة العبارة ، ويحوم عليه ضمير العبد بحركة الإشارة المستلزمة لقوة صدقه بوجه ما لطيف .

وهذا كلام لا يسفى فيه الكلام ، ويسفى فيه الرمز والإيهام . وهو إن كنت أنت بما نهجت فقط فأنت خبرك فقط ، لأنك أنت أنت بذلك ، فأنت خبرك بحسب هذا القياس [ ١٦٣ ] وحكمة هذا القيلس . وإن كنت خبرك فأنت أنت لكنك غير خبرك ، فافهم وافعل بفهمه وبمنه لكتبتك خبرك فكذلك ، لكنك ذلك كله ، وذلك التبديل ، لكنك البعد الداعى ، والقرب السامى ، والقصد الراعى ، والوم التباهى ، والعلم الباعى ، وهو الغبير وهو البصير ، وهو القليل

وهو الكثير ، وهو أن لا وما يجب بعدها وهو أن لا وما يلزم عندها ، وهو أن والتالى ، وعن  
والعالى ، وهو الشامل المنحلة ، وهو الخط والخط ، وهو الشكل والخط والنقطة . وهذا كله  
توحيد التفصيل لا توحيد التحصيل .

وسميت الماهية القياسية لإشهادها بلسان صاحب عالمها لا بلسان حاطها ثم بهما أو بما أو هما أو بما أيهما  
فأشبهتها وشهدتها بأنها الشاهد والمشهود منها ، ثم تفقدت الأمر في الجميع ووجدت الشهود عندها  
وما شهد وأنجز بها عليها عندها ، والشهادة الوهمية جعلت ما قبلها وما بعدها ، والحقيقة شهدت  
برفع القبل والبعد والقرب والبعد ، فشهدت بضد تلك الشهادة أن لا شهادة ، ورزقت الشهادة  
برفع الشهادة ، وماتت بمعنى استحققت على هذه الشهادة ، وقالت لا يصح وهم الشاهد مع الغائب الشاهد .  
ولا يثبت أكثر من واحد صح يرفع الواحد ، ثم جمعت أوهاهما وفصلت إيهامها وإيهامها ، وتذكرت  
ما رتبته في هذا المقعد والخطبة ، وما بحث فيه ، ثم فكرت في الذي حملته بإزاء ذلك وهو  
من وراء ذلك لا من قبيل ذلك ، ثم وجدت الحق وأشهدت بالحق الحق وقالت : الوجود هو  
الحق ، وهو يقول الحق وحده ، وما سوى الحق باطل . ولا يقول هذا القول ويكون هذا الحق  
إلا واحداً ، ولا تكون وحدة هذا الواحد من قبيل الوحدات المذكورة في الصنائع ولا الوجودات  
في الضمائر والطبائع ، بل هي وحدة بعد مفهوم الوحدة ، وهي تقوم القليل والكثير في معناه بما  
هي ماهية في ذلك ، لأنها ذلك . هذا بالقضاء الوهمي عليها ، وبالتوسط الشاكر . فهي وحدة  
بستدعية للنوات ، وتلك الذوات ذات ، وتلك الذات تلك ، ثم وجدت ما تقول وما تعلم  
وما تفعل من صفة نفسها وضد ذلك كذلك ، وصفة النفس نفسها ثم وجدت تمزيق صحيفة الصواب  
والخطأ ، وعانيت في العلم عين الخطأ ، وعلمت كيف اختلفت بذلك الخطأ .  
وقالت تمزيق الحجة هو السلوك على الهبة ، وجاء علم بنير علم ، ومعلوم قبل عالم . وكان  
الوجود الجامع المانع قد عجز أن يشهد عليها ، وكان الصكائب المذكور قد عزم على أن يستقل  
بغيره إليه ويحكم بقتضاه عليه . فلما سمع منها هذا منع الحكم والشهادة ، وأبكر الأصل والزيادة ،  
وجعل الضرر والسعادة ، والحق لا يمكنه إلا الحق ، فقال الحق لأنه الحق . فالوحدة قبض ،  
والكثرة تبسط ، والحق بعد خلف وراء ذلك كله .

إيه هذه الماهية قد هلكيت أو كليت ، وتوحدت أو كانت ، وقد ظهرت ولم تزل . وهذا

الحق جدي بما يجب له ، وهو كما يجب له ، [ ١٦٤ ] وعلى ما يجب له . وكلامنا هنا عتب الاستحقاق لا بعد الاستفراق ، وفيه تسامح وتجاوز ، وتقدير وتأخير ، ومقتل ومجل ، وخصص ومهمل ، وفيه أيضاً أسباب الأحوال الصالحة والتاجر الرابحة والأخبار الراجحة والتدابير الناجحة ، وبالجملة هي مغناطيس النبىء ، ونتيجة دعوته ، وقطيفة الطالب ، وطبيعة غبطته . من تعلم ما ذكر حسبنا ذكر في هذه الحجة القائمة على أهل المحبة والحجة يكتب شهادته ولا يكتبها ويستدعى سعادته ويحكمها ، ويزيل ما يريد منها ، ويستثنى ما شاء ، ويستعذر مما شاء ، فله ذلك وأنصرف بمحصله عنها ، ويضمن مفهوم نصيبه منها . وهذه الشهادة يظهر المصيب والمخطئ ، ويتميز المطلق من المعطي . شهد ذلك تلك ذلك أنا ومفهومه إن كان لا إلا أنا فلا إلا هو ، وإن كان لا إلا هو فلا إلا أنا ، وإن كان لا أنا إلا بما أنا فهو المستقل قطع ، وهو هو ، وهو الواحد . وإن كان أنا بمعنى أنه هو أنا في وقت ما وفي حل ما وباصطلاح ما فأنا المستثنى ، ولكنه بوجه ما ، وبهذا الرأي فهو أنا بوجه ما ، وبهذا الرأي فهو أنا بوجه أكل ، وأنا هو بوجه أقص . وإن كان الأمر في أنا وهو هو سبب نيل معلوم ما يمكن به أن يفصل الحق ويقطع سبب التلويح ويوصل جبل اليقين فأنا القابل ، وهو العارض ، وأنا العارض ، وهو القابل ، وهو الأول ، وأنا الأول ، وهو الآخر ، وأنا الآخر ، وهو الظاهر وأنا الظاهر ، وهو الباطن ، وأنا الباطن ، وهو باطن الباطن ، وهكذا . وأنا المرتبة المفردة ، والمضافات المنددة ، والأكوان المبددة ، وهو الواحد في كل واحد من ذلك بما هو ذلك . فأنا هن ، وبعد ، وهو هو . فهو الأول والآخر ، والظاهر والباطن بوجه أكل . وجلة الأمر إما متابعة تكشف العين بالعين ، أو دائرة تدور على تقطة العين ، أو صدق سكونة أو قسط مقاومة أو حفظ مشاحمة . وإن كانت البدئية تقوم بمجهة وجهة ، فالتنديسات بعد . وإن كانت البدئية من جهة فقط بمجهة فقط فالفترة هناك . وإن ثلاثت في الوحدة المذكورة بالواحد المذكور الكمال مرسل . يا هنا ! اضطر في الحال في هذا الموضوع إلى النطق بكلمة هو قائلاً : أنا العلم بخفيات الصدور ، أنا الذي يجيب المضطر إذا دعاه ، ويثيب على كلهم فنشأت المصدور . والذي حملني على ذلك متابعة الفكر في حال المنظور فيه ، وفي الوهم الذي هم الناس فيه . فسبحان العسير اليسير ! فليكن بالقسط والصدور ، والنكت والصدور ، ثم المضار والمجائب ، ثم الأخبار والفرائب . ومع هذا أنا وحقه عبده بمبودية ، بل بمبودية تتمثل بأواصر قسط ماهيتها بالأمر الذي يجمع على أمور وفي نفس أجمع على أو أمانرهم

العارض وتضحك ممن يجد الوجود العارض ، وشعورها به يفتيا فيه بالذي يفتيا عنه ، وبذلك يفتيا عن التعريف ، وبعضها من التحريف والتوقيف وذلك في ثانية القصد من دقيقة الوجد [١٦٥] من درجة السعد في ساعة الحمد في أول يوم الحمد من جمعة الفرد ، في شهر الصديق ، سنة الرزق ، في قرن المقارنة في تاريخ الموازنة ، بل في ثانية سلب الزمان ودقيقة حنف المكان ، من درجة عين العيان ، في ساعة لا يسع فيها إلا واحد ذلك مع ذلك برفع ضد ذلك ، في يوم كان مقداره الأزل ، وقدره الحضور مع من لم يزل ، مما لا يمدون ، ولا مثله يستمدون بل يصمدون ويستبدون ، من جمعة إبطال العدد ، في شهر رفع الأبد ، سنة إهمال الأمد ، في قرن قرة عين الخلد ، في تاريخ تبعية مظهر هذا المدد ، الخطاب بقوله « لا أقسم بهذا البلد ، وأنت حل بهذا البلد »<sup>(١)</sup> في ثانية دقيقة درجة ساعة يوم الجمعة شهر سنة تاريخ هجرة سيد الواصلين ورئيسهم وأسوتهم وشفيع مرءوسهم . فن عنده شهادة يرد بها له لبه ، « ومن يكتسبها فإنه آثم قلبه »<sup>(٢)</sup> ، ولا يكتب بمقتضى ما يسمع ، بل بما يتصور ويحمد ويشعر ويشهد بالغبر والاسم لا بالضمير والرسم ، وقد أرشد إليها ويرجى له إذا أداها أن يموت عليها .

قال ذلك وكتبه واعتقده وحض عليه وأرشد إليه عبد الحق ، تصحيفه بالصدق الذي يشهر بأبن سبمين — قنين . وسماه والده «محمدًا» بالاسم العادي ، ومضى هو نفسه بـ « الآخر الأول » لأجل نصيبه من الآخر الأول .

إيه الله قطع لا شك في ذلك .

والحمد لله وحده

(١) سورة البند آيات ١ - ٢ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٨٣ .



## ملاحظات على بدّ العارف

كتبها ابن سبعين <

[تابع ٢٠٩] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم كثيراً .

كل مكتوب مكنون في كتاب «بدّ العارف» يَمَجِّزُ عن فَكِّه العليمُ بِفكِّه الُمَمَى - أَفَكُّه  
لك يا من حرَّكَ لكتب «بدّ العارف» حتى يقع الاسم على المسمَّى ، ويشهد شاهد الأشياء ومُنْزَل  
السُّور ومُشْفِع الأَحْشَاء ومُنْثِقُ الصُّور - - فنلك إذا أنت استقمت على طريقة السَّلَف وانجرت  
في أسواق المعارف بما لك لا بالسَّلَف ، وخلصت نفسك من شرك العاجل ، وقوت نفسك في طلب  
الأجل ، وأسغت باحث بشير المخبر البشير في مطالبه ، وشغقت وارث شفيع الحشر في مآربه ،  
ودُقَّت بلسان حالك الثاني من طيبات ملك هويتك ، وجُلَّتْ يا ناسن بالاك الباقي من منغيات  
كُفِّه آيتك ، وتصرفت في الكون بالقبرة المقيمة ، وتمحركت بالهوى والهمة الموقية ، ودخلت  
على باب اللجنة المعجلة ، ورحلت لبواب اللجنة الموجلة ، وينطقك خبرك المنبعث بفرعه وأصله ،  
ويضحك شركك المكترث بذوه رفعله ، وتسمع في شرك بأذن هلك . المرء يُجْزَى بعمله إنْ  
خيراً فخيراً ، وإن شراً فشرّاً . وتحقق شروط الكمال وتشهدا قبل الشهادة الخاصة شهادة الشيع  
الكاشف ، وتخلص نفسك المنسوبة لك خلاص المخلص المكاشف ، ويضمحل شخص شهرتك  
ويتلف ، وينمو حرم من همتك ويخلف ، ويفاض عليك البشر حتى تكاد تشير بمملوه حركات  
بشاشتك ، وينشدك البشير أنا البشير رسول حشاشتك . وشأنك لا تفشاه شُهْبَةٌ ولا تشاه ، وحاشاه  
حاشاه حاشاه . ولعلك تقول : يا هذا ! أنا وإن لم نحصل الشروط كلها قدور على بعضها ، وأنت قد  
ارتفعت وزعت أُنْكَ تفيد شروح ما زعمت وأشهدت الأول الحق بدّ الكل وبدّ العارف والعرف

والمعرفة بذلك على نفسك بذلك ، والأعجم كما تعلم [ ٢١٠ ] غلام ، وأنت أمين الله على نفسك إن كان تعلم أنى عديتها الآن كلها أو بعضها . فإن كان عديتها كلها فينحل ارتباط شرطى مع مشروطه على الإطلاق ، وإن كان عديتها منها بعضها فقط كأنصفي والزم نفسك ما يلزمها ، وقابل البعض بالبعض ، ونزل المثل على المثل وأعطى بقدر الدقة ، فإن حبيل الإنصاف عند الحكماء لا يبان ، وبالجملة كما تدبر تدار .

فإن قلت ذلك كما بلغنى أنك قلته نرسلك فى الحبى بالجواب ، ونجيبك بالسلب لا بالإيجاب ، ونكتب كواكب الإسعاف فى فك الكتاب . وإن أنصفت وسلمت ، يصلك الشرح قبل أن تبحث عن شأنه ، ويرد عليك مقصودك فى الحبى قبل أوانه ، مثل أوله الذى كان مكنوناً فى مكانه . والشروط التى ارتهنت فيها أول السكتب كان القصد بها أن تكون محصلة على أكل ما يكون . وهذه وإن كانت حجة جدلية فىى بحسب معاملة أهل زماننا حكمة سالحة ، وتجارة رابحة . فوَقَّحْ شديد البطش الشاىخ العرش ما بمنعنى من بثِّ الأسرار إلاَّ قلب نفوس الأشرار ، وسوء تصور أحلام الأخيار الأحرار والأبرار . ولو أنصفتى المشار إليه - بتدبير الرعية وبمعنى مع خصامى فى ملول كلاسى متى ما أشكل عليهم ، ويخص على الكلام الصناعى بمحض من يجب ، ويحكم بالحق على المخاطب والمخاطب - لأصحت الطلبة من المعافى المحببة والعلوم القريبة والحقائق المكنونة وغير المكنونة ، والفوائد الخزونة المصونة ما يعجز عن تفهم مفهومه لبُّ الحكيم التحرير ويمنُّ إلى ملوله قلبُ الخسيس الشرير . ولولا العهد الذى تتخذه هم النفوس السنية وتبشئ به على الطريقة السنية كنت نظهر خاتم التصريف الأول الذى إذا جعله الكاتب فى يد عزمه ، ويظهر فيه بوجهه وحزمه ، ويقول ثالثة ثم يضر ثانية ، ويقول واحدة ثم يضر ثالثة ، ويقول رابعة ثم يضر خامسة حتى يسقط له فى خالده الشرح ، ويهجن له فى سرِّه الفتح ، ويقرأ سورته تلك على نفسه ، ويُنصّر مع ذلك صورة تمثيلة التزوعية مُحَبَّبةً أنسه ، ويكتب عند ذلك ما شاء من نظم ونثر ، ويأتى بالأمور المحببة فى كل ما ينتحله ، ويشهد له جميع الحكماء أنه يمين البراعة ولسان البلاغة ؛ ويسلم له فى أدبه الأدباء ، وينبطله فى خطابه الخطباء ، ويصبح عند الكل منهم أن أصول ألفاظه عُذَّتْ بلبن اليهْيَانِ وأنها من غير شك ولا ريب أسُّ فصاحة قسٍّ وسحبان . وإذا نظر الناظر

في طرعه يصير فيه وبه ما شاء ، فإنه مرآة الحكم والأدب ، ومشكلة الأمل [ ٢١١ ] والأدب .  
ويحق أن يقال له : يَا أَبَا الْخَطِيبِ كَلَامُكَ إِشَادَةٌ يَهْدِي الشَّابَّ وَالنَّاشِئَ ، وَقَوْلُكَ يَفُوقُ الْغُزَلَ  
كَلَامُهُ إِلَّا الْمَفْصَلَ بِالْبَرْهَانِ وَالسَّجَاعِ الْفَالِئِ وَيَتَشَد :

تَعَالَى أَعْظَمُ لَا مَا يُبْزَرُ النِّكَرُ أَمَا التَّوْفِيقُ قَدْ سَابَقَكَ وَالْعَقَرُ

وبالجملة اخوانهم أهل الحق لا يقف لها إلا الجبال العنقى أو الشرعى أو العهد المذكور قبل ؛ وينتج  
نتيجة الأسماء العامة ، فإن لكل اسم مرتبة خاتم ، ولكل خاتم كلمة ، ولكل كلمة مشار ، ولكل  
مشار ما سر ، ولكل سر قصد ، ولكل قصد أمل ، ولكل أمل وقفة ، ولكل وقفة إذن ،  
ولكل إذن استدعاء ، ولكل استدعاء تكليف ، ولكل تكليف تعليم ، ولكل تعليم شك ،  
ولكل شك تقيبه ، ولكل تقيبه بيان ، ولكل بيان تبين ، ولكل تبين قرار ، ولكل قرار تقرير ،  
ولكل تقرير تقدير ، ولكل تقدير مشاهدة ، ولكل مشاهدة تصرف ، ولكل تصرف حد ،  
ولكل حد تعجيز ، ولكل تعجيز فتح ، ولكل فتح خطاب مدلول ، ولكل خطاب مدلول حكم ،  
ولكل حكم سفر ، ولكل سفر شأن ، ولكل شأن حجة ، ولكل وحدة وسيلة ، ولكل  
وسيلة دعوة ، ولكل دعوة توجه ، ولكل توجه صنائع ، ولكل الصنائع صورة ، ولكل صورة  
سورة ، ولكل سورة قيامة صفرى ، ولكل قيامة صفرى انفصال ، ولكل انفصال تبدل ،  
ولكل تبدل تعديد ، ولكل تعديد اجتماع ، ولكل اجتماع قيامة مخرصة غير القيامة المخروقة ،  
ولكل قيامة مخرصة شروط من التي تقدمت ، ولكل شرط من التي تقدمت سفر ثانية ، ولكل  
سفر ثانية ثلاثة ، ولكل ثلاثة رابعة ، ولكل رابعة خامسة ، ولكل خامسة سادسة ، ولكل  
سادسة سابعة ، ولكل سابعة جنة ، ولكل جنة ماهية ممتدة مع عرضها وسنة منسطة عن فرضها ،  
ولكل ممتدة بحسب الطول والعرض والعمق جهنم نازلة آخر الواحق وأول الظل ووسط الليل ،  
ولكل ذلك خطوط مشبهة ونقط مركبة وأشياء بعد هذه سبعة لا نذكرها لشدة ظهورها ولكونها  
ممنوعة ومخوفة . ولجميع ما بعض الصنائع المذكورة قبل حضرة وسريرة وحجة رفيعة وأشياء  
ثلاثة مخزونة ، ووسيلتها ومفتاحها في المنوطات ، وبوابها في عالم الصديق ، والإذن في الاسم الأعظم ،  
والتنفيذ بيد المسمى الأكبر عز وجل ، والشفعين ، ووجود كل رتبة تقدمت أو تأخرت لمن تبصره

صلى الله عليه وسلم . فسبحان الذى يدبر الأشياء ويدبرها بالتقديم والتأخير والجبر والناسى والاستطاعة العرضية ، ويبدع ملكوت كل شيء ، وإليه ترجعون . ومع هذا من ذا الذى يفهم تدبيره إلا إذا ألهبه الملمم ؟ فانظر لنفسك يا غافلاً عن شأنه ، وتدبر بذك يدك فى بذك الذى [ ٢١٢ ] بيدك واحفظه ، فانه تاسع كتاب وقع فى العالم ، وإن كان لم تنبسط بتأليفه ولا أودعته من الأسرار إلا القليل ولا تتخلق بأخلق الذى يذم مؤلفه ويتبع سواه ، وهو مع ذلك كله يقول إنه يهواه .

وقد خرج بنا الكلام إلى غير الذى قصدناه ، فترجع فنقول : ليس لك من الأمر شيء ، وليس لك على ما تطلبنى به ، وليس على هداك ولكن الله يهدى من يشاء ، وليس لنا من الأمر إلا مرتبة العبودية خاصة ، ولكن تتكلم معك بقدر الاستطاعة ، وسأل الله البراءة من التباعة ، وخير الأعمال ما قصد به وجه الله تعالى خاصة فإن الإخلاص أصل النجاة ، وعمدة الرفعة والجاه . قال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى : إني لأقبل حملاً أشركمى فيه غيرى ، وأنا أغنى الأغنياء عن الشريك . فخذ نفسك بتحصيل ما ترسمه لك ، وأظهره على عوالمك كلها وتكون من السعداء وتظفر بالرشاد المحض إن شاء الله تعالى . ومضى ما يقدر فى قلبك بارق خيرٍ قرره وخلصه من شوائب الرياء ، وعجل بتحصيله ولا تتشبه بالذى تخلف عما نواه ، وسوقه ونهيه يوقت لعله لا يراه ، وبادر إلى كسبه ففسى يثبت الإخلاص فى أثناءه ، ويحصل الثواب عليه إلى حين إبدائه ، واصمد بتركيب التحقيق ، واعلم أن ما من عليم إلا وفوقه عليم ، وما من حكيم إلا وفوقه حكيم ، وفوق الكل الحكيم العليم ، والعلماء يتفاوتون فى السعادة والسمود : فمن موفٍ ومن مقصر ، ومن طشٍ ومن مبصر . وهأنا أبعدك آموجاً تنتفع به بحول الله تعالى . فإذا استوفيت شروطك كلها يتبين لك جميع ما فى الكتاب المذكور من الألفاظ الوحشية واللغات الفارسية والحبشية ، ونفس لك مجمل ونخصص ، سله ، ونظير الغائب المحبوب بنصه ، ونجمع الغلام المنسوب مع فسه .

### فصل

يا هذا ! كتاب « يد العارف » جمعت من مناهب المراتب الخمس المذكورة فيه ، وتكملت عليها من نفسى . وأنت تعلم أنى لم أمتحنه ولا بيضته ، فأنت كنت تضبط الأصل عندك ، وتدفع

المواقف خاصة . وفي كرم علمك أن الكلام المتقدم يستعان به في التأليف على الكلام المتأخر . وأمليتك لك من صدرى كما جرت عادتي كلها ، وكان المرء من الشبيبة ، والآن هو آخرها أو قريب من آخره . وكان الخاطر مختلف الأختار فاقبل العذرى ذلك أنت ومن يبصره . وقد عرفتُك مشافهة أن المحقق يضبط أشكال حروفه بنوع آخر بحكم ما في وقت ما لفرض ما لا يعرفها إلا هو أو من يخصه بخلاف ما هم الناس عليه ، ونهيتك على ذلك . وصناعة هذا الكتاب صعبة ، فإن الكلام يسور فيه ويتداخل والمقرب يكلم كل مرتبة من نوعها ، ثم من قوته فيها ، ثم يتكلم بحاله وشأنه ، وكلامه الغلص به لم يكمل ولا يجل أن أكمله لعدم إنصافكم [ ٢١٣ ] وقلة قبولكم حتى تصلح النسب ويدنو السبب .

### فصل

يا هذا اكل ما تقدم فيه — أحنى في « بد العارف » — هو المتأخر ، وكل ما تأخر هو المتقدم ، وكل ما يختلف فيه يتفق إذا كدر ، وكل ما يتفق يختلف إذا صُرف .

### فصل

يا هذا ! جميع كتابي « بد العارف » من السفر مائة مسألة ، ومن المنوطات ثلاثة ، ومن فوقها مسألة ، ومن الحبل مسألة من كل مرتبة . ولم تثبت فيه من الصنائع المذكورة شيئاً غير المسائل المحلولة . فاجدنت فيه من كلام موجه محتمل الملول يشترك مع الصم في الصنائع ويخالفهم في المحصول — اعلم أنه من التعليم . وما وجدت فيه من كلام يخص المشكك من ذاته ويخص على رجوعه على جوهره ولا يثبت وينيد لغيره — فهو التنبيه . وما وجدت فيه من حق ظاهر في قوة الصنائع ، وباطن في الحروف وفيك قوته قبل خبره — هو التقرير . وما وجدت فيه من كلام يجرد القوى وينيد التعريف فهو للسيما . وما وجدت فيه من الأحكام فهو للقراسة . وما وجدت فيه من البيان الساطع فهو للذهل . وما وجدت فيه من الإحاطة والحصر والامتداد فهو للمهل . وما وجدت فيه من الكشف والتعريف والتحكم فهو للمحكم والنظ المضافة للسفر الفارسية وغير المضافة للعربية والحروف التي تحتها للمنوطات ؛ وأطلبها في كل مسألة منه ، فإنها مقومة لها ؛

وما فوق المنوطات في نفس المنوطات تُجده فإنها مقدمة نتیجتها . وما فوق ذلك لم نذكره ولا يحل لنا أن نبته إلا بأمر الله . وهذه سُنَّةٌ قديمة . والمحقق في الأمور التي فوق المنوطات يخبر في أمور كلها إلا المحبوب عنده ، فإنه يسأل فيه . وما أقل وجود محبوب المحقق على أتم ما يمكن ويجعل وكثير ما يحف ويقول إنه يجب ، وهو يريد بذلك الحب المضاف الذي يشرحه العرف الفاشي .

### فصل

يا هذا ! الحروف التي في « بُدِّ العارف » وتركيبها والكلام بها المراد بها أنت ولواحقك والعالم : فإن تجعل ضميرك كالجنس ، وشأنك كالنوع ، وأمالك كالشخص ، وأن تأخذ من الفقيه المحافظة وملول صنعتها فيها ، ومن الأشعري السياسة بك في منعبه ، لا به ، والمصانعة والاحتياط على صنائعك ، ومن الفيلسوف الصناعة الرئيسية والحكمة التي تفيد معرفة الأشياء حسب ما تعطيه وتقتضيه طبيعة البرهان ، ومن الصوفي مكلام الأخلاق والتجرد المحض عنك حتى تجتهد وتظفر بك ، ومن المرقب ماهية كلامك الأول والثاني — فإن الفقيه يقول الحق ولا يعلم مدلوله ، والأشعري يتعرض لحقائق الأمور ويقول الباطل في منعبه ومنتهب غيره وإن علم بعض الملول من أجله فإنه لا يعلم الأمر بكلامه ، والفيلسوف يقول الحق ويعلمه بالإنسان في الإنسان خاصة ويجعل غير ذلك . والكلام المحض إنما هو في الذي جهل ، [ ٢١٤ ] والصوفي يقول ما يفلب عليه ويعلم ما يجسده إخلاصه إليه فإن نطق نطق بحق ، وإن علم علم محض الحق ، وأكثر علومه من غير الإنسان ، والذي للإنسان فيها هو الموضوع الذي توجد به وخنة الإنسان الذي يقبل المذاهب كذلك ، والمرقب عَيْنُ الظاهر وأُسُ الثمر وكل الكون ومالك كل كون .

### فصل

يا هذا ! الحروف المفرقة غير المتحابية التي في « بُدِّ العارف » فيها وبما قبلها وبما بعدها وإضافة الجميع للحروف المركبة المذكورة معرفة الله على التمام . ومن الحروف المتحابية ووسائلها التي في نفس الكتاب مع المسائل المفروضة هناك رؤية الله في الجلال المحمول على الأحوال ، وبالمتحابية المخدملة التي تتألف بالصور ، ويمثلها رؤية الله في الكون كله ، وبالمتحابية المذكورة الشاملة عقيب الأدلة والمراجعة رؤية الله في النوم ، وبعض مسائل المنوطات ،

وبالمسئلة التي فوقها رؤية الله المجردة الصحيحة التي يشير إليها العليم وفيها قيل : « ولكن ليعين لطيف » .  
 « معني له سأل المعانيه الكليم » . فانظر إن كان يقدر تنفيذ الحق على خدمته أو على مجاراته أبداً .  
 ولا تفهم من هذه الرؤية ما يفهمه الفقهاء والأشعرية فتفلسف فتكون من الخاسرين . وإنما هي راتب  
 « مقولة يلحقها الذهن كما يلحق الحس الصورة المحسوسة . وإن أخذت الحروف والأعداد ومسانها  
 المتقدمة والمتأخرة وتركيب الحروف والكلام بها والجد الأول والمطالب وما قيل في العلم ، ثم تصريف  
 الأعداد وتفتيف إليها عدد الحروف الكلي المقدر في أشخاصها وعددها الجزئي الظاهر في صورها  
 تعلم النبي والصديق وتبصر الملك على صورة دحية<sup>(١)</sup> وتعلم نفسك وتجد الأدب مع الله تعالى  
 ورسوله ﷺ فافهم . وكل شيء نحمده يطلق على أكثر من واحد ويحصل أمرين فصاعداً اجعله في  
 دينك ، وبضده في آخرتك ، وفي نفس الكتاب مع الميل البسيط لأوله السيميا ، وفي أوله ثم في  
 حدوده وحده الكيمياء ، ومن الحروف التي تنفق مع ضروب الأشكال الثلاثة وتدوّن في السور  
 والكلام فيه كما يدور الحد الأوسط في الأشكال المذكورة إذا أخذت وصرفت بالقوة التي علمت  
 في « هذا المعارف » وترسل إلى الكون كله تسوقه قبل أن يرتد طرف العين . فإن ظفرت بها  
 فلا سبيل أن تفعله واحذر كل الحذر ، وعاهد ربك قبل نيل ذلك أو بعده على الخروج عنه ، واجمع  
 همتك في معرفته ومحبته . والحروف التي في أول سورة البقرة الوسط منها التي يشبه الحد الأوسط  
 في الشكل الأول اجمعه مع الثلاث سور المرسلة وادع به في المراتب العالجة . والأول منها اجمعه مع  
 السور الجامعة التي في أكثرها القصص وادع به في القضايا النازلة بك من الآخر منها ادمع به في  
 الجملة كذلك بعد توجيهك في [ ٢١٥ ] الكائنات المرموزة ، وأصلها في حد الإنسان ثابت .

وهذه السيمياء تنقسم إلى خمسة أقسام : الكاذبة منها التي يذكرها تسمية الجبريط صاحب  
 « رسائل إخوان الصفا »<sup>(٢)</sup> والمشكوك منها الذي يزعم ابن مسرة أنه وصله ، والصحيح منها الذي

( ١ ) أي دحية الكلي الذي كان جبريل يظهر للنبي على صورة .

( ٢ ) نثرها جميل سلبيا ضمن « مطبوعات الجمع العلمي العربي بدمشق » عن غخطوط الظاهرية  
 تصوف ١٥٩ وغيرها .

إذا وصف للفتية سماء كرامة . وإذا ذكر للحكيم سماء تعريضاً . وإذا ذكر للمقرب الحق سماء فنتة .  
ومن فهم قوانين هذا الكتاب وتصفح الحدود المذكورة فيه ، وعلم مقاصد المؤلف أدرك الفاتت  
وبلغ الدرجات الرفيعة .

## فصل

حكمة ونعمة وصناعة . يا هذا ! بالله عليك تدبّر هذه الكلمات ، واجعلها ، قاليد الثواني  
المذكورة في « بدّ المعارف » وقسّ بمقتضاها على كل حكاية ذكرت هناك . وأولها : من نظر إلى  
الحيوان الذي يتحرك حركة الحكيم انتفع به وما فوقه وما تحته وبألذي بين يديه . ومن تفكر في  
الماء الذي ينزل على المولدات ويستقر فيها وعليها ويصعد على محيطها ويرسب تحتها ويكون  
بصيراً بالأمور الطبيعية ومحصلاً لآل الطبيعية ينحقق عنده أن الماء حيث الماء ، والأرض حيث  
الأرض ، والهواء حيث الهواء ، والنار حيث النار ، وأحكام النفث والتركيب هو المعنى المفهوم  
والمتمم للعطوب والمقوم له . ولا حاجة للحكيم بغير حي فاعلم الحيوان أن يصبغ ، ويصبغ الشان  
كله . ومن رفع رأسه إلى الفلك وتزهر في شكله علم أن الشكل المستدير أجل الأشكال ، وهو  
مبدأ الكائنات الطبيعية .

== وأبو القاسم مسلمة بن أحمد الجريطي ، أسفه من مدريد ودرس في الشرق ، واشتغل في عهد  
الحكم الثاني ( ٢٥٠ - ٣٦٦ هـ / ٩٦١ - ٩٧٦ م ) بالرياضيات والفلك والكيمياء والسحر ، وله  
من الكتب : ( ١ ) « رتبة الحكيم » ( المخطوطات : باريس ٣ / ٢٦١٢ ، راقب باستانبول ٥ / ٩٦٣ ،  
نوري عثمانية باستانبول ٣٦٢٣ ، دار الكتب المصرية ، لفهرست القديم ٣٠ / ٣٨١ ، مكتبة الاسكندرية ،  
كيمياء ٦ ، رامفور ١ / ٦٨٦ ( ٧٦ ) .

( ٢ ) « غاية الحكيم » لصره . رتر في ليتسج سنة ١٩٣٣ .

( ٣ ) « الرسالة الجامعة ذات الفوائد النافعة » وهي « رسائل إخوان الصفا » المذكورة هنا .  
وتوفي سنة ٢٩٨ هـ .

راجع عنه : ابن القفطي ( نسخة لبرت ) ص ٣٢٦ ، ابن أبي أصيبعة ٢ ص ٣٩ ،



ومن اختبر فعل النار صحَّ عنه أنها تحيل بعض الأجسام إلى طبيعتها وتفرق الاتصال ، وتنقض المركبات في علم الكون بتقييد وتقية واصطلاح . ومن حق البرودة علم أنها جود أجزاء الهبولى ، والحرارة بضدها لأنها غليان أجزاء الهبولى ، واليبوسة تماسكها ، والرطوبة سيلاها . ومن أعاد وألح وكرّر تبدلت له الأعراض ، ومن جمع وفرّق بنسبة ، ووزن أموره بجميع أنواع السكم وأصناف الاعتدال نال المرغوب ، ومن ظهر تدبيره ذبّره هو في مماشه . والمرودة من الدين . والنفضلات المسكروحة قد يانفع بها وتكون من أنواع الخير التى يراه لنيره ولا يراد لنفسه . ومن وصل إلى الحق العرف قلّت وسائله وقربت مدته . ومن أضاف المناسب البعيد إلى الرئيس الظاهر استعان ببعض رئيسه على كل مرعوسه وعلى كل ما يناسبه وزاد له خير . ومن حفظ حكيمته حكم الخير والشر ، ومن أهلها فاته الخير وضرّ الشر . والأعمال بخيراتيها . والحافظ هو الله وحده . ومن صعب عليه نيل الحقيقة يجمع في مركبه الريح من المبدأ ، والتعسف من الثانى ، والريح من الثالث ، ثم يسمى الجميع ويقول الآخر من الأول والأول من الطبيعة ، وما بينهما منها ، وبالجملة : الأول يتفق مع الثانى والثالث فى الجنس ، ويختلف بهما بالنوع . والمطلوب [٢١٦] الأبيض يتخلص بثلاثة : الأصفر بأربعة ، والنار بالأصفر ، والأبيض لا نار فيه . وإذا رأيت ما يعيغ بكيفية ويتصل بالمنفعل له بواسطة ذهبية ويقاسك بكلمة فشُدَّ عليه يد جدك وجدك . والخير كله فى الحياة فإنها شرط فى صفات الكمال . فإذا ارتفعت ارتفع ما ذكرت . وبهذه هنا كله هذه السمكيات بالإضافة إلى الحكمة المتممة للسعادة والمقومة لما يهدى من الواجب المأمود ومن الجائز ، وهى عند بعض الناس السعداء من أحد خرافات المعاجز .

### فصل فى

نصيحة يا هذا ! كل رسالة نوجهها إليك تصفّحها فى كل يوم ، فإن الخير فيها بالذات وهو يزيد فى كل زمان ، فزد فيها واجملها فى جبينك المضاف إلى همة همّتك وعينك التى تبصر بها مدرك حكمتك ، والحقائق يجنب بعضها البعض وكل شيء منها مغناطيس صاحبه .

## فصل ——— ل

يا هنا ! إذا كتبت اخبر أن تشغل نفسك بالكسب الصناعي فإنه يضيع الوقت ، ويضيع على النفس في مآربها ، ويعمر مساحة القرباس بالعرض الزاهب ، ويصعب نيل المقصود به .  
والسخيف العقل من الناس الذي لا شيء أسخف منه من يحفظ هيئة رعايته ، ويضيع شأن سياسته .  
ويكلف نفسه جمع الباطل بالوهم ويضخم غيره وهو تحت الباطل في الباطل في الفهم . فكف الكف عن صيد القمر ، ولا تفك الفك عن قيد الفكر . وأكثري كتبك من الحروف المتحابة ، وبدلها في كلماتك وبدلها ، ولا تصرفها في أمر لا يصلح بمحادثتك ، وأعظم منها التالى ، وأجل منه بعضه . وأعظم من الكل الذى يقوم من الجميع وأمر الكل وأصله ومضاه القائم على كل شيء وبه .

## فصل ——— ل

إذا رقت المسئلة الواحدة في كتابك بعد ذكر النفس والروح والفتح فافهم ولا تطلب .  
إذا حفظت المسئلة الثانية في كتابك قبل ذكر الأمانة فاعلم ، وإليه تصعد ، وبه تسعد ، وعنه تهتمد . إذا علمت المسئلة الثالثة في كتابك مع ذكر الخير فاعلم .

## فصل ——— ل

يا هنا ! ما الذى حل المديم الحادث أن يتعرض لوجوه ! صح

## فصل ——— ل

يا هنا ! ما الذى يجعل الماد أن يذكر قاتله وهو العدو ؟ صدقت ، فاعلم .

## فصل ——— ل

دقيقة : يا هنا ! أى شيء يسبب العجز أن يحقق عجزه ، ويقرر عند ذلك ويقرب ؟

## فصل ——— ل

لطيفة : يا هنا ! متى صحّ النور حتى يعمل عليه !

## فصل ——— دل

التوحيد ماهية السلب ، والأدب ذات السبب ، والإيجاب بينهما ، ولا خير في الرابع .

## فصل ——— دل

يا هذا ! غصّ بصراً إدراكك من غير الله ، ثم قلْ لنفسك : يا خيبة المئذاة ! متى ثبت سواء حق تستريري فيه ، وتغضى بصرك عنه ؟ هو الله ، وإن كان الفعل غيره . فلا هو إلا هو ، ولا يمكن غير ذلك . واختبر ذلك من جهة الارتباط ، ونزّه ، ثم قلْ لشيتك : لا تنكرى الفعل ، ولا تخبرى عن غير [٢١٧] الفاعل ، ولا تخاطبى إلا الحق ، ولا تتكلمى إلا بحقيقة ، ولا تنقادى إلا لحق ، ولا تسمى إلا بحقك ، ولا تترى إلا لله ثم لا تمّ الحق ثم ذلك .

## فصل ——— دل

يا هذا ! النوات المجردة ممتدة الكمال من جهة ما هو عنها ، وغير ممتدة من حيث يرد عليها . ولذلك تقبل الزيادة على الدوام . والثابت على حالة واحدة ، وهو الذى لا يقبل الزيادة والنقصان ، ولا يحتاج إلى غيره ، ولا يمكن فيه ذلك ولا يقدر فيه ما بهل ، كماله هو الأول الحق عز وجل .

## فصل ——— دل

شرف<sup>(١)</sup> : يا هذا ! الحكمة باب الحضرة الإلهية ، والشرية باب الحكمة ، والأدب باب الشرية ، والهمة باب الأدب ، والشوق باب الهمة ، والمنة باب الشوق ، والله باب الكل وبواب الجميع ، وهو الداخل بالنظر إلى لواحق قدرته ، وهو الباب بالنظر إلى لإرادته ، وهو الحضرة بالنظر إلى صفاته ، وهو المطلق بالنظر إلى ذاته ، وهو الكل بالنظر إلى ما يقوم به .

## فصل ——— دل

لمح : يا هذا ! قد عقدت اتصال نبتك الأولى ومضار نبتك المتقسمة مع هـ ومع رج اح ،

---

(١) في المامش : شوق .

إِنَّ لُطْفَ اللَّهِ بِكَ وَكَلِمَةَ الْحَقِّ مَنْوُوعَةٌ بِكَ ، والنفس وأرواح أتباع الألباء عليهم السلام مَنْوُوعَةٌ  
بِالْأَنْبِيَاءِ ، وأرواح أصحاب الحقِّ مَنْوُوعَةٌ بِهِ ، والأخوة مَنْوُوعَةٌ بِهِمْ بِحَسَبِ لِسِيهِمْ ، والسنة فِي أَنْ  
يُضَافَ الْقَوَى لِلضَّعِيفِ وَأَنْ يَفْرُقَ الْمَثَلُ مِنَ الْمَثَلِ ، وَأَنْ يَكُونَ عَلَى الْوَتَرِ ، وَفَالِك مِنْ خَوَاصِ التَّنْحِيقِ ،  
وَهِيَ مِنَ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ الْأَوَّلِ .

### فصل ————— ط

حِجْزٌ (١) : يَا هَذَا اْعْرِفْهُ بِالْأَخُوَّةِ الْمَذْكُورَةِ وَبَشِّرْهُ بِهَا وَبَشِّرْ نَفْسَكَ بِوُقُوعِهَا وَارْبِطْهَا مَعَهُ  
فَإِنَّ رِبْطَهَا لِكَلَامٍ أَهْلٌ فَإِنْ أَهْمَلْتُمَا شَأْنَهَا تَفَوُّتَا كَمَا خَاصَةُ عَجِيْبَةٍ ، وَهِيَ مِنْ خَوَاصِ الْخَوَاصِ .

### فصل ————— ط

« بُدُّ الْمَارِفِ » كَتَمَانُهُ بُدُّ سَعَادَتِكَ ، وَإِفْشَاؤُهُ فُسَادُهَا ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ مَا بَيْنَ الْبَدِّ وَالْفُسَادِ ،  
وَشَأْنُكَ وَمَا يَظْهَرُ لَكَ صَحِّحٌ .

### فصل ————— ط

لَا : يَا هَذَا اْعْرِفْنِي بِمَطَالِبِكَ كُلِّهَا .

### فصل ————— ط

يَا هَذَا السَّلَامُ عَلَيْكَ وَهَلْ مِنْ دُرِّكَرٍ وَهَلْ الْجَمِيعُ وَرَحمةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ . اللَّهُ قَطُّ .

# رسالة

مسألة الكرم والجود

[٢٠٦]

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم كثيراً والحمد لله رب العالمين .

بسم الله الواحد ، الواجب الوجود ، الموجود وحده ، الذى لا أول لوجوده وجلاله ، وصلى الله على الواحد فى وسائله وكاله . كتاب من الغريب من الرقيب ، إلى الحبيب إلى النجيب ، من الذى وصل إلى بُدَّةِ بحده ، إلى الذى فصل فى حده بحده ، من المازم على تخصيص بِجَمَلِ السفر ، إلى الحازم على تحصيل مِمَلِ السفر ، من المَطْرَحِ لله ماله ، إلى المصلح بالله أعماله ، من المرشد الإنسان إلى أنس أنسه ، إلى منشد الإحسان على حُسن نفسه ، من الواقف فى العالم الأول مع السُكر والصحو ، إلى الخائف الآخر الأول من المكر والهو ، من الذى لا يَأْم من سوء الدهر المساهد ، إلى الذى يعلم أن بالقوة والفعل فى قرينة قوة السمء والساهد ، من القائل لو أنصفت لسمد العصر وأهله ، ومهد وعز السلم وسنمه ، إلى المحقق حق المحقق ، من حكيم السفر فى عصره ، إلى أَسِيرِ السفر فى مِصره ، من الذى لا يهابه وصفُ صيته ورياسته ، إلى الذى لا يمتنه منصبه عن سيره وسياسته .

أما بعد : فإن نعمة المنعم الذى أوجب شكره علينا وأرسل زاعده إلينا وذئنا به عليه ، وجدبنا بفضلِهِ إليه ، تتعلق بجوهر العبد السعيد فى النظام القديم . وهى فى طبيعة الممكن بين الكلمة والقدس ، وواقف مع القول والحد وتحكم عليه فى شأنه كله ، وهى قائمة بمحمل الخير ، مرسلة من المشر إلى الكبير ، ومبشورة فى غيره الذى خُصَّصه ، ومنوطة بقصده الذى خلصه ، ثم تنشر عليه فى مولده ، ثم تقوم به عند حلول نفسه ، وتمتد على جسمه وصفاته ، ثم تظهر فى تربته ، ثم فى حفظه ، ثم فى أخلاقه ، ثم فى أدبه ، ثم فى همته ، ثم فى دينه ، ثم فى خديته ، ثم فى كسبه ، ثم فى سماعته المعالجة والأجلة ، ثم فى عزمها ، ثم فى صعوده إلى حضرة جوهره السعيد الأول ، ثم فى تخلصه من الهويات المنوطات بالآنيات ، ثم فى تطوره ، ثم فى قطع مراتبه الثلاث ، ثم فى سكون ممارجه ، ثم

في سكينه وضوانه بنير أصل ، ثم في دوامها ، ثم في نيلها ، ثم في جوهره ، وبالجملة هي التي تبدأ من الأول الذي قبله أول واحد ، وتحكم فيه وتنطق به ويظهر تأثيرها فيه [٢٠٧] وتصدر من الأول الواحد الذي لا واحد قبله ولا سبب له ولا نظير له ، ولا ترد عليه نعمة من غيره ، ثم تنزل إلى الآخر ، ثم تعود إلى الأول وتتم الخط كنه ، وتطلع بالتركيب منها عليها إليها ، وتنزل بالتعليل كذلك . فمن حقق ماهيتها وطلبها بالواحد الأول الذي لا أول له تجوهر بالجوهر المذكور ، وحكم ما بعده ، وتصرف فيه بالنعمة المذكورة . ومن طلب ماهية ماهيتها وجدها بين جوهره وتعلقه ، ومن طلبها من ماهية ماهية ماهيتها وجد المنعم ، وظفر بالفيض السيل وكاف هو النعمة بعينها .

وجينئذ يمث خبره في خَلده ، ويرسل قَصْدَه في ذاته إلى بلده ، ويطلب قواه بامتثال أمر واوه الأول وكافه الثاني وميمه اللززم ، ويأمر أهل عالم خلقه بمحكوم الأخلاق ، ويخص كل علم أمره على احترام أمره ، ويأمر المتقدم من ذكر أن يسجد للتأخر ، ويطلب الكل بقول لا أول إلا أول الأول وهو المطلوب ، ولا آخر إلا آخر الآخر وهو هو ، ولا ظاهر إلا ظاهر الظاهر وهو الكل ، ولا باطن إلا باطن الباطن وهو الأصل . فلا وجود لشيء إلا أنه وبه وعنه . هو ماهية كل شيء ، ويد كل شيء ، وبه كل شيء ، وهو الثابت قبل كل شيء . ثم يصل القول الأول بكلمة الحق الجامعة المانعة التي منلوها لا إله إلا الله ، وحكما « كل شيء هالك إلا وجهه »<sup>(١)</sup> وحقيقتها « ما خلا الله باطل »<sup>(٢)</sup> ففكر أيها المخاطب في النعمة المذكورة ، ثم فكر في فضل المنعم المذكور في جوهره ، ثم في فكره ، ثم في ذكره ، ثم أصلح شأنك بالكلمات المذكورة قبْل . فإذا استقام صلاحها وإصلاحها وأيدت بالنعمة وشرفت بالفضل وخصصت بالجوهر الذي يطلق مع النعمة بترادف كما تقدم — وجبت خلافتك ، وتفرح بنفسك ، وتستجلب من مفهوم سورتك صورة أسك . فإذا كنت كذلك ، وإلا فليكن باللهاء الذي طلبته ، وسنته أن تجمع من كلمات التنزيه وأسماء الذات والصفات والأفعال وتكتب بالحروف المتحابة ، وتصنع منها سورة حادثة صناعية ، وتقرأ قبلها سورة « الفتح » من كلام القديم<sup>(٣)</sup> ، وتوجه بعد طهارة الحُل من الملائق ، وتلجأ إلى التخطي والتحلي

(١) سورة « القصص » آية : ٨٨ .

(٢) جزء من مظهر بيت لبيد المفسور ، وابن سيمين دائم الاستعهاد به .

(٣) القديم = الله .

والتجلى عند خير الاضطراب ، وتقدر في الذهن باب المنة ، والهمة خلفه واقفة بحسن الفطن ، وتستأنذ  
 بإفراط الأدب ، وتنادى المنعم بالكلمات التي دونت ودرست وصرفت في العمر التي درست ،  
 وبها بثت البشير النذير ، وبها يشير المشير . فإن كنت تعلمها وإلا اقرأ كتاب الله ، وحيث تشجع  
 اقْرَعْ باب المنة ، وأين تخضع افزع إلى إمام السنة ، وخذ من القرآن الثاني <sup>(١)</sup> ع ح بعد الأول بما تفتح  
 الأول ، وقدّم على قولك عند شروعه في الاستغارة : « اللهم لك الحمد أنت نور [٢٠٨] السموات  
 والأرض ، ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ، ومن فيهن . أنت الحق ، ووعدك الحق ،  
 والجنة حق ، والنار حق . اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وإليك أنبت ، وبك  
 خاصمت ، وإليك حاكمت . فاغفر لي ما قدّمت وما أخرت ، وما أسرّرت وما أعلنت . أنت إلهي  
 لا إله إلا أنت . تباركت وتعاليت ، اللهم ، وأتوب إليك » . ثم يقول : « لا إله إلا الله ، ثم لا فاعل  
 إلا الله ، ثم لا موجود إلا الله ، ثم الله الله » — الكل سبعين مرة . ثم اذكر بجوهرك في جوهرك  
 وحلّب الذكر الجوهري على القرض ، وأضرب عن الوم والحس والغلب والعادة ، وأخرج  
 عن لواحقك ومجملك وموضوعك ، ولا تخبر من ولدك ولا عن بلدك ولا عن أهلك ، والجا إلى  
 رَوْزَنَةِ <sup>(٢)</sup> خالية بعيدة عن القبر حتى تفتح روزنة بإطناك بباطن الأخر ، وأطلب واحداً يوحدتك ،  
 وأخرج من وتركك الخلق بك كما خرجت من شُغفك التامع لك حتى يبقى الواحد الذي لا يُنسب  
 ولا يكتسب ، خالق كل وتر منسوب وكل شُغف واقع . ولا تقبل فيهما صورة تروم أن تدخل فيها قبل  
 واجبيها ، ولا تشغل المهل بشيء الله .

ثم قل : « اللهم يا من كَوَّنَ السَّكُونُ بكنهه ، وقدر أكوافى كلها ، وصرف حركاتي  
 وسكناني . تعلم أن هويتى بعد آيتي ، وتعلم أنك تعلم أنى نعلم أنك بدهما . لا أرفع صوتي نحوك  
 لبعذك منى ، ولا أخفى إعلان الصوت لقربك من جميع جهاتي ، بل ذكك من ذاتياتي وأحوالى لا من  
 ذاتياتك وأحوالك . أنت المفارق للمواد ، وُبدِعَ القنات المفارقة . لا تتجاوزك جمة من الجهات  
 فأشير إليها بعصرى ، ولا ينال وصفك القيلس فتقطع في نظمه ببصيرى ، فإن البرهان له علل  
 ومبادئ وأنت لا حلة لك ولا مبدأ . والجملة يا الله ، يا يد ، يا حق ، القبل واليُمد والقرب والبعد  
 والجهة والتوجه والإشارة والمشير والمسافة الذهنية والحسية منى وإلى ، وأنت المستزّه عن ذلك  
 (١) في الهامش : « خ الذي تقرأ » .  
 (٢) الروزنة : السكوة غير النافذة .

ولا مسافة بيني وبينك لأنك هوية هويتي وآنية آتيتي بل آتيتك ولا آتيتي ، وهويتك ولا هويتي  
 بل أنت أنت وقولي نجرهم . ونولا أنك قلت أسأل لم أسأل ، وخاطبتك بلسان شريعتك والقصد  
 في ذكرك لا في مسئلتك . فإن أنمت على بك يا مقصودي ، يا مبيودي ، يا محركي ، يا مسكني ،  
 يا ناظر فراط الاستحقاق والنية والسكر وحال المحر ، يا من هو بعد ذلك فأنت في حل من جنتك  
 المقدمة والمؤخرة، العاجلة والآجلة، الروحانية والجسمانية، المقيمة والزائلة . يا من يملكني هذا الملك ،  
 ويتفق هذا التفاف ، ويحيط بي هذه الإحاطة : خلصني من كل طامع يقطعني عنك ، واحملني إلى  
 حضرة قرتبي إليك ، وآمن قواي الروحانية من ظلمات الجهل ، واهدني إلى أوضح السبل إليك ،  
 وأد لها عليك بمضاه (١) السكون واحد « ألم » إن أذنت الأذن حق ، « كنهيعص » وقد فعلته  
 مفهومة السلب صرف « حم » « عسق » وما ذلك على الله بعزيز . الحمد لله رب العالمين [ ٢٠٩ ]  
 « يس » بوسائله كل شيء منك إليك . فاحفظ هذا كله ، واحفظ على أحكامه ، ثم حافظ على صلوات  
 النهار ، ثم حافظ على صلوات الليل في ثلثة بثلاثة أحزاب من ثلث المفصل في ثلاثة عشر ركعة .  
 وقرأ في وثرها بصورة الوتر والمعوذتين سبعين مرة . وقد قيدت لك ذلك كله ، ولم نطلق لك  
 إجابته إلا في سعادتك خاصة وحرصك عليها وشوقك لها . واهتمامك بها . فلا تطمع في شيء من  
 العاجل ، لا أنت ولا غيرك .

والسلام على من تأدب مع السلام بالاستسلام ، ورحمة الله وبركاته :



## رسالة

[١٦٥]

بسم الله الرحمن الرحيم

وله رضى الله عنه وصل الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم كثيرا .

مَنْ كَفَّ عَنْ الْمَهْلَكَاتِ بِالْكَلْبَةِ ، حَقَّقَ عَنْ حَدِيثِ النَّفْسِ بِهَا ، وَكَادَ أَنْ يُقَالَ فِي حَقِّهِ : « لَا يَصِحُّ صَدُورُهَا مِنْهُ وَلَا يُمْكِنُ فِي حَقِّ ذَلِكَ » وَحَفِظَ بِالْجَلَّةِ وَلَا يُظْهَرُ عَلَيْهِ مَا يَنْبَغُ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَأَمِنْ كَلْبَةٍ مِنْ قَوَاعِلِ شَهْوَةِ الْبَطْنِ وَالْفَرْجِ وَمَتَعَلِّقَاتِ الْهَوَاسِ الْحَسَنِ الْجَسَدَانِيَّةِ وَالْأَرْبَعَةَ الرُّوحَانِيَّةِ ، وَكَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ شَأْنِهِ فِي الْمُنْقَلَبِ ، وَصَمَّ مِنْ الْإِحْتِيَاجِ إِلَى السَّكَلَاتِ الْحَسَنِ ثُمَّ السَّتِ لِأَنَّهُ نَحْوُ الصَّوَابِ ، وَتِلْكَ لَا تُحْتَاجُ إِلَّا فِي عَمَلَاتِهَا ، وَالِدَوَاءُ لَا تَتَقَرَّرُ إِلَيْهِ الصَّحَّةُ ، وَإِنْ كَانَ يَسْتَعْمَلُ الصَّحِيحَ فَيُؤَلِّجُ الْمَرَضَ الْمُقَدَّرَ فِي الْهَلْ بِالْقُوَّةِ وَلَكِنْ يَحْفَظُ مَحْمَتَهُ ، فَهُوَ دَوَاءُ بَرَجَةٍ وَغَنَاءُ بَرَجَةٍ ، وَأَلَمْ مَا لَأَجَلَ رَاحَةٍ مَا لَأَنَّ الدَّوَايِمَةَ الَّتِي تَرْفَعُ أَلَمَ الْمَرَضِ الْحَاضِرِ لَمْ تَوْجِدْ فِي ذَلِكَ الدَّوَاءِ ، وَالْفَنَائِيَّةُ الَّتِي تَخْلِفُ يَدِلُّ مَا تَحُلُّ مِنَ الْعُضْوِ لَمْ تَوْجِدْ فِي ذَلِكَ الْفَنَاءِ ، وَالْأَلَمُ الَّذِي يَنْسَبُ لِلْمَرَضِ لَمْ يَوْجِدْ فِي حَالِ ذَلِكَ الْأَلَمِ ، وَالرَّاحَةُ الَّتِي هِيَ اسْتِرَاحَةٌ مِنْ مَوْجَلٍ لَمْ تَوْجِدْ فِي تِلْكَ الرَّاحَةِ وَلَكِنَّهُ دَوَاءٌ لِأَنَّهُ فِي وَقْتٍ مَا يَشْبَهُ الدَّوَاءَ وَيَكُونُ حَكْمُهُ حَكْمُ الدَّوَاءِ وَقَدْ لَا يَكُونُ ذَلِكَ مَعَ جُودِ اسْتِصْحَابِ الْحَالِ فِي الصَّحَّةِ . وَأَيْضًا [١٦٦] يَشْبَهُ الدَّوَاءَ لِأَنَّهُ يَرْفَعُ السَّبَبَ الْمَرَضَ ، كَمَا أَنَّ الدَّوَاءَ الصَّحِيحَ يَرْفَعُ الْمَرَضَ الْخَاصَّ الْمَهْلَكَ . قَدْ اتَّفَقَ مَعَ الدَّوَاءِ فِي رَفْعِ مَقُولٍ مَا لَا يَحْتَاجُ . وَهُوَ غَيْرُ طَبِيعِيٍّ لِلْحَلِّ . وَهَذَا فِيهِ بَحْثٌ وَتَشْكِيكٌ وَغَنَاءٌ بِالنَّظَرِ إِلَى بَعْضِ كَيْفِيَّتِهِ فِي الْأَعْضَاءِ وَاسْتِحَالَاتِهِ ، وَهُوَ مَقُولُ الْمَعْنَى فِي سَائِرِهَا ، وَغَيْرِ مَشْعُورٍ بِهِ فِي الْحَسَنِ . وَأَلَمْ لِأَنَّهُ مَحْسُوسُ الْأَثَرِ غَيْرُ أَنَّهُ بِإِرَادَةِ لِسَانٍ ، وَرَاحَةٌ يُظَنُّ بِهَا لَأَنَّهَا نَبِلَتْ بِإِضَافَةِ ضَرِّ حَاضِرٍ .

فَافْهَمْ هَذَا وَتَفْهَمْ لَأَيَّ نَبِلَ ذَلِكَ كَمَا وَحَاصِلُهُ مِنْ جِهَةٍ مَا نَحْنُ بِسَبِيلِهِ الْخَصُوصُ الْخَاصُّ الدَّعَاءُ فِي حَقِّهِ شَبْهُ الْغَيْثِ وَكَذَلِكَ الرَّحْمَةِ ، غَيْرَ أَنَّهَا تَطْلُقُ عَلَيْهَا مِنْ جِهَةِ الْإِمْتِنَانِ الْبَسِيطِ الَّذِي لَا يَقَالُ

يأزاه ما يضطر إليه . والنعمة تقال عليها وبها صح<sup>١</sup> له ذلك وأما العفو والمنفرة وما أشبه ذلك فقد رحم بمداولها وقصم من آثارها وفعلها فيه . وأعوذ بالله من الحاجة إلى ذلك والرضوان عودته وهذا الرجل الذي بدأ<sup>٢</sup> به هو هنا ، أو هو مع هذا يزهد ويعلم فيأذا ، و يصمد إلى ماذا ، ويعلم ويعلم كيف يعلم ، ويمجد ويمجد أن يكون محبوبه بوجه ما ، ويتلذذ بصرف لذته إلى محرمة القريب ، ويبحث عن الرؤية وتعقل فيه وعن الآنية وتصيح في وقت ما منه . وهو مع هذا صوفي<sup>٣</sup> ومن أهل البطاقة الأولى التي سميت ولا أتى بصرت أهلها فتلك غير بطاقة وأربابها ينتفون تحصيلها — أى تحصيل مفهومها — وهم بعد في الظلة . وماهيتها تقتضى أن الأولاية معقولة المعنى ، وأن الولي<sup>٤</sup> إذا أدركها فقد أدرك الحق المشار إليه والمعوّل عليه ولا تعقل فيها لولي<sup>٥</sup> على ولي<sup>٦</sup> مزية بوجه من جهة النظر إليها ويمكن بالنظر إلى الأحوال وإلى المواهب الواردة من المنعم . وينهم فيها خلاف كثير في تلك الأحوال : هل هي كذات<sup>٧</sup> ، أو سكينه ؟ أو معنى آخر لا يلحقه وهم أحد ؟ فكيف عبارته عن ذلك الوهم ؟ وكان سهل<sup>٨</sup> الأول — رضى الله عنه — في هذه المرتبة ، ذلك لأنه بحث في حاله الأول عن المطلوب هل هو مما يرجع إلى مجموعه أم لا ، فأرشده شيخه بمبدأ إلى الأدب وإلى أن يشارك بالجملة . ثم انطلف إلى نفسه وأخذ نفسه بالمجاهدة والخلوة ، ثم أدرك وحدة الوجود في العلم ، وأدركها متطورة الكثرة . وكلامه في « موطأ الحكمة » يدل على ذلك وكذلك في « معيار التصوف » وكذلك رسائله ، وكذلك مسائله الثلاث . والرجل بدأ بملاحظة المية ، فحصل له مقام الإحسان ، ثم سلك بالمهبة فحصل له ذلك المقام بعينه بوجه أكل ، ثم إلى النوحنة المحررة بالذليل لا الموجودة بالأحوال ولا ينكر ماهية النصيب إلا من فاته النصيب . ومن يقول الحمد لله على كماله في عبده يمكن أن يدخل في زمرة الكل ، بل الكل هو الذي يقول [ ١٦٧ ] الحمد لله على ت وعلى م وعلى ك . وسهل

(١) سهل : يقصد به سهل بن عبد الله النسري : كان تلميذاً لذي النون المصري . عاش في البصرة وتوفي في سنة ٢٧٢ هـ / ٨٨٦ م أو في رواية أخرى سنة ٢٨٣ هـ . راجع عنه : ابن خليكان برقم ٢٦٥ ، عبد الرحمن جامي : « نقحات الأنس » ، نقرة ٤٥٥ ص ٧٣ ، « الأنساب » لسماعى ص ١٠٦ ، « الرسالة القشيرية » ص ١٥ ، « مرآة البجان » لياقوت ص ٢٠٠ ، ماسينيون : مجموع نصوص غير منشورة ص ٣٩ — ٤٢ ، ماسينيون : « عذاب الخلاج » ص ٢٦٤ وما يليها .

كان يأخذ نفسه بالهوية ، وكان يفعل بحرف الماء وبعض المتأخرين أخذ بمنهجه في ذلك . وجميع من نظر إلى شيء من ذلك هو وماله الهوية والهوهر والهوا والماء والماء والسوى — كل ذلك عن الله ، ومن أجزاء ذات اللاهوت . الرجال ثلاثة : رجل هو الحق المحض وخبره يتوقف قطعه وهذا لا يصح ، ورجل هو الباطل المحض وخبره لا يقف في شيء ولا يقف له شيء ، ورجل منهما ولا خبر في الرابع بحسب الوجه الرابع إن الله على كذا وكذا وبكنا وقدير ، وإن الله بكل كذا وكذا وبكنا علم .

الله فط : هذه أسطر يحصل من مفهومها العلم بجلال الله المتلو ، ويستروح منها حال الصد والموت ، ومذهب الحق الحق المسكوك ، ويتبين فيها الصحيح من القول المتواهم المتلو . وغرض كاتبها أن يكتب في أول السطر قبل بسم الله الرحمن الرحيم ، وإذا حفظت بحوها الحافظ الحافظ هذا عهد الله عليه ، والله المطلوب . قال الحكيم الخبير ، إنه من عند الله القدير ، وإنه بسم الله العظيم الكبير . وصلى الله على رسوله رئيس الرسل نهاية السؤل وبغية السائل والمستول ياهو ، يا أنا ، يا ذلك ، يا هذا ! بالجميع وجدت الله أكبر ، وقلت : لا إله إلا الله الخالق القويم ، وعلمت : «لما يخشى الله من عباده العلماء»<sup>(١)</sup> ورسمت : «قل أمر ربي بالقسط»<sup>(٢)</sup> وذمت : «هو الأول والآخر والظاهر والباطن»<sup>(٣)</sup> وطالب لي «رضي الله عنهم ورضوا عنه»<sup>(٤)</sup> واستنبت : «إنا لله وإنا إليه راجعون»<sup>(٥)</sup> وعزمت على «ألا له انطلق والأمر»<sup>(٦)</sup> وصرفت «كل يوم هو في شأن»<sup>(٧)</sup> وهجرتي «وأنه تعالى جد ربنا»<sup>(٨)</sup> رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ، واستعنت بقوله «يحبهم ويحبونه»<sup>(٩)</sup> واعتدلت على «هل جزاء الإحسان إلا الإحسان»<sup>(١٠)</sup> . فلما يسر الله وكان ما كان أبصرت ما لم أبصر ، وسمعت ما لم أسمع ، وعلمت ما لم أعلم ، وكنت على بينة من أمري بوجه أجل ويحكم أكل ، ووجدت الله أجل مما كان في المقامات والأسماء والمواقف التي تتخيل بينهما وكذلك الدرجات . وجعلت وسيلتي قطع أسباب الوصول والصلة ، وسلكت على سلب السلوك ، وبلغت إلى عدم النهاية وكأني انضطلت إلى البداية ، وقرأت كتاب الكنه الأول كله قراءة أخرى وتطورت في الأصول الإلهية وذقت كل الوجود والموجودات وشخصت الأوهام ، وهجرت عن المقدرات ، وحققت الفرق ، وطعمت في التداخل المشابهة وقلت : لا خير في أمر لا يقوم بي وإن كان المعجزة عنه . فلما يسر الله وكان

(١) فاطر ٢٨ (٢) الأعراف ٢٩ (٣) الحديد ٣ (٤) المائدة ١١٩ (٥) البقرة ١٥٦

(٦) الأعراف ٥٤ (٧) الرحمن ٢٩ (٨) الجن ٣ (٩) المائدة ٥٤ (١٠) الرحمن ٦٠

ما كان وسعت الإحاطة وعطلت أحكامها صعبة ذلك ، وقرأت السورة ، وصورت بألوم تلك الصورة ، وجله الله من الضمير وأشرف نوره من الظير فيه ، وأضاء من تفصيله المزدوج ، واستوى على قضيبته من السكينة الكامنة فيه . فلما كان ما كان وجدت سنته التي لا تتبدل ولا تتحول تتخذ مع سنة سفره التي تتبدل وتتحول فيه ولم تقل هو الله هذا المشار إليه ولا أنا ولا الكل ولا [ ١٦٨ ] كل الكل ، وهجبت من وحدة الوجود وضحكت منها ، ودخلت بعد ما خرجت عنها . فلما كان ما كان وكان ذلك الظير هو القضية المحررة الواقعة التي تخرج كل وم وتمنصل عن كل حكم حتى عن قطع الجميع وعن ثبوته أيضاً — ظهر لي الشأن الذي انبعث منه المكنن العام وجميع الكليات وما يجمع عندها وفيها من العوالم المنسوبة والمشار إليها والإحاطات الظهيرة والوجودية والتي لا يقال عليها ذلك كله ، والمألوفا ، والمعتبر الكبير المتوهم . وامتد الصراط إلى الله الواسع العليم الصمد الحق المبين الأحد العلّ الكبير رب الأرباب وهمت بالقضاء على تعيين كل مدرك من تلك ومن كل ذلك . فلما كان ما كان توقفت لأني وجدت الذات التي قيل فيها لها الأسماء الحسنى والصفات العلى وأسماء الذات والأفعال والتنزيه والتعظيم ، وأن تلك الصفات ، أسمى صفات الذات ، زائدة عليها ، ومنها ما يتعلق ببعض المعلومات دون بعض ، ومنها ما هي غير ، ومنها ما هي غير بجهة وبجهة أخرى أي هي وهذا بحسب رأى ما ، وقيل فيها بحسب مذهب آخر هي ملة وهي كذا وكذا من صفة نفسها لأن الصفات زائدة عليها ، وقيل فيها أيضاً هي أجل من أن تنسب إلى معنى يتنخل في عموم الإلزام مع الشاهد ، لكنها في كل اسم منها معنى كل اسم وهي مع هذا لم تزل تبصر معلوما في الأزل وهو موجود في علمها وجميع النوات متميزة في الأزل عندها وما يمكن أن يزيد في علمها ، ولا في وصف من أوصافها ، ولا في ذاتها بالجللة ما لم تجد ولا تجد ما لم يكن عندها قط ، والموجودات لها نظر إليها بها هي موجودة ونظر إلى ذواتها هي بها عدم أوفى حكم العدم ؛ ومع هذا لا يقول الجواهر والأعراض أشياء في العدم ولا أنها وجدت بعد ما لم تكن غير أنها كانت لا تبصر فإن من شرط المبصر أن يكون وجوداً يشار إليه والمعلوم لا يرى ، والذي أوجده كان يعلمه كما كان يريد في الأزل ، فلما أوجده أبصره . وهذا المذهب ينقسم إلى سبعة أقسام ، وهو الثاني . والأول ينقسم إلى ثلاثة . والخلاف

بين أهله غير بعيد المعنى . والثالث هو الذى نحن فى أمره على جهة الشرح له ينقسم إلى جملة أقسام ، كلها تعود إلى الأول فى بعض الوصف لتلك وتختلف فى الحكم عليها مع الذى يصور عنها . وأجلها القسم الذى تُذكر فيه المظاهر المشخصة ويُعتقد فيه أن الوجود عَرَضُ للماهية وكان ذلك العروض يعلم أو بإرادة أو بمعنى ما يقرب مفهومه من مفهوم الشيء الذى تدفعه القوة خارج الذهن على جهة الإفراط المُشاكل لا على ما قاله بعضُ الفلاسفة وهم أهل الإيوان<sup>(١)</sup> وبعض المشائين . وأشبه المذاهب من مذاهب الفلاسفة بهذا المذهب مذهب ديوجانيس [ ١٦٩ ] وفيثاغورس فى بعض الأمر وأفلاطون كذلك . والمذهب الأول يشبه فى بعض أصوله لمذهب ابن دقليس ، والثالث من مجموع الثلاثة ، وهو أَمْوَج مذهب المشائين غير أنه يخالفه فى أكثره بلوجه الذى يقال له مذهب المشرع فقط .

وقبل فيها أيضاً هى الذات التى لا تُحد ولا تُرسم بل توصف ، وإن وُصفت فيكون وصفها سلباً لمعنى ما اعتقدوه . ولا بأس به . ولولا خوف التطويل كنت أبسط القول فيه وأذكر حلة الخلاف وأبين يجمع مع المذاهب المذكورة قبل ، وأين يختلف . وهى تلك الذات منزهة عن الشوائب وعن الأحوال الطبيعية وذاتها يفوتها مفهوم الصفات فإنها أجل . وبينهم فى هذا وفى مفهوم خلاف كثير ، وأمرها كبير المفهوم . وما نزهوها حتى يظن بهم المشرع المذكور أنهم يميلون إلى التلاشى وإلى التنبيه على معنى ما لا يفهم بالجملة وكأنه يشبه التعطيل بقول آخر . وفى علم ما بعد الطبيعة يظهر حال التورم فى وصفها . والمسائل العويصة التى ذكروها إنما ذكروها لأجل حكمهم عليها وفى علم الناولوجيا يظهر أيضاً مام بسبيله من أمرها وجميع العلوم فن أجلها بمحو فيها وعنها . والمقصود العجيب قاتم ، لأنهم يحو عنها بقدر طاقة الإنسان فقط وهى لا تعلم إلا بها . وتلك المعرفة لا طريق لها إلا العلم والوحى منه والتأله والفهم عن الأمور ، لا من جنس ما يكتسب . والتمسك منهم الكثير التمسك ، ويكون قد حصل الأمور الضرورية من صنائعهم وأخذ نفسه بالرياضة والعلم الرياضى المتوسط بين ذوات الأجسام وما ليست بأجسام ، ويميل إلى العلم الإلهى

(١) لعله يقصد أهل الروافد = الروافضة ، وفى النص : الديوان .

بنفسه ويشبه بما يجب من العالم العلوي وأخذ نفسه بتصور النفوس الساوية في الأجسام الفلكية والطبيعية ، وبالمقول الثواني وبالتوسطات وبما هناك وما يمكن من المثل المعلقة ، والكميات المعقولة ، ويقول بالعلم من أنا وأين كنت في البساط وكيف كنت فيها ، وهذه النفس الناطقة أين كانت قبل أن تحمل في هذا الجسد وكيف حلت وبماذا ولا شيء لم تظهر على ما يجب إلا في وقت ما ، وكيف ارتباطها مع هذا الهيكل وكيف تنفصل وإلى أين ، وما سمعتها وما هو محلها بعد الموت وبماذا تشبه ، وكيف يصلح هذا الشبه وبماذا يستعان عليه ، وما هي السعادة وما سببها بالجملة . وهذه الفلسفة ما هي ، وهذه الشرائع الإلهية ما هي ، وأين يجتمع الجميع ، وكيف يظهر فضل الشرائع الجليلة على الفلسفة المتبصرة . وهذا هو أحسن القوم وأقربهم إلى الحق وإلى أهل . وبالجملة مذاهبتهم تسعة ، أهمي الفلاسفة . وأجلها في العلوم النظرية منهج المشايخ ، والأقدمون منهم في الإلهيات أثبتة ، غير أنهم يفلطون ، وهم أقرب إلى الأنبياء وإلى الإيمان بهم من غيرهم ، وأرسطو ذكرهم أمراً في نيقوماخيا<sup>(١)</sup> . وهذا الرجل كان [ ١٧٠ ] جليل القوم في المهن<sup>(٢)</sup> ، لأنه في القوى والأحوال الإلهية مثل غيره . ولما كان بعض الأسرار الطبيعية والإلهية وكتمها . وأفلاطون في التجرد والتوجه وفهم الأحوال الإلهية أثبت ، وإن كان أرسطو أجل منه على الإطلاق فإنه توجه وكان حاله في سره . وأما علم وعقل فلا ينسب إلى غير هذا . ونور الله لا سبيل إليه إلا بتوفيقه وجميع الأسباب وسائط وهمية . وبينهم في أمر هذه الذات وفي صدور الأشياء عنها والنظر في الواجب الوجود والممكن الوجود ، وفي الذي ماهيته يفرض لها الوجود ، والذي ماهيته وآينته معاً ، وفي كون هذا عند بعضهم لا يصح . وعند الأكثر يمكن ، وفي العلل والمعلولات والارتباطات وفي الصور فيها بخص الكل .

وبالجملة نظرت في مذاهبتهم المختارة ، وفي تلك الذات عندهم ، وفي الذي يجب لها ، وفي الأمور الظاهرة بها فوجئت الأمر يرجع إلى خمس مسائل ذكرتها في « بدء العارف » وأخرجتها من مائة مسألة ، لم نجد لأحد قط فيها ما يشفي غليل المسترشد . والكلام على حياتها وعلمها وقدرتها بطول ، وتقدر على الوقوف عليه في كتبهم .

فنرجع فنقول : وقيل فيها أيضاً إنها كمية ككرة العالم ، وأيضاً الحياة السارية الموجودة في أجزاء العالم . وزاد بعضهم أنها هي المنتهية في المعنى الهولاني ، وكأنه يقول : هي الصورة المثمرة بوجه ، والصورة المثمرة بوجه . وزاد آخر وقال : بل هي الممتدة ببعض ذاتها ، والكثيرة بزمانها ودهرها ، وما لا يأخذ الحصر بالنظر إلى الكميات فيها ومنها وعنها . وزاد آخر وقال : مفهوم التطور مع كونها هي ذلك المتقدم كله . وقال آخر : المطلوب الأعلى منها هو أنه العالم هذا وجملة عوالمها وهو بواسطة ما ، وتلك الواسطة لها على جهة الزوم . وهذا الذي غلط فيه الفيلسوف بجعلها علته القريبة وهو مملوها وعصر المجموع في هذا العالم . وآخر قال : تحل ولا تتحلز ، مثل ما يقول اجتماع النوع والمنصر . وآخر يقول فيها : تتحد ، وذلك من مضافها المنفعل والظاهر عنها على جهة الشخص . ولا يريد الاتحاد الذي يريده الباطنية وبعض النصاري وهو الذي رد عليهم المتكلمون ومنهم ابن الخطيب<sup>(١)</sup> .

وطائفة تقول فيها : إنها تفيض ، وذلك الفيض يكون على معنى منها هو الأخفى وهو الأكمل له ، لأنها تريد الفيض الذي يريده المتكلم ويقبّحه على القائلين به مما هو المقصود عندهم .

وطائفة تقول فيها : هي اللور الذي لا ينسب بالنظر إليه إلى شيء ولكنه إذا تطور فيها يفضيه ، وذلك التطور صفة نفس لها يكون الكون كله من انجرار شها .

وطائفة تقول فيها : هي الذات التي لا يحدّها الذهن ولا تعطىها الصنائع ولا التجرد ولا شيء يتوهم فيه أنه سبب الإدراك ، وإنما هي تتجلى على جهة التخصيص فيعطّاها الضمير ، وبعد هذا

(١) أي الفخر الرازي المتوفى سنة ٦٠٦ / ١٢٠٩ ، وله في علم الكلام : (١) المباحث الأربعون في أصول الدين . (٢) أسرار التنزيل وأنوار التأويل .

(٣) المطالب العالي . (٤) ألواح البينات في شرح أسماء الله الحسنى والصفات .

(٥) نهاية العقول في دراية الأصول . (٦) أساس التقديس .

(٧) المسائل الخمسون في أصول الكلام . راجع عنه : ابن أبي أصيمة ٢٠ - ٢٣ - ٣٠ ،

ابن القطبي ١٩٠ - ١٩٢ ، خوندمير : حبيب السيرة ١٣٠ ص ٦٠ وما يليها .

أعنى فى عَقِبِهِ يَجِدُ صِدْقَ الوَحْيِ [ ١٧١ ] ويقول هذه هى الصِّدْقِيَّة . ثم ينظر فى إثر هذه الحال فيجد ما لم يجد . وما يجد أنَّ العالمَ بجملته هى هى أعنى الذات الثابتة ، لا أنه ذلك الذى وُجِدَ ولا أنه غير ما لم يجد . وكأنه يقول : هذا كله ينحلُّ بالاستحقاق إليها لا أنه على جهة الفعل فقط ، بل الفعل والشئ الذى يشبهه أنه تحرك فى مكانه وحرك بعضه الغائب لبعضه الظاهر .

وطائفة تقول فيها : هى الساكنة فى الفضاء الذهبى الذى وراء العالم ، وهو مادة الجواهر الروحية والجسمانية والمتوسطات كلها وهى تجد الأشخاص فى معقول الهباء المنبثِّ فى علمها ، لا أنها تقول بالمليونى الأولى ولا بالهباء الذى يرينه مهل بن عبد الله ، ولا بالهباء الذى تذكره الصوفية بحبة الماء ، وتقول هى غير ذلك . وواسطتها فعل لا على الوجه الذى يذكره بعض أهل البطاقة فى ذلك . وعرشها هو الامتداد العالى ، وتريد بهذا القول المعلوم الذى يقوم به العالم لا الذى يتعلَّق — فاقم . ولا تتوقع الجنون فى حَمَلِكْ إذا صدقت به ، فإنه مادة العقل وهو يميز السَّنَّ العالية وما يريد به العرش الذى فوق الثمانية ، ولا يعنى العرش الجامع الذى يحصر العوالم الأقفية ولا يريد الوجود على مذهب بعض الصوفية ولا حال العلم أيضاً . وقيل فيها أيضاً — أعنى فى تلك الذات — أنها كلها فى ظاهرها الذى حَلَّ وَصَرَّه بما يلزمه الأزل والأبد وما يلزم عن ذلك كله وهى حقيقة وحدِّ للعقول والأوهام . ثم العلم الوارد بجميع أنحاء ذلك العلم وطرفه وكأنها ظهرت قليل لبعض ذلك الظاهر هذا العالم المشار إليه ، والنهن هو كلامها والوجود كلماتها .

وكذلك حالها فى كل مكان ظهرت فيه ينسب إليها فلكونها لها أعنى فى ذلك الامتداد المفروض ومميت فاعلة ولو ظهرت لكان المجموع هو الظاهر المبدد ، وكأنها مثل الشئ الذى إذا انقسم بشار إليه بإشارة واحدة ، وإذا لم يكن ذلك قسمة الوهم ونسب إلى الأقل والأكثر ، وأعوذ بالله من الحرمان .

وطائفة أخرى تقول فيها : هى الحروف المحصَّلة فى النهن ، وتشير أن تلك هى معقول الأمثلة المفروضة ، غير أنها هى أجل .

وأخرى تقول منها ما هو هذا وهى صفاتها المتوسطة ، ومنها ما هو أخفى وهو ذاتها ، وهى عموم



الأحوال وهو المشكوك فيه وهو الشك الذى لا ينحل عن الضائر إلا بتقيل تلك الذات فإثباته صفة نفسها ولا يعلمها إلا من وجد ماهيتها .

وطائفة تقول فيها هى بالضمار والتدبير مع مضافها مثل الشيء المرتكز والشيء المربوط والمستند والملتصق وذلك يلزم لأنها بالنظر إلى صور الموجودات تشبه الحرك الذى يُحرك ولا يُحرك ، ويحرك ويحرك ، وبالنظر إلى صور الوجود يشبه الروح المدبر والنفى الجامع المانع . وبالنظر إلى جملة مصادرها تشبه المعلوم العام .

وطائفة تمنع إطلاق [١٧٢] الموجودات لأنها فى الوجود الواحد بذلك المضى الواحد ومن جهة المعلوم لا من جهة الوجود هى هذه الأوهام الخيالة فنمت ما قيل قبل لأنها لا تنضاف إليها ولا تدور عليها إلا إن قال المبطل منها وفيها ذلك كله ، فهى كالشخص الذى فيه الأعضاء المتشابهة الأجزاء ، والآلية .

وطائفة تقول هو جميع مدلول الأخبار ، والأخبار : منها محصلة المفهوم ، ومنها مفيدة الصين . وما زال الأمر بتلك النفس حتى اقتبح لها فى فص روحها بإزاء النور الاعتدال المحض الواحد الذى لا يطلق عليه باشتراك الاسم ولا يطلق بإضافة أصلاً وانكشف له صراط الله الذى يعود الضير منه على كنهه ، فافهم . وكلمة مطلوبه المعتبر وعلمه به فيه لا على الوجه الذى يفهمه الصوفى فيدخل تحت وارد أو هاتف يسمعه داخل ذهنه ، ولا يشبه البوادة ولا المعجوم ولا النفس المعظم عندهم ، ولا الاطلاع ، ولا ما ينسب إلى العلم الذى كان ذلك كله قبل . والاعتقاد يشير إلى هذا الوجود ، وما يلزم منه ، وإلى هذا العالم ، وما يصح فيه ، وإلى العلوم المعظم عندهم ، وهيئات ما أرذل الاختباط ببعض قضايا الحق ، وما أصدق قوله عليه السلام : « الناس نيام » وأطلق القول على الصوم فإن الأنبياء بحسب مراتبهم نيام عن كنهنا وعن كنهنا ليسوا بنيام فى آخرتهم التى تمتشى على مفهومهم ، ويمشى القول فيها بحسب ذلك ولا على الوجه الذى يشير إليه المتكلم من خلق الإدراك ولا على سبيل الوحي ، لأن الماهية إذا كانت من الاتصال فى بعض ما هى به بما هى ماهية لا يصح فى حقها الاتصال بالوجه الذى يقال هى أبلغ وبالأوجه التى يمنع . فما تعرضنا له لشدة ظهوره لأننا أردنا الإحياء والبحث على الحق الحر النقي الذى لا يقال بإضافة . وعسى استروح الضائر رائحة البكال المصاحب لذات ذوات الكل لا على المستلة

والجواب فيه . . والقول به لا يحتاج إلى الوحي ، لأن البشرية قد ارتفعت فاقطعت ، بمعنى أن الحجاب الذى يتعرض فى وجه النكسة قد ارتفع وبقي القصد على مقابلة النبطة الحاصلة والمضمار فى القبول صفة نفس ذلك المكان . ولما كان القائل لا يصبر على سلب آنية طالب غايته لأنها فى ذات آنية الآليات ، ولم يمكن أن ينظر بالوجه التابع الذى هو مخزون فى أم الذوات الفاسل فى أم الكتاب الذى يخاطب الكون بالوحى ومن وراء حجاب وبالرسل أعني بالقضايا ، أو بالذوات المرسله لأنه قال « أو يرسل رسولا » <sup>(١)</sup> فترى من يكلم على الوجه الذى منع منه لأنه كان يلزم التسلسل . وأيضاً ذلك الرسول أو الرسل م فى تلك المرتبة النظرة بذلك الوجه . واعلم أن هذا الوجه منه تعين الإحاطة وإن كان القول عليها وعليه يقرب مفهوه ، وبه يصبر الحق وبه يكلم من حيث يسمع ، وبه [١٧٣] تتشكل المظاهر ويصح الكون الكلى وتترتب العوالم وتبين الصورة ويظهر تيمية المألوفات وتنتضح الذوات العزيزة كلها ، وهو الذى يلزم فى كل متوجه وحيثما يولى وجهه الصديق فجدد حق فى عوالمه المبهمة السكائمة التى لا يكشفها إلا المتوحد الذى جاوز الحد وطلع على المطلع بعد ما اطلع عليه . ولا ينبغي لمن يسمع هذا كله أن يسمه بأذنه أعنى بالأذن المقولة فقط ، بل يسمها بالله بعد الانصاف بنوافله أعنى بسنة نفسه المبهمة فى الخلد المنبمئة عنه . وما زال أمره يشتد وشأنه يعظم حتى تولاه الله بعد ذلك الوجه الوجيه بالذى نجلى لأبى بكر خاصة ، أعنى أجل تلك المرتبة . ولما تعين ذلك كله صحَّ عنده أن لها من الأحكام ما ينبغي أن يشتغل بها ويمتثل فالتزمها وأخذ نفسه بها وزاد أمره ولم يقتنع حتى علم الروبوية القائمة الواحدة وبقي عليه نورها . ثم اشتد حاله عند ذلك لعنيفة عنها ولما وجد منها واقطع فيها قصده وبقي عبده الأول ربه الآخر ، ثم اشتكل الأمر عليه من جهة الوجود به لا من جميع الشبه وما كان به قبل حتى رحم الله . <sup>يُنْقِطَةُ</sup> التالية فيه وصحح أسرارها الجامة والتزم عبوديته القائمة عليه وأخذ نفسه بالأدب مع الذى لا تسعه القضايا ولا تصطاد هوية مظهره العلوى الحكيم وآمن بمن الله العظيم وهون أخباره فيه وغلبت وحدته واحده تحقق عند ذلك أن التقديم والتأخير يلزم فى شأن الله لمسن يريد أن يحصله

وطال تأمله فبحث الله العلم إليه بالمراتب المتباعدة عنده ، وعلمه مام الناس بسبيله ومدّ له حَبِيل  
نجاته منه وأطعمه من موائد النوات الجلية وأظهر له التطوّر الأعلى . ولا يظن أن حاله يشبه  
المراجع ، فإن أمره جاء بعد الوحدة الصقيلة البسيطة الحُرّة وتلك لا يسع فيها إلا الامتداد  
ولا يطلق عليها التقديم والتأخير فإنها ماحية وتمّ الإضافة ، ولا المقامات لأنها لا تنوجه بها إليها  
مع عدم الامتياز فيها . وإن كان ذلك فن جنة المظاهر ، ولا الأسماء لأنها في عقب مدلول يتحد  
بمفهوم المسمى ويجمع عين الولاية . وإن قيل هي القليل والكثير فبالوجه الذي تقدم ذكره ،  
ولا حتى ين يقظان فإنه أطلع على أوهام الطبيعة ونظر في نفسه العالم واستدلّ عليه بمصاحبه منه  
واستعان بمصر الأنموذج وتشبهه وتصنّع كليات العالم واطلع على مراتب الإلزام بالصنائع  
النفسانية ، وهذا لا يجمل بمن يعلم ما فوق الأفلاك فكيف بمن كاتبا ثم انتقل من ذل ذلك الظل  
وإلى الله فك مُتَمَسِّك . وما عسى أن يقال في رجل أقل ما يطمع فيه تحصيل الوجود ويقول هو بعض  
مطلبي وما بعده هو الأصل فأما على وجه أكل من المؤلف يتحرر عندي ، وأما الأمر أعز . هل هنا  
إلا إفك أصبح من ذلك القديم الذي نبه عنه ربنا القديم [ ١٧٤ ] فسمع بأذن قلبك واضح  
الآن بمجموع معناك إلى ما أدفعه إلى شأنك من الله هذه الأخبار كلها ، وهذه الطوائف هي منى وأنا  
القائل لها وأنا كنت ولما كانت ، لأن عندي غير الذي كنت أنا قبل بها ، أهملتها حتى في  
النسب وفي الضمير . وأيضاً جميع الأخبار المحصلة الحركة للقمار هي واحدة في الناس فن نسبها  
إلى أكثر صدق ، ومن صرفها إلى نفسه صدق : مثل الحديث الصادر عن يادى الرأى ،  
والأخبار الضرورية . والرجل الأول هو ذلك الأخير ، غير أنه كان على مفهوم الدائرة الوهمية .  
وتنوع مرتين : مرة في صعوده بالتركيب ، وأخرى في نزوله بالتجليل ، فذلك أخبر عن الكشف ،  
وأخبر عن الأمر الواحد ثم ذكر الجميع على جهة الحكاية لأنه اغتبط . وأمره يرجع بالجملة إلى  
الله . وهو الآن قد كل وتركيبه في التحرير لا في التخليص ومما قال : هل ما أنا بسبيله الجليل الذي  
لا يعلل أمره ، ولا يقدم عليه بالشاهد الذي تصح منه المشاكاة الوضعية وخاتمة النفس الكاملة تُسَلِّم  
وتُسَلِّم وتستسلم ، وتكون أكثر من ذلك في مفهوم ذلك أو تقول هي في المجموع المذكور كالروح  
وما هو به الإنسان بما هو على الجملة أو لمة ذلك بالجملة . وهو في الناس يقال على كثيرين وحينا

عقل الخبير يقال هذا عليه . وهو في الوجود بالوحدة المعبرة عندي ، وهي المحصلة بالنشأة التي هو خلقها بالتسوية والنفع في الأولى — فافهم . أوهي مرتبة أعنى تلك الذات وما أدراك : ومنهوما ومعوقها ينقسم على الضمائر . وإذا شخّص اليوم معلوما كان العبد منها وإذا انصرف القصد كان الرب فيها كماقول : الخضرُ مرتبة ما ، والعبدية أخرى ، ولما كان للمرتبة المذكورة أو المراتب شخص ما هو ، ظهرها الوهمي وهي معه مثل الجواهر الأولى مع الثواني . فبينما هو في هذا كله ، وإذا باسم الذي دُعي به أجاب بمعنى أنه هو ذلك الحق الذي لا يحتل الزيادة والنقصان ولا يطلق عليه اسم الكمال في ذاته ولا في الذي قاله لأنه انعكس على كل راجع ومطلع وثابت ، وأجلب أى قال له صدقت ، أى أنا ذلك بمعنى أنه ناداه بالذي يجب له وهو العلم الذي قام به وقام به بعد ذلك كل شيء ، متأخر وحيث يقول الأسمُ أو غيره من السكسل أنه إذا دعي به أجاب في المسئلة يقول هو قد ناديت الوجود وصورته والأول من ذلك وأجابني عندي . فأنا أفعل بحسب ذلك ، وأعلم كذا وكذا وأكثر من كذا وكذا والاسم المذكور هو علم الله ، وهو العلم الذي يعلم الله . فافهم يأبها المخاطب وانسب هذا القول للمتكلم .

نعم وتلك المذاهب كلها إلا أنه أمره الذي هو الآن به لا يمكنه الالكتب به ولا هو أيضاً غير . فغير أن هذا اللوح باب شأنه الثالث ولا يتبدد عليك الكلام وتختلف الفائدة بالجملة ويبعد [١٧٥] الضمير في الضمير ، فإن الكلام كله يشد بعضه بعضاً وهو يتعلق بمفهومه وبعلم المتأمل . فتأمل واغتنبط ولازم ، وحصل وأصرف صورة قولى إلى الآية الأولى وبعد ذلك تبحث عن سائرهما . يا هنا الرجل المقول حفظ الله وجوده فيك بموجوده منك لما هممت بوضع هذه الألواح وعزمت على كتبها وقضيت بها أجابني تصدى الثانى ونحو كذا يندى واجتمع على ذلك معنى كله إلا الأولى والأخرى منى والنظر فيه عصيت أمره من جهة الاغتيباط بك لا من جهة ما وجب لك وتعين بالضمائر . والذى خلق على معنى ما لم ترد فيه هو يدبر بفضله هاقبته ويحفظه . وأعلم أن الله عز وجل ما أظهر ذاته في مظهر ما إلا وقد رضى ذلك المظهر . وهذا الوقت وقت ظهور الهلايل السكية التي بها تحصل الجملة ويثبت رسم اللوح وتدور أفلاك الحس والمعنى وتنهل القضايا ويتبع الاسم المسمى الواحد في البهالة والمندول الرسم المنسوب الذي هو إلى

الله على ما يجب والله لا يظهره إلا على مظاهر المزم والجاء والتصريف . وما نمرقك به أن المحقق  
الجليل هو النبي صاحبُ سُنَّةِ الله التي لا تتبدل وجميع المذاهب التي فرضها خبرى هي من جميع  
تطوراني . فلا تلتفت منها إلا إلى الذي يقوم من جميعها ويصحّ منه أدبُ الدنيا والدين ويكون بحيث  
لا تنكره شريعة ولا عادة صالحة ويستحسنه العقل ويقول به أهلُ الله وإنْ بدؤوا عن معناه عند  
النهاية يعلم . والسلام عليك وشرح الحال في قوله « ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ بِكُمْ يَنْحُكُمُ اللَّهُ عَالِمٌ  
حَكِيمٌ » (١) وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً .

## رسالة الألواح المباركة

بسم الله الرحمن الرحيم

وله رضى الله عنه صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم كثيراً .

صدق الله ، والحق يقول الحق ، وقوله هو معناه . وحاصل ذلك ما من موجود موجباً (١) في مستند إلا ويقول هذا القول أو يقال عليه . وهو ذلك المعنى أو من ذلك المعنى من غير تبعض ولا إشارة ، فإن الحق واحد ، وما عداه وهم ، والأوهام هي المستندة والمستند إليها بوجه ما ونحن تلك الأوهام ، بل نحن نحن ، بل هو هو ، بل لا يقال نحن ولا هو من حيث الإشارة والميل ولكنها تشر بالشيء الذى يجد ذلك الشيء من كل الجهات ، ويصرف هو والمهو إلى أنا ويحمد الآنية والمهوية معاً . فن علم هذا تجاوز واستعمار الوهم ، واستند إلى ظل حقيقة وهمية ، وجعلها موضوعة لذلك الوهم ، وسمى ذلك ذاته وأوجد من لم يكن وأهدم من لم يزل . وهكذا فعل من لم يكن ذلك الشيء . وبعد ذلك يحقق الحق الحق فيكون من لم يزل من لم يزل ، ويكون من لم يكن من لم يكن . وهذه الروابط التى بين ذلك وذلك ، وهذه هي المهود والأحوال وهو غاية أهل [١٣٦] هذا الزمن .

ليه ! فترجع لشرح بعض ما تقدم فنقول : ما من مدرك مدرك معاً إلا ويقول هذا القول أو يقال عليه أو هو منه لا أنه عنه ، بل هو هو لا أنه له . وحاصل ذلك كونه ماهية أوهم الوهم فيها الاشتراك وبسطها حيث قبضها وحقيقها حيث أظهرها وكان من ذلك نكتة صعبة وضد ذلك وكان ويكون والكان ، ومفهوم ذلك المظاهر والمراتب والأسماء والمسميات والقوانين ، وحاصل ذلك لواحق الذات وكلاننا وهم على وهم — فافهم . ومفهوم اللواحق عين المذلل ، والمطلع عين

الاستحقاق ، والاستحقاق هين الجهد ، والجهد هو الذى يُبذل ويُبذل ، ويُفقد ، ويرفع ، ويجذب ، ويدفع ، ويقبض وييسط ، ويصرف ويهد ، ويرسل ويصد ، ويحلل ويركب ، ويمد ويقرب ، ويبقى ويهد ، ويوجد ويمد ، ثم يمنع الجميع ويحضر على الجميع وينتج منه التأليف ويحصل على المؤلف إلى الجلمة المملوءة أو المشار إليها ، ويحضر على التفصيل كما يجب ويحضر على مفردات تجذب وكان هذا الجانب صفة نفس لكل واحد منهما ، ويحضر على قطع الجانب الوهمى لأنه كان قط وجودياً بل كان مفروضاً من الوهم على القوى وعلى العقل والضمير حتى يظهر لك أن الحق هو الذى يقول الحق ويجهده حقيقة . فحينئذ لا يتأتى إلا الواحد من كل الجهات .

إليه ١ والجلمة التى قامت فى هذه الأفراد الوهمية : محل بمعنى تقدم ، وتعدم بمعنى لم تكن ، ولكنها فرضت على مثال وجودى وهى لكى يكع الوهم ويقوى الحق المفسوب الذى غطاه هو وبعد هذا يقول الحق فى الفترة التى بين الكون المنسوب والفساد المحسوب . وهذا كلام مدلول قائم على كل نفس بما كسبت ، وموجود فى كل نفس نفيسة بمعنى أكل ولكل روح رئيسة بحيلة لما قيل أو لبعضه بوجه أرفع وأعلى وأتم بجميع أنحاء الكمالات فى ذات الحل والقوت والغليفة والرسول والملك والفصل والمرتبة والوسيلة والدرجة والسكريات وما وراء الوراء وأعيان المقادير وقضايا الاستدعاء ونوات الاستدعاء من ذلك الشأن ولذلك الشئ وفى ذلك الشئ وذلك الشئ . وكل شئ له شئ فليس بشئ ، وكل شئ لا شئ له فهو شئ لمعنى وهى . وكل شئ تصرف الأشياء إليه وله الأشياء تارة وليس له أخرى فمن قبيل ما تقدم ، بل أقص . كتحقق الماهية ، واعلم أن الذات والشئ والحق والوجود والأمر والقدم والحديث والمكان والزمان والإضافة والتعدد ينسب الأعلى هو على كل حال أعلى ، ولو علم الأسماء ما سعى المسمى بشئ يشبه فلك المسمى ، وكل ما ممثنت ما خرج عنك ، وكله كان منك وما أنت المقصود ، وله أيضاً ذلك . فصبجان الذى ليس كئله شئ وهو السميع البصير<sup>(١)</sup> ، ولا هو شئ مسمى بمعنى الشئ الذى قبل فإن ذلك شئ شاءه هو . ومثبته عند المحقق معنى يقوم ويشتم وهى جاذبة ودافعة . [١٧٧] فأعوذ بالله من المشيئة على منهب الأشعري ، وبئس ما قال فيها الفيلسوف ، وإأسفا على المعتزلى ، ولطف الله بالصوفى وتم له ما بناه به وطوى المحقق . وقد خرج بنا الكلام إلى أقص مما كنا فيه وبالتصديق كان والمراد به التنظية

وحكمة الوقت نحض على ذلك . فنقول : الماهية التى ظلمت فى العارض الأول إلى حد المحصر لم أحيها النصيب الإلهى الذى لم يصدر من كية ، ولا تغير بكيفية ، ولا تناسب بإضافة ولا تبوهر بشكل ، ولا تشكل فى مادة ، ولا استند إلى وضع ، ولا تمكن فى مكان ، ولا أنجر عليه الزمان ، ولا أنفل ولا خلاف ولا تغير ، بل فعل ذلك أو فعل من فعل من ذلك أو قُـل من فعل من فعل ذلك أو فعل من فعل من ذلك ، أو كان بوجه ما ذلك . فهكذا فسّر فى الماهية التى ذكرناها واجعلها ماهية بنصيبها الوجودى ثم اجعل الشكل ماهية وجودية ، ولا تلتفت إلى ماهية المشايين ، ولا إلى من تقدمهم وتأخرهم ، ولا إلى من يخوض فى مثل الذى يخوضون فيه . فإن الماهية يقال هندهم على أنحاء سبعة ، ثم على خمسة ، ثم على ثلاثة ، ويتكلمون عليها بالنظر إلى الأحوال والخواص ، وقليلا ما يوجد فى هذا الوقت من يتكلم عليها ككلام من تقدم من يحض العاقل على إعماله . وإن كانوا قد اختلفوا فالكامل فاعلمون بالعوالم الثلاثة ، وبالرايع على رأى من لا يؤبه به ، وبالجملة تلك هندية شبيهة بالعدم ، أو يقال عليها العدم بتقديم وتأخير ، وبترجيح وبتشكيك ، وقد يلزم فيها الدور أو قد يلزم منها ، وتكون لا موجودة ولا معدومة . وقد يقال فيها شئ بوجه ما ، وقد يجوز فيها القول : أو يقال هى المعنى الذى يمكن أن يعلم ويضرب عنه . فالكلام فيها تقدر أن تقف عليه فى مواضعه فى كتب من ذكر من لا تحض بالإنصاف عليه ولا ترشد بالنصيحة إليه . والأخذ عليهم وما يمكن أن يقال فيه يطول شرحه .

إليه ا فترجع فنقول إذا حكيت تلك الماهية أو كنتها يمكن لك أن تتأهب إلى الفريزة ولما فقد أكثر الناس هذه الماهية تضبطوا ، واختلنوا وطلبوا مشروطهم بغير شرط . وحاصل أمرهم هو أن أملهم منسوب فى مشار ما إليه رئيس رئيسهم متعلق بوم ما خيس ، فتوجهوا بقصدهم إلى غير مقصودهم ، وصرفوا حدهم فى غير محمودهم . وحقيقة هنا النقص من الطريق لا من السالك ، ومن المهلك لا من الهالك . فكل يطلب الأولى ، ويتوجه بإرادته إلى الملى الأعلى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

إليه ا فإذا جعلتها وجودية فحينئذ يمكن أن تقتبط بذاتك وبما بعدها . والكامل الذى يقول ما بعد الماهية الوجودية ، لا الذى يقول ما بعد الطبيعة ولا ما قبل الطبيعة ، فإن ذلك من جملة



مراتبه الوهمية بل المملة الوهمية . فمليك بالوجود العزى عن الروحاني ، وكما وصلت إلى ما ليس  
 بجسم ولا في جسم العزى عن الماد . عسى تصل إلى العزى عن هذا العزى بوجه وبحسب ما أصْلَنَاهُ  
 فإنّه لا [ ١٧٨ ] يمكن للمعلوم أن يخرج عن المتأخر أو غير المتأخر . وهيهات ! هذه نكت يَقل  
 فيها هذا السكى تصح الوَحدة المطلقة من كل الجهات فلا تُشخص الوجود في موجود ما لكانت  
 طبيعته مختلة وهذا لا خير فيه ، فافهم واسند وتَلَقَّ وتأهب للمسكة ملكوت السموات والأرض  
 السككية . وكلاهما على ما هو أهل من عالم الطبيعة وبما بعدها وراء المثل المعلقة ولا يخرج عن  
 ذلك بجهة ما . وهذه هي الحضرة الواسعة بالنظر إلى السكليات التي يستند لفهمها بالسكليات  
 لا الجسمانيات من الجوهر السككى والطبيعى ، فإنها متحيزة ؛ ولا المفارقة ، أعنى النفوس والعقول  
 والصور الهيولانية فإن تلك متميزة وحيّزها الحصر والترتيب والتقديم والتأخير وبأخذها العود  
 في ذات القابلة قطع ، وكذلك المثل فإنها منسوبة والمتأخر منها دل على حيّز التقدم ومطلوبنا  
 أشرف وكذلك الأجناس المذكورة التي تذكرها الصوفية فإنها متحيزة بإضافة الرئيس الأول  
 إلى الرئيس الثانى وتشبه المثل المعلقة ، والمثل المعلقة أسنى منها وأدخل في النظر . والتفكر فيها  
 هو أطيّب لذى الحال من المثل ، وأقرب إلى الشريعة . فاعمل على الشيء الذى لا يقال على أكثر  
 من واحد ولا يعقد من المقرّ والجاحد ، فإن الرئيس والمرئوس والروحانى والجسمانى لا وجود لهما  
 إلا في الإضافة وبالوهم الذى يتمازج بينهما ويكون كالفاصل ، ويقال به هذا أهل وهذا يصدق في  
 جملة عوالم إلا في عالمتنا نحن فإنّ طلبنا ومطلوبنا من ذلك كله وهو إكسیر الكمال المراد عندنا  
 لا المبدكور عند مَنْ ذُكر فإنّ ذلك كله حصل بعد النتج ، وهذا يطلب به هذا النتج ، وهكذا  
 ينتهى البحث والنتج به إلى أمر يسكت عنده بنفس ما يتكلم به — فنقول : الكمال هو إكسیر  
 النتج الدائم ، وهذا الدائم إكسیر الخلقة في عالم الإنسان ، وموضوعه الخلقة في ذات الشأن ،  
 والجميع إكسیر الاستحسان ، والاستحسان إكسیر الألس ، والألس إكسیر إدراك الملامم ،  
 واللامم إما ما وردّ بعد أمل ، أو ما جله بعد استراحة من مؤلم — وهذه هي اللذة عند الضمضاء .  
 وأردت هنا يذكر الإكسیر ما يشبه الرمز والارتباط ، وأهملت ذكر المقدمة والسبب والشرط  
 والملة والمدخل والمقدم الذى يستجلب المتأخر ويلزم عنه أو منه أو به أو فيه ، لأن هذا المعنى الذى

نحن بسبيله لا يسوغ فيه ذلك فإنه بعد الصنائع وبعد مقاصدها وتنبه بها الضمائر من وراءها ، وهو عين العين ، بل هو هو ، بل هو الواحد . وأردت بهذا الإكسير الشيء الذى يضمن غيره فى وقت ويولده فى آخر ويفضله كذلك ، أو يكون سبب السبب وقد ينعكس على الأول ، وقد لا يوجهه ويكون هو هو وقد يكون له تحت المصلحة والاختيار لا تحت الارتباط والالتزام .

فترجع إلى اللذة : فنقول قد تقال مع الأسى يترادف ، وقد لا ، وقد تقال معه [ ١٧٩ ] بتقديم وتأخير ، وقد لا ، وقد تقال معه بتشكيك ، وقد لا . المستحسن والموافق والملائم والمليح — كل ذلك من أجزاء ماهية اللذة ، وهى تمتد على جملة مراتب لا فى حدّها ، وتطلق على أنحاء من جهة الأقل والأكثر والأقوى والأضعف والأكل والأقصى ، وتعتبر من جهة مضافها الرئيس والخليس . فإن كان جليلا قيل فيها جليلة ، وإن كان خفيسا قيل فيها خفيسة ، وهى بالنظر إلى ماهيتها السكينة القريبة عن الواحق المنطقية والعلمية معنى لا يتبدل إنما المراد كله وإما فى أكثر الزمان إلى الشيء الذى لا هو .

وكذلك الإنسان لن يصاحبه بحسب ما ذكر فى حياته وبعد حياته وأجل ما تحتويه اللذة بالهمة وبها تعلم ، وهى تدور على الحب ويدور عليها ، وتجهزها الإراحة بوجه ما خفى وجلى ، وقرارها فى عين الرضى وهى قربها ، وهى نقطة من أجلها هى دائرة المباحث والمطالب ، فإن لكل متوجه خبرا ما يتشوق إليه ، أو لذة ما يطلبها ومن مضافها يحقر أو يعظم . ولولا الفكر فى لذة الأفضل لم ينتقل عن لذة الخليس ، ولا طلب عليها زيادة ، « وكل حزب بما لديهم فرحون »<sup>(١)</sup> . ومن قرهيننا يعيشه نفه أى تلذذ به واستحسنه . معقولها واحد وأحوالها مع مضافها كثير ، وكأن الجنة هى مثل الدنيا فى معقول موضوعها ومحمولها وهى غيرها بالنظر إلى أحوالها وإلى أحكامها كذلك اللذة فى أمرها . ومنها طبيعية ونفسانية وعقلية ومتوسطة ومركبة من ذلك . والإلهية موجهة إلى الفاعل والمنفعل وإلى الطالب والمطلوب . ومنها ماهى مركوزة فى جوهر السعيد وهى تصدر منه عنه ويجهدها إذا انصرف إلى نفسه لاسيا إذا ترك حواسه ورفض العالم المحسوس وتشبه باللطيف منه وكان كالمفارق عنده وتوجه بالمفارق

إلى المنارِق واستسكن إلى سَكينة الملاحظة وخطف سوايق الغيب الواقعة عليه من مقرها الأول وقطع الحجب التي من أجلها قيل ما بالقوة وما بالفعل . والشق لا يفرح بنفسه إذا خلا بها وبعدد أنه يوحده . ولذلك يقتصر إلى الملائهي ويهمل المائى التي تحرك منها الحس والمحسوس وتغيب العقل والمائل والمقول بضد ما يجده الفضلاء عند سماعهم الألمان المطربة وليس له الهياكل المنتصبة وأكثرأسه بما هو خارج النهن أو مدرك بحسه أو بقوة طبيعية أو ببعض القوى المشتركة بينه وبين الحيوان غير العاقل . ومن الناس من قال بعدها السكون والطمانينة والفقر الوجودى الذى لا يعبر عنه واستناد الماهيتين وسقوط الواحدة عند الثانية وظهورها بها ظهورها ماهيته فى ماهيته ثم واحد ولا اثنان ثم اثنان وواحد ثم واحد فى كل واحد من ذلك ثم واحد ولا شئ من ذلك . وقد قيل إن البحث فيها من قبيل الشاهد على الغائب ؛ وهو مما لا خير فيه ؛ وإنما الحق أن يترك ذلك المعنى بما هناك مجالاً يدركها ؛ وقد قيل إنها جوهر المقر الإنسانى وذات منتظرة أو قوة خاصة . وقد قيل صورة ممتدة لأجلها طلب المعلوم ونظر فى العلم وفيما قبله كالتصديق إليه وما [ ١٨٠ ] أشبه ذلك . ولولا خوف التعليل كنت نبين القول فيها ، وفيما يجب عندها ، وكيف هى وهل هى حال العلم هناك أو ثمرته ، أو هى هو ، وهل قوى أو تضعف من جهة العلم ، أو من جهة المعلوم ، أو هل هى بالعلم دون العمل ، أو بالعمل دون العلم ، أو بهما ، أو بخاصة ما تابعة لها ، أو لكل واحد منهما ، أو بتخصيص لافى شئ من ذلك كله أو بأمر آخر ينضاف لها ، أو بالجميع أو بتركها من جهة الملة أو بوجودها من حيث السبب أو هى حالية تخلق حال الاتصال للواصل ، أو هل هناك ماهية أو جزء ماهية أو مقومة له ، أو متممة ، وهل يمكن الكمال دونها أولاً . وإن كانت فى كل كمال ، فهل هى هناك ذاتية أو عرضية ، فإن كانت ذاتية فهل هى من صفة نفس ذلك المقام أو غير ذلك ، وكذلك إن كانت عرضية . والكلام عليها من حيث هى نتيجة أو مقدمة لأمر ما أو علامة القبول والمحمود منها وغير المحمود ، وأما الذى يخص الخواص منها فيطول شرحه . وأيضاً هذه الالفة يجنبها كل عاقل من نفسه كما يجنب الألم ويميز بينها وبينه . ويظهر أنها غنية التعريف بهذا البحث لأنها مشعور بها فى نفس المدرك . وينبغى أن ينظر فيها من جهة ضدها وكونها معه فى مقولة الكيف والملكة وما أشبه ذلك والقول عليها كالتقول على العلم والجليل تحت الافتقار والغنى والفقر تحت الملكة لأنها مع ضدها كالسواد والبياض

نعت الهون . وانظر ذلك في المتقابلات وفي معنى الجنس وأنواعه وفيما يعم ، وهو كالجنس وفيما يعم وهو كالتنوع وفيما يعم وهو كالشكل وفيما يعم وهو كل موضوع الأول وفي المبدأ وفي الشيء الذي يرجع إليه ، وما المعنى الجامع الذي يخص الجسائية والروحانية بفصول ويجتمعها بفواض في معنى عام يقال عليها وتحمل فيها حلا واحداً . لأنك لا تقول هي الملائم للمزاج فينقضه عليك التناقض بالالفة المعنوية مثل التناقض بالصيت والرئاسة وطلب الجاه وإن كان الجنس ينفل للفرح فهو المعنى الموضوع لحركة الالفة ومنفل عنها والالفة الروحانية محلها روحاني وكذلك الجسائية والحمول الروحاني موضوعه روحاني وقد ينفل الجسماني عن الروحاني فإن العالم انقسم إلى ما يحرك ولا يحرك ويحرك ويحرك بحجة وجهه ويحرك ولا يحرك . فالالفة روحانية وجسائية . ويمثل هذا الاعتراض يلزم في الالفة المعنوية . وإن قلت هي إحراك الملائم ينقضه عليك المعلول الأول وإن قلت الألم هو تفرق الاتصال والالفة بالانفعال أو المال المبرك عند الاتصال المنفل والاستراحة من المولم يلزمك الشك الذي ذكره أسطانيس الحكيم وألزمه وذكره أبو بكر الرازي وابن الخطيب في المخلص . فحصلها بحجرك ولا تأخذ مكان ما هو بالذات ما هو بالعرض وتحفظ من الاغتياب بلذات الأشقياء فإنها خبيسة وأخس ما فيها الفرع بها ، والوقوف عندها وبذلك [ ١٨١ ] تمنع النفس عن طلب غيرها ولا تلتفت لكلام الناس فيها فإنه من قبيل الخطابة وهو بالجللة إقاضي . والحق أحق أن يتبع وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

كملت « الأرواح المباركة » لسيدنا الشيخ الوارث الحقق عبدالحق بن سبعين نفعنا الله به وأهلنا علينا من بركاته وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً دائماً .

# رسالة

## بسم الله الرحمن الرحيم

وله رضى الله عنه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم كثيراً .

الله ! الله ! الله ! رَحْمَةُ الْفَقِيرِ إِلَى عَفْوِ اللَّهِ ، عَبْدُ الْحَقِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ نَصْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ هـ / (١) .

يا هذا ! لا يُعْبَدُ ولا يُسْتَعْتَبُ أيضاً بِمُحَمَّدٍ فِي عُرْفِ الْمِرْثَانِ وَالْحَالِ هُنَا الْإِثْمُ لَهُ مَلَكُوتُ الْمَلِكِ وَالْمَلِكُ .  
ثم هو واهب الفضل ويده أحكام السكواكب والأفلاك وكل الأكر ومركوب الفلك . هو  
الذي لا يشهد غيره إذا تَلَفَّظَ الْوُجُودَ وشاهده . نعم ولا يُعْرَفُ أيضاً إذ به ينطق ذا كره وجاحده  
فمن تقدم يقول « هو » قطع أو الذي لا بد منه من جميع جهات الدور . ومن تأخر يبصر أفعاله  
ويوجب حمده بلسان العموم وكثرت الأعياء والمبالغة على الفور . ولتأمل أن يقول يدرك الذي  
بيده كلمة الممكن العام وكل وجود مُشَخَّصٌ وبه في الدقيقة والدرجة والساعة واليوم والجمعة والشهر  
والعام . ثم له أن يقول : مَنْ هو الحقُّ حيث هو كذلك تكون له الوحدة المحضة الخالقة الواقعة .  
بل هو لازم الإحاطة وحقيقة القصد والخطفة الآتية والسالفة . شهد المسلم وأثبت القول توحيداً من  
هائله الوهم الأول . وعرف المؤمن الواجب ، فقال قد قيل إنه مُشَارُ الْأَمْرَيْنِ وَالْآخِرِ وَالْأَوَّلِ  
وَالْمَحْسَنِ . شاهد فلم يُنَوِّحْ ، ولا أيضاً استدل . والواصل أطلق القول بالسلب وأفرد اللازم  
واستقل . وصرف المحقق التسطع واليصب إلى المعالجة العقلية . وراجع البصيرة وأقام علمه القوانين  
المقبولة النقلية ، ثم أزم الكحل الطلب وعلم الحكم الآلية لا بالكلمات الكلية ، ثم فهم المسائل

(١) اختصر ابن سبعين اسم جملة علامة رقم ٧٠ ولذلك سمى ابن الدائرة ( الدائرة = ∞ ) ،  
راجع القرى ١ ص ٥٩١ ، ٢ ص ٥٩١ ، Colins في المجلة الاسيوية عدد ٢٢٢ ص ٢٠٤ .

وكان على يدته من الحضر والوقوف . وصعد الدرجة الزقيمة ووصف الملك أنه مالك صف الصفوف .  
وأشعر القلوب بالتقلب من المطالب وإن كانت عالية ، وزعم أن فضل الله الذي يؤتیه من يشاء  
غيره عز وجل خطابة خالية . وآمن بالأحد الصمد الذي لا يقال بتقديم وتأخير في عناصر المعلوم .  
ووافق بوجه ما من قال إن العلم والعالم عين<sup>(١)</sup> المعلوم . ثم علم أن المطالب الأعظم في الدور بمد النهاية ،  
وأنه قضية الوقت المفردة في عقب [ ١٨٢ ] نظرة السعادة .

بارك رب الفطرة السليمة الزكية الذي لا يمكن الشركة في مقالته مدرك قوة في المنطق السنية .  
لسان الشاكر الأول قال :

« سُبْحَانَ مَنْ بِجَمِيلِ الصَّنْعِ قَدْ بَدَأَ »<sup>(٢)</sup> ثم يقول : « سُبْحَانَ مَنْ صَنَعَ الْخَلْقَ الَّذِي بَدَأَ »<sup>(٣)</sup>  
ولسان المتكلم يقول :

سُبْحَانَ مَنْ أَوْضَحَ الْبَرَهَانَ فَاتَّضَعَ      سُبْحَانَ قَاهِرٍ مِنْ قَدْ لَجَّ أَوْجَحًا  
سُبْحَانَ مَنْ سَاقَنَا لِلرُّشْدِ ثُمَّ هَدَى      سُبْحَانَ مَنْ لَمْ يَدَعْهُنَا مُهْمِلِينَ مُبْدَى  
ولسان التصوف من جهة الوجه الأول يقول :

سُبْحَانَ مَنْ بَاخْتِصَامِي شَرَّفَ الْمَلَكَ . سُبْحَانَ مَنْ عَلِمَهُ مُخَصِّي لِمَا مَلَكَ . والثاني يقول :  
سُبْحَانَ مَنْحِ فَضْلِ السَّبْقِ مَنْ سَبَقَا . سُبْحَانَ مَنْعٍ مِنْ عَنِ بَابِهِ أَيقَا . والثالث يقول : سُبْحَانَ  
مَنْ وَطَّدَ الْعِلْيَاءَ وَالشَّرَفَا ، سُبْحَانَ مَنْ فَضَّلَ الْأَصْحَابَ وَأَتْلَفَنَا . والرابع يقول : سُبْحَانَ رَبِّ بِهِ  
حَقَّقَا وَصَلَا ، سُبْحَانَ مَنْسُوجِبِ التَّسْبِيحِ مُتَّصِلَا . والخامس يقول : سُبْحَانَ مَنْتَقِنِ مَا أَبْدَى  
مِنْ الصُّوَرِ . سُبْحَانَ مَنْبَدِعِ الْهَيْثَاتِ وَالْفُتُورِ . والسادس يقول : سُبْحَانَ ذِي الْعِزِّ  
وَالْمَلِكِ الَّذِي شَمَّعَنَا . سُبْحَانَ مَنْصَرَّخٍ مُضْطَرِّ بِهِ صَرَخَا . والسابع يقول : سُبْحَانَ  
الْمَطْلُوبِ بِمَا هُوَ لَهُ وَبِهِ هُنْدُ ذَلِكَ ؛ سُبْحَانَ الْمَدْرَكِ وَلَا غَيْرَهُ يَقْدِرُ ، لِأَنَّ الْحَقَّ فِيهِ كَذَلِكَ

(١) هذا مذهب أرسطو ، راجع « ما بعد الطبيعة » ٢م ١٢ ف ٩ وعنه أخذه ابن سينا وسائر  
الفلاسفة المسلمين .

(٢) هبط بيت من بحر البسيط . (٣) من : نقول لاسم الفاعل ، مانح .

والثامن يقول : سبحان من وحده الدور قبل الإعياء والمبالغة ! سبحان من يتحقق بالذات القائمة لا بالحكمة المبالغة ! والتاسع يقول : سبحان المُسرِّعُ من رعاية الأصيلح ونقصيص العموم ! سبحان العزيز في ضمير المحقق لا بالمفهوم ! ولسان التعليم يقول : سبحان من غلب نظائر التقديس ! سبحان من حكم على لازم المقيس . ولسان التنبيه يقول : لا يقل ذلك لأنه عن دور الأول ، ولا هو أيضاً ذلك لأنه بالإضافة غير الآخر الأول . ولسان التقرير يقول : سبحان مشار النسكة والقضية المدرك بالسكينة بعد النية . وبالحكمة سبحان الله لأن أوصاف السناء له . والله أكبر ! ليس ارحم ناله . والحمد لله حمد المارقين له . والله أكبر تكبيرا يواجهه ولا إله إلا الله لئلا يجانبه . ثم الحمد لله لإقراراً بنعمته . والله أكبر إذعائاً لعمّته . ولا إله سواه في بريته . سبحانه صَدَقَتْ فينا حُجَّتُهُ . شواهد الأمر مرآة ومسمعه . والحمد لله أعطى الخلق ثم هدى . والله أكبر لم يترك أحداً سدى . ولا إله سواه . ضَلَّ مَنْ جَعَلَهُ . سبحانه أرسل الرُّسُلَ السَّكَّامَ هُدًى . سبحانه ورحة . فصلا للشرع مَشْرُوعُهُ . أحمده على كماله المطلق ، وأشكره على نعمه ، وأستغفره بلسان التوسل ، وأضرب إليه في السلامة مِنْ لِقْمِهِ . وأشهد أنه الواحد مشار الأسماء الحسنة المُحَصَّلَةُ وأنه هو الحق ثم الرب وله البينات المُفَصَّلَةُ . وأشهد أن المُقْتَمَ بدعوته أفضل ذوات العالم السبعة . وأنه بعد عوالم العلم بمأثل التقريرات التسعة ، بل هو المختار غير أن الذي يقال مع الحاصل الأطلس في الرتبة الثالثة لا يقال هو به وله وهو [ ١٨٣ ] الكامل ، غير أن الذي تحصل في السفر بمد ما هو بعد الطبيعة جملة الله آخره وأوله . وهو المتوحد في الأسماء القائمة ؛ والذي يرجع الدور إليه ، ولازم السكينة الدائمة صلى الله عليه هو الذي أبصر آيات ربه وطره غير قليل ، وهو الذي جاء بمعجز القرآن والتنزيل ، ثم هو الذي قادنا إلى الحق بالتيسير والتسهيل ، والذي ففوسنا بمحبته تتقلب في كل مُرْسٍ ومقيل . وسلام الله على لواحق أكوانه إذ لم يزل في أحكام الزمان بالمعجزات ، وديناً ، وشرعته مع الأحيان تعرفنا طُرُقَ المحامد والهدى ، ورضى الله عن النوات المعبثرة من بعده ، وكل النفوس الزكية المودعة بِرَسِّ الأَمْوُج بما هي فضيلة من عنده ، وأيد الولد النَّدَسَ النادر الأندري المنتجب المنتخب النجى المهاجر الناسك الوافد الورع الطاهر التقى الحافظ الثبوت المدرك المهود ، ثم المحب الخالص في ولائه شهاب الدين أباجعفر أحمد بن عبد الحق

بالتقصّد الثاني ، جعل الله سمائته صادقة ومقبولة عنده ، وحفظ عليه قلبه ودينه وعهده ، وسلم من الطرد القاطع علمه وعقده ، وأفصح من كل الجهات سعيه وقصده ، وأطلع في مطالع البرّ قدره ومجده ، ورزقه فضيلة يبلغ بها في المراتب العالية وسعته وجهه . وقد أذنت له أن يحدث عن بكل معلوم تحصله فضيلة الرواية والدراية ، وتظهر مهنة القراءة ورحمة العناية . ثم يقوم على أحكام الوراثة في مقام الهداية للمسترشدين قيام الوارث الواصل ثم الناضل الفاضل ، ويفتح الزاوية ويأمر بفتحها ويكتنب الإجازة ويبسط السجادة يأخذ العهد ويمجّل ذلك عن لواحظه ثم عنه ويبلغ الغاية في النيابة وله ومنه . لا زالت عناية الله به حتى تحصله إلى دار الأقطاب وتحصله في محيط المحققين ودائرة الانتصاب والانتصاب . ومهد له درجات المعرفة وأوثق به خيل الألفة وعرفه في كل ما يثمر منه صنماً جليلاً واطناً خنياً جليلاً ، وبسرّ عليه في سبيله ، ما هو « أَشَدُّ رُحْنًا وَأَقْوَمُ رِقِيلاً » (١) ولا برحت الأنوار الإلهية تكشفه عن الغفريات ، والعناية العالية الآلية تدبره حتى تحصل له الغايات يحصل الألويا والمواهب الملوكوتية تهيد التهيد الخصوصية الصدية ، والبركات الكافية تحصله إلى الحماية الأحدية ، وأنهم عليه بالفترة التي تكون النفس مطمئنة صورتها المنعمة والمقومة ثم يزيده من فضله حتى تكون الحكم اللّٰهية طبيعته المسئلة والمطعمة . تدبير يعتمد : أسعده الله وأيده على الله في كل الأمور ويسلط الفقه على كل أكرانه الكلية والجبروتية ، ويكون مع الحق على أي حال كان تدبير العلم الجامع ويمجّل القرآن إمامه والسنة طريقه إليه ثم إلى كل المعاملات [ ١٨٤ ] ويعمل على المعارف ولا يرجع عن نوع من أنواعها ، ولا يقنع من رب البرية ولا يطلب غيره وكما أفرد به بالروية ثم في الأفعال ثم في الوجود يتوحد أيضاً فيه ويكون الواحد الواحد بالتقصّد المتوحد في طلب الواحد ويجمع كل الأغراض والأحكام والحركات والسكنات كلها إليه ولأجله ، ويصعد على درج التحقيق حتى يعجز قَدَمُ المبالغة ، وينظر في غيب الغيب حتى يَكُلُّ نَظَرُ بصيرة الغاية ويرسل رُسُلَ فهمه وفكره إلى فضل الله كيف كان حتى يقف طير الأحياء والنهاية ، ويشد يد العناية على الروح الخفّض ويكون على قدر ونحو الصواب بحيث يسلم فيه الفقيه ويستحسنه العقل



ويوافق صحيح النقل . ولا يتهاون بقضيته المفردة في الأنفاس الدائرة عليه في الزمان الفرد ، فإن قضية البحث عن الشأن العزيز وقتية . وبمسك لسانه على المطفئ والمقتصد والمقلد والمجتهد ، إلا في أمور ثلاثة : أولها الغضب في الله ، وثانيها الكلام فيه ولأجله ، وثالثها التنبيه على المصالح التي تحفظ نظام الطريق وترتب قيود الألفة ، والنصيحة لإخوانه من عموم المسلمين . ويقبس كل كون يكون عنه وبه وله بالشرع المطهر بالعقل النوراني وبعزاد العلوم . ثم يقلب الشرع على الفضيلتين لأنه من طور أرفع وأنفع وأجمع . ولا يَمَلُّ ولا يَكْسل ، ولا يبالغ في المجاهدة ، ولا يتأخر عن طلب رعاية الأصلح في نفسه وحبه ويُدير الطبع بالموافق ثم بالخالف إن خاف عليه في قضية الأصلح من الأمور ولا يلزم من لم تقدمه علوم الدين ولا أيضاً يهجره . ويجعل نصيبه من الناس مجالس الذكر والأيام المشتركة ، ومع إخوانه عموم مصالحه . وكذلك القول على من يقصده لأجل الله ويكون في أمور المنكر على بينة من العاقبة ولا يبطش بالفالط على نفسه ويجعل أدبه بنيره إلا إن كان ممكن يتحكم له ، أو يحكمه على نفسه فإنه يكون مه على القوانين الشرعية والعادية والعرفية المطلوبة في تدبير السوءاء ، ويدخل على أبواب المجاهدة بإذن الإمام القائم على النفس . ثم لا يجهد نفسه ولا يعرف بما هو عليه ، لأن المطلوب هاهو بالمرصاد وهو المطلع على حق الضائر وعلى ما يقوم بها ، وفي النظام القديم قبل الممكن الشخص . ويجعل لنفسه ولا تبعه سمة الرفق والجسب باللائم مالم تفل بالشرع والطريق والوازم المطلقة . ولا يباشر شيئاً من عموم المتعلقة إلا بميزان الأحكام الحسنة وحرصها عليها من كل الجهات .

ويكون له في أوقات يومه وليته قراءة ثان : الرشد والإرشاد ، على آتائها . ففيها الصلوات المكتوبة ولواحقها وما يكون قبلها على ما ينبغي كما ينبغي في الوقت الذي ينبغي . ثم يجعل بإزائها من أنواع العلوم ما يصلح بال حاضر ، ثم ما يحمل بالخواص ، ثم التي يجب [ ١٨٥ ] في دين الله ويكون من قبيل وضع الشيء في محله بحيث يوافق الجمهور والمسترشد والنفس الزكية ومع ذلك فضيلة الذكر وبعده أغلظ المتعمد ، وقبله حفظ صلاح العادة بأسباب تصد ولا يمتد فيها لسان عرف الطريق ، ويقتي على استعمالها لسان الشرع ، ثم القوانين الداخلة في دائرة التنبيه والسلوك والمواظف وأنواع الترغيب والترهيب للإتياع . والنظر في معياله ، والنظر إلى الغايات في البدايات والصبر

عليهم . وينقل طب الأبدان من حيث عموم التدبير إلى الأديان . ولا يرجع عن قصد ولا يمسك عنه يده . والمرأة في ذلك كالرجل : فالصغير كالأكبر منهما ، والحر والعبد سواء ، والقبض لا يعمل والبسط يهمل . لازم الأدب ؛ وإذا كان كل شيء في موضعه جاهد نصر الله والفتح من كل الجهات . والمباح الذي يتخلل أجزاء النهار . والمكروه يفرغ منه إلى المنسوب ، والمحرّم إلى الواجب والأوراد العملية تقسم على الجوارح وتفيد الحواس بوظائف المعادلات وتخزن النفس الآخرة في دهليز المجاهدة وميدان التوبة والمحاسبة والمراقبة وطلب الترقى . والملك يحترم ولا يشارك في رعيته . وأى حاكم إمام لا يعاند ولا يسلم لمن يزعم أنه يكون قدرة إلا بينة علمية وأخرى عملية . والشاب يلزم الوفاق ويحمل بين كل برّ تقى . والشيخ يوقر ويعبر على جهله إن كان كذلك ، ويسمع من الثاني إن كان يحب ذلك بوجه ما بحيث لا يتجمل ثم يلحق بما يجب في ذلك . والمتوسط يقابل بما يظهر عليه ثم يظهر إن كان كالفالط والمنفالت . والمرأة تدبر مثل الرجل لأن الإسلام يطلق عليها بمثل ذلك غير أنها تُحجّب وتُحفظ وتُدرج معها في الوصية ولا تذاكر في غوامض العلم ، إلا إن كان ذلك منها طبيعة أو تقوم بها شبهة . والإجازة المنوطة بالمهود المذكورة لأجل التوبة لا يتوقف عنها ، لأن ذلك يجب شرعاً والى تكون لأجل التقدم المطلق والفتاوى يتوقف عنها إلا الحق القائم على أنواع الفضل المطلوب في ذلك كله بما يجب في النوع نفسه وطلب السبب نعمة لأجل أخرى . والتوكل على الله فضيلة أخرى وكذلك التسليم والتفويض والرضى . غير أن النظر في ذلك للبصيرة وقزينة الحال وقوة الدراسة من كل الأتباع ويدفع لكل ذى حق حقه من السلوك . ولا بد من خادم تقوم به ثلاث خصال : الصبر ، والفهم ، والمعرفة . ومن عرفت منه أخلق (١) المشار إليها ينتبه به وضده يدبر حتى يصدر منه لازم الأمرين . ويجعل للطلبة ما يخصهم من العمل والقول والمعاملة والتدبير . ولا يقطع الزنيل من الزوايا بالجلّة ، فإنه يسوق خمس فوائد : إتمام المضطر ، وكسر النفس ، وإقامة نوع من أنواع التطوع أعنى البذل ، وحفظ جماعة التوجه ، والاستماعة على العبادة من حيث هي كذلك . ومن تسبب وصدر عنه مثل ذلك فهو الراجح . ومن كان على هيئة من مقام التصريف فهو الخليفة .

ويعلم التلميذ أنواع المجد وأسبابها ويفرح بتجربته حتى [ ١٨٦ ] يكون بشروح الصدر طيب

النفس شديدة الاغتياب والسجاع يكون في وقت الحاجة إليه ولا يجعل ذلك من نوع من قصد تدبيره بالورع إلا في وقت حضور قودته . وإن حضر فلا يغير على الفكر إلا إن دَلَّ الدليل ويقوم المحرك لذلك من جهته . ولا يقبل المجاز الذي يتهاون بأحكامه أعنى الذى يكثر من القيام ، والكلام في غير الأصلح في عقب فراغه من الحركة إلا إن كان على قَدَمِ التقدُّم بين الفقراء ، ويعرف ذلك بينهم ، لأن السجاع يطلب به خمس فضائل : أولها ردُّ الغاية من الأحوال ، والثانى حفظ ما يبحث الملكة ، والثالث استجلاب ما لم يفهم بالمدرک الفقير ، ورابعها حديث النفس بالأمر الذى لا من جنس ما يكتسب ، وخامسها إحداث راحة للفقراء أعنى القادم منهم والذى يخرج عن زاوية التدبير بالمجاهدة ومن ظهرت له اللوائح والمطالبة فيه وفى عقبه الشيخ إلا إن اضطُر إلى ذلك . ويفعل الشيخ مع أتباعه بحيث يكون الكلام مع من يحترم ولا يراجع ، لأن اقلوب في السجاع مفرشة شعار ما يخلق فيها وما يحدث عنها من النظام القديم . والمحاورة بين الفقراء تفيد إذا كانت نحو الصواب ، والمتكلم بها يكون ممن تحمكه جماعة الفقراء على قوانين أمورهم ، ثم لا يريد إهمال ما هم عليه وحفظ صينته والتقسيم على الكافة والمطالبة بالجملة لا يكثر منها إلا بالتدبير . والذى ينصف من نفسه هو الحافق الفاضل . ومن أقام الحق على أى حال كان قد تقدم وقدمه طبعه .

ومما ينبغى أن يعلم أن هذه الفضائل قد درست ولا يلتفت إلى الطائنين على رجلها فإنهم أفضل النوات ، لأن الزهد لسان حال الكبير منهم والصغير ، ودعوة أهل الحق واحدة وكلُّ المسافرين من غير نسبتنا لا تقام عليهم أحكام الطريق بالجملة فإن المطلوب منهم لا يرجع إلى نظام المحفوظ ولا هو من النوع بالقول المطلق ، فإن القوانين التى لهم قد حدِّثت أصنافها ووضعت لهم مبادئ الأمور الشرعية والفضل لله أن أظهر لهم فضيلة شرعية تلحق بأجل الضمائم من المقلدين . ثم لا يقبل منهم الاسم الدالُّ ، فكيف القول الخاص ولازم السلوك ؛ وكلاهما مع كل من خالف ما أنتم عليه ، والله على ما نقول وكيل . فلا نسبة يختارها الله إلا العرفانية المحفوظة النظام بالوراثة النبوية والقواعد السبعة . والقول على دعوتكم هذه كالقول على الشرع الذى ختمت الأمور

ببعوته . وقد قيل هذا عن المتقدم . والقول على غير يثبته من مضار الإطلاق به ، فإن تاب التائب بمطلق الفقه ولازم أحكام الدين فهو الحق ولا يلزم أن يكون من الأصحاب . وإن زعم أنه رفاعى ، أو كذا ، أو كذا ، فلا تُسلم له ، فإن النسبة لى لا تقال على الخصوصية والأموال الربانية المحصلة من العلم والعمل والفضل الظاهر لا يعول على الأول فيها وإن كان نفس الماهية ، فكيف اللواحق بالجملة ! ومن يتوب [ ١٨٧ ] ثم يشترط بنفسه ولا ملكة له علمية ، فقد حصل في ذمته ما يطفف على وسعها . وإن كان على شيء مما ذكر فأين مقامه من التحقيق ! وإنما قلنا هذا لأن الطريق فيه جملة قواطع وغايات مشتركة مع الفرق . والشبهة فيه بادية الوجود ، والنكتة المطلوبة بين قرئت ودم . ومن كفّل عن هذه اللوازم ثم هذه الضوابط فقد يأخذ الفيلسوف في حيله ، وإن أهمله يأخذ الباطلى ، وإن سلم منها يأخذ المتنوع وغيره ، لأن النفس الناطقة تتلاعب وكذلك لواحق المقاصد العقلية تتعلق بالضاير ونصرها وتقليبها وتنقيها بالجملة . وطريق الحق لا ينفى إلا على شقّ فطنته قاصرة وفطرته غير سليمة . وأعوذ بالله من لواحق المقت .

والأصحاب ينظر إلى أحوالهم : فمن عرّف منه التعلّق بأحكام الفقهاء المسافرين يجعل عليه أحكام السفر ويلتزم أن يكون على نية . وإن حصل منها على المباح من الأحكام فقد جاء على خط نفسه فقط ، وإن كان في مندوب هو المأمور ، وأما الواجب فقد ظهر بنفسه ، وغيرهما فهو لازم غضب الله . ولا بد أن يقرر عليه وظيفة ما في سفره حتى لا يكون من قبيل المباح المكروه . وأهمل الأمور وأسرّها هو التسبب في ذلك ، والحيلُ القبيحة فاعلة في ذلك . ونسكت الإقراء تهمل بين الخواص وعلى الإطلاق أغنى التي تحصل لازم الأعراض المندومة . وإنما أردنا به الحركات النوعية حتى تعود كلُّ الأكوام لأجل الله ، وتعلم النفس خصال التقوى . فإذا هم أحدّهم بمركبة يؤمر بالنكر ، وأن تكون الطهارة تلازمه في سفره ، والوظائف الشرعية يجعل عليه منها ما يجعل بطريقته . وكتاب الله لا يدخل به إلى أرض العدو ويسافر به الفقير إلى أرض الإيمان وكتب العلوم ، لأن من يجمل العلم وأحكامه ورجاله قد جحد شرع الله وكلّ الفضائل العقلية والعادية ، وظهرت عليه طوابع الحرمان في مطالع البعد عن الله تعالى .

وأيضاً ينبغي للفقير الكامل أن تكون العوالم كلها عليه صادقة : فرة بتوجهه ، وأخرى يعلم ،

وثالثة من حيث هو قسط . ومن كان حائل القات لا عن ذل في القات يدبر بالأذكار والمصارف العقلية وتجب له الغلوات ويصبر عليه ويضبط بخلقه ولين عريكت وزهده ويدرج على المراق على قدر الطاقة . وضده إن كان ذلك منه على عزة لا تصحبه الرعونة ، والشرف والنفس منه زكية غير شريرة ، فتشد عليه يدُ العناية فإنه ينفع في الغلوات المتعدية ومزيته يئدة لأن المواقفة النبوية فيه وعليه المقر والأسوة يشبه به من كان كذلك في لواحقه . وأيضاً لا بدُّ من تدبير المبتدئ وهو تقرير القواعد الدينية العلمية والعملية ثم تجميع الطريق وتفقد أحواله ويقابل بما يظهر عليه ويعرف منه ، ولا يلتزم السوايح وإنما يكون الصوم على قدر الطاقة والخلوة كذلك . والامتناع عن الكلام ، والتزام أفعال البر على قدر الموزون ، والتشبه بالذوات الفاضلة والأخذ مع الطبيعة ، والخروج عن [ ١٨٨ ] العوائد القاطنة : فرةً يلزم الصوم ويفصل المريد ، وأخرى يمنع من ذلك . وحيث ظهر الرجحان يعتمد على استعماله كالحالة في الأدوية المقابلة للأدواء . والأدعية الماثورة التي حصلتها أبواب الصالحين تستعمل لأمر : منها البركة والنفع المحض وكلمات يتحقق فيها رضوان الله . ومن تقرب إلى المطلوب بما يرضاه نفسه ووفقه وقرَّبَه واصطفاه ويدرج قوت التقدير على قدر ما يلحق منه . فمن عرف منه ذلك أخذ معه إلى غاية . ومن كان دون ذلك رتب له العرف المنوط بعبادته ، ثم ينقل عنه للأمر التي تسرق الطبيعة بحيث لا تشعر به كالطيب التي تحصل في الميزان الأول والمواد الأخضر ، ثم ينقص القدر اليسير ولا يبلغ الأمر بذلك إلى تشنيع الحال ، ولا أقل من ثلاث الأول والرابع أيضاً قد تحمله طبع الجسادة الأول هو المختار . وأنت أعزك الله تعالى وأعانتك تجعل لنفسك من الصوم الأيام المذكورة في الصحف الشرعية . فنها شهر رمضان وست بعده وستون قبله ، وعشر ذي الحجة بجملته ، والمحرم بكامله ، والأيام البيض ، والأول من كل شهر تقوم من الليل ثلاثة فقط ، وتقسّم القرآن على الأدوار بحيث تختتمه في الشهر مرة لأن الذكر والمطالعة تطلب حقها من عرض الهمة وجوهر النفس وتعب العقل النوراني . والكلام لا يكون إلا في المحاطبة المقيمة أو يكون في حيز الجواب إلا مع التليذ فيكثر منه في منافعه وفي الذي يخصه . والهدية تقبل الطريق إليها لا تستعمل ورجالها تحمد أفعالهم ولا يرغب فيه ويقارم بمثلاً . والسبب يفرع إليه . ويد الورع تتولاها عضها ، والعلم المطلق شخصها . ويلزم الصبي حتى في التقبض والبسط

والأهل ولواحق القراية يجعل لهم من النفس حظ الرفق والنعطة .

ولا تصادم الطباع ، ولا تعاند الأفهام والدعوى إلا على قدر ، بعد ما يقبل الطريق علماً ، أحق المنوعة بالتَّحَلُّ والمَلَل . ويكثر من مطالعة العلوم الشرعية ويقتصر على علوم القرآن والحديث ثم المسموع عن الرجال ، فإذا حضر التحقيق والمحقق فليس إلا ذلك بوجه أفضل . وكل علوم الملة كفاية عنه وحالة إليه وباحثة عنه وراغبة فيه ودائرة حوله . وما سمع من ملة متقدمة ، ولا قل عنها مثل الذى ظهر في هذه الملة من أنواع الفضائل ، لأن علوم شريعتهم أحكمت الطرق إليها ، وأسبابها البعينة والتربية وكل علوم الفول ثم كل التَّحَلُّ والمَلَل إليهم دفعته الأيام والعناية الإلهية فكانوا على بينة من المتقدم . والذى أظهرته الكلمة المحمدية ثالثة أفندتهم ، فكانوا بمجموع ذلك أفضل البرية عن خير البرية رب البرية ، إلا علوم القرآن وعلوم الحديث فإنه لم يتعرض أحدٌ من علماء الملة إلى الفرض المطلوب بها ولا حصل عليه ولا وقف على لازم الأسلوب ولا على شيء منه بالجملة . [ ١٨٩ ] وقد يمكن ذلك بفضل الله ، فإن فضل الله المودع في خزائن عنايته بالاملة الحنيئة يظهر ذلك كله بقدر أفضل . وأى علم تقدم قد علم فيها إلا ما كان من النبوة الأولى قبل الطوفان ، إلا علوم السَّفر وعلوم المطالب المقدسة فهو فيها بالقوة . ولا بد في أيام العالم من ظهور نبذها المبذولة فيها . وأقرب الأشياء في الظهور علوم السَّرين : الطبيعى والإلهى ثم علم ما هو بعد الطبيعة . ولا يمر بك من الزمان إلا التقليل وقد عرفت ذلك غير أنه يطلق على الخواص فقط لأن السنة الأيمنة عينته كذلك ، أحق العناية الربانية تصفط الأسرار بالجملة . ولا بد من الرجل المطلوب بالقطرة الثانية . فإذا عزمت على لقاء الرجال فاذكر الله ربهم في نفسك ، ثم لا تسأل عن غيره . فأول شيء تراه رجاله ، ثم ملاسكته ، ثم جواهر الفضائل بالقصد الثانى . وأطلب ممتلكات النوم في اليقظة ، والعلم دون النظر والقدرة بغير حضوها . وأول الوقت يقوم به إلى الله فما يكون فقط . ولكل وقت صلات وفى عقبها ماعينه الشارع ﷺ فقط ، إلا أنه يبالغ في التكرار والترتيب إلا إن جاء ما يرد عن ذلك ما هو أزم . فإذا سلَّيت الصبح وعشده<sup>(١)</sup> تدبرك عندك تقرأ أوائل

السور التي فيها الحروف المقطعة من أول البقرة إلى ن والقلم ثلاث آيات وتقف في الوقف التام من كل ذلك . ثم ترجع إلى السور الثلاث سُبحان والسجدة والرحمن ، ثم تقول عقب القراءة : اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنَّا ، وانظر إلينا ، واختَرْ لنا ، وَوَفِّقْنَا للخير وَهَيِّئْنا لقبوله ، وأَيِّدْنا بِرُوحِكَ . ثم تقول :  
سُبْحَانَ مَنْ أَوْسَعَ الْخِتَارَ مِنْهُ رِضَى .

سُبْحَانَ مَنْ بِكَمَالِ الْفَضْلِ فِيهِ قَصَى .

سُبْحَانَ مَوْثِقِهِ عَزّاً لَيْسَ مُتَعَرِّضاً .

سُبْحَانَ مُدْنِيهِ قَاباً مِنْهُ حِينَ مَضَى .

إِلَيْهِ يَسْرَى بِسَرٍّ فِي الْفَوَادِ سَرَى .

ثلاثين مرة . ثم تقول : الْحَمْدُ لِلَّهِ شَاقِي الصَّدْرِ مِنْ أَلَمِهِ .

وَاللَّهُ أَكْبَرُ نُورِ اللَّهِ فِي كَلِمَتِهِ .

وَلَا إِلَهَ سِوَاهُ بَانَ فِي نَعْمَتِهِ .

سُبْحَانَهُ خَصْنًا شُكْرًا عَلَى نِعْمِهِ .

بِسَيِّدِ مَصْطَفَى فِينَا يُشَفِّعُهُ .

مائة مرة . ثم تقول : سلام على من أَسْنَدَ اللَّهُ وَجْهَهُ إِلَيْهِ ، فَمَنْ أَسْنَدَهُ الدِّينَ أَسْنَدًا .

سلام على من أَمَّ بِالرَّسْلِ مَسِيحًا فَأَغْنَى إِمَامًا لِلنَّبِيِّينَ سَيِّدًا

سلام على من كَانَ فَاتِحَ فَضْلِهِمْ وَلَكِنْ بِفَضْلِ الْخَلْقِ قَدْ كَانَ مَعْرُودًا

خَمْسِينَ مَرَّةً . ثم تقول : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حَمْدًا دَائِمًا أَبَدًا .

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَيْرٌ مِنْ عُيْبِنَا .

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ سَوْفَ يَحْشُرُنَا .

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لِيَوْمِ الْفَصْلِ يَحْضُرُنَا .

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حَمْدُ اللَّهِ مَطْرُودٌ .

لا إله إلا الله واحد أحد .

سبعين مرة ثم تقول : اللهم صل على محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد ! اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد ! اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم ، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم ، إنك حميد مجيد ! اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على إبراهيم ، وبارك [ ١٩٠ ] على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم . اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد . وارحم محمد وآل محمد كما رحمت آل إبراهيم إنك حميد مجيد . اللهم صل على محمد وعلى آل بيتك كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد . اللهم صل علينا معه ، اللهم بارك على محمد وعلى آل بيته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد . اللهم بارك علينا معه . هدية الله وصلوات المؤمنين على محمد النبي الأمي . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . هذا الحديث أخرجه عبد الوهاب بن مجاهد وتفرده ، يكثر منها على قدر طاقته .

ثم يكون الدعاء عقب ذلك كله . ثم تفتح كتب التفسير ثم علوم الحديث ، ثم الرقاع ، ثم فروع الفقه ، وأصوله ، وعلم السكلام وأصول الدين ، وعلم اللسان ، وغير ذلك من العلوم بعد الخروج عن هذه الوظائف . ويؤمر التلميذ عند توبته بالواجبات ويشرح له ما تيسر منها . ثم يحفظ حقيده ، فإن كان في عادته نحو الصواب ترك مع الفقه ولازم البراءة الأصلية . وما ينفع في الترقى - إذا لم تنهض قوة السالك - قوى الله تعالى ، بل ذلك ينفع في الجملة . وهنا من خواص فضائل السنن خاصية ، هي فعلها التلميذ نوراً لله بصيرته ، ويكون في مقام المراد وينهض في أسرع وقت ، وحاصلها الصلاة على نبي الله <sup>(١)</sup> . فقد جاء الأمر بالإكثار منها عن أنس قال : قال النبي ﷺ : أكرهوا من الصلاة على فاته من صلى على صلاة صلى الله عليه عشرآ . ثم يجعل المريد دعاءه الصلاة على النبي ﷺ كما جاء . ثم يكون ذلك منه كل يوم وليلة ، فقد جاء هنا . ثم عند دخول المسجد كما جاء ، ثم عند سماع القرآن ، ثم عند سماع المؤذن كما جاء ، ثم عند إقامة الصلاة كما جاء ، ثم في الصلاة كما



جاء ، ثم عند الخروج كما جاء ، ثم إذا قام من الليل كما جاء ، ثم يوم الجمعة كما جاء ، والأمر بالإكثار منها في ذلك كما جاء ، ثم في الخطبة كما جاء ، ثم في الصلاة على الميت كما جاء ، ثم في قيام رمضان كما جاء ، ثم عند الفراغ من التلبية كما جاء ، ثم عند استلام الحجر كما جاء ، ثم إذا صد الصفا والمروة كما جاء ، ثم عند الوقوف على قبره كما جاء ، وكلما جلس مجلساً كما جاء ، ثم إذا خرج إلى السوق كما جاء ، ثم إذا سافر وقدم أسفاره كما جاء ، وقبل الدعاء كما جاء ، ثم في أول الدعاء ووسطه وآخره كما جاء ، وأيضاً قد قيل إن الدعاء في حجب كما تكون الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم محل الخنار ، ثم عند الحاجة فإنها من أفضل الوسائل كما جاء ، ثم يشتد على من أهمل ذلك على ما جاء ، ومن غفل عن ذلك فهو الذي يستحق اسم البخل كما جاء . ثم يذكر متى كان الحديث من الفقراء والطلبة ، فإنه مع الإهمال من الجفاء كما جاء . ومن تركها في الصلاة فقد غلط كما جاء . ويشدد على [ ١٩١ ] من غفل عن ذلك . وقد جاء أن الذي ترك الصلاة عليه ترك طريق الآخرة وأخطأ طريق الجنة ، ومن يصل عليه يذكره الملك جبريل . ومن يغفل عنه يكن معه بالصد كما جاء ، وكذلك القول على الملائكة . وما يجزئه الغافل العقوبة في إهمال الصلاة عليه عند ذكره فإنه قد دعا عليه كما جاء . وأى مجلس جلس فيه المؤمن ثم لا يصل عليه فيه فإنه يحمله يوم القيامة كما جاء . وفضل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم أبداً لا يخفى ولا يحصى . فكيف لا يكون ذلك ورب البرية يصل على من يصل عليه ! فقد جاء في الحديث الصحيح مما أخرجه مسلم وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من صلى على مرة صلى الله عليه عشرين . ثم يتقدم المؤذن في أذانه فيقول مثل الذي قال وفي عقب ذلك يكثر من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم . ثم يسأل له الوسيلة من الله كما جاء . ومتى عقد الفقير على سجداته وعقب صلاته يصل على النبي ﷺ ، فإن الملائكة تصل عليه وصلاتهم الاستغفار له كما جاء . ثم يتحقق التقية ثم التقدير المصلي أن الصلاة عليه — عليه السلام — تبليغ كما جاء . ثم يتحقق أن المصلي عليه هو السابق عنده يوم القيامة كما جاء . وقد جاء وجوب شفاعته لمن يصل عليه ، وقد جاء أنه شهيد بذلك . (١) ... السلامة من أهوال يوم القيامة بالصلاة عليه وجاء السعادة المطلقة له يوم القيامة وجاء جواز الصراط ونيل رضوان الله والنساء من الخير وكونها عبادة وزكاة وترفع بها

الدرجات وتكتب بها الحسنيات ونحطم بها السيئات ومن جعلها وكدهً وهمه كفى همه وفقر ذنبه .  
كل هذه وردت فيها الأخبار المروية المعتبرة والصلاة عليه يوم الجمعة ويوم الخميس وعند لقاء الرجل صاحبه وتكتب في الكتاب فإن الصلاة عليه في الكتاب يستوجب الكتاب بها دعاء الملائكة كما جاء . وقد جاء في ذلك وجوب الجنة . وروى عن غير واحد أنه يشرف الحياة الدنيا . ومن تعد ترك الصلاة فقد تعرض إلى الابتلاء . ذكر بعض الحديثين عن بعض أصحابه أنه كان يكتب الحديث ولا يصل على النبي ﷺ شعاً منه على الورق قال ، فما مات حتى وقعت الأكلة في يده الجنى !  
والأمر بالسلام أيضاً قد جاء . ولأنه يخصه فيسلم عليه كما جاء فيقال : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته . وسلم عليه عند دخول المسجد كما جاء في الصلاة ، فإنه جاء أيضاً وفي الصلاة وفيها وعقبها السلام عليه . وإذا خرج من المسجد المصلى سلم عليه ، وعند الوفود إلى قبره سلم عليه .  
وسلم أن الله يسلم عليه . وقد جاء أن الله ملائكة سيّاحين يبلغون السلام عليه . وقد جاء أنه يرد السلام على المسلم عليه . وقد جاء أنه أفضل من عتق الرقاب . وكل هذه الكلمات تتضمنها الأحاديث فلا تهمل . والدعاء لا يكون إلا بالأسماء التي حصرها [ ١٩٧ ] القرآن بما قبلها وما بعدها من الكلام والدعاء الذي حصله الحديث والذي يجمعه المحقق من المقاصد العرفانية والذي يجمع من الحروف المنحابة وهي المعلقة الموضوعة في أوائل السور : فإنك إذا دعوت الله بها تعتقد إطلاق القول بكلياتها فإنها كذلك ، وكل القرآن على تكرارها تدور أفلاك أخطابه . فاعلم ذلك ولا تشع النسب بها إلا أنها كلية عند الدعاء والحمد لله على هذه قرر على الأولاد ويلزمون حفظها بحسب المواضع . وإذا أخذ الولد العزيز هذه الله المهدى على التائب يذكره الله ، ثم بما يقرب إليه ، ثم بما يفضى التوبة من الأحكام الدينية ثم يمرض عليه النجيات والمهلكات ، ثم يرقيه على ينسنة من الشروط المذكورة المفروضة عليه ، ثم يعالجه بدواً . الخوف والرجاء وعرف الطريق ، فيجعله على كاهل الرفق والبيان عن الأصلح من عموم أفعاله وأقواله وأحواله ، ويكثر عليه من حكايات الرجال ويسمى في فضل الله ، ويجعل طريقه نعمة عادلة ترجع على كل نعمة ويحذر من الرجوع إلى خلف ، ويعتصم من كل القواطع ولا يجعل بإزاء من قوم به شبهة أو تظهر عليه بطالة ، ويمنع السفر في أول الأمر بالجملة : وإذا قامت به النفس الفزوعية فلا يتعب نفسه منه ، وإنما هو الوهظ والتفريع لا المبالغة في أتعاب الطبع هذا إذا عرف منه المجون والتفريط ، بل يمرض عنه ولا يلتفت إليه ويهمل . فإن جاء فهو

ذلك ، وإن أنصرف فتنه إلى خطه من ربه . وأبحث عن أحوال أتباعك بحيث لا يعلم لثلا ينخل عليهم ضد ما هم بسبيله . وأى مبتدع يعلم به بينه عنه ولا يرحم بالطلق وكذلك المسارق بالجملة إلا إن غفل عن المقاومة ، فيكون الجانب باللائم أفضل في ذلك ، والله يخلص وينفع ويسر ويختار ويصنط النظام من كل الجهات . والحمد لله وصلواته على خير خلقه والسلام على كل الأتباع والواحق وعموم المسلمين ورحمة الله تعالى وبركاته ١

تنبيه : هذا الولد النجيب الطاهر الحاذق شهاب الدين أحمد بن عبد الحق أيده الله بروح منه ، وأمدّه بمعونه وقوة ، عنه رضاء أمم من غضبه وأسباب كرمه مستغرق مقتضيه ، حُلّ لسانه نَعَم ، وثمر بنانه نِعم ، وما فارقه من بشره ما على > (١) < من الروق جائل ، ولا حال بينه وبين إسداء المعروف واقتحام المحول المخوف حائل ، ولا استماله جوهر ثابت ولا عرض زائل . وهذه الإجازة المنوطة بخصاله لا يأتى الزمان بديلها ولا يسمح بديلها ، إن الزمان لبخيل منها بالمثل ، وضيق عن شبه ذلك النصل . جعل الله أحواله بالجملة سالحة ، ومتاجر تمويله على الله بالكيفية رابحة ، وأوصله إلى مقاسم الذى أقام الأدب مع الله ورضاه أودًا ، وقتل النفس فلم يخش عقلا ولا قودًا . والحمد لله على الآية السابقة وقسمته الساقطة ومواهبه المتظاهرة الراحنة وأنعمه الظاهرة والباطنة . وصل الله على نبيه الكريم ذى البراهين [ ١٩٣ ] الساطعة والحجج القاطعة ، المختتم بدعوته ، المختار المورخ بهجرته ، وعلى آله وأصحابه الأعلام وعترة .

## < رِسْمُ الْمَدِينَةِ >

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَلَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَثِيرًا .  
اعْلَمْ هَذَاكَ اللَّهُ وَأَسْمَعُكَ أَنْ طَاعَةَ اللَّهِ مَادَّةُ الْفَضَائِلِ كُلِّهَا ، بَلْ هِيَ الصُّورَةُ الْمُقَوِّمَةُ بِأَنْوَاعِ الْخَيْرِ  
الْمَحْضِ . وَلَا أَفْضَلَ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ وَأَدْوَاتِ السَّعَادَةِ ، وَالْكَامِلِ الثَّانِي كُنَايَةً عَنْهَا . ثُمَّ هَذِهِ الطَّاعَةُ  
تَطْلُقُ عَلَى الْمَوْضُوعِ وَالْمَحْمُولِ مِنْكَ . وَمِنْ أَمْرِ الْأُمُورِ فِيهَا الْحَافِظَةُ عَلَى مَفْرَدَاتِهَا الْكُلِّيَّةِ . وَالَّذِي  
يُنْبَغِي بَلْ يَجِبُ أَنْ تَحْمِلَ كَلَامُنَا هَذَا مِرَاةَ عَيْنِ سِيرَتِكَ ، وَعَنْوَانَ كِتَابِ سِرِّكَ . ثُمَّ تَرْتَبُ  
أَحْوَالُكَ تَرْتِيبَ الزَّمَانِ وَأَنْقِسَامَهُ ، لَا تَرْتِيبَ الْفُصُولِ وَأَحْكَامَهُ ، وَتَتَلَاظِمُ بِمَدَامُتَمَثِّلٍ مَدْلُولٍ هَذِهِ  
الْفُصُولُ .

فصل : أَوَّلُ الْأَمْرِ تَقْوَى اللَّهِ وَالْحَافِظَةُ عَلَى عَصْرِ الشَّبِيحَةِ بِمِثْلِ يَكُونُ شَبَابُكَ لَا يَنْهَبُ بِذَلِكَ  
وَلَا يَرْتَهَنُكَ بِتَقِيَّتِهِ . وَمِنْ أَمْرِ الْأُمُورِ عَلَيْكَ أَيْضًا وَأَوْصَاها وَأَسَدُّها وَأَقْوَاهَا وَأَنْسَبُها فِي الَّذِي أَنْتَ  
بَسْبِيلِهِ إِهْمَالٌ مِنْ تَتَرَمُّ فِيهِ النِّقَاطُ وَيَتِمُّ بِهَا ، وَكُلٌّ مِنْ تَدْفَعُهُ يَدُ الْفِكْرِ ، وَتَعَارُضُهُ كَلِمَةُ الْوَرَعِ ،  
وَتَنْقَلُ مِنْهُ خَلْقُ النَّخْوَةِ ، وَيُزَجِرُهُ لِسَانُ التَّقْوَى — فَلَا حَاجَةَ لَكَ بِهِ وَالْحَالُ هُنَا .

فصل : طَهَارَةُ الشَّابِّ مَادَّةُ الْوَلَايَةِ الْمَهْرُوسَةِ . ثُمَّ هِيَ كَلِمَةُ صِبْتِ التَّقْوَى وَصِفَةُ مَوْصُوفِ السَّعَادَةِ  
وَعَيْنِ الرِّضَى فِي وَجْهِ الْأَمَلِ .

فصل : الْأَشْتِقَالُ بِكِتَابِ اللَّهِ وَبِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبِالْمَعْلُومِ وَلَوْ أَحْتَقَا هُوَ فَضْلُ اللَّهِ الَّذِي  
يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَحُكْمَتُهُ الْمَسْمُوعَةُ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالْمَحْصُورَةُ فِي السَّنِينَ .

فصل : لَا تَسْمِعْ كُلَّ نَاصِحٍ وَإِنْ كَانَ يَأْمُرُ بِالتَّقْوَى حَتَّى تَسْأَلَ عَنْ سِيرَتِهِ وَيَشْهَدَ لَهُ لِسَانُ الشَّجَرَةِ  
وَالْإِخْتِبَارُ ، فَإِنَّهُ قَدْ يَسْمَعُ الْحَقَّ مِنْ لِسَانِ الْمَبْطَلِ مِنْ حَيْثُ الْحَقُّ وَمَعَهُ عَلَى أَيْ حَالٍ كَانَ .

فصل : جميع من يحدثك بمثلئك بمثابة الناس فهو في الزمان الثاني يحدث عنك فلا تجالس المفضوب عليهم ولا الضالين .

فصل : عباد الله الذين اصطفى يحصل النفع بهم في الفارين ولا تنال النفس منهم والجسم إلا الملام .

فصل : الاعتدال يطلق على آفءه ، والذي يخص النفس الزكية من ذلك ما ضمنته سُنَّة المصطفى ونطقت به أحوال أهل التقوى .

فصل : الحكمة هي فعل ما ينبغي كما ينبغي ، ثم هي نور الله الذي يطلع على الأفئدة ، ثم هي موافقة الأمرة في الذي رغب وأمر به ، بل هي فضيلة العلم ولاحق العمل .

فصل : الحذر الحذر من محالة صاحب الوجين ، ومن يغفل إذا لم يفتس . وإياك وعادته وتنفيذ أوامره وسوسته .

فصل : لا تتخلق بأخلاق المفرط ولا المفرط ، فإن مجاوزة الحد خسران ، وتضييع ما لا بد منه [١٩٤] حرمان .

فصل : لا تشبه بالذين من شأنهم أن يفرطوا فيما يضمنونه ويتجاوزون الحد بمن يمدحونه في النوع الذي يصفونه . فليس بمحمود من خلاق الكرماء ، ولا بمستحسن من أفعال السعداء ، لأن من أسرف في الجود كان مُبَدَّرًا ، كما أن من أسرف في الحفظ كان مُقْتَرًا ، ومن أسرف في الشجاعة كان مُهَوَّرًا ، كما أن من أسرف في الحذر حد جبانًا ، ومن تجاوز حد الحلم كان مُسْتَبَدًّا (١) كما أن من تعدى في الانتصار حد حزمًا (٢) ، ومن أفرط في قلة الكلام كان مستجلاً ، كما أن من أفرط في الإكثار منه كان مُهَذَرًا . والتأديب بتأديب الله جل ثناؤه وأدب رسول الله ﷺ هو الطريق الذي من سلكه اهتدى والمقصد الذي من قصده أذن من بوائق الردى . قال جل

تباؤه يمدح قومًا : « والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا ، وكان بين ذلك قوامًا » (١) .

حكى الحارث بن أبي أسامة عن العباس بن الفضل عن أبي عبد الله الحمصي قال : أخبرني الحسن ابن عبد الله قال : حدثني من سمع النابتة الجدي يقول : أثبت النبي ﷺ قال شدته :

ولا خَيْرَ في حِلْمٍ إذا لم تكن له      بوادرُ تحصى صفوه أن يُكْدَرَا  
ولا خَيْرَ في جهل إذا لم يكن له      حليمٌ إذا ما أورد الأمرُ أصدرا

قال له النبي ﷺ لا يفضضُ اللهُ فاك !

فصل : البحر إذا ركبته فاعلم أنك على حاشيتي النقيض . فلا تهمل الواجبات في أوقاتها . ثم التزم الصمت . فإذا حلت بساحل الطور لا تنطور ، واعرض وجه إعراضك ومدلول رأيك على من يُحببك ، ولا تتخاطب إلا بالمثل فالأمثل ، والمخلوة أفضل ، والحول أوصل . فمن يرشدك إلى إصلاح عادتك شدَّ على لازم أمره يد النبطة والنهاية ، ولازم دارك .

فصل : متى قام بك خاطر المزم على السفر فانظر في الراجع والمرجوع من الجهات الأربع واقصد إليه ثم لا تدخل الطريق إلا بناموس أهل الطريق ولا جناح عليك في ترجيع أحد المقصدين إذا كنت في ذلك كله نحو الصواب . وإذا تعذر أمر السفر إلى بقعة المناسك حينئذ تفعل كل الذي ذكر في هذا الفصل .

فصل : جميع من يحضك من القراء على الخير الممكن ثم يخرجك إلى مقر هو به فانظر في لازم أمره وفي غايته : فإن كان جهول الرشداً ترك الخير لأجل شر متوقع .

فصل : المحب الناصح قد لا يكون من العقلاء مع وجود الصفتين فاحكم بما يشهد له الوجود محبة التصفع .

فصل : ع ولواحقهم لا بد أن يمنوا عليك بإحسانهم أو بالسلامة منهم وطبيعة الشهم التحير

لا يفضح ولا يجيب داعي اللذ . فإن نشبت فيك أظفار صلة الرحم ، والحلال منه ، فانسخ من جللك ، وطبيعة الهمة تكشف لم المروة .

فصل : إن دبرك خصاك وأطامك صيتك وإلا فأت الميت الذي كبر عليه بالقصد الثاني .  
فصل : لا تخاطب غير إخوان الصفا فهم الذين [ ١٩٥ ] لا يفرغ صمكت منهم كلمة الامتنان ، ولا يملوك بهم يد النذل ، ولا يتحرك عنك قدّم الضجر ، ولا تهجرك طبيعة المنايرة . وجملة الأمر : لا تضر بمضرتين ولا تلغ من جحر مرتين .

فصل : الحاذق الزاغب في خصال الخواص يعمل على المراتب العالية ، ويصعد على درجة أقرانه ، ويجعل وكده ، إما في العمر كله وإما في أكثر الزمان ، طلب نيل المجد من كل الجهات ، وينظر في مراة الحكم ويحكى الوارث ويسمع من صادق النظم والنثر ، ويحرر ما يبرزه الفكر ، وما تنسكت به القوافي والفقر ، مثال ذلك إذا سمع الشاعر يقول :

إن البخیل ملومٌ حيث كان م ولكن الجواد على علّاته حرّم<sup>(١)</sup>  
هو الجواد الذي يعطيك نائله عفواً ، ويظلم أحياناً فينظّم  
يجوز على ذلك إلى درجة مدلول قول الآخر :

وما بلغت كفو أرى متناولٍ من المجد إلا حيث ما نلت أطول  
وما بلغ المهدون نصوصك مدحة ولو أطنبوا إلا الذي فيك أفضل

ثم اعمل على سيرة من سؤد في حدائنه ، وقدم بنهمه وبلاغته كما قال ابن الأهرابي :

غريب السجايا ما تزال عقولنا مولدة في خسة من خلاه  
عنا الحماني عتفوات شبابه فأقبل كنهلاً قبل حين اكتناه

ثم خذ نفسك بسيرة الحبيب النسيب فتكون كالذي يذكر بالفضل في الأحساب والتحمج بشرف الأساب فينزل عليك مدلول يثق شاعر همدان :

(١) البيتان لأحمد بن أبي سلمى ، راجع ديوان ص ١٥٢ ، طبع دار الكتب المصرية سنة ١٩٤٤ .  
وقد ورد فيه : فيظلم ، بدلاً من : فينظلم .

رَأَيْتُ ثَنَاءَ النَّاسِ فِي الْغَيْبِ عَلَيْكَ وَقَالُوا مَا جِدُّ وَابْنُ مَا جِدِّ  
فَإِنْ يَكُ عِتَابٌ مَضَى بِسَبِيلِهِ فَمَا مَاتَ مِنْ أَتَقَى لَهُ مِثْلُ خَالِدٍ (١)  
ثم عمل على سيرة من عظم بمجاريته ومُدِّح بتجلده، حتى تكون نموتك مدلول يبقو البحترى:

فَقَى لَمْ يُغَيِّبِ الْجُودَ رَقِيَّةً طَافِلَ وَلَمْ يَطْلُقِ الْمِجْهَاءَ خَوْفَ الْجَرَائِرِ  
وَلَمْ يَرِ يَوْمًا قَادِرًا غَيْرَ صَافِحٍ وَلَا صَافِحًا عَنْ زَلَّةٍ غَيْرَ قَادِرٍ

ثم اعمل على سيرة من يعمل المعروف في محله ويشكر عليه لأهله حتى تكون مدلول يبقو البحترى:  
أَجِدُّكَ الْفَتْمَاءَ وَهِيَ حَلِيلَةٌ وَمَا أَنَا لِلْسَرِّ أَغْلَى بِمَجَاهِدٍ ١٩  
مَنْ مَا أُسِيرُ فِي الْبِلَادِ كَأَنِّي أَجِدُ سَائِقِي يَهْدِي إِلَيْكَ وَقَائِدِي

ثم اعمل على سيرة من يريد صيت مكارم الأخلاق، ويدفع ما يتوقع حتى يبلغ المدح فيك إلى  
الأغنياء، ويشرح ما أنت عليه شاعر عبدالملك بن مروان:

وَاللَّهِ مَا أَذْرَى إِذَا مَا فَاتَنَا طَلَبَ إِلَيْكَ مَنْ الَّذِي تَطْلُبُ  
وَلَقَدْ طَلَبْنَا فِي الْبَسْلَادِ فَلَمْ نَجِدْ أَحَدًا سِوَاكَ إِلَى الْمَكَارِمِ يُنْسَبُ  
[ ١٩٦ ] فَاصْبِرْ لِمَادَتِنَا الَّتِي عَوَّدْتَنَا أَوْ لَا فَأَرْشِدْنَا إِلَى مَنْ نَنْهَبُ

ثم اعمل على سيرة من لا يُذَكَّر بالفرار من لقاء الخصوم، والجزع من مواجهة الأعداء فتسلم  
من مدلول يبقو البحترى:

وَقَدْ شَهِتَ الْإِسْلَامُ خَسُونَ حَبَّةٍ فَلَا انْطَوْفُ نَاهِي وَلَا اَلْمَلُ زَاجِرُهُ  
وَلَمَّا التَّقَى الْجَمْعَانِ لَمْ يَجْتَمِعْ لَهُ يَدَاوٍ وَلَمْ يَثْبِتْ عَلَى الْبَيْضِ نَظَرُهُ

ثم اعمل على سيرة من لا يُنَمُّ بسوء خلقته، ويُحَقَّتْ بفساد سريرته تسلم من مدلول يبقو  
محمد بن حازم الباهلي:

(١) النسر لأعشى همدان، راجع د الأغاني، (دار الكتب) ج ٦ ص ٥٧، مع خلاف في بعض  
الألفاظ. وخاله هو خالد بن عتاب بن ورقاء.



يطول بقربك اليوم التصير      ويرحل إن مرت بنا السرور  
لنأوك للمبكر قال سوء      ووجهك أرميه لا تدور

ثم اعمل على سيرة من يمدح بفعله فينسب ذلك إلى أهله ، تسلم من مدلول أبيات شاعر الدار :

إذا ما بدا عمرو بدت منه خلقة      تدل على مكنته حين يقبل  
بياض خراسان وكلفة فارس      وزرقة رومي وشعر مغفل  
لقد ألفت أعضاء عمرو عصابة      يدل عليها آخر القوم أول

ثم اعمل على سيرة من فخر بنفسه وامتنح ذاته بنسبه ، فتكون مدلول بيتي لقيط  
ابن زُرارة :

وإني من القوم الذين عرقهم      إذا ملت منا سيد قام صاحبه  
نجيم سماء كلما غلب كوكب      بدا كوكب تأوى إليه كواكبه

ثم اعمل على استجلاب القلوب والذكر الجليل ، ونمت التوكل ، فظفر ببيت المهاجر :

لقد علم السارى طروقا برحله      وبأقلى الدنيا ما القوم لى بقرين  
وغضب يسي إلى برجله      فلم أقد منه ضربى يمين

ولذلك وإظهار المعجز من الفقر ، واصل على سيرة الذى قنع واتمخر بالصبر ، فإن الأول يفضله  
قول الشاعر وهو ابن الأعرابي :

إلى الله أشكو بالمدينة حاجة      وبالشام أخرى ، كيف يلتقيان  
سأعمل نص العيس حتى يكفني      غنى المالى يوماً أو غنى الحدائق

وبالوصف الثانى يظفر بمدلول بيت المامرى فيحصل التنبيه :

ما اعتاض باذل وجهه بسؤال      عوصاً ، ولو نال النقى بسؤال  
وإذا النوال مع السؤال وزنته      رجع النوال فرجف كل نوال

ثم اصبر على المسكارة التي لا تفلُ باسانيتك ، وعليك بالإغضاء عن خصمك إلا إن كان جزء علة يفرُّ الأصلح ، فإنك إن فعلت ذلك كنت مدلول بغير زهير<sup>(١)</sup> :

وذى خطلي في القول يحسب أنه مصيب لما يلهم به فهو ظالمه  
عبأت له جلفاً وأكرمت غيره وأعرضت عنه وهو يادر مقاتله

[ ١٩٧ ] وإذا لازمك المبطل الذي لا ينفع فيه إلا المقاومة ، ويزجره لسان الشرع والطريق إن أهملته ، فاعل يحسب ذلك فتكون كالذي يتفخر بالشجاعة والانتصار ، فتصل على مدلول أبيات المجاشعي<sup>(٢)</sup> :

إذا قللتُ حُكَّامنا وولاتنا خَسَنَّاهمُ بالمرغفات الصوارم  
سيفٌ كان الموت حالفَ حَدَّها مُطَلَّبةٌ تفرى شئون الجاهل  
إذا ما انتصيناها ليوم كريمة ضربنا بها ما استحكمت في القوائم

وهذه تعتبر بنوع المستعصرين على قدر مراتبهم . فإي فعله السيف يفعله اللسان أو القلم أو الجاه ، كذلك جميع أنواع الاستعدادات في أخرى .

فصل : أنت قد استقبلت أكوام السفر ، ولا بدُّ لك من مركبين أحدهما يخصُّ البحر والآخر يخصُّ البر ، ثم تجل على مركبك وعلى موضوعه كيف كنت وكان .

فصل : لا تمؤء عليك موج البحر ، ولا حركاته الطبيعية فإن الراكب والمركوب بيد الله ، ومن كان بالله كانت الأشياء له وإن كان كما يحكيه أحمد ابن أبي ظاهر :

ومُخَضَّرَةُ الجنبين صادقةُ السرى يراقب منها الركبُ من لا تراقبه  
كأن نفوس القوم تجري بجرحها إذا غلبت من موجها ما يغال به  
تصدُّ حباب المساء عن جذباتها إذا البحر جاشت بالسفين غواربُ

والسفر اغلص بالبر لا يزجرك عن غرض أنت ترومه وإن عرض فيه ما تدفعه يد العادة ، وتمض عنه عين السكون والدعة والسعة والمنفعة كما قال ذو الرمة وهو يصف بعض لواحته :

- ( ١ ) راجع ديوان ص ١٣٩ ، وفيه ورد : يلهم ، بدلا من : يلهم .  
( ٢ ) المجاشعي هو الفرزدق ، راجع ديوانه .

به مُبْتَنَى لِمَنْ كَبُوت كَأَنَّهُ  
 يَنَازِعُنِي حِرْصًا عَلَى الْمَاءِ رَأْسُهَا  
 وَرَدَّتْ وَمَا أَدْرَى أَمَا بِسَمَوْرِدِي  
 مِنَ اللَّيْلِ أَوْ مَقَدِّ مَضَى مِنْهُ أَكْثَرُ  
 فَطَافَتْ بِهِ مَغْلَاةُ أَرْضٍ تَخَالِفُ  
 إِذَا التَّفَنُّتُ بِجَنُونَةٍ حِينَ تَنْظُرُ  
 مُحَاوَلَةً لِلرَّوْدِ لَوْلَا زَمَلُهَا  
 وَجَذْبُهَا كَادَتْ مُرَارًا تَكْسُرُ

فصل: لا تعاند القادر، ولا تتابع الغادر، ولا تصحب الوارد والصادر، واعمل عمل حازم  
 بغير ما يتوقع ويعلم في البدايات لواقع النفايات.

فصل: تعلق بالثبات، وتخلق بأسماء الصفات، ولا تفعل مع صفات الأفعال، وإذا كان  
 ذلك منك كذلك كانت نفسك علامة قفالة بالفعل.

فصل: متى صح خبرك ولم يقبه قاطع التوقع ومكته يد الصدق وحفظه في الضمير همة  
 الإخلاص ونظرت إلى مدلوله عين التوحيد، وفعل بمقتضاه سلطان المعرفة لم يتوقف عليك ما في  
 الجهات الست، وحصلت على نموذج سليمان صلوات الله على نبيينا وعليه. والكرامات بينات  
 المعجزات، بل هما اثنتان بالقول وواحد بالمعنى، والفصول تميز النوات.

[١٩٨] فصل: كل الذي يتحرك إلى الوسط إذا نظرت إليه عين أسطان التحقيق، وعلومه مودعة في  
 لوح صدر المحقق. فإذا تأمل وحدة الوجود وجعل مشارها هو الذي هو به وله واستخلف وجاءه  
 نصر الله والفتح، والأولياء منهم صفار وكبار، والزمان والمكان والمدد والإضافة وتقسيم الوجود  
 من قبيل الأوهام فاعلم ذلك.

فصل: تصفح سورة «ق» بعد سورة «النور» وآخر «الأنعام» واقرأ: «قُلْ أُمِرْتُ  
 بِالْقِسْطِ»<sup>(١)</sup>، ثم قل «أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ»<sup>(٢)</sup> تجوز على التصوف، وأهم الحروف المقطعة

(١) سورة «الأعراف» آية: ٢٩. (٢) سورة «الأعراف» آية: ٥٤.

في أوائل السور، ثم انظر إلى أواسطها وما ينهم منه إذا ركب بالقصد الثاني وتكشف كيف اقتطعت منه السين وعرف الاسم الأعظم وخواص الدم الإلهي، والعلم الطبيعي. فإذا حصلت ذلك وحققته قرعت باب التحقيق. وهذا الكلام عندك أمانة تحمله إلى غيرك، وتقدر أن تف عليه من عند نفسك في وقت آخر.

فصل: قد تحقق كل متحقق أن تقوى الله تقوم مقام العلوم النظرية ثم ينتج باب فضله الذي يؤتیه من يشاء ثم يفيد الحكمة المذكورة في الكتاب، ثم يأتي بأورل تعرف في عادة المكاسب ولا هو مما يبرزه الفكر ولا يورث ولا يظفر به في نظم اقوافي بهد الرجال ولا في نثر النثر.

فصل: الله عند غلك به، فكن معه على أية حال كان. ثم اعلم أنه يرحم الغافل والمتغافل ويحبب المضطر إذا دعاه ولا يأمر بالفحشاء. ومواقفة أمره عنوان رضوانه.

فصل: كل المقامات تنصرف إلى التوحيد، والتوحيد بالمعرفة، ويجمع المحبة، ويفرق بالقد. والفاقد إذا أدرك السكينة بالفطرة الثانية وتجوهر بما هو في غيب الغيب أدرك الخلافة.

فصل: المواقف والتنزلات والتوجه وبدلول الألفاظ الدائرة بين الصوفية وكل المقامات وما وراء التخلق بالأسماء والحق الذي وراء ذلك كله، جميع ذلك يتأخر عن لازم الوسائل حتى مالا عين رأته ولا أذن سمعته أيضاً.

فصل: توسل بأفضل الوسائل، وأوصل المسائل، وأصدق الرسائل بقصد ظاهر، ثم اذكر بربك الله واعلم عند ذكرك إياه كما يجب له ثم فكر في هويتك، والتزم دور الإعدام، وانظر إلى القضية المفردة ثم أطلق الذكر والفكر معاً، ثم كن الناكر من حيث أنك المفكر تقوم بك اللذة المقولة والفضيلة الإلهية.

فصل: لا تغلظ نفسك بالفنلة، ولا تحدها بمدح المباح ولا تفرحها بلواحق الحواس ولا تشبهوة البطن والفرج ولا يشغلك وتر التوحيد عن شغ العمل، واستحضر التوبة فانها تطلق على أنحاء: فتوبة الذنوب لا تقبل حتى يشهد لها لسان الفقه، ويتق عليها شاهد الورع، ويحكم لها حاكم التقوى؛ والتي بعدها تنتقل من الآخرة إلى الأولى ويُرحل بها من المرجوح إلى الراجح.

فصل : لحية الشاب سياج جسمه ، وعقله حرز نفسه ، وخدينه أو مقلبه يكتب في لوحه القابل ما شاء فلا [ ١٩٩ ] تحكم على نفسك إلا المشار إليه بالفضيلتين أعني العلم والعمل .

فصل : إذا أدركت ما أدركه الرجال لا تنفل عن تدبير غيرك ، ثم احفظ ما أنت عليه واطلب الزيادة : فالتقاهة من الله حين الحرمان .

فصل : مقاصد العالم من حيث العالم الأول تنصرف إلى ثلاثة مقاصد : نيل الأحوال ، والظفر بالتصريف ، وإدراك شيء لم تشهد العادة ، وعند ذلك يحصل في البقطة ما يراه غيره في النوم ويعلم بغير نظر وتؤثر رحمته في الأشياء داخل الذهن وخارج الذهن ، والتحقيق أكل من أن يقاس بغيره أهني هذا .

فصل : من اعتز على المبتطل وذلّ للمحقق جاهد في سبيل الله بوجه أفضل .

فصل : من عارضك أو تعرض إليك وتعلم أنه غير صادق ولا تقى لا تحافظ في مرافقته على الشيء الذي ينحل إلى الأبعاد الثلاثة ، فإنه غير المشار إليه منك والذي أنت به هو الجوهر المنارق . وكلانا هنا مع من تهمل حقلك بباطله ، والشرع الشريف يشهد بجهلنا .

فصل : كل شيوخ المغرب نسبتهم علمية يشملها أول وجه من التصوف ، وما نحن بسبيله لا يقدر بذلك كله والله على ما نقول وكيل ، ولا ينخل تحت أفضل مع المشار إليه بل هو حجة الله على الكفاة وينبغي بل يجب أن يقال لمن حاد عنه أحسن الله عزاءك في طريقك ، وأحكامه لأفلامه وعثرته ، وأحكامه . والحمد لله وصلواته على المختتم بدعوته المؤرخ بهجرته ، وعلى آله وأصحابه الأعلام وعثرته ، والسلام على الأنبياء الأزكياء الأصفياء الأول ولواحقهم ، وعليك وعلى عموم المسلمين ، ورحمة الله تعالى وبركاته وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

## < رسالة >

### < وله رضى الله عنه >

بسم الله الرحمن الرحيم . وله رضى الله عنه . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما . 'علم ، علمك الله حكمته ، أن العلم هو الكمال الأول ، وهو الشرط فى الكمال الثانى ، ورحمة الله هى الأصل فى الجميع ، والسعيد هو الباحث عن مصلحته بمحصلتها ، وهو العامل بما يجب فى ذلك كله . والعلوم منها صناعية داخلية فى ماهية العلم الأول ، ومنها ما يؤخذ من صدور الرجال ، ومنها ذاتية ما ينمكس ويرجع على مضافه ، ومنها ما يؤخذ من صدور الرجال ، ومنها ذاتية بعد شرط ، ومنها ذاتية قبل شرط ، ومنها ذاتية مع شرط ، ومنها عَرَضِيَّة كذلك . والأعمال هى الصورة المنتمية للتجوهر الأول ، والعلوم الصناعية صورة مقومة له . وبعد هذه العلوم هاوم لم تُعلم قط ، وأعمال لا تنفع إلا بإضافتها لحقيقة العالم ، ثم علم ينفع وعمل يضر ، وبالعكس . والناس على أنحاء فى أحوالهم : فمنهم من لا يبحث له ولا عمل ، ومنهم بالعكس ، ومنهم من هو نصيبه ضعيف فى الأمرين جميعا ، ومنهم بالعكس ، ومنهم من يضعف عمله ويقوى عمله فى وقت دون وقت ، ومنهم من يضعف عمله ويقوى عمله فى وقت ، ومنهم من يضعف [٢٠٠] عمله ويقوى عمله لأمر ما ، ومنهم من يقوى عمله ويقوى عمله بحسب ما ذكر ، ومنهم من يُحصِّل الواحد ويتشوق للثانى ، ومنهم من لا يتشوق ، ومنهم من يتعرض ، ويمكن منه أن يصل ويحصل ، ومنهم كَتَيْفُ ذلك كله . وبالجملة ، حب الدنيا رأس كل خطيئة ، والعكس والجلل والنفلة والمثلل والتابع الهوى ونيل الشهوات الحيوانية هو الحرمان بعينه ، وهى الشقاوة الأبدية إذا دام أمرها حتى إلى زمان تقضى التركيب وصرف الأشياء إلى مواضعها وأعوذ بالله من ذلك ، وأستعين بالله الرحيم الكريم من النقض وسلطان الشيطان الرجيم . وخذ نفسك بالسيرة الجليلة ، وسنة السريرة الجليلة ، وأحكام أحكام التجوهر ، وصلاح الأحوال بالحكم الإلهية وبالتصديق التسام والتصور والتأهب لقبول فيض نوره بحقيقة الاتصال قبل تفرق الانعزال وحلول الانفصال ، فإن

سهام الحليم لاسعة وأحلام الله واسعة ، وبعض ما أحصاه علمه ، وسنه حله . والمسلم المذكور قبل على كل حال سالم ، وإن قال لا أعلم ما الله عالم ، ومع هذا المدار عليك وسلام الله عليك . فإن كنت تحب السعادة وسيرة النبي والسلف ، وترغب في إصلاح العادة بأسوة السني والشرف وبعد العبادة بما هيئت لا بالسلف ، وتحصل المجد العلمي ، وتنوق الوجد العملي ، وتدخل في زمرة المنتخبين ، وخير من إليه ينتسب ، وتظفر بنسبة الخير المكتسب ، وبالأموال التي لا من جنس ما يكتسب -- فامتثل أوامر الأمر الأول الذي لأول له ، الواحد الأزلي ، ثم أوامر الآخر الآخر الذي ظهر بالكلام الذي يشذ عن عرف الكلام المثرب والمزني ، ثم الخير الوارث ، ثم اتقصد الباحث ، ثم الشوق الباعث ، ثم السبب ، ثم النسب ، ثم الأدب ، ثم التصديق ، ثم التحقيق ، ثم حفظ ذلك كله بما حفظ به الذكر . ثم به كذلك ، وبما ضاق به فرع الفكر . وبعد هذا كله الإلحاح عين الخير ، والصبر على المكروه سبب النفع وسر الأثر ، والإضراب عن الشيء الخسيس هو بناته القبول على الأمر الرئيس ، والشرعية أعتقد أنها حكمية الموضوع إلهية المحمول ، رحمانية الأصل إنسانية الفصل ، ظاهرة في الباب باطنة عند الكتاب ، جنس المواهب أنس الطالب وأسر المطالب ، إلهامها قمة وتخصيصها حكمة . وإليك والشهوات العاجلة فاتها قاطعة بالكلمات الآجلة . واعلم أن الدنيا مفارقة والآخرة مقاركة . فمت على إيمانك ، وكن بين خوفك وأمانك . ولا تبت ، واذكر البعث . كذب الزنديق الهاذي <... (١)> الله من قبورنا هاذي . ومن أكلته النسور مبيعه للنشور . ومن الحق الصريح قيام الكل من الصريح . وسؤالك المكان في ذلك المكان . وجميع الناس من الخلق والجنة ، وفريق في النار وفريق في الجنة . لو غفلنا لم نعيش بعد حملنا للنش . ولم نعال بعد نفث النمل ، ولم نوال في بذل التوال . والحياة غرور ، والسرور شرور . هام <... (٢)> [٢٠١] مهموم وذمام الدنيا منموم . وإذا كانت الحياة الطبيعية شرطا في العقل الحيواني ، والعقل الحيواني شرطا في العلم الصناعي ، والعلم الصناعي شرطا في الفضائل الأولى والسعادة المشتركة -- فكيف بالحياة الإلهية ومشروطها المستفاد الذي يحصل به العلم الموهوب والعمل المنسوب وملاحظة الحب للمحبوب ١

وأنت أنسك الله بنفسك وغبطك بمرقتها ، وعرفك كُنه هويتها وأَنتِها ، فإن الأَردية لا يفرحون بمجواهر أرواحهم ، ولا يتلذذون بالخلوة ، فإنهم غنوعون بسواض الهوى ولذاتك هو أَنسهم باللهو والسب . فإذا خلوا بأنفسهم يتألمون لأجل جهلهم بها وعاداتهم الفاسدة . فإذا عرفت نفسك وقع لك الأَنس اللازم الذى لا ينفارق جوهرك ، وأَنسها لأحق بالأَنس بالله وملائكته وأنبيائه ورسله وأتباعهم . وإذا وجدت فى نفسك شُبُهَةً من طريق الأدلة العقلية الجأ فيها لقوتك وتصورك وللصنائع إن كنت تحكيها . فإن لم تستطع إزالتها ، فاسترِ بِرِجال . فإن صعب عليك الأمرُ فصليك بالتوجه لله صعبة ما ذكر .

هذا إذا أخذت نفسك بذلك . فإن لم تكن عقلية وتكون سمعية ، فصليك بأصول الأدلة الحسية وما ذكر قبلُ معها . وإن كانت مجموعة من العقلية والسمعية ، وأخبار النفس فعليك برجال الله الآخذين عنه بالإحراك النبوى والأنموذج القلبي ، وبالجملة : الحكم صورة متممة لجميع المطالبات المقسومة لها ، فصليك بها .

ثم يأبها المسترشد ، صل رحلك تبه الله قد رحلك . والحرُّ من تجهل فى إقدامه وتجهل فى إهدامه ولا يلتفت إلى ما جمعه كُفاه ، ويرتضى من الرزق بما كفاه . وهو يسيرته من القوم الذين يصلون ويصلون ، ويقول أصفرهم فى الصفائر وأحزنناه ! ويميل لما بهدالموت ويخاف من النقض وقت الفوت ، ويميل النقلة ما بين أجفانه ، فكيف يكون بعد الأسبوع فى أكفانه ! وأنت ذاك الرجل . فافعل ماأُمرت به ، تبه الحسن المشار إليه عند العامة قُبْحًا والليل المموَّل عليه عند الحاجة صَبْحًا . واطلع بالتركيب إلى الذات ، ثم قل : « إلى ربِّك المنتهى » <sup>(١)</sup> ، ثم انصرف إلى التحليل إلى أفضلها ، ثم ارجع وقل هذه « سِدْرَةُ المنتهى » <sup>(٢)</sup> ، وهنا مجزأت الصنائع والنهى ، وادفع هن ضميرك الوهم والهوى ، وتحرك بقلبك كما يتوج فوق رأسك الهوا ، تكشف القلب بقلبك ، وتسعف التطفل بحبك ، ويتصف المتكفل بربك ، وترك التوسل بحبك . والذى أُریده منك أن تطالع كلامى وتمتد أن اغير فيه بالذات ، لا بالمرضى ، وتيقن أن الأمر المضمون



به ينال منه أسرع من السهم إلى الغرض ، وذلك بأحسن مدخل وأكمل غرض ، بل هو أعجل من ورود الطيف وأزعم للهمة من الكم والكيف ، وأكثر إحاطة من التمكن في الطرف ، وأعجل حركة من الذهن والطرف ، وخذ نفسك النفيسة الثالثة بالخلوة ، والرابعة الساكنة بالسكنة مألوه<sup>(١)</sup> وانغمسة بالحكم الراجع المنعكس وأمر الأمر القيوم المستقيم من المنعكس [٢٠٢] والصوفي الحكيم هو الذي ينتفع بجلاله ، ويعطى من ربه بجلاله بمن وعز . وجميع الحكماء رفضوا مدلول الدنيا بأمر أحلامهم ، وسبوا زخارفها لأحوال لواحق أحلامهم . وبالجملة اعتبارك استبعادك ، وعينك عونك ، ومك صوتك ، وضعا الخواجر وصل الخور الهواجر ، وحاجتك حاجتك إن أمنت محبتك ، وأملك القاطع في وجه المجاهدة شر' الرئيس ، والكسل الدافع لعين المشاهدة شأن الخسيس ، وصلاح الأمر النازل غبطة المستنزل ، وإصلاح الوعد النازل حكمة المستنزل ، وشهود النوازل أعوان المعتدل ، وشهود الوسائل أفراس المعتدل .

فافهم مارسمت لك ، وتمنّظ من أن يد في وجهك باب الرخصة وتسلب مر السراوة والسياسة . ولما لك ومخالفة الوعد فتدعى ' لغة' وشرها وقد . ولا سبيل إلى مخالفة الجليل وحب الحليلة ، فتحرّم خير المنيب وفضل الوسيلة . واعلم أن الخير يمهله في مكارم الأخلاق واتباع الحبيب . أعانك الله على ذلك بمنه وكرمه .

والسلام على إنسانك الغريب وإحسانك الغريب ورحمة الله وبركاته !

## < وصية ابن سبغين لأصحابه >

بسم الله الرحمن الرحيم

ومن كلامه رضي الله عنه ، صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم كثيراً :

هذه الوصية كتبها لأصحابه

سلام عليكم حفظكم الله . حافظوا على الصلوات وجاهدوا النفوس في اتباع الشهوات .  
وكونوا عباد الله أو آيين توابين ، واستمعنوا على الخيريات بحكام الأخلاق ، واعملوا على نيل  
الدرجات السنية ، ولا تفصلوا عن الأحكام السنية ، وخلصوا مخصص الأحوال الإلهية ومملها ،  
وذوقوا مفصل اللذات الروحانية ومجلها ، ولازموا المودة في الله بينكم ، وافعلوا الخير وأصلحو  
ذات بينكم ، وعليكم بالاستقامة على الطريقة ، وقدموا فرض الشريعة على الحقيقة ، ولا تفرقوا  
بينهما فإنهما من الأسماء المترادفة ، واكفروا بالحقيقة التي في زمانكم هذا ، وقولوا عليها وعلى  
أهلها لعنة الله ، فإنها حقيقة كما سُمي الدين سلباً وأهلها يملكون حد الحلال والحرام ، ويستخفون  
بأشهر الحج والصوم والأشهر الحرم « قاتلهم الله أي يؤفكون »<sup>(١)</sup> . قد غلبت عليهم أحكام  
الجهل ، وأكثروا من جمع الأهراس للولد والأهل ، وحرموا مزية الرحمة والعون ، وأسمفوا بسيرة  
أبي جهل وفرعون . واعلموا أن القريب إلى منكم من لا يخالف سنة أهل السنة ، ويوافق طاعة  
من له العزة والمنة ، ويؤمن بالخير والنار والجنة ، ويفضل الرؤية على كل نعمة ، ويعلم أن الرضوان  
بعدها أصل كل رحمة ، ويطلب الذات بعد الأدب مع الصفات والأفعال ، ويغبط نفسه بالمشاهدة  
في القوم والروح في كامل الأحوال . وكل مخالف بأن منه التخلف والفساد وإن كان من إخوانكم  
ظاهره في الله [٢٠٣] ولا تلتفتوا إليه ولا تسلموا له في شيء ، ولا تسلموا عليه حتى يستغفر الله  
العظيم بحضور الكل منكم ، ويرضى عن نفسه وحاله وعنكم ، ويخرج عن صفاته المذمومة ، ويترك

نظام دموته المحرومة . وأنا أشهد الله أني قد خرجت عن كل مخالف خفيف العقل واللسان ، ولا نسبة بيني وبينه في الدنيا ولا في الآخرة . فمن زكَّ قَدَمَهُ يستغفرُ الله ولا يحدُّه قَدَمُهُ . واغتنبوا بما أتم عليه ، فما في المعص من يصل إليه ؛ والقوى الذنب منكم لا تقبلوا له توبة إلا بحلق الرأس ، ولبس الصوف ، والوقوف من المغرب إلى العشاء الآخرة ، والصمت . ومن يسمع منكم من ينكلم القبيح في التحقيق وأهله فاجروه واجهروا ووجَّهوا وذمُّوه ، وتناقضوا عنه ولا تقبلوا بعد ذلك منه . واعلموا أنه لا حاجة لي في السموات ولا في الأرض ، ولا في الدنيا ولا في الآخرة ، ولا في الأمل المقدر ولا في الكون المكوّن ولا في النظام القديم ، ولا في التعلق بالصرف ، ولا في الشأن المشار إليه ، ولا في الجسوم المقيدة ، ولا في النوات المجرّدة ، ولا في الأهراس المبددة ، ولا في الكمالات الممتدة ، ولا في الحروف المعتدّة إلاّ في ذات الله ، وفي ذات من صعبني من أجله . والسلام على من صلحت نسبته ، واستقامت سُنَّتُهُ ، ورحمة الله تعالى وبركاته !

ومن كلامه رضي الله عنه : من استقام في بدايته وحصلها على وجهها وظفر بشرطها في علمه وقوله وفعله وحاله ، وفعل فيها ما ينبغي كما ينبغي على ما ينبغي في الوقت الذي ينبغي ووافق الشرع والمعروف والعادة الجليّة والعقل المستدّ وصبر على تكليف كل محترم عنده ، وحفظ على شروطه كلها وتأدب مع أمره ، وستر أشارتها بعبارتها ، ومال بمجملته إلى الشريعة ، وأمله إلى الحقيقة ، وحدث نفسه بما ذكر في زمان العمل ، وبالأمل في حال السؤال ، وسكن بصيغة الأمر والهي ، ونحوه من أسفل البطالة بمحضرة الجد وعالم الحد ، وقطع عقاب المهلكات بالعالم الثلاثة ، وصعد على منازل الأبرار ، ورتب المنجية بالمقام الأعظم ، وخرب نظام عاداته ، وكان من عباد الله الصالحين وحقق المقصود في القرب من ربه ، فإن أظهر بيده في طاعة رسوله وشيخه ومن يُدبِّره ويُجهِّزه ويؤدِّه الله وينبهه على مصالحه ويحاسبه ويشرِّفه بمحسناته وسيئاته خليف أن يقال له مريد ، بل وليّ ، بل سعيد ، بل منرك ، بل وارث ؛ بل خليفة بمعنى ما . وكذلك هذا الأمر في السلوك لكن بذكر الله تعالى .

ومن كلامه رضي الله عنه : من طلب ظفر ، ومن ظفر ربح ، ومن ربح تأنس ، ومن تأنس نشط ، ومن نشط زاد طلبه ، ومن زاد طلبه أخرج مالم يقصده ولا يضطر له على قلب ، وهو كماله

الأخير . ومن حصل له كماله الأخير كان من السعداء ، ومن كان من السعداء اشتد طلبه ، [ ٢٤٠ ] وزاد شوقه ، وعاین الذوات المجردة ، وكشف له عالم الأمر ، وطالع انظام التقديم . ومن طالع النظام القديم وقف طلبه من حيث عادته وصفاته ، وتحرك من حيث خرق عادته وصفاته بجوهره . ومن خرج للفعل من كل الجهات شاهد الذات القديمة بتعرب نظام الحادثة حتى من خير خبرها ومن إشارتها ومشيرها ووحد وركب التوحيد بالسلب الموجد ، وجميع ما يعل سوى الواحد عز وجل ، وقال : لا إله إلا الله بالقضية المستقبلية وهو بالماضية وطلبه بالحاضرة .

ومن كلامه رضى الله عنه : والذى تحتاج إليه أن تعلمه أن الأولى<sup>(١)</sup> أن يطلق العلم الإلهى على معرفة الوحدة ، وأن المقصود منه هو التوحيد ، وأن المؤحد هو صاحب النتيجة الماحية لكل معلوم فيه غير الوحدة المحضة ، ولكل علم يدل على واحد منسوب ومشير إلى مشار أول . والذى يبلغ هذه الدرجة أدرك المقصود . والقدماء تكلموا فى الغاية الأولى ، ولم يفهموا الثانية وخبطوا خبط عشواء . فنتقول : إذا كان مراد المحقق والمحِبِّ الوصول إلى ما حققه أو أحبه وبقي بينه وبين محبوبه فصلٌ مشترك ، فلا وصول . والحب إذا حققته هو الانهاد بالمحبوب وهذه رتبة الصوفية . وزعمت أن المقصود من السلم الإلهى هو الفناء ، والعجز عن درك الإدراك إدراكه عندهم ، وأن الوجود المطلق هو الحق الذى إذا علمه المتقيد<sup>(٢)</sup> ثلاثى ، وذهب . وقسموا الوجود إلى مطلق ومقيد ومقدر ، وأن الالتئاذ لا يكون إلا بعد الاتصال . ولهم فى ذلك كلام طويل . وهم أقرب إلى الحق من القدماء . وإن كانت مقدمات القدماء علمية ، فمقدمات الصوفية خلقية . فالمقصود عند الصوفية الأصفاء رضى الله عنهم هو الوجد والفناء ، والسמיד عندهم بحسب ما يثبت له فلك ويحمده . والعلم الإلهى عندهم الفكر والذكر الأكبر والتعرض لنفحات الرحمة الرحانية وركود الحواس والعمل بما يرد على القلب ، وتصريف القوى الروحانية ، وتخليه القلب من غير الله تعالى ، وتخليته بذكره جل وهلا ، والجد فى العمل . فهذا مذهب الصوفية فى العلم الإلهى ما هو .

( ٢ ) أى الوجود المقيد ، أى الإنسان .

( ١ ) فى الأصل : لا ولا ( ١ ) .

ومن كلامه رضى الله عنه : المقل عند الأشعرى غير الروح ، وعند الحكيم قولك عقل وقوة مجردة ونفس ناطقة أو روح أسماء مترادفة . والروح عند علماء الصوفية غير ما ذكر : تارة يطلقونها على الحق الذى قامت به السموات والأرض ، وقيل هى صفة من صفات الذات ، وتارة يطلقون عليها الكلمة ، وتارة القضية الجزئية ضابطة النظام فيها كان كل موجود ليست بفيض ، وكانت متحدة تم الأشياء ، وليست باتحاد ، وإن كانت ألزم للشيء من ذاته . وليست بمخالفة ، وإن كانت جزء ماهية من الشيء المضاف إليها وإليها يشيرون حيث قولهم : إن فى كل شيء سرّاً من سره : جمد فى الجمادات ونظم فى النبات وتحرك فى الحيوان ، وأنطق فى الإنسان .

تم بحمد الله .

## > الرسالة الرضوانية <

[ ٢٤٤ ]

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا وولانا محمد وآله وسلم كثيراً والحمد لله رب العالمين .

يا مرحوم الرحمة تتعلق ببعض المعلومات ، والقول عليها مثل القول على الإرادة والقدرة وغير ذلك مما يخص بعض المعلومات لأكملها ، وتمتد إلى غير نهاية وتعم الكون كله . والفكر فيها مادة الطيبات وتصورها يحرك الذات وهي مُتَنَزَّهة المارفين بالله . وصيغتها أهم من العفو ، فإنها تقال على المذنب وغير المذنب وترددون علة وبضد ذلك . وإذا نظر فيها وفي ماهيتها وفي أثرها وفي لواحقها الخاصة بواحد بدل الآخر صرفت إلى إرادة القديم وقيل فيها صفة من صفات ذاته وإذا نظر فيها مفردة وتعتبر في مضافها المنفعل خاصة وتحمل على معنى الانعام وتمسك هن التأمل في محرّكها الأول تجعل من لواحق القدرة والإرادة وقيل فيها صفة فعل . والرحمن والرحيم اسمان مأخوذان منها ومعناها واحد عند أهل الكلام والعفو أهم من الغفران فإن العفو يقع على كبائر الذنوب وعلى صغائرها ويطلق بتشكيك مع التنبيه ، ومع ما يقع في الغفران والعزم داخل الذهن وإن لم يخرج للفعل . والغفران لا يتعلق إلا بالذنوب ولا يقال إلا عليها خاصة . وقد تطلق الرحمة والعفو والغفران بترادف ، إلا أن كل عفو وغفران رحمة وليست كل رحمة عفواً وغُفْرَاناً . والرحمة أهم من الرضوان ؛ وكل من رضى عنه رُحِمَ ، وليس كل من رُحِمَ رضى عنه . والله تعالى رحيم عفو غفور ، فوالإنتقام شديد العقاب ، ذو الطول يعفو ويتنقم ، ويرضى ويفضب ، له الصفات العلى والأسماء الحسنى . فالخلق مترددون بين أحكام صفاته وجوداً وعدماً ، رضى وغضباً ، عطاء ومنعاً ، هذا باً ونمياً ، غنى وفقراً ، صحة وسقمًا ، جاهاً وخولاً ، خفاء وظهوراً ، وهو الكريم الذى يعطى بالمسئلة ، وهو

الوهاب الذى يعطى بغير مسئلة . ولا خير فى الوعبدية ولا خير فى المرجئة : فإن الوعبدية تقول إن الله لا يفر ذنباً ، والمرجئة تقول إن الله تعالى لا يؤاخذُ بذنب . فأبطلت الأولى رسم التوحيد ، وأبطلت الثانية وجه التكليف ، وعطلنا حكم صفتين عليتين واثنتين حسنتين للبارئ سبحانه وكأنتهما لم تقرأ قوله تعالى « ثم نزيل الكتاب من الله العزيز العليم ، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا هو إليه المصير »<sup>(١)</sup> .

ومن نظر إلى الرحمة وتعلق باسم الرحمن وفكر فى الرحمانية طاب عيشه وحسن أنه وأنيسه وسَمِحَ فى بحر الرحمة وغرق فى مدلوله ويمكن منه أن يصيبه ولم<sup>(٢)</sup> حتى يقول أو يقول له حسن [٢٤٥] قلته : كل موجود سوى الله الحق تعالى يقال عليه الرحمة وتقوم به وتتمل فيه وتلحمه . فنقول : ولا بد للنار أن يدمم طامرها وينتقل إلى أحسن حال ويستدرج بالرحمة الخاصة إلى الرحمة العامة . وربما استعان فى ذلك بعض الأحاديث المشهورة ، وقرأ عُقَيْب الاستدلال ، وتفكر فى قوله تعالى « إن الله يفر الذنوب جميعاً »<sup>(٣)</sup> ، وفى قوله تعالى « قل كل يعمل على شاكلته » ، وأطلق القول على المؤمن والكافر وجعل الرحمة عليهما ، وقال الخليل هو الغالب على خلقى الكريم الحليم ، ويقول : كل ما يفعله من خير وشر إذا اعتبر من حيث الحكمة والفتنة والجبروت حُجِدَ واستحسن وعُظِمَ ونُسِبَ إلى الخليل بموصوفه والشر بفعله ، وجعل الخليل فى المهل والقصد الأول والشر بالالواح والمضاف المنفصل والقصد الثانى . وقد يكون الخليل عند بعض النوات الروحانية بالقصد الثانى ، والشر بالقصد الأول كما بيناه فى « بدء المعارف » .

ومن نظر إلى الصفو وتصنعه ، وأطال الفكرة فى مضاهه ومدلوله ، وتأول مقوله وحقق المراد فى الشريعة ، وحصّل مقصود الأحكام الشرعية ، ومال مع الإجماع وتبدر صيغة اسمه الصفو وقرأ « إن الله لا يفر أن يُتركَ به ويفر ما دون ذلك لمن يشاء »<sup>(٤)</sup> — وصحيح أن النسخ لا يقع فى الأخبار — أطلق الصفو والإحسان بتقييد ، وخلّص نفسه من الأشعرية ومن بعض الفقهاء ،

(٢) كذا !

(١) سورة « غافر » آيات : ١ - ٣ .

(٤) سورة « النساء » آية : ١١٦ .

(٣) سورة « الزمر » آية : ٥٣ .

ومن بعض الصوفية ، وسلم الأمر للحكيم ، وغلب على ظنه عفو ورحمته وغفرانه ، واعتقد السعادة في أهل القبلة واقعة ولم يفصل .

ومن نظر إلى المغفرة وفكر في اسمه الفعور قسم الناس إلى مؤمن وكافر ، وقال : الكافر في النار بإجماع الأمة ، والمؤمن<sup>(١)</sup> في الجنة بإجماع الأمة . وقسم غير الطامع إلى فاعل كبيرة وإلى فاعل صغيرة ، وقال : فاعل الصغيرة في الجنة بإجماع . وقسم فاعل الكبيرة إلى تائب وغير تائب ، وقسم التائب إلى تائب قبل موته بمدة طويلة وتوبة صادقة وتامة الشروط وهو عالم صالح ، وإلى تائب قبل موته قبل أن يغفر ، ومدته ضيقة لا يسع فيها إلا توبته خاصة ؛ وإلى تائب قبل موته دون الأول وفوق الثاني . ثم فكر في آيات الزجر وفي الأحاديث التي تواترها وفي اختلاف العلماء وفي خلاف ابن عباس مع علي بن أبي طالب رضي الله عنهما في آية القتل وفي ترادف الوعيد فيها وتكراره . ثم اجتهد ، ثم معلوم الرحمة الأولى بمعلوم المغفرة الأخيرة المذكورتين قبل وما بينهما ، وتدبر في شرف الإيمان وتصفح الآيات التي تتمازج والأحاديث التي تختلج في متعلقاتها وامتنح بشأن التائب والتوبة والتواب بعقله وبالقياس وبالاجماع وبالكتاب والسنة ، ثم فكر ونظر وخصص مهمل الرجاء برحمة الشفاعة ومجمل اليأس بحمزة الاسلام ، وامتنح الأحكام الشرعية بالسبر والتقسيم ، وفكر في الأشياء المعينة بالصبر والتسليم ، وقال : الأول في الجنة بإجماع ؛ ويغلب الظن أنه لا يدخل النار والآخر من أهل الجنة بإجماع وبلحق الشك في [ ٢٤٦ ] أمره هل يدخل النار أم لا ، والثاني الذي بين الأول والآخر في قوة الظن أنه من أهل الجنة ويتعرض الشك في أمره هل يدخل النار أم لا ، والشك تردّد ما بين أمرين لا مزية لأحدهما على الثاني ، والظن تردّد ما بين أمرين لأحدهما مزية على الآخر . وقوة الظن قريبة من اليقين . والمُصِرّ قسمه إلى مُصِرّ يقول بتحريم الذنوب ، وإلى مُصِرّ يقول بتحليلها . والمُصرّ الذي يقول بتحليلها في النار بإجماع . والمُصرّ الذي يقول بتحريمها ينقسم إلى مصر خالط عملا صالحا وآخر سيئا وكانت صفاته أكثر من كبرائه وفي نفسه أسف ، وإلى مُصِرّ في خبره أثر الاقلاع . وفي حاله ذم التسويف ، وفي فعله القبيح بعض توقيف ، وإلى

(١) قولها : « كنزها » - ولعله استغرب أن يكون كل « مؤمن » في الجنة .



مُصِرٌّ على كِبَارِهِ والشهوة غالبية عليه ومحركة له وعزمه ثابت على فعل القبيح وقوته النزوعية تحركه لكل كبيرة غير أنه مريض الشخص وقليل المال وضعيف الجاه ولا يستطيع على خروج فعله المذموم من القوة إلى الفعل . وإلى مُصِرٍّ مثل الأول في كل أمور غير أنه كثير المال والجاه وصحة الأعضاء وقوى الجاه . وإلى مُصِرٍّ مثل من تقدم غير أنه من الملوك وكِبَارُهُ في اليوم الواحد أكثر من كِبَارِ الغير ألف مرة وإلى أكبر وإلى أصغر وإلى من هي كبيرة بالإضافة إلى الثاني كلجنس النوع والنوع والنوع للشخص وقال بعد تقسيمه الأول في عذابه في النار بإجماع من حيث النصوص الشرعية ، وينبغ الظن أنه من أهل المسكن المتوسط بين الجنة والنار بعد مدة والثاني يلحق الشك القطع عليه بالخلود وينبغ الظن في عذابه أنه مخفف عنه ، والثالث يحمل عليه بحسب ما ذكر ويقاس على أمره بالقياس المذكور وينظر فيه بنظر الآخر والأول . وكذلك ما بعد من العصاة مثل من ذكرنا .

ومن نظر إلى الرضوان الذي يطلق مع الرحمة بترادف وإن كان أمم منها ويطلق مع المغفرة والعفو بتشكيك وهو الجنس العالي للجميع وهو المقول على كثيرين إذا اعتبر الإحسان وأنواعه وهو مع ما سواه من أنواع الفصل كالثناء مع الشكر فإن الثناء أمم والشكر أخص ، والثناء يتعلق بالأسماء الأربعة : اسم الذات واسم الصفات واسم التنزيه واسم الفعل . والشكر لا يتعلق إلا بالأفعال خاصة . والرضوان هو المطلوب بعد رؤية الحق سبحانه وهو الذي يفيد السعادة ويمنفها وينميها . والرضوان هو ماهية النعم ، وهو المحرك لكل أني وطافية ، وهو المنتسم إلى ما ذكر . ثم نظر إلى الكريم الأعظم وحقق نظره في فضل الوهاب وصحح ما يجب له ويميز عليه ويستحيل في حقه . ثم نظر إلى الحبيب المقرب المقبول الشفيع المشفع ، ثم نظر إلى حبه في أمته ورحمته لهم وحمته فيهم وغيرة عليهم واحتوائهم بهم وحسن ظنه بربه وشأنه عنده . ثم نظر إلى شرف الإيمان وفضيلة كلمة الإخلاص وعظم شأنها . ثم نظر إلى قولها عند الخاتمة . ثم نظر إلى حب المُصِرِّ الصامى في الله تعالى ورسوله ﷺ وإلى توكله على شفاعته المختار صلى الله عليه وسلم . ثم نظر إلى خلاف العلماء . ثم نظر إلى آيات الرجاء . ثم نظر إلى عزة التوحيد . ثم أعاد نظره في الكريم والكرم المطلق . أطلق القول بعد تقرير ذلك كله في خله أن المؤمن بالله في الجنة على كل حال

وقال : صَحَّ أَنْ الرَّحْمَةِ هِيَ الْفَاعِلَةُ وَلَهَا يَرْجِعُ وَلَا يَمْتَنِرُ الْعَمَلُ مَعَهَا وَيَدْخُلُ الْكُلُّ الْجَنَّةَ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ شَيْءٌ . وَإِذَا قُلْنَا هَذَا دَخَلَ بِصَلِّهِ ، وَهَذَا أُعْطِيَ عَلَى عَمَلِهِ الصَّالِحِ الدَّرَجَاتِ السَّنِيَّةَ ، وَهَذَا جُوزِيَ بِصَلِّهِ ، وَهَذَا مِنَ الْإِبْرَارِ ، وَهَذَا مِنَ الْمُقَرَّبِينَ — إِنَّمَا قَصِدْنَا بِهَذَا الْقَوْلِ كُلَّهُ الْقَصْدَ لِلشَّرْعِيِّ .

وَأَمَّا الْقَصْدُ الْعَقْلِيُّ : رَحْمَةُ اللَّهِ هِيَ الْفَاعِلَةُ ، وَهِيَ الْعَامَّةُ ، وَهِيَ مَهْيَأَةٌ لِلخَيْرِ ، وَهِيَ جَاءَتْ بِالْخَيْرِ ، وَهِيَ عَصَمَتْ مِنَ الشَّرِّ ، وَهِيَ حِفْظَتْ ، وَهِيَ هَدَتْ ، وَهِيَ أَرَشَدَتْ ، وَهِيَ هُوَ وَلَا شَيْءٌ مِثْلُهَا . ثُمَّ غَلِبَ عُمُومُ الرِّضْوَانِ وَإِحْسَانُ الْمَنْعَمِ وَجَاهُ الشَّفِيعِ وَشَرَفُ التَّوْحِيدِ وَعِجْزُ الْمَوْحِدِ وَالْعَذَابُ الَّذِي نَالَهُ وَأَقَامَ الْحَقُّ فِي أَوَّلِ خَطِّ الرَّجُلِ ، وَالنَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي آخِرِهِ وَالْمُذْنَبُ فِي وَسْطِهِ وَتَأَمَّلْ اضْطِرَارَهُ وَرَحْمَةَ الَّذِي يَجْبِيبُ الْمَظْطَرَّ إِذَا دَعَا ، وَوَسِيلَةَ الشَّفِيعِ الشَّفِيعِ فِيهِ . وَيَتِمُّكَ مِنْ هَذَا كُلِّهِ عَلَى أَتَمِّ مَا يُمْكِنُ وَأَلَيْسَ نَفْسُهُ وَاشْتَدَّ فَرَحُهُ ، وَأَفْرَطَ فِيهِ غَرَضُ حَمْدِ الْمُنَّةِ . وَرَبَّمَا سَكَرَ فَقَالَ وَحَقَّ رِضَى اللَّهِ وَإِحْسَانُهُ وَجَاهُ الشَّفِيعِ وَشَرَفُ التَّوْحِيدِ وَقَسْرُ الْمَوْحِدِ مَا أَحْكَمَ أَمْرَهُ أَحْمَدُ فِي الْقِيَامَةِ إِلَّا عَلَى ضَرْبٍ : فَمَنْ رَجُلٌ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ وَيُشْفَعُ فِي عَدَدٍ كَثِيرٍ ، وَآخِرُ دُونِهِ ، وَآخِرُ فَوْقِهِ ، وَآخِرُ يَدْخُلُهَا بَعْدَ السُّؤَالِ ، وَآخِرُ يَدْخُلُهَا بِرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَإِنْ كَانَ مِثْلَ مَنْ ذَكَرَ مِنَ الْمُصْرَبِينَ ، وَآخِرُ يَدْخُلُهَا بِالشَّفَاعَةِ قَبْلَ النَّارِ ، وَآخِرُ يَدْخُلُهَا بِالشَّفَاعَةِ بَعْدَ النَّارِ ، وَالْمُؤْمِنُ لَا يَشُقُّ ، وَالْإِسْلَامُ الْمُؤْمِنُ قَدِ يَكُونُ مِنَ الْأَشْقِيَاءِ بِالْقُوَّةِ وَمِنْ السَّعْدَاءِ بِالْفِعْلِ . وَبِالْعَكْسِ يَاهُنَا . وَقَدْ كَشَفَ الْقِتْنَاعُ فِي ذَلِكَ حَدِيثُ الشَّفَاعَةِ فِي كَيْفِيَةِ الْمَذْنَبِينَ وَمَرَاتِبِ إِخْرَاجِهِمْ مِنَ النَّارِ عُمُومًا ، وَوَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ خُصُوصًا وَالْفَلَفُ لِلْمُسْلِمِ ، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «إِنَّ رَجُلًا» مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ قَتَلَ سَعَةً وَسَمِينًا نَفْسًا ، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمَ أَهْلِ الْأَرْضِ ، قَالَ : «فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ فَأَتَاهُ ، فَقَالَ لَهُ إِنَّهُ قَتَلَ سَعَةً وَسَمِينًا نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ ؟ فَقَالَ : لَا ! فَقَتَلَهُ فَكُلَّ بِهِ مِائَةَ ثَمَسًا» عَنْ أَعْلَمَ أَهْلِ الْأَرْضِ «فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ» قَالَ : «لَهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ! وَمِنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ ! انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَنْدَا وَكَنْدَا فَإِنَّ بِهَا نَاسًا يَسْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سُوءٍ . فَانْطَلِقْ حَتَّى نَصِفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ فَانْخَسَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ فَقَالَتْ : «مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ : جَاءَ نَا تَابًا» قَبْلًا ، وَقَالَتْ : «مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ : إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قط . فَأَتَانَا مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمَ فَجَسَّوهُ حَكْمًا فَقَالَ : قَبَسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضِ فَإِلَيْهَا كَانَ أَدْنَى فَبَوَّاهُ . فَقَاسَوْهُ

فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد قبضته ملائكة الرحمة ، وفي رواية : فكان إلى التربة الصالحة أقرب بشيء قليل فجعل من أهلها . وقال [٢٤٨] صلى الله عليه وسلم : « مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حَرَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى النَّارِ . وما تمارض في ذلك من النصوص للحكم فيه تردد القلوب بين الخوف العاصي والرجاء للرحمة وينفذ حكم الله تعالى على العباد والمآبقة للفتن . وقد حكى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن السائل إذا جاءه وذكر له « وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا » <sup>(١)</sup> الآية إلى آخرها نظر : فإن كان لم يقتل قال لا توبة للقاتل ، وإن كان قتل قال له توبة . فكان ينظر على من لم يقتل ليكشف وكان يخفف على من يقتل لثلاثين . وقال بعض من نسب نفسه إلى علم التحقيق : قوله « وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا » وقوله « إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ » — خير ولا يصح النسخ في الأخبار كيفما ترددت ، وإما معناه جزاءه إن جزاءه ، أو يكون منه من قتله مستحلاً ، أو يكون المراد به رجلاً بسينه .

فانهم يأبوا المرحوم وتلذذ بالرضوان الذي تقدم ذكره وأنسَ نفسك بالإيمان ، وقرأ كلمة بسم الله الرحمن الرحيم ، وتعلق بالبعث منها وتخلق بالبعث ، واعلم أن معناه عظيم الشأن ، ولأجل شرفها وبما جمعت من الأسرار والخير للمكلف قدمت قبل تلاوة كلام القديم والحدث ، وهي كلها من الحروف المتحابة إلا الأولى منها وهو منها بالنظر إلى أصله . وقد تكلم الناس في أمره وتقدر أن تتف على ما قيل فيه من هناك . ولولا خوف التطويل والخروج عن الاشتراط الذي هو عليه في الاختصار كنتُ نكتب في ذلك ما هو أبسط وأكمل من هذا كله . والذي يجعل بهذا ويحسن أن يكون منوطاً به ويدكر عقبه ذكرُ التوبة والكلام عليهما ، فإنها نعمة عامة وموضوع المآبقة ومحورها في العبد الفاجر المذنب . فتبدأ بعد قولي وبالله التوفيق ، فنقول :

التوبة تطلق على أنحاء ، وهي وظيفة شرعية ، والسكل مطلوب بها ولا يحملها أحد عن أحد ، وهي الندم على المصيبة لأجل ما يجب له الندم . والمرب قول : تاب وأتاب وآب بمعنى رجع . وإذا

أضيفت التوبة إلى المكلف أريد بها رجوعه عن فعله القبيح إلى الندم عليه . وإذا أضيفت التوبة إلى أفعال الله تعالى ، فالمراد بها رجوع نعمة وآلائه وإياديه إلى عباده التائبين . والذي يريد الشرع منها ثبوت مفهومها القنوي ومتعلق حكمها الشرعي . والتوبة الشرعية هي القنوية بجهة ، وهي غيرها بأخرى . فلا كل من رجع يسمى تائباً شرعاً ، ولا كل من ندم خرج عن فعله القبيح ودخل في الحسن يحمل عليه على الإطلاق أنه رجع .

والمقصود المطلوب الذي يحرر التوبة الشرعية ويحقق فيها مفهوم اللذة هو رجوع التائب بأمره بحركته إلى رجوعه ويغفره ويرجيه بوعدٍ ووعدٍ ويترك ما كان عليه من أجل ما أمر به ولأجل ما هو تارك له ، ويرجع إلى ما هو معين عليه وينتقل من الذي نهى عنه . ولذلك لا يقال في الذي يترك شرب الخمر من أجل الناس أو أجل جسمه والاحتياط على عقله : تائب [ ٢٤٩ ] شرعاً ، وإن كان مؤمناً أو كافراً — فاهل .

فإذاً التوبة واحدة بالقول ، كثيرة بالموضوع . والأسماء تؤخذ من اللغة والقياس والشرع والعرف ، واسم التوبة الشرعية مجموع الأربعة وصيغتها يشترك فيها مدلولها ومفهومها ، وجملة أمرها يحمل عليها بالثبات إذا فصلت وبالعرض إذا صرفت وهي بالجملة راجعة إليها . وانظر إلى المؤمن إذا تاب عن قبيح ورجع منه إلى ضده . ثم انظر إلى الكافر الذي يكف عن قبيح ما ويخرج عنه ويرجع إلى ضده نحو التوبة في هذا صحبة من الجهتين ، وفي هذا من جهة واحدة وهو الرجوع المعروف في أصل اللغة خاصة . فقد صح العرف ولما لم تقبل التوبة من المؤمن إلا بعد الأمر والنهي والوقوف على خبر الشارع عليه السلام صح وجود القيلس فإن العرف يفر عنده ولم يحمل عليه ووقف على شرط واحد ، وهو التصعد الشرعي ويخرج عن الكافر ولم يحمل عليه ، ووقف على شرط متقدم وهو الذي لا تصح الطاعات إلا به وهو الإيمان وهو شرط الحق ، وهو الذي لا تكمل الطاعات إلا به وهو الفرض ومراعاته . وإن كان هنا قد دخل تحت الطلب ، وهذا كذلك ، وهذا قد قام به الشرط الأول ، وهو الذي لا يدخل تحت مقدور العبد ولا يمكن أن يكلف إلا بوجوده ، وهو الذي إذا ارتفع ارتفع حكم التكليف عنه وهو العقل وهذا الثاني مثله ، فهذا مذهب العرف ، وهذا بعيد عنه بما ذكر من معلوم الأمر والنهي ومن حلها على معلوم الشروط المذكورة

ومن ارتباط بعض لواحق الأول مع الثاني في مدلول التنكيل ومن حيث الرجوع عن الزلات واكتساب الخيرات المعنوية الشرعية الفاعلة تحت جنس الأحكام الحثة الفقهية التي فصلها الانقياد الخاص للأمر المشار إليه بأمرها ماهيته التحليل والتحريم وميزها من غيرها وعرف الأمور المنكر الذي اشترك مع غيره وخصص مهمل شأنه وقبس مجمل تقييده — صح فيها أخص في التوبة اسم الشرع واللغة مما فافهم وتصنع كلامي فإنه يصعب من جهة ، ويسهل من جهة أخرى . وكذلك كل كلام صناعي مفيد يجنب البرهان ويوضع الإقناع الذي لا يقين فيه .

وجلة الأمر : التوبة الشرعية لا تصح إلا بتقيد ، ومقيد ، ومقيد ، ومشار ما إليه يتعلق به مفهوم الخوف والرجاء ، وحركتها ، وإقرار بوجودها وتبوتها ، وإيمان بوقتها اللازم وبقوتها الواضع وبقوتها الضيق ، وبأبها الذي يخلق في وقت مجهول الكيفية والحال ، وأنها تحت مقدور العبد ونحت كسبه ، وأن قدرته تؤثر فيها وإن تعلقت بها فإن العبد الثابت بمنزلة من حيث الهداية والعاقبة والفاعلة ويقدر بالكسب الشرعي بالقدرة الحادثة التي هي وصف لابد خاصة ، وحركته بها كسبه ، وهي لا تتقدم زمان حركته ولا تتأخر عنها وتمازجها . والقدرة تعدد بمضافات المقدورات ولا فترة واحدة تتعلق بكل مقدراته ولا يلحقها التعدد وتؤثر في كل مقدور وتخضعه بوجوده في حادث ، وإنما وجودها في القديم . ومنه المومن السقي بين المعتزلي والجليري [ ٢٥٠ ] فيها . وهذه مسألة قلمت قلوب المتكلمين . ولولا خوف التلويل كنت تشكك على حقيقتها ، ولشقي بها صدور الطلبة . وفي الجواب على « مسائل الإشبيلية » فخلصها بحول الله تعالى فانظرها فيها وتدرها . وقوله تعالى : « إياك نعبد وإياك نستعين » <sup>(١)</sup> كذب الجليري والمعتزلي فافهم وتب التوبة المذكورة وارجع الرجوع المذكور . ومن لم يلتزم شروطها فهو راجع وتائب بمعنى منتقل خاصة ويدخل تحت جنس الرجوع المطلق ، الذي يقال على الماقل ، وعلى غير الماقل ، والتوفيق بيد الله تعالى ، وهو الذي خلق القدرة على الطاعة ، والإفلالان بيد الله ، وهو الذي خلق القدرة على المعصية .

فصل : جميع ما ذكرته في التوبة من مراعاة الأمر والنهي هو الذي يلزم في كل الأحكام

الشرعية . وما ذكرت من الأسماء وتفصيلها يلزم في أكثرها . ألا ترى أن الصوم الشرعي لا يصح معناه بالإمساك المطلق إلا بمفهوم اللغة فيه حتى يضاف إلى ذلك الأمر به وبوقته وبمقداره وبتفضيله وبكيفية أحواله كلها ، وعلى أى شيء يمسك ، وهل هو لمعنى ما أولاً ، وما المعنى الذى هو له هنا الإمساك ومحركه أى شيء هو ، وبمن يقوم ، وبمن لا يقوم ، وفى أى وقت يتعلق الخطاب بالمسك المكلف ، ومن أمر به ، وما يجب للأمر عز وجل ، وأين نسبته من المأمور ، وما يلزم عنه عصيانه ، وكل أصناف الأمر به ، وكل من أمر بأمر به ، وغير ذلك من الأمور الذاتية للصوم والصائم فى الشريعة المذكورة .

ومن غفل عن هذه الشروط كلها ، ويحصل الصوم على مفهومه عند العرب الذى هو الإمساك ولا يعتبره بالعرف والقياس والشرع ، حاد عن طريق الصوم الشرعي ، وسلك على طريق الصوم العامى الذى يقال على الإمساك المشترك الذى يمس الماقل وغير الماقل ، والخير وغير الخير ، والطائع وغير الطائع . والعرب كانت تطلقه ولا تقيده . فإذا ما أطلقتها بالأمر على الشيء المشار إليه قيدته فى زمان الأمر ، كقولك : أمسك الباباً وضم عن الكلام . قال الله تعالى « قُولُوا إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا »<sup>(١)</sup> أى صمتاً . قال الشاعر :

خيلُ صيامٍ وخيلُ غير صائمة    تصت العجاج وأخرى تَعْلُكُ اللُّجُجُ<sup>(٢)</sup>  
وقال امرؤ القيس :

فَدَخَ ذَا وَسَلٍ الْهَمَّ عَنْكَ بِجَسَرَةٍ    ذُولٍ إِذَا صَامَ النَّهَارَ وَهَجَرًا<sup>(٣)</sup>

فصل : قال رسول الله ﷺ الندم توبة ، أى معظم التوبة الندم ، كما قال الحبيب عرفة أى معظم

(١) سورة مريم آية ٢٦ .

(٢) الصائمة من الخيل : القائمة على غير اعتلاف .

(٣) صام النهار : قام واحتدل ، وفى « القاموس المحيط » : صام النهار : قام قائم الظهيرة . وذمل البعير فهو ذمول : سار سيراً ليناً . راجع ديوان امرئ القيس بعنوان « كتاب زهرة ذوى السكيس ونخلة الأدباء فى قصائد امرئ القيس أشهر الشعراء » ، نظم البارون دي سلاب ، باريس سنة ١٨٣٦ ص ٢٦ البيت ٢١ .

الحج عرفة. وإن عزمت أيها المذنب على التوبة فأنعم وأعزم على فعل الخير المعروف وأفضل به في الحين وما عليك للغير بادر به وأنصف المظلوم من التباكت المعنويات والحسيات وغيرها فإن لم تقدر فلا تحذر لواقعته مثل الوارث القريب له، وكذلك أهبط بالتحليل في أهله، وأطلب نفسك بالإينصاف؛ فإن لم تجد فن الأحوال السنية والمعاملة الجميلة الخلقية العلية والعملية وتشركه فيها؛ فإن لم تجد فقامه في خبراتك كلها وجد في العمل الصالح حتى تكون واسع الذمة [٢٥١] بحيث تعطى وتبقى غنياً بالكسب والمال؛ فإن لم تستطع فارفع أمرَكَ للفقر القديم فهو يُذْهِبُكَ وينصف عنك التقدير القديم وما يملك وبين ربك استغفره فيه، وثبُّ له وأخرج عنه، وفوض أمرَكَ فيه لكرمه، واستمع يوم ينادى المنادى من مكان قريب صيحة تنبيه رحمة. ويقال لك: يا أيها الإنسان ما حركَ ربُّكَ الكريم؟ فقل له حلم الحليم وهجر الجريم.

**فصل:** يتوب الكافر من كفره والمؤمن من معصيته والساك السعيد من غفلته. والمؤمن لا يكفر بذنب فإن تاب فأبى يتوب من فعله المذموم، وما في تصوره وتصديقه من معرفة الله تعالى لا يرتفع بالفعل المذموم فإنه خارج عن صفة نفسه. ولكل ذات معنى خاص بها ومضاف يانها ويتعلق بها وهو منوط بها. والمعلوم الصحيح الذي يتعلق به العلم على ما هو به وتحصل صورته في نفس العالم ومعرفة صادقة قد حَقَّقَهَا القياسُ وأثبتها البرهان لا تتغير أبداً. والعالم به لا ينتقل عنه ولا يغير أن في غيره ما يعول عليه ولا يبقى له في محصله ما يحتاج فيه إلى تَلَفُّتٍ وانتحاف كالأمور المظنونة.

**فصل:** التوبة فريضة تلزم كل مسلم، والعاقل عنها يتوب من أجلها فإنها دائرة وهمية وتكون كالخط المقوس مع التفلته وعند التذكر دائرة والتخصيص يجمع نهايات خطوطها ويقومها وهي تشتمل مع الهمة والأدب والحكمة والسيرة الجميلة وهي موضوع العناية، والعمل الصالح مجملها والعلم صورته المقرومة والهداية صورتها المتشعبة. وهي على أنحاء وأنواعها كثيرة، وفيها القوى القاطع والضعيف اللين، وفيها ما يعظم شأنه وفيها دون ذلك، وفيها ما يُقْتَنَعُ فيه بالخبر، وفيها ما لا يصلح إلا بالفعل، وفيها ما هو بالاستعداد، وفيها ما هو بالموت، وفيها ما هو بالقوة، وفيها ما هو بالفعل، وفيها ما هو بالخلة، وفيها ما هو بالعزلة، وفيها ما هو بالمال، وفيها ما هو

بالقر . واعتبر هذه الكلمات المقولة على أنواعها المحمولة على صفات أحوالها وأسبابها بتوبة الحاج ،  
وبتوبة الصادق ، والذي يرد التباهات ، وبتوبة الصالح الذي يخطر له القبيح في خلده ويستغفر  
الله تعالى منه ، وبتوبة تارك الصلاة واسترجاعه ، وبتوبة الإنسان قبل مفارقتة عقله وجسمانه ، وبتوبة  
القاتل ، وبتوبة الذي يمنع من مقصوده السيئ ، وبتوبة الذي لا حاجة له في النساء وهو يعلم أن  
غشائهن لمن تشغله عن مراده وكذلك القرين السوء ، وبتوبة الذي عليه عذر يمنعه من أداء الفرض  
وجميع ما يمتعه من التوبة الصرفة واستجلاب الأحوال السنية ، وبتوبة من يطلب العلم ، وبتوبة من  
أهلكه المال والكسب والحرص عليه ، وبتوبة من استغفزه الجلاء وحسب الرئاسة . وغير ذلك من  
أجزائها ، فإنها مقولة على كثيرين ، وإن اختلفت موضوعاتها فهي تتفق معها في الحد ويشملها  
جندها وكثير ما في الأمور الشرعية من الأمور التي سميتها توبة ونوعها تدل على شيء آخر مثل  
الكُنُزَات وما أشبه ذلك وهي على الإطلاق نعمة مطلقة ، [ ٢٥٢ ] ونالها هو المنعم المطلق ، وهي  
بأية في الزمان اليسير بأحرفه <sup>(١)</sup> الحرمان في الزمان الطويل ، وهي تحت ما قبلها فلا قطع الله بنا  
حولها ، وهي صابون الذنوب والحمد لله على نعمه .

فصل : لعلك تقرأ وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال  
إني تبت الآن ، ولا الذين يموتون وهم كفار « أولئك اعتدنا لهم عذاباً أليماً » فيصعب عليك  
مدلولها ويتنقص عيشك عند تلاوتها . فإذا كان ذلك قَائِلٌ نفسك بحديث رسول الله ﷺ حين  
سئل : ما حد التائبين ؟ فقال : من تاب قبل موته بسنة قبيل الله توبته . ثم قال : ألا وإن ذلك  
لكثير . من تاب قبل موته بنصف سنة قبل الله توبته . ثم قال : ألا وإن ذلك لكثير . من تاب  
قبل موته بشهر قبل الله توبته . ثم قال : ألا وإن ذلك الشهر لكثير . من تاب قبل موته بجمعة  
قبل الله توبته . ثم قال : ألا وإن ذلك لكثير . من تاب قبل موته بيوم قبل الله توبته . ثم قال :  
ألا وإن ذلك لكثير . من تاب قبل أن يفرغ تاب الله عليه ، ثم تلا قوله تعالى : « ثم يتوبون  
من قريب » <sup>(٢)</sup> وكل ما قبل الموت قريب . والمراد أن يكون في صحنه وعقله الهولاني على حاله لم يتغير

(١) فوهمها في المخطوط : « كذا » .

(٢) سورة « النساء » آية : ١٧ .



وموضوعها كما كان والاتصال لم يفتقر؛ وأن تكون الصورة الروحانية التي تظهر عند التجرد لم يختلط نظام تصورها في الذهن، فإنها تكون هناك على ضروب: فمنها ما هو صادق وهو ذاتي القات، ومنها ما هو كاذب وهو عرضي الذات، وسعادة الإنسان في هذا الموطن على حاشيتي النقيض واقفة تشاهد عاقبتها وتشاهد شقاوتها أو سعادتها حتى يخرج للوجود ما شاء الله منها. فإذا شعرت النفس بتركها بتدبير البدن وبالإسلاخ عنه ورجوع الأشياء إلى مواضعها يحدث الاضطراب والتبدل في علمها الصغير وتقوم قياستها الصغرى قبل القيامة الكبرى، فأعلم ذلك، وأترك الأقوال القاصرة عن المراد، الفاسدة في العمل والاعتقاد، وحسن الظن بربك العظيم، واجمل الخوف والاحترام الشرعي والأدب مع الله ورسوله وملائكته في يمينك وعقلك، وخبر نفسك ومرادها في شمالك، والقبض والبسط بينهما، والرجاء حولها والإذن على الجميع وما وجدت في غير الذي في يمينك من زيادة أخرجه على الذي في يمينك، فإن قبلها أقبله وإن دفعها ادفعه والله هو المعين على ذلك.

**فصل:** الله نصب الأدلة على المعرفة وفرغ التكليف للعبادات، وأوعد تعالى بذلك على ألسنة الرسل فأخبرهم محمد ﷺ فبشر به وأمر ونهى، وأنذر ووعد وأوعد، وألزم والتزم. وسبق في علم الله وحكمه أن الخلق يتباعدون عن القول ويتعامون عن الدليل، ففسخ لهم في المهل، وأرخص لهم الطوال، وأعلمهم بإفالة العثرة لمن كبا، وبقبول التوبة لمن خالف وأبى، وجعل مدة قبول الإجابة وصحة التوبة مدة الدنيا، وهو عمر الإنسان فيها، فقال تعالى: «هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك»، يوم يأتي بعض آيات [٢٥٣] ربك لا ينفع نفسك إيمانها، لم تكن أكنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً<sup>(١)</sup>. فأخبر الله تعالى أن الإيمان لا ينفع ولا كسب الخير معه ينفع إذا ظهر بعض آيات الله المؤذنة بانقراض الدنيا.

**فصل:** صح عند صحيح النظر أن التوبة قبل الدهر ومعه ونحته، وفوق الزمان ومعه ونحته.

والثابت كذلك والحرك الغريب لما قبل الدهر، والحرك البعيد قبل القريب لها، والمتقدم عليه بالفصل والسبب، والطبع والذي فطر الأمور بالجميع وأبدع التوبة والدهر، والزمان المحرك القريب والبعيد والتقديم والتأخير والفرق والتحت والقبل والبعد، هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء حليم. هو الله الذي لأول لوجوده، ولا يمكن أن يكون بينه وبين مفعوله واسطة لاروحانية ولا جسمانية إلا فله. وهي مع هذا عرَضِيَّة لا فاعل، ولا هي ضرورية لفعل التقديم في مفعوله. وقد علم البرهان عند المسلم أن العوائد ارتباط موجود بوجود من غير قضية شرعية ولا عقلية. فافهمي بأنها المكلف وتعلق بالتقديم وبما في النظام القديم، ونادم بذلك الذي لا يفارقه من صفة نفسه ولا تفارقه من صفة نفسك، فإن الفاعل يلزم مفعوله والمفعول يلزم فاعله. ولكنه إن شاء يملك لأعداءه وتكن كما كنت. وأنت في تعلقه لأذاتك إلا أنك موجود في علمه وإن شاء يتركك على حالك بخلاف قول الفيلسوف. ولذلك ذكرت هذا التنبيه فتنبيه له. وإياك والغفلة عن الله فإن الله هو الم محبوب الأعظم والتدبير الحق الأكرم والقريب وكل أنواع القرب التي يثبت التنزيه معها والبعيد بمخالفته وبالجهل خاصة وهو الحاضر في حضورك قبل كونك وهو معلومك وعالمك وعلمك قبل كونك ومعه فافهم. واجعل العبودية لازمة لك، والفريضة كذلك أرضها، ويكون زمان وجودها في وقت الأمور الشرعية وزمان إعدامها في الحقيقة هنا إن فعل هذا ملك فافهم، وقل: يا هنا تفضي على دخول الماء ثم تأمر الداخل فيه أن لا يبيل ثوبه وشخصه؟ إن هنا مهيب: السلب والإيجاب معاً يا هنا أنا الفريق فساخني من البلبل ولكنني نبيد الله ونعتل أوأمره وكل شيء بقضاء وقدر. والعارف من عرف الله على قدر. يا هنا الوجود المطلق هو الله والمقيد أنا وأنت، والمقدر جميع ما يقع في المستقبل. والمطلق إذا ذكر نفسه ذكر كل شيء، والمقيد إذا ذكر نفسه ذكر لا شيء عادلاً ذا كراً ولا مذكوراً. والمقدر مثل المقيد يأمر أمره فالمقدر لا شيء وأنت وأنا لا شيء. فهذا أنا تألب عن الغفلة التي جعلني على قولي ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله بعده. ثم على قولي ما أوقر من هنا هو: ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله معه. ثم على قولي وهو قولي: ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله قبله. وإنا الآن قول هو هو هو، ثم قول هو ونصمت، ثم نشير، ثم قطعها، ثم لا ثم إلا الحق المحض، ثم لا إله إلا الله، ثم تنوب من استصحب هنا في المواطن المذكورة قبل أعنى الشريعة حيث يجب التكليف [٢٥٤] فإن الأحوال الستية إذا كانت متصلة الاستصحاب منهلة السحاب

يُخاف على اتصالها أن ينقطع وعلى أصحابها أن ينفذ . وهذا قولُ صاعى ، وللعامل أن يقول فيه للمستكمل به : يا هذا ! إن كنت من القوم الذين سلكوا هذا السلك فقد يُعتبر قولك بَمد ما يرشح بقوله عز وجل : « هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ؟ » <sup>(١)</sup> وتقطع حجبتك بحفظ الكريم لأوليائه . وإن كنت لم تشاهد فاصمت ولا تنخط رطب الصديقين ولا تتحل طعم شيء لم تنق . فإن الأحوال السنية التي قلت إنها يُخاف عليها أن تنقطع أحكامها سنية ، وهي راجعة وواقعة مع شرطها الذي قامت به وظهرت بشأنه وأثمرت بلواحقه في أوانه .

فصل : السعيد هو الذى يحمل التوبة ممتدة مع نفسه ونفسه ويأخذ نفسه بمبادئها ، فإنها محببة محافظة لمقاماتها الشريفة وقوية لشأنه كله وفى المبتدئ بنوع ، وفى السالك بآخر ، وفى الواصل كذلك ، وما هيئت تدور وتتداخل وتتوحد وتتلون فى الوهم ، وهى ثابتة الحدة فى العقل ، وفه لها فى البداية لإخراج الشرير من الشر المحض إلى الخير المشترك وفى السالك تنقله من الخير المضاف إلى مضاف آخر أرفع منه ، وفى الفاضل ثبوت الخير المحض والإكثار من فوائده الواردة وحفظها ودفعه من الخير الذى لا إضافة فيه . والتوبة هى التى تميز الخير المحتمل الذى يقال هل السلك أحق على الشرير والفاضل ، وتفصله من ضده الذى لا يطلق إلا على ماية واحدة . فإن الخير هو المحبوب عند جميع الناس وله يطلب الكل وعليه يصل كل صاحب مذهب محمود أو مذموم . ولا بد لكل خير حادث من خير ما ينشوق إليه ، وهو الذى يجره فى أموره كلها . والمستحسن منه هو الخير الذى فيه أو به أو منه الكمال والسعادة والرفعة ، وهو الذى نبه عليه المرشد وحض عليه العالمُ الخير سبحانه . وأنواعه ثلاثة : ما يراد لنفسه ولغيره ، وما يراد لنفسه لا لغيره ، وما يراد لغيره لا لنفسه .

فصل : قد يخطر ببال التائب قبولها أو ضده ، وهذا الخاطر يجنب لذاتها له أو يدفعها عنه ،

وهو يقوى نشاطه أو يضعفه وكثيراً ما قطع قارعُ هذا الخاطر قلب السالك الواقف . وهذا الخاطر هو الذى يخرب نظام البسط ويقمى مركب القبض ، ولولا ما يستعان بالرجاء عليه لم تستقم معه طيبات الأحوال عند الضمءاء ومحركة فى الباطن الخوف والإنسان به على قارعة الممكن سالك . وراقب فى ميدان الشك بما يسمع من السلف الصالح ، فإنهم كانوا إذا تابوا رغبوا إلى الله فى قبولها . فلو كانت معلومة القبول والثائب على يقين من قبول توبته ما سأل الله فى قبولها واحد منهم بقصدٍ إلا حَوْل قصده فإن الحاصل لا يبتنى . فإن خطر ببالك أيها المسترشد مثل هذا الخاطر المتباين اذقعه عن نفسك بالعلايات الشرعية المحمودة المكرومة ، وبقوله تعالى : « لِمَ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا » (١) [٢٥٥] وبقوله « هل جزاء الإحسان إلا الإحسان » (٢) وبرؤية الحق فى النوم ، ورؤيته فى الحال وبرؤيته فى السكون ، وبحسن الظن بالكریم الذى إذا قَرَّبَ عبداً لا يعمده من حيث الأكر . ولإيالك والقطع (٣) على العزیز فإنه مئة عنه ، وإذا جوزنا للولى أنه يحدث ويكشف ويشاهد أزواج الأنبياء فى الدنيا قبل الآخرة ويتعلم منهم العلوم العظيمة لم يصعب علينا تعرفه قبول توبته وسعادته فى الدنيا قبل الآخرة وكما ضمن النبي ﷺ لأصحابه فى الحياة يضمن لأتباعه وأحبابه وإخوانه كما أخبر فى الحياة الأبدية المحمودة ومحمدهم ويفيدهم الأمور العظيمة السنية . وبالله الذى يخبر الولى على الغيب قبل وقوع حكم الخبر عنه يخبر عن غيب حاله الذى يخصه حق لا يعبد الله إلا على الواجب الذى تسكن النفس معه وترفع به الوحشة عنه . والله الذى ينكر هذا الأخير فيه ومقدماته عند كل سقى صادقة لا اعتراض فيها . وتفصيلها وجمعها فى نظم قياس ينكره البعض ويقبله البعض ، فإن المعارف بما يلزم من الصنائع العلمية والعملية قليل الوجود فليكن بالحق ولا تلتفت للخلق واجعل صورة البرهان بين عينيك واتبها . وقد تسكلم فى هذا الأشعرية والفقهاء ؛ والصحيح عندهم أن الأمر فى قبول التوبة محتمل ، والإيمان باحتماله عندهم سنة . وإعلام الأولياء بقبول توبتهم ممكن

(١) سورة يونس آية ٦٤ .

(٢) سورة الرحمن آية ٦٠ :

(٣) لولها فى المخطوط : كذا .

هند أكثرهم في العقل ولا يجوز شرعا . والنجيب الطالب لا يلتفت للقبه إلا في معرفة الأحكام خاصة ، ولا يبول على الأشرى إلا في قليل الأمور ، وقد ذكرت في « بُدِّ العارف » وفي رسالة « الفتح المشترك » فانظرها حيث ذكرت .

فصل : للإنسان المسلم أن يقف مع ظاهر الآيات في قبولها ولا يفصل ويقول التوبة التي أخبر عنها الشارع ﷺ إذا ظهرت على التائب تامة الشروط كما أخبر وثبت حدها صح اشتراطه شرعا وخبر الصادق حق والتائب أمين الله على نفسه ويقدر ما يجده من التصديق في هزمه وقدمه وامثاله يصدق عليه قول الشارع . ويتعلق شرط قبولها بشروط صحتها في سره وإعلانه . ثم يخبر مع ذلك أن الحكيم سبحانه يفعل ما يشاء : فإن شاء عذب وإن شاء رحِم ثم يُغلب رحمته كما تقدم وهو الأولى .

فصل : لا يحكم العقل على الأمور المثنية ولا يتصرف إلا في المعاني الكلية المفردة ، وبمها يركب ويصنع صنائعه . فمن حرم الإدراك المذكور قبل ، وقاته المقام الذي يخلص مجمل القبول ومهله يتأدب ويدرج عن عُسر لا يوصل ولا يسع فيه ما هو بسبيله ويقول إذا لم يخبر في خلده بوارد صحيح يحكم به كما يحكم العقل الميولاني فلا قطع ولا يقين إلا بالعلامات الشرعية خاصة ، وما سواها الكلف عنه والأدب مه أجل ما يتخذ المكلف العاجز القاصر . وإنا نوقن أن الذي لا يدخل تحت مقدور المبدأ الكلام فيه : إما بدعة ، وإما جنون فيعمل ويتوكل .

فصل : التوبة والقبول والممكن والواجب جميع ذلك [٢٥٦] قد كان قبل الكوث وقد أسف بها التائب وقد وقع وقبلت توبته في الأزل أو بضد ذلك . والكلام في المعلوم ضرب من ضروب الجهل . فاعمل الخير وقوِّض الأمر لله تعالى .

فصل : للسعادة علامات ولشقاة علامات . والمقول والمحسوس والقبول والمشهور والقياس وغير ذلك قد فُرخ منه عند العلماء العقلاء فحكم بالعلامات في موطنها ولا تزد ولا تنقص فيها ، وبالمقول في مكانه ، وبالمحسوس على مدركه ، وبالمقبول على مدلوله ، وبالمشهور على مخبره . ولا تخرب

نظام شيء من هذه القواعد الشرعية والعادية والعقلية فتكون من أهل البصيرة ، أو ممن سقط  
مكالمته ، أو ممن خالف الإجماع . والله تعالى يعين على معرفته .

فصل : التوبة من الأنبياء موجبة ومعقولة على كثيرين . فمنها ما نعلم نحن متعلقه ، ومنها  
الآن نعلمه ، ومنها ما نعلم جنسه ونجهل نوعه . ومنها ما نجهل نوعه ونعلم شخصه .

فصل : استغفار النبي ﷺ في اليوم سبعين مرة يفهم منه جملة معان ، وتوجه فيه جملة  
وجوه . وقد بصرف عن ظاهره ، وقد لا يصرف ، ويحمل على مفهوم ما اشتق منه في الأصل اللغوي  
ويقال به وهو المغفر الذي يستتر به في الحرب وقد لا يحصل . وبالجمله الأمر فيه كثير الاحتمال .  
وها أنا أذكر لك فيه ما يصلح به وتقبض النمان ونحناط على فهمك وفهم طلبه عصرك وبعض  
شهود عصرك — فنقول : يمكن في أمره أنه قد أراد ماهية المباداة وحل أمره على الطاعة الجارية  
على كل مكلف وحقق علامات الحق فيه وما يجب فيه من إمكان النقص المقدس في الحادث  
وما عصم منه وعرف قدره من قدر القديم . ويمكن أنه أراد به الأمور الأكثرية المحسولة على  
التعظيم ، وإلا لما أكثر فضيلة من السبعين ، وهنا المدد المذكور غير لازم للاستغفار وخارج  
عن سنته وفرائضه . ويمكن أنه أراد به الاستعانة على الأحوال مع التسوية إما على ما ذكرناه من  
معقوله في أصل اللغة وإما من كونه يرغب به ويكون القول ظاهره الذكر وباطنه الدعاء ؛ وهنا  
أحسن ما يتخلق به العبد مع مولاه ويشغله ذكره عن مسئلته كما جاء في الحديث الصحيح . ويمكن  
أنه أراد به حاله الخاص به وزمان توجهه في مآربه . ويكون هنا متفق المعنى مع قوله « يتزل ربنا  
إلى نحاء الدنيا في ثلث الليل الآخر » الحديث ، والإشارة به إلى عالم شهادته الذي استعمله في ذلك  
الوقت عند قيامه لورده بعد ما كان في حوالمه السنية الروحانية . وشبه النزول من حيث النسبة  
لاستعماله الحواس المحيطة المحافظة بعد ما كان في حوالمه السنية الروحانية ، وشبه النزول من حيث  
النسبة لاستعماله الحواس المحيطة المحافظة بعد ما كلف في حضرة الثبوت المجردة  
الزقية الراقية .

و هذا معروف في اللغة ، ومثله يفهم نزول القرآن . والرب هنا وارد على مفهوم الواحق غير

الثانية والاهتبارية بتواطؤ مع قول بعض الصوفية الذى قال الرجل الذى سمعه يقول : رأيت الله -- فقال له : « لو رأيت أبأ يزيد <sup>(١)</sup> لكان خيراً من أن ترى الله » . ومقوله لو كيف الله لك من يملك أكثر مما أنت عليه وينقلب [ ٢٥٧ ] من الرؤية القرية إلى الرؤية الشمسية إلى النوانية إلى الوجودية إلى المملكة التى ما هو أكبر من ذلك مما يصعب ذكره ويحرم على العارف الكلام به مع غير أهله -- لكن حاله أكل وشأنك أجل وأشار له إلى لواحه المقدرة وحذف الوسائط وجاء الكلام وحشى الظاهر أنسى الباطن . فاعلم هذا كله واحمل الاستغفار على هذا والنزول على ما ذكرته لك . وإليك أن تنوم بذلك فى الله تعالى كما توهمت الحشوية فتتوسم المحال وتقول الباطل ولا تفهم منه نزول الأمر كما حكى به الأشعرية فتغلط بأن الموضع الذى نزل الأمر فيه كان مموراً بأمره . ولا يمكن أن يقدر الكون المطلق بغير أمر الله ولا يوجد فى تقديره المدم المطلق والإلقاء المحض ، فإنه يلزمه ويدور عليه ولا ينافيه . وبمثل فهم نزول القرآن : فإنه لم ينحط من عالم إلى سفل ، فإن الانتقال يتخصص بالأجسام والأجرام ، ومن اعتقد قديم كلام الله تعالى وقيامه بنفسه لم يفهم من الإنزال الذى يذكر فى كلامه غير الإدراك الذى يوجد فى سر الكلك والنبي . وإذا قال القائل نزل أمر الكلك لم يرد به انتقال أصواته ولا انتقال كلامه القائم بنفسه . ويمكن أنه أراد به ورود الصور المجردة على جوهر روحه الطاهر المقدس ، ولكن عقب توجهه فى ساعته التى لا يسمعه فيها إلا ربه تعالى ، فإن الوارد القريب الأول يقع فيطلب بمحديث البعض المتفق بالاعتبار المختلف بالحد إلى الشكل المتفق من كل الجهات فيتحرك لذلك المركب الطبيعى فيحدث من ذلك حركة مشتركة وراحة محمولة وعذاب مضاف ويكون فى التقدير من أنواع الموت الجاز كالنشى وغيره يستغفر الله هنا .

وعلى كل حال إن وجهناه على الاعانة على ما ذكره نحن ، وإن وجهناه على المصر والقول دخل تحت الأدب فأحسن ، وإن وجهناه على التستر كما تقدم والجمع بين ما يجب لله وللمعب والامة ولما يصلح لها فأحسن وأحسن . واعلم أن الواردات منها ما يكون كالنشى المتصل برباط ، ومنها

(١) هو أبو يزيد البسطامي ، راجع كتابنا « شطحات الصوفية » ج ١ ، ص ٢١ . القاهرة ١٩٤٩ .

ما يكون بالاتصال الأبلغ مثل المرتكز في الشيء ، ومنه ما يكون أبلغ وأعظم .  
فالاتصال من الجميع كالشيء الملتحم في الشيء الذي هو به كجزء منه ، كتركيب  
الشجر في الشجر . فالوارد الأول هو وارد العلم فقط ، وهو الذي ذم به ابن طفيل في رسالته  
«حى بن يقظان» — لابن الصايغ<sup>(١)</sup> . والثاني يقبل إذا ظهر في اللات والثالث يشرب من عين اليقين  
حق اليقين فافهم . وهذا وجه لا نرضى به للنبي ﷺ ولا نختاره له ، وإن كان ذكرته فهو  
فيك ولك لا له ﷺ . ويمكن أنه أراد به الاستغفار لأمنه على عدد ضروبهم : فيستغفر للعصاة  
بمعنى ، وللعالمين بمعنى ، وللمحققين بمعنى آخر عند تفكره فيهم ، فإن الباقيات كثيرة لا سيما  
في غير المعصوم ثم أضاف نفسه في استغفاره أدياً مع ربه وعباده وحالا وهى أكل ما يمكن فإنه  
أعطى قانون الإطلاق الذي يقيده الأخير بالذات كما أعطى جوامع الكلام ولم يتكلم قط إلا بها .  
[ ٢٥٨ ] وقوله هو القول الموجز الجامع المانع ﷺ . فتصنّف وتنبّع وفكر في مدلوله «تصل» .  
وقد يمكن أنه أراد به الانتقال من رتبة دنيا إلى رتبة قصوى ، وكان يستغفر الله من السكون إلى  
الحالة الأولى من التحليلات وينتقل إلى الثانية التي ترد بعدها .

ويمكن أنه أراد الانفصال من متعلق معلوم حال مستجاب وارد والاتصال بمعلوم حال آخر مثله  
وجعل الاستغفار بينهما مشترك فيه ماهية الشكر مع ماهية الخوف مع ماهية الأدب مع ماهية المشاهدة  
مع ماهية الاستدلال ، فإن نعمة الاتصال تصحب الشكر القوي الثابت وجميع ما ذكر والمشهود  
فيها يجب له كل ذلك والنبي ﷺ أحق الناس بالكمالات الواجبات الحافظة الجامعة المانعة التي  
تفيد الحقيقة ويُحترَم فيها ومها رَسَمُ الشريعة . ويمكن أنه أراد ﷺ به ما يفهمه أهل الوجه الأول  
من التصوف الثلاثي الذي ذكرته في الصلاة الوسطى من النسبة بين الأبرار والقرّين الذي يقال  
بوجه ما على المتقدم وبوجه آخر على المتأخر ويعتبر في حق المتأخر أنه يتأخر بالفعل عن الأول ،  
يعتبر في حق المتقدم وبوجه آخر على المتأخر ، ويعتبر في حق المتقدم ويتقدم بالفضل على المتأخر  
ويحصل على مدلول مقام الأول بشير آية تحصل على مدلول مقام الثاني حتى يسى سيئة الأول بنظر  
الإضافة وبنظر الأولى والأخرى حسنة الآخر وسيئة الآخر بالإضافة إلى الأول سيئة الأول ، فإن  
السيئة مهمة الأخير وعجوبة نظامه ، والحسنة مهمة الشر وعجوبة نظامه ، والسيئة هي الشر لا يتعين

(١) بمثابة مفعول به للفعل : ذم .



وإن كان لفظها ورد بحسنة ، والحسنة هي الخير بالمعنى وإن كان لفظها ورد بسيئة . فكانت في الأول سيئة لأنها أهملت من خير وخربت نظامه وانفتقت مع السيئة التي يقال بإطلاق في معنى الإهمال ، وخالفها في ماهية عاقبتها وانفصلت منها بمتعلق الخطاب فإنه يرد على الأول بالجزر والنهي والمقاب على فعلها ، وهو في الثانية التي يقال لها بتقييد غير متعلق بشيء من ذلك ، بل هي للنسب أقرب . وكانت في الآخر حسنة لأنها خصصت ونهت وجمت نظام أسباب الخير الخاص بها وبقيت على أصلها المحمود وحدها له وجهان وماهيتها مركبة منها . والوجه الأول الذي تنظر به إلى فوقها يصلح لإطلاق حد الحسنة الإضافية ويترك إطلاق الأول المأثور به في الشرع والمعروف في اللغة والوجه الخاص بها الذي ينظر به إلى ماهيتها يخلص له إطلاق حد الحسنة التي يقال في أول الأمر وتحمل عليه . فهي بهذا النظر حسنة بجهة وسيئة بجهة أخرى ، غير أنها سيئة لا يعاقب عليها وحسنة تنفع ، وكذلك حسنة الأول التي تعتبر بالإضافة إلى حاله وانكست بالمضار والإضافة سيئة لا يعاقب عليها وحسنة ثابتة . وإما قليل حسنة وسيئة بشرط وجود الهمة وثبوت الجسد وفرغ العزم واتخاذ الحزم وحصول [٢٥٩] الاستعداد وظهور الشرف فافهم . والأمر فيها وارد من الهمة السنية والسيرة الجلية . والمسكّن الذي يؤمر به ويفرض عليه مثل هذا الفرض هو صاحب الهمة المذكورة والسيرة المذكورة ، والأبرار سعداء والمقربون سعداء ، والثفاضل الذي ينهما هو الذي يوجب هذا الحكم ويعطى هذا الاصطلاح ويرتب هذا الترتيب . فكل مقرب برّ ، ولا كل برّ مقرب . وكل حسنة منسوبة معتبرة سيئة بجهة وحسنة بأخرى ، وكل حسنة غير منسوبة وغير معتبرة بغير الذي هي عليه حسنة مطلقة لا خلاف فيها . والقول على السيئة في مثل هذا مثل القول على الحسنة . فافهم وخُلق الحسنة المعروفة القوية المشار إليها في التسكليف العام من السيئة الموجهة والحسنة الموجهة لتلا بخلط عليك نظام الخير والشر والأمر والنهي . واعتقد أن الحسنات القهيات متفقات بالنوع مختلفة بالعدد وهي تعظم عليهم وتصغر بالنظر إلى عددها وفضل متعلقاتها مثل أجر العالم ، والعالم غير العامل .

والحسّنات والسيئات عند الصوفية متفقة في الجنس مختلفة بالنوع فالنوع الاصطلاح وانخذ مفهومه ، ومخاطب به بحسب أهله أمثلته ، ولا يخلط في شأنه وقرّين ما هو كثير بالقول

وواحد بالموضوع ، وبالعكس . وحصل مفهوم الألفاظ وأصنافها ، وخلص نفسك من مهبم الألفاظ الدائر بين الطلبة ، وكذلك المطالب لا تنقل فيها . وقد خرج الكلام إلى غير الذي أردناه فارجع فنقول :

لله صلى الله عليه وسلم حل استغفاره في صعوده على المراتب السنية المختلفة بالإضافة إلى طالبها المتأثرة بالنظر إلى فضلها ، فإنها محمودة شرعاً وعقلاً وعادة على الوجه الذي حل إبراهيم توجهه في المراتب الثلاثة التي فرضها على نطفه وانتقاله على الوجه الصناعي وجعلها هو ﷺ في باطنه كما جعلها الخليل في ظاهره وكان إذا هم أن يقطع على حكم مرتبة ماورد الثاني عليه وحكم فيه قبل أن يحكم عليه ، فأما كان استغفاره عن الأول لما أخبر عنه وإما لما شعر به وأعطاه من محله الظاهر أن يدخل فيه وإما من تبيته له ؛ وإما من عظيم فيضه عليه ، وإما من نقلته وحضوره وبقاء محركة وتحركه وحركته ، وإما كان ذلك كله في حق المرتبة الواحدة والوارد الواحد الذي أوله إعلام له ووسطه تفكر فيه وآخره خروج عنه وجملة الأمر الخير لا نهاية له ، وحركته لا تسكن ، وفلك تدويره يتحرك بكوكب تنبيهه في القلوب بحركة فلك التخصيص . وكثير الخير عند الفاضل الحاضر مع الله المجتهد قليل ، وقليل الخير عند الشرير الغافل المهمل كثير . والقناعة من الغنى الأزلى حرمان . ويمكن أنه أراد ﷺ بتوبته واستغفاره وبالفان المذكور التبديل والفيض السيل الذي يحفظ هومه المكلف ، ويقيه بمد حين ، ويصرف عليه إدراكه حتى يقع الكسب الباطن مثل الظاهر ويقوم بالحل إدراكا والخير غير معدوم ، وأطلق الاستغفار والتوبة بمعنى الغيبة وأنها عن نفسه [ ٢٦٠ ] وجعلها من الأسماء المترادفة . ويمكن أنه أراد ﷺ صعوده على منابر أصناف التجليات المقدسة . ويمكن أنه أراد ﷺ ما لا يعلم الخير وإن علمه إنما يعلم به معقول التعظيم والبركة خاصة . ويمكن أنه أراد ﷺ بذلك الإعلام بقدر الأمور الشرعية وعظمتها والإخبار عن حاله في زمن المواهب الإلهية وجمع في ذلك بين الأتمدة الشرعية المتقدمة وبين النتيجة المتأخرة المعروفة في عرف الصوفية الحقيقية وأظهر شرفها <sup>(١)</sup> لكسب مع ملازمته وعرة الأمور التي لا من جنس

ما يكتسب مع ملازمته . قال : « إني ليقان<sup>(١)</sup> على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم » — الحديث ، وهو يشير إلى تركيبة وطاوعه بالمعارف وإلى غلبة الأحوال المنوطة بها التي تخرج السالك الصاعد عن حده الأول المركب وتجمله في الحد الآخر البسيط حتى يلتف له ميزانه الذي صعد به ، ثم يعود إليه فيحده ويقيمه مثل أوله . فشبّه التفاف الأمر عليه بالنان ، والنان في اللغة هو النبات الملتف الطويل ، والاستغفار والتوبة لإخباره بموازينته وإحضار مكلفه في شأنه ورجوعه إليه . والمعد الذي حمّره في سبعين<sup>(٢)</sup> إنما للتعظيم ، وإما أنها مراتب محصورة ، وإما مقامه اقتضى هذا ، وإما كان في وقت ما وانتقل عنه إلى أكبر إن جعلنا عدد الاستغفار أشرف وإن جعلنا أن الأكل من الغيبة والغنا أفضل حتى يثبت في أموره وتردّ عليه كما ترد المروفة عنده ويكون شخصه الطبيعي يتحرك مع الخير ويحول الروحاني يركب أحواله — قلنا فيها : تقصّت حتى بقيت في ماهية ذاتها . فإن كان هذا للبشر ضرورة في مثل هذا الموطن حملناه عليه . وإن كان في العالم الأول وهو صوفي خاصة أطلقناه عليه بتقييد فاعلم ذلك .

ويمكن أنه أراد ﷺ السلب والإيجاب ودورانهما في التخلّد على قطعة الانتصاف والافراط والتقصير فانظر وإليك أن تحصل ذنوب الأنبياء على عرفك واعتقد أنها على حكمها في مثلهم وقياس ما تقدم واجعلها نعمة ، فإنها وردت لأمر نافعة ولأحكام وقعت بعدها ينتفع بها الإنسان الذي يستعين به المذنب . واحذر أن تقرأ قوله تعالى : « عَمَّا أَثَمَ عَنْكَ لَمْ أَذَنْ لَهُم »<sup>(٣)</sup> الآية فتتوهم أنها جاءت على محذور يتدخل في سخط الله وأنت لا تعلم . واعلم أن الكلام في هذه الآية يحتاج إليه فإنها من أهمل العقائد والمشكلات ، إلّا على آحاد من الناس . وقد صحّ أن رسول الله ﷺ وسائر الأنبياء ما يرتكبون محظوراً ولا يقع منهم وأن ما نسب إليهم من ذلك باطل وما ورد في القرآن صحيح لا محذور في شيء منه ، وإنما هي تأويلات واجتهادات وقع فيها تقصير ينجر فيها العفو لما تقدم فيه من الصنح وحفظ المرتبة والخلافة التي وضعها لهم ونصبها من أجلهم ونصّبهم لها .

(١) غين وأخين على قلبه : عمر ضيق شديد . غان يغين غيباً .

(٢) سورة « التوبة » آية ٤٣ .

والعلماء في ذلك منازع مختلفة، وللمسائل أن يقول : مفهوم هذه الآية المذكور فعله بنير أمر أعني الإذن [ ٢٦١ ] الذي نبه عليهم كما فعل بالأسرى في يوم بدر فعاتبه الله على ذلك . ويمكن فيه أنه أخبره أن يمسك القضاء في الأمور المحتملة حتى يخلصها ، بخلاف ما نحن عليه . وهذا تعظيم له وإخبار بمزيتة وشرف مرتبته وكأنه قاله : الأمور التي تحصل أمرين فصاعداً ويمتهد الخير فيها ويعذر في اجتباؤه كُفَّ أنت القضاء فيه بالاجتهاد المذكور فإنتك تعلم بالوجه الصحيح الذي لا احتمال فيه ، وأطلب أمورك كلها بكلّيات الوحي وبه احكم وعليه عَوَّل فأطلب — فكان ذلك خيراً عظيماً وتقريراً على مكانته صلى الله عليه وسلم . ويمكن في هذه الآية أن الله عز وجل قال لنبيه صلى الله عليه وسلم « عفا الله عنك لم أذنت لهم » حتى تلم الصادق والذي يمشى نحو الصواب والكاذب الذي لا خير فيه . ويمكن أنه أمره بإخراج الجميع فأخرج البهض . ويمكن أنه أراد تلم العفو قبل العتاب لإظهاراً لكراماته ومراعاة لطيب نفسه . واختار صلى الله عليه وسلم يركب قطع عظوراً وإنما — والله أعلم — ترك الله فتابه الله وقدم لكرامته العفو على الغلط الذي جاء في سورة العتاب . ومن جَوَزَ الغلطاً على الأنبياء قال : قائله بالعفو قبل أن أوقفه على ذنبه للفوز بمحبته ، فإن حسنات الأعداء مردودة ، وسيئات الأجراب مغفورة . وقد يمكن أنه أراد بذلك عز وجل التقرير على جهة التعليم ، واستنتج الغلط بالعفو جملة أول الكلام كما قول : « السلام عليك ورحمة الله » أو « رضى الله عنك » في بعض المخاطبات أول كلامك .

وقد اختلف المنسرون ليفر<sup>(١)</sup> لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فقال الأكثرون ما تقدم قبل الرسالة وما تأخر بعدها ، وقال آخرون ما تقدم من ذنب أبيك آدم وما تأخر من ذنب أمّتك لأن بك ثبت على آدم وأنت الشفيع لأمتك فيمن بذلك عليه .

وقال آخرون : ما تقدم من ذنبك ، أى من ذنب أبيك إبراهيم وما تأخر من ذنوب النبيين من أجلك ثبت عليهم .

وقال آخرون : ما تقدم من ذنبك يوم بدر ، وما تأخر من ذنبك يوم هوازن ، وذلك أنه قال يوم بدر : « اللهم إن تهلك هذه العصاة لا تعبد في الأرض أبداً » . فكان هذا الذنب المتقدم ،  
(١) فوثقها في الأصل : « كذا » .

وأما المتأخر فقال يوم هوازن وقد انهزم أصحابه لعمه العباس ولابن عمه أبي سفيان بن الحارث :  
« ناولاني كُفًّا من حصي الوادي » . فناولاه . فاستقبل به وجوه المشركين وقال : « شاحت  
الوجوه حَمًّا لا يُفصرون » وكانوا أربعين ألفاً . فما بقي منهم رجل إلا امتلأت عيناه دماً وحصى  
فانهزم القوم عن آخرهم . فلما رَجَعَ أصحابه إليه قال لهم : لو لم أُرِهم لم يهزموا . فنزلت هذه  
الآية : « ما رميت إلا رميت ولكن الله رمى »<sup>(١)</sup> . فإن قال قائل : كيف أثبت الرمي ، ثم نفاه عنه ؟  
فالجواب عن ذلك أن الرمي يحتوى على أربعة أشياء : على القبض والإرسال والتبليغ والإصابة . فكان  
القبض والإرسال من رسول الله ﷺ والتبليغ والإصابة من الله عز وجل . فاحترأ بها المرحوم  
أن تهمل قَدْرَ النبوة وتهم أحوالهم وتقدر فيهم غير الذي يجب لهم فتهلك في الدنيا والآخرة ،  
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . [ ٢٦٢ ] واحذر أن تمتد في المصعة من أمتة أنه إذا مات  
يعاقب على كل حال ، وانهم الكلام الأول فيه وقُرض أمره إلى الله . فان عاقبه بذلك فبئس منه ،  
وإن تجاوز عنه ففلك من فضله ورحمته .

وإن قلت في سرِّك إن العفو غير جائز وواجب على الله أن يَنْبِ كل مصرٍّ يطول الأبد  
فنفسق وتلحق بالمعتزلة . واحذر كل الحذر أن تنسك تشفيع الشفعاء وحطَّ أوزار المهرمين شفاعتهم  
ففسكون من المعتزلة ومن الوعيدية . ولا تنسك الصنم والعفو أبداً من الله تعالى . والشفاعة جائزة  
بالمقل وصحيحة في الشرع ، والإجماع من أهل السنة على صدقها ، والنصوص تشهد أنها في أهل  
الكبائر والصغائر ، ويدخل تحتها كلُّ مذنب من المِلَّة حتى القتال بشكذبيها . قال ﷺ :  
« شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي » . وقال في الشفاعة : « لا نصحبوها للعتيق إنما هي للغاطين  
المتأولين » ولم يذكر أهل الصغائر لكونها مغفراً عنها . وقال صلى الله عليه وسلم : « خَيْرُتُ في  
الشفاعة وبين أن يدخل شطر أمتي الجنة ، فاختبرت الشفاعة فإنها أشقى .

واحذر أن تمتد أن التائب من ذنب ما هو بفعل غيره أنه غير تائب من الذنوب المذكورة حتى  
يفلح عن الجميع ففسكون من المعتزلة وأنت لا تعلم . وإياك أن تنوهم أن ذلك أكلٌ ويهلك على

ذلك نوحك السخيف ، وتخيّل أن ذلك من الاحتياط قهلك . ومنهجب أكثر المعتزلة أن الكبيرة الواحدة تخطّ ثواب جميع الطاعات وإن كثرت . ومنهم من قال الكبائر لا تهمل ثواب الحسنات إلا إذا زادت كميّتها عليها ، والحسنات كذلك بعكس هذا إذا زادت دارت السيئات وأظنه منهج الجبائي<sup>(١)</sup> وإبّنه . واحذر أن يختلط عليك نظام الكبائر مع الصغائر ويصعب عليك الفصل بينهما وتقول : كل ما يعصى الله به كبيرة ، وتطلق ذلك من غير أن تعتبره ففتشني وإعنا المرضي عند أهل السنة في ذلك أن يبين بين المذنب الكبير والصغير ثم يطلق — من حيث مخالفته الأمر وعباره الله — أن الجلّة كبائر بالنظر إلى الأدب ومتعلق كل ذنب مفهوم عند التحصيل ، ومن الحدود الشرعية والعقاب تظهر فصولها . ومن الناس من عدّها وفصلها أعني الكبائر من الصغائر ، ومنهم من أضرب عن ذلك وجعلها متألّفة ألبا مع الله تعالى . واحذر أن تعتقد في المذنب الذي يذنب الذنب الواحد ولم يرشد للتوبة أن عمله لا خير فيه ، وإن مات فهو في النار ويستوجب الخلود فتكون من الخوارج . وإن سميت المؤمن باقتراب الزلات كافراً فأنت منهم . وقد قال بعض الخوارج ما هو الكفر المعروف بإنكار الربوبية وجحودها ، وإبّا هو المأخوذ من كفران التمس . والأزارقة منهم تقول : العاصي كافر بالله كفر شرك ، وأكثر المعتزلة قسمت الذنوب إلى كبائر وصغائر . واحذر أن تعتقد في الثواب والعقاب غير الذي يمتدّ به أهل الحق [ ٢٦٣ ] ، [ ٢٦٤ ] [ ٢٦٥ ] صحيحاً ، على غاية الصحة وقوة الإدراك وطريقها أيضاً ، وإن كانا صحيحين

(١) الجبائي : أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن حمران بن أبان ، ولد سنة ٢٣٥ هـ ( وفي أنساب السمعاني : ٢٤٠ هـ ) في بلدة جيبا ( كورة من أعمال خوزستان ) ، وتوفي في شعبان سنة ٣٠٣ هـ . راجع عنه : ابن خلكان ج ٢ ص ٢٧٧ — ص ٢٧٨ ، « الأنساب » للسمعاني ص ١٢١ ، « معجم البلدان » ، ياقوت ج ٢ ص ١٢ ، « النجوم الزاهرة » لابن تغري بردي ج ٣ ص ١٨٩ ، « النبل والأمل » لابن المرتضى ص ٣٥ — ص ٢٨ . من كبار المعتزلة ، وكان أستاذاً لأبي الحسن الأشعري مم اغضل هذا عنه .

وابنه أبو هاشم عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن حمران بن أبان . ولد في سنة ٢٧٧ هـ وتوفي في رجب سنة ٣٠١ . وتتلخّذ على أبيه . وهو القائل بالأحوال من بين المعتزلة . راجع عنه : « تاريخ بغداد » لمخطيب البغدادي ج ١٩ ص ٥٥ ، الفهرست لابن النديم ص ٢٤٧ ( طبع مصر ) .

(٢) الأزارقة فرقة من الخوارج منسوبة إلى مؤسسها نافع بن الأزرق وقد خرج من البصرة إلى الأهواز في أيام عبد الله بن الزبير . راجع ترجمتنا لكتاب فلهووزن : « أمزاج المعارضة السياسية في صدر الإسلام : الشيعة والخوارج » . (٣) هاتان الصفحتان يضافان في الأصل .

على غاية الصحة قد يؤيدان إلى الخطأ إذا لم تزل منهما العوارض التي لها فإن هذا القياس القائل أن كل قابل بذاته أنه حجر فهو قابل أنه جوهر ، وكل قابل أنه جوهر فهو صادق ؛ فينتج من ذلك أن كل قابل له أنه حجر فهو صادق ؛ فقد أدى ذلك إلى كذب ظاهر . على أن نعلم القياس صحيح ، ومقدمته صادقتان ، لأن التأمل من جميع الجهات في مدة القياس هي المقدمات وإحضار الذهن في معانيها ولزومها مفردة ومركبة .

والحس والتخيل يكفي فيهما أمران وهما بتقديهما حصول المحسوس أول التخيل بحيث يمكن إحساسه وتخليه فيها على ما هو به وعليه . وفي هذه المقدمة المذكورة الوقوف على اليقين في أنواع العلم بالنعم الأول لأنه أكثر فيضاً من النعم الغريب وأنه هو بوجه ما ، والعم بأن كل آنية متقدمة على هوية ما بعدها وهي في المبادئ الأول ؛ فهي إما أعلى من الدهر وقبيله وممه ، وإما بعده وفوق الزمان . والعم بأن كل نفس شريفة أجزاء ماهيتها ثلاثة : أولها يُعرَف بالإنساني ، وثانيها العقلي ، وثالثها إلهي وهذا في فعلها المختلط المضاف المحمول فيها بوجه ما ، والعم بأن الأشياء المتهرمة المبهمة بالسكون المنسوب بالبدن الغائب بالماهية المنفصلة أولاً الآنية التي ليس وراءها مبدع آخر لأنها فوق الحس وفوق النفس وفوق العقل . ولا يمكن أن يوجد بعد الأول الحق أوسع متعلقات ولا أكثر معلومات منها ، والعم بأن ذات الرحمن الرحيم الكريم العظيم الله الذي لا إله إلا هو أعلى من الصفة وأهز والألسن عاجزة عن صفته المقدسة فإنها أعظم من أن < ١٦ > أكثر من الذي يجب لها وتنزه عن أن يعلم قدرَ كتبها أحد ، وتحل أن تحدِّد بعد الذي هي عليه . فإذا المتقصد في الشئ عليها والمطعم والمقصر والجميع على خطر<sup>٣٧</sup> لأنها فوق كل آنية وفوق كل حلة ، وإما وصفت بالذات التي تنذر بذاتها وتنذر معلولها وهي لا تستنير به ولا بتوثر آخر لأنها هي النور المحض الذي ليس فوقه نور . ولها قيل في ذات الأول الحق إنها الذات التي تفوق كل ذات ، وهي التي يفوتها إطلاق الصفة على ما يعلم الأشعري وغيره من الضعفاء . وإما كان ذلك لأنه ليس فوقها ذات تعرف بها ، وكل شيء إما يعرف بوصف من تلقاء هلته ، فإذا كان الشيء حلة فقط وليس بمعلول لم يُعلم بعله أولى ولا يوصف كما يصفه المتكلمون لأنه أعلى من صفة تبليغه النطق ، وأن تلك الصفة إنما تكون بالنطق ، والمنطق بالعقل ، والعقل بالفكر ، والفكر بالوهم ، والوهم بالحس . والأول الحق فوق الأشياء كلها ، والعم بأن العقل

(١) يباس بالأصل .  
(٧) كذا ! فهل صوابها : خطأ ؟

جوهر لا يتجزأ ، والعلم بأن كل عقل يعلم ما فوقه وما تحته — إلا أنه يعلم ما تحته لأنه حلة له ، ويعلم ما فوقه لأنه يستفيد منه الوجود والفضائل — والعلم بأن كل عقل لا يثبت ولا يمكن فيه الخير إلا بالله ، والعلم بأن قوة [٢٦٦] العقل وجوهره وماهية كماله أشد وحدانية من الذى بعده ، والعلم بأن كل عقل لا شيء فيه خارج عن النظام القديم وأنه مملوء صوراً ، وأن من القول ما يتصل بمكان شرفه أن يحيط بالبعث الذى هو أقل كلفة ، ومنها ما يحيط بأكثر كلفة ، والعلم بأن العقل فيه صورة كل شيء وأن ما يليه تصوُّره له على التفصيل ، وما يبعد عنه بعلمه بالتضمن وهو يعقل الأشياء دائمة لا انقطاع لها ولا يتبدل عن متعلقها الخاص به ، وأنه من حيث العقل لا تدخل تحت الزمان والمكان ، والعلم بأن الأشياء المتقدمة المضافة بالحال الأول وبالعرض اللازم بعضها فى بعض بالقصد والعرض والنوع الذى يجعل أن يكون به أحدهما فى الآخر . ومفهوم هذا اعتبارك الآنية التى تجد فيها الحياة والعقل ، وفى الحياة الآنية والعقل ، وفى العقل الآنية والحياة ، إلا أن الآنية والحياة العقل عقلان ، والآنية والعقل فى الحياتياتان ، والعقل والحياة فى الآنية آيتان ، والعلم بأن كل عقل يعقل ذاته ، وذلك أنه حائل ومقول معاً ، وكل نفس فإن الأشياء الحسية فيها لأنها مثل لها والأشياء العقلية فيها لأنها علم لها ، وإنما صارت كذلك لأنها متوسطة بين الأشياء العقلية التى لا تتحرك وبين الأشياء الحسية التى تتحرك ، والعلم بأن كل عالم يعلم ذاته فهو راجع على ذاته رجوعاً عاماً تاماً ، والعلم بأن كل القوة التى لا نهاية لها متعلقة بمالا نهاية له إلا الأولى التى هى قوة القوى لأنها مفيدة ثابتة قائمة فى الأشياء القوية بل هى قوة للأشياء المقومة ذات اللوات منسوبة إلى ذات اللوات ، والعلم بأن كل قوة متوحدة وتر الذات الجوهرية هى أكثر بلا نهاية من غير شك فى ذلك من القوة المتكثرة وذلك لقربها من الواحد الحق ، والعلم بأن الأشياء كلها راجعة إلى هويات وهى منها وإليها هى راجعة الهوية القديمة ، والعلم بأن الأشياء الحية المخترعة متحركة بذاتها من أجل قربها من الحى الذى لا أول لحياته من غيره ، والعلم بأن الأشياء العقلية كلها ذوات علم من أجل العقل الأول المبدع الذى ظهر عليه التخصيص الأول ، والعلم بأن من الجواهر الروحانية ما هو سعيد معظم لأنه يقبل من الفضائل الأول التى تنبجس من الذات القديمة قبولاً كثيراً ، ومنها ما هو روحانى فقط لأنه لا يتال من الكمالات الأول إلا بتوسط اللوات الأول ، ومن النفوس



ماهى نفس عقلية لأنها متعلقة بالعقل ، ومنها ماهى نفس فقط ، ومن الأجرام الطبيعية ماها نفس  
 تحركها وتقوم عليها ومنها ماهى أجرام طبيعية فقط ولا نفس لها ، والعلم بأن الله يدبر الأشياء  
 المختصرة المبذولة كلها من غير أن يختلط بها ، وذلك أن التدبير لا يصف وحدانية العزيزة القابلة  
 على كل شيء ولا يوهنها ، ولا تمنع ماهية المباشرة للأشياء من أن يدبر الأشياء ، والعلم بأن الأول  
 [٢١٧] الحق لا يحتاج إلى غيره وأنه قائم بنفسه وهو العظيم الأعلى وتحقق ذلك بالوحدانية التى  
 هى نفس ماهيته ، لا أنها محمولة عليه ميثوثة فيه ، ولا كما هى فى الجواهر الروحانية المذكورة  
 بل هى وحدانية مختصة لأنها مبسوطة<sup>(١)</sup> فى غاية البساطة والتنزيه ، والعلم بأن الذات الأزلية فوق  
 ما يتوهم الحكم بصنائه وفوق كل اسم تسمى به ، لأنها لا يلقى بها تحليل الصنائع ولا يفرض  
 التمام والنقصان عليها ، لأن الناقص غير تام ولا يستطيع على تكميل شيء ولا أن يضل فضلاً تاماً ،  
 والتام وإن كان مكثفى الوجود بنفسه فإنه غير قدير على إيجاد الأشياء المذكورة قبل ، والعلم  
 بأن الروح السكلى الذى يطلق بأسماء مختلفة وينوع منه الاسم عند الحكماء وأهل الحق من الشرائع  
 ويرف بوجده ويدبر بعض الأشياء وبالنسبة إليه هو الله خاصة وبالنسبة إليها هو عقل ،  
 فإن خاصة العقل العلم بل ماهيته العلم وكاله وتماه أن يكون متبرراً عالمًا ، والعلم بأن واجب  
 الوجود موجود مع الأشياء ، ومقوم لوجودها على حالة واحدة ، وليست الأشياء المنفصلة المختصرة  
 موجودة فيه على حالة واحدة ، كل شيء من الجواهر الروحانية يأخذ منها بقدر قوته وبالنسبة لجبل  
 فيه من القبول ، ومنها ما يقبله قبولاً واحداً ، ومنها بضد ذلك ، ومنها ما يقبله قبولاً دهرياً ، ومنها  
 ما يقبله قبولاً زمانياً ، ومنها ما يقبله قبولاً روحانياً ، ومنها ما يقبله قبولاً جرمانياً ، والعلم بأن الأول  
 الحق فى غاية من التنزيه ، وأن وحدته تامة ، وأنه منزّه عن الذى ظله الرواقيون فإنهم يعتقدون  
 أنه ناشب فى الأشياء وأنه ليس ككرة العالم وهو بالبرهان ألزم وأؤكد فى الأشياء مما ظنوه  
 فلا أدركوا حقيقة التنزيه ولا قدروا الله حق قدره ، والعلم بأن الجواهر العقلية غير متكونة من  
 متقدم عليها يكون مثلها ، وكل جوهر قائم بذاته فهو غير متكون من شيء آخر ، وإنما أوله وسببه

وأصله وبُذِه كلمة الحق التي تتعلق بالمعدم وتوجدُه وتتعلق بالموجود وتُسَدِّدُه ، وتتعلق بالحداث وتتركه على حاله ، وبالجملة هي القاعة على كل شيء ، ومبدعة كل شيء ، ومبقية كل شيء ، والعلم بأن كل جوهر قائم بنفسه قد اُخْصَصَ الحق وأبرزه المطالعة جلاله وأظهر عليه كل شرف محمود فإنه غير واقع تحت الفساد ، والعلم بأن كل جوهر متغير دائر غير ثابت على حالة واحدة فهو إما تحت الأشياء المترسكة ولما عمول على موضوع آخر غير ذاته ، وذلك أن الجواهر إما أن يكون منتزعا إلى الأشياء التي منها تكون فيكون مركبا منها ، وإما أن يكون محتاجا في ثباته وقوامه إلى حامل ، فإذا فارق حامله قَدَرٌ ودَثُرٌ ، فإن لم يكن الجواهر مركبا ولا عمولا كان مبسوطا وكان دائما لا يَدُثُرُ ولا ينتقض البتة ، والعلم بأن كل جوهر قائم بنفسه مبسوط لا يتجزأ ، والعلم بأن كل جوهر قائم بنفسه أعفى ذاته فإنه مبتدع دون زمان ، وهو في جوهريته أعلى من الجواهر [٢٦٨] الزمانية ، والعلم بأن كل جوهر اخترع في زمان إما أن يكون دائما في الزمان ، والزمان غير أفضل عنه ، لأنه ابتدع والزمان سواء ، وإما أن يكون منفصلا عن الزمان والزمان بفضل عليه لأنه في بعض أوقات الزمان . والعلم بأن الذي جوهره وفعله في حَبَزٍ الدهر بينه وبين الذي جوهره وفعله في حبز الزمان موجود متوسط ، وهو الذي جوهره في حَبَزٍ الدهر وفعله في حَبَزٍ الزمان ، والعلم بأن كل جوهر واقع في بعض حالاته تحت الدهر وواقع في بعض حالاته تحت الزمان ، فذلك الجواهر هو هوية وكون معا .

فهذه هي المقدمة التي جعلتها لك شبه المدخل إلى كلامي أهلك الله قد فرغ منها وقد تمت أجزاؤها وبيئت مقاصدها بحسب التحقيق وذلك من ذكر رسائل وتقييداني وبحسب النعم السعداء<sup>(١)</sup> والنعم الذين توسطوا بين السعداء والأشقياء عند ذكر التحرز والحض على الحكمة وعند وصف أنواع الخير المطلوب الذي قبل هذا التقييد . فافهم واعلم أن النعم السعداء هم الذين حصلوا علوم الشريعة الظاهرة والباطنة ، وتخلقوا بها واستجابوا لله ورسوله بنهر هوية الانسان .

وأَنواعهم تسعة على عدة رتب الحبل فإنهم فهموا أمثلته ، ولم يكشفوها ، وهم الذين يخاطبهم التعليم ويتكلم معهم بالشك المضاف إلى إرشاد التنبيه .

والصمّ الذين توسّلوا بين السعداء من الصمّ والأشقياء : منهم الفلاسفة ، وأنواعهم أربعة : النوع الأول هو الذي تحته كلُّ مَنْ يُحمَدُ قبل الشريعة وبمدها ، والثاني هو الذي تحته مَنْ يُذمُّ قبلها ويحمد بمدها ، والثالث هو الذي تحته مَنْ يُحمَدُ قبلها ويُذمُّ بمدها ، والرابع هو الذي تحته ضد الأول . وقد فسرت مقصود هذا الإطلاق وَيَبْنَتْهُ وتكملت على كل نوع بما فيه في كتاب أبي صالح تقي الدين بن صالح المالقي — وفقّه الله للخير — فانظره حيث ذكر ، واجعله في ظهر هذه « الرسالة الرضوانية » ، وارسم عليه حاشية ، وكذلك من يرسمها بذلك . والتعليم لا يتكلم إلا معهم خاصة ، والغير لا يلتفت إليهم ، ومكالتهم ساقطة عنده ، فإذا خلصهم ونوهم إليه تسكلم مع من فوقه ، ثم انطبع وقوّض الأمر إلى الذي فوقه ، وكذلك الأمر في الرتب التسع فإنها غير مستقلة بأنواتها والسفر مستقلة ، وكل سفرة تزعم أنها مكتفية ومن وسائلها تجنب ، ولولا هي لبنت على حالها فإذا فهمت ما فوقها رجعت بالقهقري على ذاتها بها لمستقرأ على ذاتها وجردت النظر في صناعتها ويفتح لها ما لم تعلم قبل ، وكذلك فعل سبع مرات ثم تدخل ولا ترجع إلى شأنها الأول ولا تستطيع . فإذا وصلت إلى سِدْرَتِهَا اتَّحَدَتْ وَرَكِبَتْ الصنائع المذكورة وكلت بشيء آخر وفعلت بمقتضاه ، ووجدت الفعل بالإفذن المستمر عليها حتى تصل إلى سِدْرَةِ سِدْرَتِهَا الأولى ، وتشاهد وتُحَكِّنُ من مطالبها كلها ، وتقرر على المتقدم والمتأخر ، ويمتد بقريرها حتى إلى سِدْرَةِ سِدْرَتِهَا سِدْرَتِهَا ، وتُحَمِّلُ وتُغْنِي حياة طيبة وتقام إلى الفتح والنصر [ ٢٦٩ ] والرضوان ، وتشاهد به ما لم تشاهد بالوحدة المرحلة . وإن كانت قد شاهدت الحق وكلته فهي الآن بحيث لا يمكن أن تعبها عن نفسها وكألا وعلو درجاتها . فإذا بلغت التسعين سفرة أقيم لها سفرة لسلك سفرة تعلل صنائعها وتحرر وسائلها وتصلح شأنها وتسمى إلساتها . فإذا تخلصت حمل عليها مطالعة المنظومات . وعند ذلك يقع الحق على كله ، وتتخلص الخلاص المحمود الذي لا شَيْنَ به ويمكن من أصناف المطالعات ، ويظفر بنعيم الملك ، ويصرف المائة رحمة إذا يترجّع ، ويستقيم على طريقة الرضوان المرتقب .

وما فوق المتوطات لا يتكلم عليه إلا بالإذن ، والسفرة المذكورة هي نفسك ، فإنها هي التي تتحرك هذه الحركات بمنافع التخصيص النازلة من السماء النزول للاتق بها ، وهي المدبرة لها وبها ، وحيثما يصل عليها ذاتها . فإطلاق لفظ السفر والنفس يكون عندي بمعنى واحد وكأنها مترادفة معها ، وكل سفر لها وسيلة ، وهي داخلية تحت سِدْرَتِها ، والسدرة الأولى تسمى سِدْرَةُ مشكاة المصباح المقدس ، والثانية تسمى سدرة نور النيث ، والثالثة تسمى سِدْرَةُ نور نوفي إني أنا الله ، وكل سدرة تحتها سدر سفرة والسيح مرات تحت السدرة الأولى تتوجه فيها وتتخذ معها وتجمع وسائلها ، ويكون من مجموعها ذاتها وجميع ما تحت الثانية كذلك ، إلا أنها غير متعده بالذات ، والثالثة كذلك إلا أنها لا تتحرك في الأولى والثانية ، ولا يخبر عنها . والثلاث سفر بعد التسعين سفرة كل واحدة منها أسمى من الثلاث وسيلة كل سِدْرَةٍ وسفرتها حتى تجتمع من الثلاث سفر ومن التسعين سفرة وسيلة مخاطبة المتوطات ، فافهم وقدر تطورها . وأعلم أن المختار العري السيد فوق هذا كله ، ودرجته أعلى من درجات الأنبياء ، فإنه فوق المتوطات وعالم الصديق ، وهو آخر الاسم والرفيق صلوات الله عليه وعلى جميع الأنبياء .

ولذلك وإهمال الظاهر ، فوالله الذي لا إله إلا هو ما تفرج إلا عن طريق السدء والعقلاء والحكماء . وكما تقدم إنسانيتك تستقر كذلك تقدم شخصك مستقر ، ولعالم الهوى موضع تخصيصه ، ولعالم الذوات المجردة موضع تخصيصها . نفس بنفسك وحسك ، وأعط لكل عالم حقه — تعبد الجسم له عالم في مكانه وزمانه ، والنفس لها عالمها وترتيبها وشأنها وأحوالها . فمن كذب ظاهراً الأمر وخله تأويله السخيف واستمر على إنكاره نزل إلى محل دعوته وأخذ بمجملته إلى الأرض الثالث الثالث . ودفع بأسر الله وسرقه القول عن الهويات المستقبات والآليات المتصلات بأيدي الصور الخيالية وبيع بالزجر التابع لمهيته أينما كانت من المراتب العقلية والحسية وخفض ، وحيث ظن أنه بلغ وصعد منازل التوجه فيه أبليس ورفض . والموضع الذي توم أنه أوج الكمال هو الحضيض له وأنزل ، وفي الذي زعم أن يدفع خبره ويطلب المشاهدة فيه هو المذاب الأليم [ ٢٧٠ ] بل هو أجزل ، ويقدر حاله وتصديقه لشأنه الخسيس ، يكون بعده وصرف وجهه عن مقابلة إلسانه الرئيس . وأهوذا بالله من الحرمان الذي يحيد عنه ، ويفيد الإنسان غير الذي هو منه . والله يعصنا من الضلال

المانع عن الخيرات ، ويقيتنا على خط صراطه الكوفي ، ويصل حبل سعادتنا ويديم لنا خير محادثته  
الذهنية ، وينفذ أمره بقتل عاداتنا .

وأنت أكرمك الله تصفح الكلام ، المتقدم والمتأخر ، والمقدمة وأجزائها وجميع ما فيها من  
الرموز ، وصحح أنها جعلت هناك لمنافع السالك فإنها تجرد هيولاء وتُصرف أدوات إنسانه كلها ،  
وتَهذب ذهنه وتعلم روحه كيف يقتنع بمعارفه من عالمه . فافهم ، ولا تسوف همتك بمطالعة هذه  
الرسالة واشتغل بها وبكل رسالة كتبتها لك ولغيرك ، واجمعا في سِرِّ ، وأثبت كل معنى مع  
الذي يناسبه ، وعجل بمخدة نفسك ، ولا تهمل مصالح أملاك وجسمك . وقل لجلتك : يا مركبة من  
الخير والشر والمفارق وغير المفارق والسعيد والشقي هاوديني ، وإن لم تقبل تقابلك بطبيعة الخير ،  
وتندرج بالمفارق ونظفر بك بأمر السعيد فأني بجهنم . ثم قل لها : « يا هندي ! هل العمر إلا كمشج ،  
أو إعطاء مكند لا يمتح ؟ وأصالك لهُو وعَلَل ، وأشارك سهُو وعَلَل . هل سِرٌّ أو صدر ،  
إلا وساء كسر . وموعده ؟ ماصح لك موعده . مطالك مطال . ومحال محال . الله له الحول والمحال  
والطول . ومع هذا الدعاء سلاح . والصلح مع جملتك المذكورة صلاح » (١) . وطاعتك إمامك  
الذي هو راعي الأمم . وهما لك المعروف عندك أنه يرشد الهم . لا ينقل عنها ويقدّر ما تسمع منه  
وتجدها تراعى منقول أغراضه ، تصل إلى مقصودك وتنال معرفة بُدُّك ومعبودك . وقد حان وقت  
الكلام الذي يُؤمَل على منولته النجيب الذي يجهل تلف نفسه ودراهمه في طلبه كَرِهَ هم ، وبعد  
والله وجده وعه ، ويعتقد أن الهنات القاطعة عنده أدوى ، والهمم الجاذبة له دوا . ويستعين  
على مصالحه سَحَرًا وبُكَرَةً ، وينادم في شأنه متعلقات أغراضه وذكره ، ويصير خط أمل العنيل  
في خلده وقد هدم ، وصديقه الذي كان يصبر عليه قد هدم ، ويكثر في كلماته من قول : لا حول  
ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . ويقول : الأرواح الطاهرة رواح النبي ، والأعمار الطبيعية مراحل  
الوجيه ، ويعمل على مشاهدة ما يعلم فإن السعادة في العلم مهمة مجهلة ، وفي اللوق والعلم مخصصة  
مفصلة . والعلم المجرد يعطى السعادة كما تعطى الملامات الشرعية التي يُتَرَف منها على الإطلاق ،

وتنسكر في التفصيل والتقييد ، فإن الغاية والعاقبة مجهولة فيها ، والحقيقة بضد ذلك ، والنزوق  
يمشى على طريق الحقيقة ، والعلم يمشى على طريق الشريعة ، والسالك السعيد المعروف بالسعادة هو  
الذى يسلك على طريق الشريعة والحقيقة ويجمع بينهما في [ ٢٧١ ] كسبه . فإن الحكم الشرعى  
يقال على أول الأمر إذا كُلف به ، وعلى آخر الأمر إذا عُرف به وهو الحقيقة في نتيجة المكلف ،  
وهو الشريعة في مقدماتها ، والشر والغير والكمال والسعد والنعمة والرضوان وما أشبه ذلك  
من الأسماء المترادفة . فأصبح الآن بسنح قلبك ، واستمع ما نرسمه لك ، وانظره بعين لبك  
المدكور الذى هو واجب بالإضافة إلى أصله وفصله وكثير موضوعه وأدواته وتقلبه وتطوره .

يا مرحوم ! الرضوان يفيد النوات الكاملة وإن أفادك الأغراض اعلم فافهم . والرحمة تفيد  
التوسطات ، والعبود يفيد الأسباب ، والمغفرة تنبه بعد ما تقرر ، والتقرير عذاب ، والتوبة هى  
الكون وهى القيامة الخاصة ، وهى الحشرُ المَرْضَى ، وهى المقدمة على نتيجة النشأة المعروضة ، وهى  
الحد ، وهى الفصل ، وهى السلام المطلوب ، وهى رأس التدليك ، وهى مفتاح الرسم القديم في مذهب  
أئمة التعليم . وفيها سبع خواص : الأولى تفيدك في زمان العزم التحدث إذا خلوت ، وترسل لك  
فهم الصور ، وكل شيء نهجده في الأحكام يحملك عليها فانظر قبله وبسده واعلم على مفهومه تظفر  
بصلاح حالك .

والثانية : تفيدك الكشف ، فإن برجعوك إلى الله رجعت بروحك لا بجسمك ، فإن صدقت  
أبصر الروح حاله في الحين فافهم وقس بالمرئ المتقدم وتوسط آخر المقدمة المذكورة ، وافتتح به  
هذا الباب فيصلح حالك .

والثالثة : تفيدك لذة المناجاة الكاملة في ملهية جوهرك فإن شأنتك يلحق أول كلام الله لك  
في شأنك ، فارجع بالتهقير على الكلام الذى قبلها وافتتح بها بانها يصلح حالك بحول الله .

والرابعة : تفيدك بالإذن الدخول على حضرة صورتك التى هى بالقوة تصديقك وبالفعل في  
منقلبك ، فأقرأ من الرسالة نحو ثلثها وافتتح به بانها يصلح حالك بحول الله تعالى .

والخامسة : تفيدك الدخول في الحضرة المذكورة وتحضر فيها مع الحاضر ، وهو يحضرك في

حضرة النظام القديم ، فطالع الرسالة المذكورة . وإذا وجدت كون التوبة قد انقرض خذ ما فيه وافتح به بابها يصلح حالك بحول الله تعالى .

والسادسة : تنفيذ الحضور المضاف مع القديم وترشدك إلى الكفّ وتحضك على نوم أهل الكهف المعروف بالسكينة ، فانظره في الرسالة والتزم قراءتها واجتهد فيها وافتح بما نجد بابها ويصلح حالك بحول الله تعالى .

والسابعة : تنفيذك النقلب إلى هناك الذى بـتكرار حكمه تصل وتخلص مرام شوقك فانها تقطع التعلق ، وتقيمك على الحق ، وتعين الحق بالحق ويحييك بمكان مائدتك العاجلة ، ويلهمك لتصرفها ببعض حروف السور وتقرر على الحضور معه من غير إضافة ، وتبصر ببصر استخارة ذاتك في هذا الموضع كل مخبر عنه دونه عز وجل ، وتعين أمرك له وتكلمه ثلاثة ، فان شأنك في هذه المنزلة ينقسم على ثلاثة : القصد ، والنيل ، والسكون . فانظر في نفسك هذا الكلام وبه تفتحه . وقد نصحتك فافتح به باب هذه الخفاصة السابعة ويصلح حالك بحول الله تعالى . وهذا التعليم قد انقرض [ ٢٧٢ ] حكمه .

يا مرحوم ! الرضوان من الله لا شك فيه وفيك بما سأله ويحييك ، وهو ذاتي الإجابة في سنة الله عز وجل لا أنه يلزمه . وفيك خمسة أجناس لم يذكرها الفيلسوف قط ولا عرفها الصوفي ، ولا سمعها التعليم . وفيك من الرضوان علامته وهي بعد واحدك وقبل ثالثك ، وفيك زمان وقوعه عليك وهوايه الممكن ومنك الراجح وعنك اللازم ، وجهلتك وهي مادتها ، والرحمة أمرها من الجنة والناس ، وذاته العرضية من الجنة والملائكة الجوهرية دوراتها على الأسماء الشاملة ، ويلهمها بالاستفهام وأنت على تب وإفراط وعند التكرار وبعد المحبوب كله ، والعفو نافع القدرة الواحدة ، ويلزم أصل التعلق وقد ضربه في أول السنة المأمور بها المقرر عند الجميع ، بعد تحصيل بعض الأسماء . فان أردت نبيل فاذكره عقيب الأسماء وأنت تفهم مقتضاه وتزول الأسماء عليه وترغبه في كنه التنزيل ثلثه ، وتقر في صلاتك التي تكون في برها بالمقصد فيه إلى حروف الاستجابة المشهورة والمغفرة ملكية الأثر وإنسية الأكثر ، وحقيقة الأقل ، وريانية التعلق . وكون السكون

المحور ، وحال الاسم الموصول ، وماهية الصور القاصرة ، وآنية النفوس المستجلبة ، ونتيجة مقدمه الاستدعاء ، وأمل المشاهد الذى يطلب مشاهدته كما هو الرضوان ا — ل الذى يسطاها قبل أن يطلبها ، أحن المشاهد والتوبة المخلصة المنسوبة لمبادئه المخلصين : قلبها الرضوان ، وحيثما الرحمة ، ولسانها العفو ، وقواها المغفرة ، وارتباطها التوحيد ، وثبوتها المشاهدة ، والثابت ينقلب فى صد<sup>(١)</sup> أمله فى حضرة الإحسان ، وحينها تبصر مقصودها ، فإنها تنظر بالنعم نظرة النعم ، ولسانها ينطق بوصف الإنسان ، ومفهوم صيغته يخبر بخبر النفس ، وملازمة التوبة لها مخصصة ألا تيقن<sup>(٢)</sup> إلا بالله ونواع<sup>(٣)</sup> ذاته فى بد ذاته لا بذاته تقسمه على سواء . وهو يطلب أمره دأته ، وتَلَب الحق بالحق ، ويقم رسم التحقيق بأن التوبة مرتبطة بالكرم ، والاضطرار والتوجه صفة نفس الخلق ، والاضطرار صفة نفس العبد ، والتوجه للكرم يتعلق بالكرم على ما يجب . فالتوبة بهذا النظر راجعة ، ومتاجر هاراجمة ، وأيضاً التوبة قاتلة وبعد القول وفى الجملة وعن الكلمة وشارحة ، إذا طابت بالأدوات المقومة ، وماهية إذا حكمت بالأسباب الثلاثة ، وخاصة أملها إذا برز عليها التائب ، ومحة عهوده القديمة . وبالجملة هى صورة من الصور الروحانية التى مثلها عرض القبول وجوه التكليف ، وأصلها رجوع الشريف إلى قدره الذى هو منه بالتقدير الذى أهبط عنه . وهذا التنبيه قد تم وقد كُمل حكمه .

يا مرحوم الرضوان والرحمة والعفو والمغفرة من الأسماء المترادفة إذا نظرناه بنظر ما فى المقدمة التى قبلها ، وإذا قلنا فيه بالتوحيد أطلقناه بالترادف مع الواحد الحق [ ٢٧٣ ] فهو الرضوان ، وهو الحق ، وهو هو . وإذا نظرناه بالشرع ، والتوحيد ، والحكمة ، وثبوت الكلمة ، والفصل الذى فيه معنى النظام ، ومكان الممكن الذى لا تقطاع لمأهيته ، قلنا فيه هو وما يشبهه ، مثل الذى يتعدد بمضافه ، وهو واحد لا يتعدد . وهو أيضاً فى الذى هو مثله هو فيه . وإن جعلناه بمعنى الاسم إذا صرفناه قلنا فيه فى كل اسم معنى كل اسم . وإن نظرنا ماهية الواحق

(١) كذا فى الأصل : ولعل صوابها : حيز .

(٢) غير واضحة فى المخطوط .



ونعتبرها بالصنائع قلنا : الرضوان من صفة القديم متعلق بالخير ، ويحمل مفهومه عليه في حق الخير ،  
والغير يمنع نفسه — وهذا خلف. وإن نظرناه من جهة العرف واللغة والشرع والصنائع الضعيفة بالعقل  
الضعيف والقياس الخلف والفهم السخيف — قلنا : هو وسائر الأسماء الأربعة على مفهوم ما يلزم  
الكل في شأنهم ، والأسماء الأربعة أسماء الذات والصفات والأفعال والتزوية والقول بأن الصفات  
زائدة على الذات . وإن نظرناه بالحق المنسوب قلنا : هو الفصل والكلمة ، وهو العقل ، وهو القصد  
الأول ، وهو القلم ، وهو الروح ، وهو القدرة . وإن نظرناه بالحق الصرف قلنا : الرضوان هو  
المحمول الأول ، وهو الاسم السابع ، وهو الوصف الثائب ، وهو هرك السادة ، وهو ذات حكمة  
العبادة ، وهو الذي يحل به الوحي قبل الكل ، ويحفظه الرسل قبل الرسل ، ويناله كل مخلوق وإن  
لم يفهم فيه إلا بعد عسر ، وهو المتلو بعد الأسماء الثلاثة التي فيها صور الدوائر فافهم .  
والرحمة بعده ، وبحسب ما قيل . والعفو بعد الرحمة ، وبحسب ما قيل . والمغفرة بعد الجميع ،  
وبحسب ما قيل . والتوبة : هي الشأن الذي فيه التبتض والبسط ، وفيه يزعم الأصم الأول  
من الأنواع الأربعة المتقدمة أنه يتوجه للكل ، ويدبر الإفادة ، ويقبل بالاستفادة ، وفيه  
يزعم الأصم المذكور قبل الذي أنواعهم سعة في الحضرة التي بينتها وجعلتها على بابها وتوحتها  
في البند والمقرب ، وقومت بها الأنية الصاعدة ، وتمت بها المقويات الساكنة ، وفيه يقول التعليل  
إنه فرض الشك الذي يحفظ الأمر أول الصعود ، وفيه يقول التنبيه إنه سلامة على أهله قبل الجمع ،  
وهو الذي أبرز في نازله آدم المخلوط الماحية وحركة ولله الذي نبهه عناب البين حفظ الظل ،  
والذل الذي يتحرك بالقوى الطبيعية وينحط إليها ويمشي منها عنها فيها ، وشرع في نظمه إخوة  
يوسف ، وركبها داود ، وختم بها على السلاة سليمان ، وجدها بعد ذلك ثم أكثر ثم أكثر ثم  
أكثر ووافق والده والرسل من قبله في الشرب .

وفي هذا الشأن يضع عيسى الجزية آخر الزمان — فافهم . وفيه اختبر آدم وأجلب بجهة وغفل  
بجهة ، فكان من الجهة المتقدمة علوه ، ومن المتأخرة ما سمعت : فإن آدم والدك في الأمور العرضية  
والجوهرية وفيه تقدم كل شيء يظهر عليك فإن ماهيتك منه . والشرائع تضالفت الصم الأول  
والفلاسفة في ذلك . وشرعنا تقول إن آدم يتقدم على محمد ﷺ بالزمان والمكان والسبب  
والطبع بأمر الله الذي [٢٧٤] جعل هذه المادة ، والنبي عليه السلام يتقدم حكمه بالفصل . ومن

حديث الإسراء تفهم تقدمه على كل من جاز عليه . وأضاف الجواز في قوله في هذه القضية . من غير أن يعتبر بالفضل وقال يقول آدم لمحمد : يا ولد صورتي ، يا والد معنای . والتوبة في أبيه آدم داخلة ولا يخرج عنها من ولده أحد ، وإن خرج عنها بالقول الأول الذي تفرض فيه العصمة ، ويقال من اسمه بما يسلم من معقول رجوعه الأبوة الذي يركب به نظامه كماله ولا يسلم من المواهب التي يرد عليها ويدفعها بالاستمانة وأن يسلم فيها ، يسلم من التوحيد المخالف فافهم والتوبة مفهومة<sup>(١)</sup> الرسم كـ: بيرة الاسم أثيرة في القلوب ، ونقطها عالية وخطوطها ثلاثة وزمانها واحد . فإن حررت خبرها وكننت طاهراً ، واستقبلت القبلة وأنت على غفلة تخاف والله عليك من الصور المجردة النازلة عليك في جناحك وفي قوة خيالك ووهبك كنزول المطر . وهنا وهنا نمسك الكلام عليها ، فإن النصف بقي منها بالنظر إلى التقرير ، وهذا التقرير قد تم بتمامه .

حكمة : الرضوان واسع ، والرحمة مثله بعد العهد ، والعفو كذلك ، والمغفرة كذلك ، والتوبة كذلك . والرضوان في الأسماء يفضل فيها ، ولا يمكنني أكثر من هذا ، وكذلك ما بعده وهذه السببية قد تم حكمها .

حكمة : الرضوان رضى ، والرحمة مثله بعد العهد ، والعفو والمغفرة كذلك . والرضوان في الأرواح متعل الفعل ، ولا يمكنني أكثر من هذا ، وكذلك ما بعده ، وهذا مذهب البراهمة قد تم .

حكمة : والرضوان ضم بعد العهد العفو ، والمغفرة كذلك ، ولا يمكنني أكثر من هذا . وهذا مذهب الفصّل قد تم حكمه .

حكمة : والرضوان طسّم ، والرحمة كذلك ، والعفو والمغفرة كذلك ، والرضوان في الجنة والنار ، وفي الأمر الأول ، وفي المأمور ، وفي التصريف الثانی بانطير الأول ، وهذا مذهب المهمل قد تم حكمه .

---

(١) في النص : مفهوم - وفوقها : كذا .

حكمة : والرضوان هو ثلاثة : شهادة ، والحكم بها ، وهذه الأعياد فتفتح لك ، فاضرب بها في مثلها بحالك ونزل الأمر في ذلك أظهر من الوجود الطبيعي لك ، وهذا بعد القصد ، وكذلك ما بعده . ولا يمكنني أكثر من هذا ، وهذا مذهب المَكَلِّم قد تم حكمه .

حكمة : والرضوان ما تسمعه ، وبعد ذلك ما تسميه وتحمده ، وهو بعد هذا على كل مضاف ، فمن قطع المضاف كان هو الذي يرضى ، ومن أخبره رضى عنه ، والذي يصل حتى يرضى عن نفسه بما جعل فيه من ماهية رضوان ربه المستخلف بماهية رضوان حاله المكتسب بأمر ربه الواقف بينهما هو والرضوان عليه ، وهو مفعول فعل لثلاثا فنلظ غلط الاشتباه عند التركيب ، وإنما هذا مفعوم قوله تعالى « رضى الله عنهم ورضوا عنه » <sup>(١)</sup> فافهم . والرضوان وما بعده في الرسوم الخماس بعد السلائل ، وما له في الطوائف هل ، وله في الأعلام الأول . والمتعلق القديم كل شيء وما بعده كذلك ولا يمكنني أكثر من هذا [ ٢٧٥ ] وهذا مذهب المقرب قد تم حكمه .

حكمة : والرضوان وما بعده وما هو مثله في السفر الأول بين الوسائل والكهوف ، وقراره الذي يعمل عليه في خطوط الحج وفي مساجد الله كره ، وهو بينهم بعد فهم الطيور ، وفي غيرها من السفر لا يحل الكلام فيه إلا لعالم بها فإن في المسائل ما لا يمكن تعليلها على الجبل ، ومنها ما يمكن . فما أجهل من يحملها على وجه واحد ، وما أقل إسعاف من يطلبها من محقق ! والنوطلات وما فوقها لا سبيل أن يفتح فيها باب لسائل في هذا العصر إلا من خصصه الله تعالى . فافهم ما رُسم لك ، واعلم قدره واحد الله عليه ، واعلم أن بيده من الظهور ما لا يأخذه والله تقدير ولا يتعلق به تعيين ولا يمكن في مثله نقص أبداً ، ولا في الذي تصوره . وخلاص مسائل هذه الرسالة بالأحكام المفروضة فيها ، فإن المسئلة في الأهم تتحرك ، وفي التعليم تمكن وتمنح وتحقق أغراضها ، وفي التنبيه يتبين أمرها في الخبر الصحيح ، وفي التقرير يبصر أمرها كله صح ويتحقق الحق ، والسبب يصرف في الفارين ، وفي البراهمة يباد ويحفظ ، وفي الفصل يميز آخره وينقل ، وفي المهمل يعمل على جنسه وفي المكلم

(١) سورة « المائدة » آية : ١١٩ .

ينتهي أمره ويجدد شأنه في السفر في هذا الشأن كله ؛ وفي المنونات أوله ، وفي الصديق سببه ، وفي الاسم فاعله . ثم نرجع فنقول : وفي الصم تتحرك المستلة وتطلع بالتركيب وتجعلها دائرة منسوبة ، وربّ دليل في قليل ، وربّ إهتار في إكثار ، وقد تخلصت والحمد لله ؛ وهي موجبة لك ومرسومة برمحك فإنها جواب عنوان كتابك المكتوب فيه إن الله « يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات » <sup>(١)</sup> ، وفي مقولة « والكاذبين الشيطوالمافين عن الناس » <sup>(٢)</sup> الآية وتصلك محبة حاملها إن شاء الله تعالى فتصغفها وأخذتها بنهنك وهنك وعزمك وحركك وأدبك وشوقك وصبرك والله يعينك عليها وعلى أولها وآخرها ووسطها ، وبفضلك أقبل عذري فيها فإنني كنت في كتبها مُشْتَتَ الخاطر بالداخل إلى والخارج على والنائر على بمكر العدو القريب مني ، وكان قلبي يمر على القرباس في غير قصد ولا عين وذخري يرود الأشخاص بغير وهم على عين . وبالجمل : الإنسانية منقسمة : منها ما يبصر الذناب الوحشية والإلسية ، ومنها ما يتوقع الأكوام المهلكة المعنوية والحسية . وبالجمل : حركة الخاطر الباطنة لا سكن لها في الخير ، وحركة الظاهر في الخارج تقطع أحيائها قبل الطرق ، والأمر كله لله . وبالله ما عندى من غير الله خير . وكل مخوف ذكرته هو الله ، وأفعاله خاصة ونفسى مطمئنة ، وجلّى أمنة . فأليس جللتك ولا تحف ، وتيقن أن كل ما ذكرته لك قبل من أنواع التوقع هو من أجل الشريعة والحكمة . فاعلم هذا كله وتخلّق به إن شاء الله تعالى . واعلم أن القسم عند المحققين ينقسم على سبعة أقسام ، وكل قسم يكرر إذا وقع الحذث به وينقل منه إلى [ ٢٧٦ ] الأصلح والأكل . قال رسول الله ﷺ : « ما حلفتُ على شيء ورأيتُ خيراً منه إلا كُفَرْتُ عن يميني وأتيت الذي هو خير » - إلا التَّسَمُّ بسر التحقيق والمهلويات الصاعدة والآليات الممتدة وبالاسم الأعظم عقبا . والكفارات منها ما يكون مثل المروفة التي يعرفها الكل ، ومنها ما هو بغيره . فإذا سمعتني تلحف بما ذكره لك - فلا تحنني ، وإياك والوهم والفطش الذي يحول بين المحبِّ ومحبوبة والوالد وولده والمرء وزوجته ؛ وغير القسم المحرم الذي عرفتك به وأطلب في الانتقال عنه وأسمح في ضد متعلقه ، واسعذك فيه بكل أنواع الكفارات المروفة وغير المروفة .

(١) سورة الشورى : آية ٢٥ - وراجع سورة التوبة آية ١٠٤ .

(٢) سورة آل عمران آية : ١٣٤ .

وقد نصحتك ، وهذه مقعدة قدمتها عندك لأمر تحتاج إليها بعدها ، فافهم ! وكل من نهجه ولا تقسم عليه بالقسم المذكور وتكون مقاطعته وهجرته بالمرض ، والمرض ما يصلح بالمهاجر والمهجور ، فإن أدب التحقيق على أتمه وهو الذي يجيب بالموافقة دعوة السائل ، ويفرج من شأن وأصله بقول القائل وتقرأ الآية « خذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ »<sup>(١)</sup> ، ونذكر عقبها الحديث المشهور الذي تقدم فيمن أحب وورد في وصاياه وتأخر وظهر وحكم في مكارم أخلاق محمد ﷺ وعلى جميع الأنبياء وهو : « صَلِّ مَنْ قَطَعَكَ وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ » . وعلى الإجماع الذي هو الاتفاق بين علماء العالم وحكائه على أن مكارم الأخلاق صورة متممة ومقومة للحكيم والحكمة . وأنشد قول الشاعر :

وإني وإن أوعدته أو وعدته      لمخلفٍ إيماني ومُنجزٍ موعدي

ونصف المثل الجاري : العاقل ملية الأحمق — ونألس نفسي به . ومن نهجه وتقسم في مقاطعته بالقسم المذكور فلا سبيل لأحد عدى في نيل شفاعته فيه ، فانه أعسر وجوراً من المحال المتبجح بماهيته ولا يمكن أن يسف فيها الشفيح حتى يضطر القديم للصاحبة والنديم ، وتنفذ ماهية العديم وتلى الآية « فلا تذهب تَشْكُ حليم حشرات »<sup>(٢)</sup> الآية ونشفع مفهوم شأنها بالحديث : « اللهم حوالينا ولا علينا » وكما صرفته عنا فلا ترده إلينا ، ونخلص مقصود الجميع بانقضاء الإجماع على أن مقابلة الفاسد من وجوه النظر وينشد هزجى :

وإن كنت قد ساءت لك مَنى خليقة      فسلى ثيابي من ثيابك تنسل<sup>(٣)</sup>

ونذكر المثل المشهور : « المو العاقل أحسن من الصديق الجاهل » ، ونشرح مفهومه بقول الحكماء : « من لا تنفعه نفسه ادفعه بالزم والحزم لثلاث تلك هربته وآفته » ، وتفسير صورة هذا كله بقولهم : لا تضرب في حديد بارد . وبالجملة حل الأدب مع أهله أمان ، وكما تدبّر تدان ، وكفى به قدراً ، والمؤمن من لا يضر نفسه بضررتين ، ولا يلزم من جحر مرتين . ويطلب مصالحه ويمتثل

(٢) سورة « طاهر » آية ٨ .

(١) سورة « الأعراف » آية ١٩٩ .

(٣) البيت لامرئ النيس من معلقته المشهورة .

قول الصادق عليه السلام: « ابدأ بنفسك ثم بمن تعول » وتنطق معاملته بلسان حالها وترجم ، وتقول :  
« إن للخير أهلا ، وللشر أهلا » ، وينشد : [ ٢٧٧ ]

ولى فرسٌ بالشرِّ للشرِّ مُلِمٌّ      ولى فرسٌ بالخير للخير مُسَرِّجٌ  
فمن رام تقوى فإني مُقَوِّمٌ      ومن رام تعوى فإني مُعَوِّجٌ

وإذا نزل عليه غيرُ الذى يوافقه ويناسب سريته ويكون غير متفق معه يختار معه خير الشرين  
ويقلب خير الخيرين على ضَرِّ الضَّرِّين ، ويقول : كل محب لا يخرج من خلد محبه لا يهجر ، وكل  
من لا يهجر لا يغير ، فكل محبوب لا يبرح من خلد محبه ، وبالعكس لا يغير .

وأنت أهلك الله كن مع الله ومع أهله على أى حال كانوا ، وقسم احترام الأول المشار ، والنس  
نفسك بما قلته فى الضرب الأول من الشكل الأول .

والسلام عليك أيها اللازم لإسعافه وإنصافه ، ورحمة الله تعالى وبركاته ، ويمثله على التقدير القاضى ،  
ورحمة الله تعالى ، وعلى الولد الصالح بطبعه أبى الحسن ، وعلى أخيه ، وعلى الجميع ، ورحمة الله تعالى  
وبركاته . ومطالك فيها تملق بالناسخ فإنه كتبها فى أربعة أيام ، وهاودت فى ذلك راحته ، وببعضها  
أنا فى يومين ولو كان السكاغد عندى على كماله لم يكن إلا فى اليوم الواحد .

وهذه الرسالة سميتها « الرضوانية » .

والله الموفقٌ لنظرها بعين التحقيق والنهم لمآنها بمنه وكرمه .

## رسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً ، إن نجدني عنايتك ، ها أبعدني  
عن باب حضرتك ومشاهدتك ! ما أيسر الأمر منك وما أقرب ، وما أبعد من جنتي وما أصعب !  
العمل لا يوصل إليك ، والشئ لا يدل عليك . الشئ محصور في شئته والمستدل محصور في قالب  
صورته : من لم تنظر إليه بعين المحبة ، ما أعظم حجابها وأظلم قلبه ! ما نزلت الرحمة على عبد إلا  
قام به روح الحياء ، ولا أشرق نور المشاهدة في قلب الأعمى عن السوءى . مادام القلب مستغرق  
مشاهدتك فلا ورد له ولا وارد . من التفت عن الله واشتغل بما سواه خسرنا مينا ، وباء  
يسخط من الله ، وفار الحجاب ماواه — لا يتكشف سر التوحيد لمبدئ هو مع نفسه ، ولا يشهد  
الحق حقاً ما دام باقياً مع حبه . من لم يكن له في سابق العلم حظ منك وتكرمه ، ها أبعد من  
السعادة الأبدية وما أحرمه ! من لم تكن أنت مواجبه ووجهته ، ما أعظم عناءه وأطول حيرته ! من  
لم يكشف له عن سر قاطن فيه ، لم يبتد إلى الحق في شئ ، ودام في الحيرة والنيه مطموس  
البصيرة فاقد النور مريض القلب لا شئ يشفيه : من لم تعرف له بسر المعارف ما أجمله ! [٢٧٨]  
من لم يمدَّ بالأنوار ، ما أعماه عنك وأغفله ! من لم تفتح له عين بصيرته ها أعماه عن إشراق شمس  
حقيقته ! من لم يقل منك في السابعة حظه ونصيبه ، ها أشد بالحجاب إبعاده وتمذيه ! ما تمجليت  
لقلب إلا امتلأ بالأنوار ، ولا تعرف له إلا انجلت له الحقائق وانكشفت له الأسرار ! إذا أتى  
العبد الممدد فلا يقدر على صرفه عنه أحد . من لم يمدَّ بالعناية فالشيطان بالخذلان يمد . من لم  
تؤيده وتناصره ، فالشيطان عن طرقات الخيبر يقطعه ويضره . من أحب نفسه دام تسه وشقاؤه .  
من أحب الله طابت حياته ودام بقاؤه . من نظر إلى الأكوان بين الاعتبار ظهرت له الحقائق

---

\* هذه الرسالة بخط مغربي مخالف للخط الذي كتبت به رسائل ابن سيمين السابقة . وتبدأ من  
نصف الصفحة ٢٧٧ بعد « الرضوانية » مباشرة .

وانكشف له الأسرار . من لم يطلب مطلوبه من وجوده ، لم يظفر به لثبته عن المقصود وشروطه .  
 معرفة الله متعلقة بمعرفة النفس ، فمن لم يعرف نفسه لم يعرف ربه والقرب من الله مناوئيه للقرب من  
 الخلق ، فمن لم يباين الخلق لم يشهد من الله قرب . من وقع في وجوده على الكنز ، وحدّ من  
 نسخة شكله أشكال الزمن ، فقد نال الغنى وظفر بالسعادة والعز . الدليل والمستدل صنف عليهما  
 وصنف الحدوث والعدم ، والمندول عليه قائم به وصفاً للوحدانية والإقدم ، فالدليل بوصف حدوثه  
 منقطع ، والمستدل بنير شكله كلما تقدم رَجَعَ ، فلا نسبة ولا علاقة ، إذ الوجود الحقيقي  
 يحو الوجود المجازي إطلاقه . اهرب من المحاسن إليه ، وإليك أن تقتن بها فكثير قن بها وحُجِبَ ؛  
 ولا تنتر بما لديك وما حصل لك من القرب ، فكم من قريب بُعد وسلب . لا تركز إلا إليه  
 ولا تعتمد إلا عليه ولا يقرّ لك قرار إلا بين يديه . اجعل الحق أمانك في كل شيء ترشد فيه  
 إلى الصواب ، واقصده في كل ما تقصد يفتح لك الأبواب . لا تقضد غير الله فضل ، ولا تطلب  
 من غيره فخرم ، وتتمب ، وتكل . ما نطق بالحكمة جاهل ، ولا جهل بالحكمة عاقل . ما نطق  
 بالحقيقة إلا عارف ، ولا جهل بالحقيقة إلا محجوب مع الحس واقف . ما نبجل الحق لغير قلب  
 طاهر ، ولا برز السر لغير قلب بالله عامر . من دام في الأعمال دامت له السعادة ، ومن اعترف  
 بالشكر استوجب الزيادة . من خرّج عن العادة بلغ من المطلوب مراده . من نظر الناس بعين  
 زمانهم استفاد علمه ، فالزمان سر مظهره أعطى فيهم حكمه . الزمان يشبه أهله . إن الحكمة بالمظهر  
 تعطى . كلاً فله ، فأفعلهم تجرى على حكم الاسم القائم في زمانهم المتجلى بصور أعمالهم ، فلا زمان  
 يشبه زماناً لاختلاف مظاهر الأسماء وإن كانت الأسماء بالوجود قائمة ، لأن الأسماء محبطة  
 محاطة مهيمنة بعضها على بعض في دوائرها ، محكومة حاكمة .

لا تهم بغير مالك [٢٧٩] لا تنتر بغير مالك فيه نفع وزيادة ، ولا تمنع بهمتك إلى حضيض  
 السخط عن الترقى إلى مرتبة العز والسيادة . لا تكن ممن اتخذ الهمة هواه ، وعبد شيطانه واستعكم  
 عليه وتولاه ، فأصبح لامولى له ؛ قد طبع بطابع الشقاء على قلبه فأعماه . لا تشغل القلب  
 بالأسف على ما فات ، وقم على قدم الاجتهاد والاستعداد لما هو آت ، فإله تعالى يقول :



« إِنَّ أَحْسَنَ مَا يَذْهَبُ فِي السَّيِّئَاتِ »<sup>(١)</sup> . لا تستعجل في عمالك من الله الإجابة ، فهو الذي أمرك بالعدل والطلب منه ليعطيك ومن كرهه فتح للطالبين بابه . الزم الباب ولا تبتس طرء وف رحيم ، وامتدد إليه يد افتقارك بالذل والمسكنة فهو الغنى الكريم . لا تهرب بالذنب منه وأهرب بالذنب إليه ؛ فإلى أين تنهب وإليه يرجع الأمر كله ! لا تعلق بغيره ، ولا تركن إلى سواه ، « فكل شيء هالك إلا وجهه »<sup>(٢)</sup> الخلق كلهم قراء إليه طالبون منه ، فكيف تطلب أنت منهم ، والسكل موق لا يمكن أن لنفسهم نفعا ولا ضرا ، فكيف لا ترحل إليه عنهم ؟ ! لو أشهدك سعة رحمتي وتلاشي ذنوب الخلق في سعة هذه الرحمة وأحضرك حضرات اسمه الودود الرؤوف الرحيم لرأيت حقائق هذه الأسماء تقرب المعبود وتعطي المحروم وتؤمن الغافل ، قائمة حاكمة بهذه الأحكام بالحكمة . إذا رأيت الخلق مُرضين عنك مقبلين عليك باللذمة فهو لأحد أمرين : إما بلاء وعنة ، أو نعمة من الله عليك ورحمة ؛ فالبلاء والمحنة ميثاق إليهم وعرض أعمالك عليهم وشئك بهم عن الله وغيبتك عنه برؤية من سواه ، والنعمة والرحمة شهودك الحق بما أسدى إليك من النعم بواسطة الخلق ؛ فأنت مع المنعم لا معهم برؤيتك له وغيبتك عنهم .

لا تؤسك كثرة الذنوب ، فسكن من مذنب على<sup>(٣)</sup> سابق العلم مُقرب محبوب ، وكمن من مطيع في سابق العلم بعيد عن الله محبوب ! لا تطع النفس فيما تأمر به ، فإنها لا تأمر بخير ، ومخالفتها واجبة فلو أطاعت أطاعت وأمرها فسد ولم تقم بحق الله فلما أضاعت أضيعت . لا ضلال لمن أنت دليله ، ولا ضياع لمن أنت كفيته ، ولا وقعة لمن أنت داعيه ، ولا فترة لمن أنت راعيه ، ولا وحشة لمن أنت أنيسه ، ولا غفلة لقلب أنت حربه . ما قلباً القلب نورُ شهود إلا عما عنه . كل ظلمة ، ولا نازله حقيقة عرفان إلا نطق بالحكمة . إن قلباً لاح في مرآته حقيقة الوجود كسليم . إن عبداً سلك بالمناجاة متبع الحق لمل صراط مستقيم . السكون كله نور عند من أبصر ، والحقيقة بارزة إلى من استبصر ، والحق ظاهر وهو من الظهور أظهر ، والنور [ ٢٨٠ ] ساطع أذهل العقول والعيون .

(٢) سورة « النقص » آية ٨٨ .

(١) سورة « هود » آية ١١٤ .

(٣) كذا في الأصل !

بهر . السكون كله ظلمة ، لولا أنك الحق المبين ؛ والدار كلها بلاء وعنة ، لولا أنك الحافظ المعين .  
 الإنسان مخلوق في أحسن قويم ، مرعود إلى أسفل سافلين ، يعلم المجهول ويجهل المعلوم ، له التكوين  
 والتسكين ؛ إن رقى فإلى الغاية ، وإن هبط فإلى النهاية . وهو المبدأ به في المدّ والتدين ، الوجود  
 منه أخذ ؛ والكل عنه وارد والقلب واجد وفاقد ، خراب بالشك ، عامر باليقين . كنزك معك  
 وأنت لا تدرى ، وأسباب السير ميسرة وأنت لا تدرى . وجودك حجابك ، ورؤيتك إياك  
 سرايبك ؛ وقوفك مع الأشكال حجبك ونهت حتى لا تدرى مطلبك ، فلو نك إليك سریت ،  
 لشاهدت ورأيت ! فكم محبوب بعينه هن رؤية عينه ! فن تخلص من الشبهات ونحى عن  
 الرميّات ، انتقل إلى الممانى الصحيحة ، وتكلم باللغة الفصيحة ، وأنجم له ما به تفرق ، ورأى الحق  
 على ما هو به وتحقيق ، فاطلّوب أنت لو كشف لك عنك ، والسرفيك لو برز لك منك . الحجاب  
 أنت لو أزلته ، والنور ظاهر فيك لو شهدته . ما برز عنك إلا بما بطن فيك ، ولا بطن فيك إلا بما  
 ظهر عنك .

نورك سابق لظلمتك ، وتوحيدك مركز في أصل فطرتك ، مقيد أنت بتركيب صورتك ، مطلق  
 ببسط روحانيتك . الجلال يحميك ويثبتك ، والجلال يعمّيك ويمسك . إن رقيت إلى المآلى فهمى  
 لك وأنت لها وأجلت روحك الحضرة فهو محلها ومنزلها . الأرواح إذا ألقيت في بحر النور وغست ،  
 والتحقّت بمالها العلوى وتقدست ، وأجابته داعى الحضرة وحضرت ، وقام بها السر الإلهى  
 فشهدت ما كانت به عنه حجب ، واتصلت بما عنه انفصلت ، وعلدت كما كانت وما برحت ،  
 وحصلت على ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، وسرى سر الحية في العوالم — فيأله سرّ فأنت  
 به وروح بها حييت هنالك الولاية لله الحق ! انبسطت العوالم وانتشرت ، وبرزت العلوم الإلهية  
 للعالم واتسعت ، وكشفت للقلوب عن الغيوب وظهرت ، وأفيض عليها من نور الأرواح فاستنارت  
 القلوب وأشرقت ، وزال عنها كدّر الأغيار وصفت ، وانفصل عنها كشوبها وتخلصت ، وترك  
 قيد شكل أشكالها وأطلقت ، وألقت السمع وشهدت ما عنه أخبرت ، وطلع منها فجر ليلها وخيملت<sup>(١)</sup>

وَنَجَى للبصائر مشهودها فأبصرت ، وأمنت البصائر الأبصار بنور شهودها فرأت الحق ظاهراً في كل مرئى رأت . فثبت الجواثد وعقت ، بقيت الباقيات [ ٢٨١ ] والحقائق تحققت ، والحق الأزل بالأبد ، الملك لله الواحد الأحد .

إلهي ! هذا ذلّي في الدنيا بشؤم معصيتي ، وشترك مسدول عليّ ، فكيف به في الآخرة عند هتك الستار؟ وهذا سرّي بادر بسوء الحال عليّ ، فكيف به عند كشف الأسرار ! وها باب التوبة مفتوح وأنت تنادي : هل من تائب وأنا مقيم باقي مع الإصرار ، معلول منكسور ما وجدت لليلة دواء ولا للكسر جباراً ، ناكس الرأس خجلان بين الصالحين والأخيار . لا أدنى تسمع ، ولا عيني تخشع ، ولا قلبي يحضر ، ولا فكري يرق ، ولا عقلي يعقل ولا أنهم ، ولا لي اعتبار . قد غلبتني ذنوبي ، وفتحت وجهي هيوى ، ماشر في الظلم وأهل النور يمشون في الأنوار ، عاجز عن دفع ضرر أو جلب نفع ، متقاد لما شئت من سلاسل الأقدار . ما الحيلة في المقدور وإذا نزل أصم السمع وأذهب العقل ، وأعمى الأبصار . ليعلم أن السعادة السابقة لا شيء يرفها ، والشقاوة اللاحقة لا شيء يدفها ، لأن الأمر نافذ صائب ، وهلى كلا للفريقين حاكم غالب . لا تنازع الأقدار قهلك ، ولا تلقى نفسك في ضيق هذا المسلك ، فإنه لا منازعة لمن هو غالب قاهر ، ولا مدافعة لمن هو قوى قادر . لم يبق إلّا التسليم عند تحقيق الغلبة وظهور المعجز حيث لم يبلغ الطالب مطلبه .

إلهي ! ولا تحسن ظني فيك لقطع المعصية رجائي منك ، ولو لا ظني بحسن كرمك لأخذ الشيطان زمامي عنك . عفوك وسبغ فلا تُعلم له نهاية ، وعزك منبع فلا يوقف له على غاية . إن أخذت فأنت ذو عز وسلطان ، وإن غفرت فأنت ذو كرم وإحسان . ولقد غلبت جانب الرحمة فلم تقطع رجاءنا منك بما أخبرتنا به عنك ، وفتحت لنا من كرمك باباً وسیعاً : « قل يُبادى ، الذين أسرفوا هلى أنفسهم ، لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يفرّ الثوب جيباً » <sup>(١)</sup> كيف نخشى أو نخاف ومن رحمتك أوجدتنا ؛ وكل موجود يرجع إلى أصله ! ونحن خلاصة فلك . والفاعل حكيم لا يضيع خلاصة فعله . إلهي ! إننا لا نريد المعصية وإن غلبت ، ولا نرضى بها وإن وقعت ، ونرضى بفضلك ولا نرجو سواك ، وعزنا لا نصميك وأنت تعلم ذلك منا . فثبتنا على ما عليه عزنا ، وأحسنا ما عنه عجزنا .

## &gt; رسالة في عرفه &lt;

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وسلم كثيراً قال <sup>(١)</sup> أكبر مالك المقولات والأول من الأمور التي حصرها هذا الوجود والآخر والظاهر في ذلك كله والباطن العرى عن الشوائب العلى القوى الولي، حاكم الإحاطة المنحطة المختلطة، وعين تلك الكلمة الجامعة المانعة؛ صورة الصور، وسورة السور، خليفة الحقيقة، وحقيقة الطريقة، المبصر قبل النصيب، المناسب من صفة نفسه للمعطى والنصيب، وعين ما يبصر ويعلم من العالم؛ وفوق ما يحققه علم العالم عبد الله الوهاب، وأمين الله البواب، الآخذ من الجلالة اسم الجليل، ومن الدلالة قصد الغليل، الذي أراد بذلك التشبيه بذلك، فكان من ذلك ما أراه ذلك لأجل ذلك ومحبة ذلك، ثم كان كذلك بعد ذلك، وبعد ما هو ذلك وإن كان جميع ذلك هو ذلك فلا يصح مع ذلك غير ذلك. فسبحان الذي جعل ذلك ليس كذلك، وهو مع ذلك أظهر ذلك، ورتب ذلك، بأمر ذلك، من المتكلم في الوجود، وفي الأمر المتعبر من الظاهر في الجميع، وفي الشيخ المختبر، ومن الواحد حتى يتمتع في حقه ذلك لأجل الحكم، لآلته عن أو من أو به أو له أو ما أشبه ذلك قال له المؤلف الأكبر انتسب واكتسب. ولياك أن تظن أن الأمر في المتعبر وفي المؤلفات هو من جنس ما تعلم من الماهيات التي كانت تقسأل في عالم المؤلف خليفة الله الحق الثابت عز وجل، حتى أنها كانت تتطور في بعض السفر في ماهية ذلك المؤلف المعروف إلى ذلك المتعبر وفي أنواع جليلة بحسب ذلك الموضع. فاهلم أن ذلك يصح لها

---

(١) هذه الرسالة بنفس القلم الذي كتب الرسائل الأولى لابن سمين .

لأنها يقال عليه فائها تنصرف إلى ثمانية ، فهي ماهيته المتوسطة الحاكمة وهو يقال عليها ، وهذا الذى نحن بسبيله هو البحر الذى يفرق فيه حاصل البحر أسمى مفهوم البحر ، والموضع الذى لا يقال فيه البحر — وبالمجلة أحوال الناس قبل حقيقة هذا الأمر لا تنسب إلا بوجود الشعور ولكونها فى عالم وفى وجود وفى مألوف فقط . ومن كان يطلب الوجود ووجده اقتطع طلبه ضرورة ، فكيف يصح منه الطلب ؟ ولا تتوهم أن الأمر الذى نحن بسبيله لا وجود فيه بل هو شبه الماهية فى اصطلاح صم السفرة الأولى والأحوال المذكورة عندهم لهذا الوجود أو لهذا الطور السنين الأخبار قال لهما مظهر المظاهر ومألوف المألوفات ووسيلة الوسائل : عليكم بحفظ مراتبكم فقط ، فوالله ما علم أحد من المتعبر إلا الحاصل الجامع المستند إذا سد وجه التقديس فى وجهه فهو الخبر . وقد نفذ الأمر بالكلام فى عالم المألوف الكريم فى يوم عرفة فى اليوم بنفسه وفى مفهومه الشرعى وتركيب الكلام فيه حتى يصل إلى غاية ما يقدر طاقة المتكلم [٢٨٣] فإما يسلم له ويحمد أو ضد ذلك قال له أكبر الأول والأخير الثانى ما هذا الكلام بعد الأخذ فى الذوات المجردة وفى الأعلى بعدها وفى المألوف وفى العزة الواقعة تحتعط المحاطبة إلى حضيض الأمور الوهمية فى عالم المألوف الأكبر الذى يجر القضايا ويحصرها . ثم وإن كان التحقيق يركب من أخس الأشياء أخصها قال لها المقصود الكف عن الكبير مادام القول يبعد القائل ؛ وغرضي الأخذ فى سبب المجد الإلهى ، وهو عندي يجنب الفائمة برفق ، وإن كان الكلام فى هذا اليوم هو فى عالم الأوهام فهو من أحكام المتعبر الذى نفذ الأمر على المألوف لسمى ينفذها هو . وكل شيء صدر عن الرضوان المتعبر يصل إليه ، فإن الأشياء قريبة منه بنوع واحد ، والعوالم يجملها لا تعجب السعيد فأنمع قضيته فقط وتلك القضية فيها دخل الجميع — فافهم . ومع هذا ينبغي أن يتكلم فيه أكبر الأول مع أهل الوجه الأول ثم مع الثانى حتى يصل إلى التاسع ثم يتكلم مع التعليم ويتصل كلامه بالمكلم ومع الأول من السفرة ويتكلم الأكبر الثانى مع حامل المهدي فى الصدر الواسع ويخلفه فى الحين ويوصل الكلام فيه إلى الأقسام وبعد كما تتكلم أنا محبة هداية المتعبر بلسان الثالثة من غير أن يجر الكلام للتوصل قال له أكبر نعم ونعم ما قلت وطاعتك ماهية السعادة . ثم انصرف وشرع يخبر العارف من عرفة فقال له ذلك العارف إن كنت نحب أن تعرفنى فبغيرى عرفنى . قال له : فى أى شيء نسأل عنها ؟ قال فى مفهومها من حيث الأحكام الشرعية . قال له : الأحكام الشرعية منها

ماهى مقولة المعنى ، ومنها دون ذلك ، ومنها ماهو معقول المعنى وغير معقول المعنى من جهة ، ومنها ماوضع على ضرب المثال ، ومنها سببى وبثبت بعد ذلك حكمه ، ومنها كذلك ولكنه لا يثبت ، ومنها ماهى على جهة الشبه ، ومنها ماهى من جهة المحكوم عليه فقط ، ومنها ماهى متعلقة بالواضع ، ومنها ماهى موقفة ، ومنها ماهى فى الدارين بوجه ما وبنوع ما ، ومنها ماهى صفة طلب ، ومنها ماهى عبارة موجبة ، ومنها ماهى بحسب شخص واحد فقط ، ومنها ماهى بحسب وقت واحد فقط ، ومنها ماهى برسم الارتباط لى يكون المطلوب الكريم عندها ، ومنها ماهو على العموم ، ومنها ماهو على الخصوص ، ومنها المطلق والتقييد والقدر والمفهوم والظاهر والمؤول والمجمل والفصل والمختص وما أشبه ذلك ، ومنها مايمضى على المعقول ويفيده ، ومنها خلاف ذلك ، ومنها مجموعة من علم وعمل ، ومنها مايخص القلب فقط ، ومنها مايخص الجوارح ، ومنها مايجتمع من ذلك ، ومنها مايضر بالقصد الثانى وينفع بالأول ، ومنها ما ينقطع [ ٢٨٤ ] فى دار الغرور ، ومنها ما لا يصح بكاله إلا فى الآخرة ، ومنها ما فيه مائة مسألة مع جعفر الصادق وخمسة قبله وسبعة بعده لا يجوز الكلام فيها مع أحد إلا مع من يحمله الحق ، أو يسأل فيه ، أو يدبره أو يكون معه من حيث ذاته ، أو يجر له مقاصده ، ومنها ما يتقدم ويتأخر من جهة واحدة .

والذى يجب أن تسلكم ملك فيه من هذه الأحكام كلها فى الوجه القريب من مالك فنقول إن كنت تريد الكلام على حكمها المألوف وصنته وشرطه - فنقول : أما الوقوف بعرفة فإنهم أجمعوا على أنه ركن من أركان الحج ، وأن من فاتته فعليه حج قابل - والهدى فى قول أكثرهم . وأما صفته لمحصله وصول الإمام إلى عرفة يوم عرفة قبل الزوال ، فإذا زالت الشمس خطب الناس ، ثم جمع بين الظهر والعصر فى أول وقت الظهر ، ثم وقف حتى تغيب الشمس . وإنما اتفقوا على هذا لأن هذه الصفة هى التى تجتمع عليها من فعله ﷺ لاخلاف بينهم أن إقامة الحج للسلطان الأعظم وأنه يصلى وراءه ، برأ كان أو فاجراً أو مبتدعاً . وأن السنة أن يأتى المسجد بعرفة يوم عرفة مع الناس ، فإذا زالت الشمس خطب الناس كما قلنا وجمع بين الظهر والعصر . واختلفوا فى وقت أذان المؤذن بعرفة للظهر والعصر . فقال مالك : يخطب الإمام حتى يمضى صدر من خطبته أو معظمها ثم يؤذن المؤذن وهو يخطب . وقال الشافعى : يؤذن إذا أخذ الإمام فى الخطبة الثانية . وقال

أبو حنيفة : إذا صعد الإمام المنبر أمر المؤذن بالأذان فأذن كالحال في الجمعة . فإذا فرغ المؤذن قام الإمام بخطب ثم نزل فيقيم المؤذن الصلاة . وبه قال أبو ثور تشبيهاً بالجمعة . وقد حكى ابن نافع عن مالك أنه قال لا أذان بعرفة بعد جلوس الإمام للخطبة . وفي حديث جابر أن النبي ﷺ لما زاحت الشمس أمر بالقصوى فرحلت له وآتى بطن الوادي فخطب الناس ثم أذن بلال ، ثم أقام فصل الظهر ، ثم أقام فصل العصر ولم يصل بينهما شيئاً ، ثم راح إلى الموقف . واختلفوا هل يجمع بين هاتين الصلاتين بأذنين وإقامتين أو بأذان واحد وإقامتين . قال مالك : يجمع بينهما بأذنين وإقامتين ، وقال الشافعي وأبو حنيفة والثوري وأبو ثور وجماعة : يجمع بينهما بأذان واحد وإقامتين . وروى عن مالك مثل قولهم ، وروى عن أحمد أنه يجمع بينهما بإقامتين والحجة للشافعي في حديث جابر الطويل في صفة حجة عليه السلام وفيه أنه صلى الظهر بأذان واحد وإقامتين كما قلنا . وقول مالك يروى عن ابن مسعود وحجته أن الأصل هو أن يفرد كل صلاة بأذان وإقامة ولا خلاف بين العلماء أن الإمام لو لم يخطب [ ٢٨٥ ] يوم عرفة قبل الظهر أن صلاته جائزة بخلاف الجمعة . وكذلك أجمعوا أن القراءة في هذه الصلاة سيرة ، وأنها مقصورة إذا كان الإمام مسافراً .

واختلفوا إذا كان الإمام مكيّاً هل يقصر بغير الصلاة يوم التروية ، وبعرفة يوم عرفات ، وبالمزدلفة أو كان من أحد هذه المواضع . فقال مالك والأوزاعي وجماعة : سنة ذلك الموضع التقصير ، سواء كان من أهلها أو لم يكن من أهلها . وقال الثوري وأبو حنيفة والشافعي وأبو ثور وداود : لا يجوز أن يقصر من كان من أهل تلك المواضع . وحجة مالك أنه لم يُروَ أن أحداً أتم الصلاة معه ﷺ أعنى بعد سلامه منها . وحجة الفريق الثاني البقاء على الأصل المعروف أن القصر لا يجوز إلا للمسافر حتى يدل الدليل على التخصيص .

واختلف العلماء في وجوب الجمعة بعرفة ومنى . فقال مالك : لا تجب الجمعة بعرفة ولا بمنى أيام الحج لأهل مكة ولا لغيرهم ، إلا أن يكون هنالك من أهل عرفة . وقال الشافعي مثل ذلك ، إلا أنه اشترط في وجوب الجمعة بها أن يكون هنالك أربعون رجلاً على منهبه في اشتراط العدد في الجمعة . وقال أبو حنيفة : إذا كان أمير الحج ممن لا يقصر الصلاة بمنى ولا بعرفة صلى بهم فيها

الجمعة إذا صادفها . وقال أحمد : إذا كان إلى مكة يجمع بهم ، وبه قال أبو ثور . وأما شرطه فهو الوقوف بعرفة بعد الصلاة . وذلك أنه لم يخالف العلماء أن رسول الله ﷺ بعد ما صلى الظهر والعصر بعرفة ارتفع فوق جبلها داعياً إلى الله عز وجل . ووقف معه كل من حضر إلى غروب الشمس . وأنه لما استيقن غروبها وبأن ذلك له دفع منها إلى المزدلفة . ولا خلاف بينهم أن هذا هو سنة الوقوف بعرفة . وأجمعوا على أن من وقف بعرفة قبل الزوال وأفاض منها قبل الزوال لم يُعَدَّ بوقوفه ، وأنه إن لم يرجع فيقف بعد الزوال أو يقف من ليلته تلك قبل طلوع الفجر فقد فاته الحج . وروى عن عبد الله بن معمر الديلمي قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : الحج عرفة ، فمن أدرك عرفة قبل أن يطلع الفجر فقد أدرك . وهو حديث انفرد به هذا الرجل من الصحابة ، إلا أنه يُجمع عليه . واختلفوا فيمن وقف بعرفة بعد الزوال ثم دفع منها قبل غروب الشمس فقال مالك : عليه حج قابل ، إلا أن يدفع قبل الفجر ، وإن دفع منها قبل الإمام وبعد الغيبة أجراه . والجملة فشرط صحة الوقوف عنده هو أن يقف ليلاً . وقال جمهور العلماء : من وقف بعرفة بعد الزوال لحجبه تام وإن دفع قبل الغروب . إلا أنهم اختلفوا في وجوب الدَّم عليه . وعدة الجمهور حديث عروة بن مَرْثَسٍ وهو حديث مُعْجَم على صحته قال : أثبت رسول الله ﷺ يجمع ، قلت : هل لي [ ٢٨٦ ] من حج ؟ قال : من صلى هذه الصلاة منا ووقف هنا الموقف حتى يفيض وأفاض من قبل ذلك من عرفات ليلاً ونهاراً فقد تم حجه وقضى تقته . وأجمعوا على أن المراد بقوله في هذا الحديث « نهاراً » ، أنه بعد الزوال . ومن اشترط الليل احتج بوقوفه بعرفة ﷺ حتى غربت الشمس . لكن للجمهور أن يقول إن وقوفه بعرفة إلى المنيب لما روى من حديث عروة بن مَرْثَسٍ أنه على جهة الأفضل ، إذ كان خيراً بين ذلك . روى عن النبي ﷺ ، من طُرُقٍ أنه قال : عرفة كلها موقف ، وارتفعوا عن بطن عرفة ، والمزدلفة كلها موقف إلا بطن محسر ، ومنى كلها منحر ، ونجاش مكة منحر ومبيت . واختلف الفقهاء فيمن وقف من عرفة بعرفة قليل : حجه تام وعليه دم . وبه قال مالك . وقال الشافعي : لا حج له . وعدة من أبطل الحج انتهى الوارد عن ذلك في الحديث . وعدة من لم يطلعه أن الأصل أن الوقوف بكل عرفة جائز ، إلا ما قام عليه الدليل . قالوا : ولم يأت هذا الحديث من وجه يلزم بهذه الجهة والخروج عن الأصل . فهذا هو القول في السبب التي في يوم عرفة .



وأما الفعل الذى إلى الوقوف بعرفة من أفعال الحج فهو النهوض بعد غيبوبة الشمس وما يفعل بما تركناه لكونك لم تسأل عنه . ومن الناس من يريد جوابه أن يكتب مطاقاً ولا يكون زائداً ولا ناقصاً ولا معدولاً ، ولعلك كذلك . والحكيم ينظر فى المصالح النافعة المبدرة المفيدة وبحسب الحق والحق الواقع فى الوجوه بعد إذا لم يجد ذلك من جهة المخاطب القريب . وهذا أجل وأكمل بكثير من الأول . والأول يصرف فى الجدل وفى بعض العلوم النظرية قاله أول الوجه الأول لا حاجة لى بعد ذلك وانصرف وسلم بعد ما علم . واعترض الرجل المتوسط فى ذلك الوجه عليه فقال له : لئى شئ أنت أكبر ولم يظهر بماذا ، وهذا الاسم لم يصبح لك إلا على الزيادة وبعد لم تظهر فأتبع ما وراء العادة وحرز طريق السعادة وما يحدد من العبادة وأنا تؤمن بجميع ما تذكر ونفتبط . قال : الإسعاف سيرتى ، والإنصاف شرف سريتى . اعلم أن هذا اليوم وهذا الموضع وهذا الوقت وهذه النية فى هذه العبادة من هذا العابد استدله مافى القوة من الكمالات وما من أجل وجد التكليف لى يعبر داخل الذهن ، أو يحمر من عالم الملكوت ويحصل للنفس حضورها المنسوب إلى ضمير المكلف حتى يطلع على الأرواح الفارقة ويتوجه إليها ، ويثبت بالآنية بعد ما طاف حول الأهوية ، ويستروح نفحات القرب ويرسل قصده بالتذلل إلى الجلال المبصر بالمساهية المضافة وهى هى بعد ما كانت تظهر على مظاهر خفية ، فيلحظها الذهن ويهرول ، ثم يفيب عنه فيسكن ، ويجتمع بعد ما كان قد تبدد فى الأفعال ، ويمامل المقصود بالباشرة الظهيرة ، ويقيد بمحققة الكنه المشترك ، وينظر نكته التى تكفيه [ ٢٨٧ ] مرض العادة ، ولا يمكن منها الطلب على الأول لأن تلك الذنوب كانت تقال على الأهوية المبنية بالمغايرة ، قال له المتوسط المذكور قد أخذت قصدى فكف عنى ما وراء ذلك ، فإن المؤمن لا يصلح به أكثر من ذلك إذا كان من الحسنيين فالقوة والتصد والاستعداد . قال له هو الكلام على العموم من جهة المضاف فقط ، وهو بحسب الرجال ، ومن حيث المراتب . وما أننا نخبر آخر ذلك على الوجه بذلك كله ونحسن إليه فإنه فى مقام الإحسان ، و « هل جزاء الإحسان إلا الإحسان » <sup>(١)</sup> . فنقول : يوم عرفة هو اتصال النسب ، وقطع لواحق

السَّبب والخروج من ذل الأغراض المهلكة، والدخول في العالم الأعلى بالجواهر، ومشاهدة أول علامات الحد، والتعرض إلى نجات خيرات المطع حتى يُبَصِّرَ أو يُبَصِّرَ : أحق يُبَصِّرَ بالجواهر المعنى المقوم لوجوده ، أو يعلم ذلك أنه كذلك . هذا إذا كان أمره بالوجه الأكل . وأما إذا كان بغيره الأتقص فيكون على جهة الشهور ، أو يكاد يظفر بالسكينة الوهمية ، قال له : تسكلم بما يجب لك ومن حينك فإنك تسكلمت بما عندى وبالوجه الذى نعلمه ولم نقدمه قط ، قال له لا طاقة لك على ذلك كله إلا به ، وهو قد خصصى وخلص وعَيْن ، لا أنه أهمل واستدرج ، وذَبْرَكَ تدبيرك المريد ، وحرمتك نور المراد ، قال له تسكلم بمواصلك القريب منى بالمرتبة ، فإذا فعلت ذلك اتركنى مع النعم فلمه يعلم ويلهم ويفهم ويقرر . والفرض منك الكلام عليها من كل الجهات وتطلع الكلام عليها حتى إلى عالم ثم إلى القريب منى فقط . قال له المذكور : حرفة هى وظيفة شرعية . قال له : هذا قد علمته . قال له : حرفة اسم موضع ، وهذا الاسم وضع بإزائه ، وقد قيل إنه من الأسماء المستعارة أو من المشتقة وقصة آدم مشهورة وتاريخ تحليل كذلك وجميع ما قيل فى هذا الاسم ، وفى هذا الموضع وفى هذه الوظيفة هو من هذا القبيل ، وقد قيل إنه من أسماء المرتبة التى يظفر بها هنالك ، وقد قيل إنه من أسماء الوقت . وقد قيل إنه أخذ من بعض لواحق المعرفة وغيره ، وقد قيل إنه كان جواباً من بعض الرجال لبعضهم حين سأله عن الحاصل فى ذلك وعن المدرك من الإنسان الكامل هل عرف معلومه على ما يجب فى ذلك الموضع وبحسب هذه العبادة . قال : نعم ! حرفة . وقد قيل إنه من أسماء النفس ، وقد قيل إنه من المنازل المستقبية ، وقد قيل إنه من أشلة التجلى ، وقد قيل إنه من فصول المواقف المحصلة للمطالب على العموم ، وقد قيل فيه إنه قضية الفيض والتخصيص ، وقد قيل إنه حكاية السالك الأول فى الأرض المتشبه بحكاية الأول فى السماء ، وقد قيل فيه إنه زمان نصيب السعداء ، وقد قيل إنه بشارة واردة فى دار النور ، وقد قيل إنه من خواص الأنبياء ، وقد قيل إنه فى الأمور العملية مثل الحروف المرسومة فى أوائل السور . قال له : قد علمت ذلك ، وقد خرجت عن المراتب النظرية والخلقية الخاصة والعامة . [ ٢٨٨ ] قال له : فأنت تسأل عن وزنه وفعله ، أو عن تصحيحه وقلبه ، أو عن مثاله أو حكمه ، أو عن فائدته المشتركة ، أو عن علمه ، أو عن اسمه ، أو عن واضعه ، أو عن جعلته ؟

قال له : جميع ما تصف لا حاجة لي به ، ولا يمكنني البحث فيه من حيثك ، وإنما يجب البحث فيه من جهة الأعلى فقط . فقال له : صدقت اليوم عَرَفَ من أنواع التصريف والخواص النعالة ، وفيه الكشف الكريم ، وهو من الأسماء المرسلة ، وله علامات لا يعلمها أحد إلا الله ، والمعلوم الذي وهبه هو تعلقه المنسوب وخلاصه المحسوب . قال له : صدقت ، غير أن الأمر الذي تريده منك غير هذا . قال له : عرفة من الوظائف السببية المنحلة بعد وجود لازمها ، ويكون ذلك اللازم مما قد عرفته من حيث هي حكمة لا من حيث هي عبادة ، ثم الفتح بحسب الصدور ، وهو فيها على عدد المصادر . قال له : صدقت ، غير أن المطلوب عندي أجل من هذا . قال له : عرفة قضية التطور الخالص أوسبها في ذلك ؛ فإن كانت في الحس وصحبة أعراض النفس الحيوانية والحرك العقل والقوة المثركة كانت من قبل التوجه الأول الذي يكابد الأوهام الموجبة ، وإن كانت في الأفضل وبحسب الأفضل وعلى هذا النوع المذكور كانت من قبيل الأوهام الخالصة القريبة المستقيمة . وإن كانت في مظهرها التلاقى الذي لا خير فيه إلا إذا نظر إلى عاقبته وتقدمته الكلية فهو الخير المحمود عنده . ثم أهل الكمال الأول قبل تمام شروط المخالفة المملة ، وإن كانت من النقط الواقعة من حضرة قوانين الوجود المعروف بذلك وهي فوات تلك وفيها صفات بل هي وجه وسيلة قدر وسيلة الوسائل في أنا . وإن كانت من ظل المنسوب له من إضافة به برباط عنه فكأنه دون الملكة وفوق الحد الأصغر يفرض ما ينصرف إلى أسئلة الاستفهام ، والعين متعددة بعد فهم وحدة الوجود ووجودها عنده ، وإنما كان ذلك لكون الأعداد تقرب القطع بالماهية البحوث عنها بالنصيب . قال له : قرئت في ذلك فتنم . قال له : عَرَفَ هي الحركة الكلية الواقعة بالمتى الأكل على المألوف الأعلى الأكبر ، ولذلك أقيم مثالا للطبيعي في عالم الطبيعة على الأقل وبحسب الضعف في الضد لكي يستجلب في حال قبضها نصيبه فهو يطلب بشبه التوجه وذلك يجد ، فتحدث من حال الواحد الحركة ومن حيث المستجلب السكون . قال له : قد كشفت وبيّنت فكف عني . قال له : بقي الحق المخاطب ، بل هي السكون والمثال على أصله هو على ما هو الأمر عليه من نفسه ، فإن الجليل يعطى والقابل حل ضربين : قابل يقبل ، وحيث أنه يقبل وآخر يسكن ، وبعد ذلك يجد ، والأول يتحرك إلى مألوف ما اعتبر فيه أنه المعبر قهض ، وذلك لأجل التعصّب الحاصل له من غير أن يحرره

من التوقف المتابع الذى يطمئن فى الماهية الراجعة المتبصرة بماهية وهمية [٢٨٩] هى الأصل فى تحصيلها فيها وفيها ذلك والثانى يبعث عنده الأمر فينبعث له وما منه به وما به منه وهذا له من ذاته ، وقد ذكرنا مفهوم هذا الأمر فى « الرسالة الحكيمة » . وكل ماهية يلحقها الزائد فاعلم أنها تابعة ، فإن كانت على طريق التبديل فالأمر فى أول الجلالة ، وإن كانت فى وسطه فهو فى الوسط ، وإن كانت فى الآخر فهو فى الآخر .

وجلة الأمر لا يعبر المتبصر إلا بظهور المتبصر ، ولا كل مألف بل المألوف الذى تستند إليه الصفات ويكون لما كالظهور هى عنه فى الماهية الموصلة كأنها الآلة الطبيعية النابتة فى الشكل ، وهو صور الأصوار وطور الأطوار وسور الأسوار ودور الأدوار ، والله هو المولى والله هو الأولى ، والله هو الأهل ، والله هو الآخرة والأولى ، والله هو الحليم ، وهو الحكيم ، وهو العليم .

فلما فرغ من هذا الكلام التفت للوجه الذى يليه فقال له : علمت أنت هذا ؟ قال : نعم ! ولكنه لا يقنعى . قال له : حب الوجود المضار فى الأمور الشريفة مضار ثان وشرف أكل . قال له : صدقت فسلم وفهم ولازم دهوة الحق وأهله ، وبحسب هذه الأحوال يظهر المقصود فى الجميع . قال له : عرفة هى الإضافة المتوحدة الناشئة بين الواحد والوحدة فقط ، وهى التشنع القائم بين الأحد والتوحيد . قال : كان ذلك فكف . قال له : أمّا من جهتك فنع ، وأمّا من جهة الحق فالمخاطب بالقوة فلا يمكننى ذلك . قال له : شأنك والحق ومخاطبة أهله .

فلما فرغ قال للذى يليه : اعلم أن عرفة هى الاستخارة التى تنشأ بين العبد الأصم ، وبين الأستاذ الراجع ، وهى التى تصدر من أهل المراتب فى السموات والأرض ، وهى المواقف المجرورة المتممة ، وهى المعجز الظاهر بعد الحصر الذى يجرى الماهية للوحدة المحضة أو للنقطة أو للقضية ، أو يزسم التواتر فى الذهن المغايرة وغير المغايرة . قال له : صدقت وقد فهمت فكف . قال له القول الأول ثم التفت إلى الذى يليه ، وقال له : عرفة هى ممكنة محصلة فى العالم الموكل به المتبهم المحسنة لخلاقها حتى كانت أو كادت . قال : كان المطلوب . ثم قال للذى يليه : عرفة هى العين الجاحدة لجميع الدول بالمضار المهمة لأكثر المكل ، وهى المتقدمة على الوظائف المحصلة

وهي ثمرة التركيب . قال له : كان ذلك ، ثم التفت كما جرت عادته ، وقال له : عرّفه هي النور المبعوث في الوحي بعد الملك ، وقبل الملك ، ومعه ؛ وهي الحق الراتب والباطن المرغوب ، وبالعكس . قال له : صدقت فكف ، ثم التفت إلى الذي يليه وقال له : عرّفه هي كل خط لا يصح له الوقوف ولا يفوته التقوس في وضعه ، وكل دائرة لا يحيط لها في الدهن ولا في خارجه ولا يلزم المحال فيها . قال له : صدقت فاطلع . ثم التفت إلى الآخر ، وقال له : عرّفه هي توبة لواحق الخليفة وخلة كشف التركيب ، وعلة جب الوسائل . قال له : صدقت ولا أستطيع على أكثر من هذا .

ثم جمع الجميع في حضرة خليفة المألوف وقال لهم : [ ٢٩٠ ] ما عرّفتم من عرّفه ؟ قالوا له : جملة أحكام وبعض خواص وحقيقة واحدة . قال لهم : ما الأحكام ؟ قالوا له : ثلاثة : الأول منها التدبير والثاني الإضافي ، والثالث الجاحد المشوق للكشف بذلك ذلك . قال لهم : فإهي انغوص ؟ قالوا له : سبعة : الأول منها معرفة الخاتمة التي جعل الصم أمرها ، وأوجه الأول والثانية كشف أسرار الارتباط ، والثالثة حصولها ماهية ، والرابعة الاطلاع على ذلك في حضرة الأمر حيث تظهر رحل الأحكام ، وعبون الحكم ، ومقر الأرواح الوهمية ؛ والخامسة تحصيل الفروق المهلكة الفاطمة المعللة ، والسادسة يحصل بها إدراك الأمور الشريفة في الماهية حتى أن الشيء الذي يبصره الناس في المنام يبصره هو في اليقظة ، والذي يتعلمه الغير أو يعلمه من جنس المعلومات المبعوث عنها بالآفة يلحقه هو بذلك النوع الخارج عن قبيل العلوم المأفوفة والقوة الطبيعية التي يقدر بها الإنسان وينقل المحمولة على أعضائه الشخصية التي هي شبه الآلة لها تقوم هذه الخاصية مقام جنسها ، بل هي أفضل وفعلها أثبت ، فإتيا تفعل في الحال وبمده ، وقد يلزم المنفصل عنها بقاء أثرها فيه فاعلم ، وكذلك ما يعمل الرجل بجناحه ومكاته هي أقوى وأفضل ، فاعلم ذلك .

والسابعة ثيل أصلها الواقع بالفعل ومن حيث ما يعلم من معاملة الله له ، وأواقع بالقوة من حيث مكاتها ، وقد يدرك ذلك بعض الرجال دون الخاصية المذكورة ، وهو لا يُحصد فإنه بخيرها لا عاقبة له إلا بالعرض أو في الأكثر ، وحالها هي بضد ذلك لأنها من المألوف الحاصل أو المختبر المحصل والحقيقة هي بوجه ما أظهر الذي يحصر الممدد للواحد وبصرفه إليه ، والواحد للوجود والوجود

للموجود الذى يقال عليه بحسب هذا الاصطلاح أنه الوجود، والموجود الذى يكون الوجود زائداً عليه وتكون الوحدة معه يمثل هذا القول وهو عندهم بوجه آخر أكل ماهية لا تنفك عن نظائرها اللاحقة خفى فيها ذاتية لا أنها تمحصرها حصراً السكلى لما يحمل عليه أو الجنس لأنواعه وهي لا يمرض لها شيء، ولا تنفرد هي به، أعني بما هو بها، أو من حيث هي هي وهي عندهم بوجه آخر أجل من الذى ذكر قبل. خفى الآن ذات تخدم وكانت في بعض الوجوه مخدومة في الحال الذى تبصر الأشياء مفتقرة إليها، ولا شيء يفعل بعدها إلا بما يسرى له منها. والآت قد انقطع المنتسب والنسب والروابط، وبالجملة ظهر لكم أن معلومكم أو مدرككم أو ماهية ماهيتكم أو ذلك اللازم أو ذلك البُعد الأول في ظاهرهم بما هو باطنكم، وفي أولكم بما هو آخركم، في مظهر لا يتفعل عن ذات ولا هو ذات حاصلة، وأنه هو الذى يخفى الوم عنده بل ينقطع. وهذا المظهر هو ذات المنفى الذى ينصرف إلى بُدْه ولا يخبر عنه إلا حقيقته، أعني الله الذى [٢٩١] يتجلى لنفسه أعني الذى استجاب في السكلى ولا سكل يعتبر معه بالمعنى الذى تقدم من الكلام في الواحد والوجود. وحاصل هذا كله مطلب ما هو ذل، وهل هو كل، ولم هو قل، وأين هو على، ومتى هو ذل، وكيف هو هل، وأى هو خَل، ومن هو هل، والبرهان شل.

وبلغتم الكلمة والكون على جهة الملكة والنور من جهة الحال والتركيب الأكبر. قالوا له : صدقت! قال لهم : الأمر أعظم وشأن الله أعلى من أن تأخذه علوم الصم أو حقائق الوجوه المذكورة أو ذمهم الأقطاب، ولو علمتم ما أعلم لكنتم نحو الصواب في البعد والقرب وإمال الغايات غاية والنهايات نهاية، وجلال الله لا تنفمه المادة ولا يحجبه بعض أهلها. ثم عزم وعزموا، وأمر فامتثلوا، وقال ففهموا، وكان وكانوا، وهم وهموا وهاموا. وأراد وامتنعوا وفضل وكفوا، وذكر وأنكروا، وخطب بماهية الوقت التي هي خليفة القضية الجامعة الحاكمة وقال الحمد لله الذى جعل عرفة من أسمائه المواطن الرحمانية، وزمانها قرية الاعتدال، ومكانها نوره أواقف، وحكمها برهانه المتلوه يلسان السنة الإلهية قبل سُنَّتْها الربانية الحاكمة في عالم الخلود المكتسب، والحمد لله الذى جعلها تشرع بشمائل الظاهر السابغ، وتعظم السادس الماسى وتحرر قصص الأولياء في ورقة الأسباب. والحمد لله الذى قرضها بقدر تكال، وقبلها كنكلك، وربطها بضيد ذلك، وجعل عاقبتها تغيراً إلى

حكم إتباعه . يا هذا ! قد أهدمت الارتهاق وحادت همتي عن طريق المطالب الذي زعمت قبل هذا  
ولأننا نزعم بأكثر منه ونجدد الاصطلاح الذي يخصف ، فنقول : هي عقدة رأس آخر العبادة السيئة ،  
بل هي النية ، بل هي العقل ، بل هي القصد ، بل هي الأمر ، بل هي العين ، بل هي التذلل ، بل  
هي الزيادة الصاعدة ، بل هي من قبيل الألواح ، بل هي من قبيل فتح الماهية المفلقة التي لا يفتحها  
إلا الله العليم ، بل هي سبب فتحها ، بل هي أس السلامة منه ، بل هي بد كافيها ، بل هي شهادة  
الله ، بل هي عين أمره وعلمه وسائر صفاته ، بل عندها يصل إليه المتشدد وبعد ثلاثة أخبار  
يفرض الأسماء الكشفة لسائر العادات المنجزة العالية بعد أمر الله عند جوهرها بالأمر الذي يجمع  
على أمور ، ويحفظ بالأمر الذي يجمع على أوامر . ومفهوم ذلك من أخبر عن حقيقته بالحق وكان  
ذلك بالقوة الغالبة التي يجد الإنسان فيها ضميره كأنه يتكلم ويفعل مع السكوت وفي حال السكون .  
ومن قبيل هذا الأمر هو الذي يجهده بعض هؤلاء الصوفية فيقول : ليت كننا ، وفعلت كذا ،  
وهذا لا يلتفت إليه من علم الحق ، لأنه من جنس الأحوال الكاذبة وكان هذا الخبر أودك الخبر  
انتهى تصريحه حيث انتهى خبره مثل ما يقوله الصم في سعيدهم إنه ينتهي حيث انتهى علمه ، وهذا هو  
البراق المكنون والمقام الكامن الذي هو في جميع [٢٩٢] الناس ، وهو الفصل الصحيح عند الخاصة  
أعنى فصل الإنسان من غيره لا الفصل الذي يقول له علماء الصم ، فإن ذلك مدخول الحد ، وهذا  
هو الفتح المبين أعنى فتح الماهية الذي يحيط بما يفجر عنه ، وقد يحيط بأكثر من خبره وفتحها  
أن يكشف له منها جميع ما يريه ولا يشق عنها ولا عنه في الوجود ، أو في الذي يريه شيء .  
وأما الفتح الذي يفتح به على الإنسان في صدره ، أو في ملكه وعادته أو في تصرفاته كلها ، أو في  
منقلبه ، وبالجملة النتج الذي يملك به السر الإلهي والسر الطبيعي والفطر بالسلامة من كل  
الجهات ما هو هذا الذي أريده ، فإن ذلك كله خارج من ماهيته . وأعوذ بالله من الفرج بغير  
النصيب ، وبنوع منه قيل للخليفة خليفة ، والنصيب هو أن يكون الحق يتولاك بقصد الرضى ،  
أعنى بفتح ، فترى الامتداد الذي يسع البشرية ، لأنه يجعل فيك من المعلومات الجزئية التي  
لا يعلم في وقت ما نيلها الإلهي ، وشاهدنا في المواد الطبيعية وبحسب ضرب الأمثلة مالك الكليات  
ومالك سببها ومالك حفظها ومالك ما يقدر فيها ، وهو مع ذلك في العالم المفارق ، ومالك الشخصيات

وهو في عالم الطبيعة ، أو للشخص الذي يبصر من قسبة مجوفة وتكون بحيث لا يبصر إلا المقابل لها ويكون ذلك في وقت واحد ، والانسان الذي يبصر على الإطلاق ويرفع المانع أو الشخص الذي يدفع له الحكيم من بعض دراهم تصرفه العلمي ، وبآخر يدفع له السر الذي به يفعل ، والذي به يحفظ ، والذي به استخرجه ، والرجل الذي خلق أكنه ثم فُتِحَ له في وقت ما فأبصر مُبصرًا ما ، وبآخر خلق يبصر ببصره وبصيرته وبالوارد .

فقل أعود بالله من الفتح الذي يشرح فيه الصدر ، أو تفتح من أجله أبواب الجنة وتنفق من أجله أبواب النار . وإنما الفتح هو الأول ، وهو المفهوم من قوله تعالى : « إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا » <sup>(١)</sup> ولا شيء أفتح من نصحك العظم على حبيب الله حيث قالوا : أراد الله بذلك الفتح فتح مكة ، فلا هم صدقوا في المطلوب ، ولا هم أنصفوا النصر . وذلك أن الله قد أخبر عن مكانته الشريفة التي بها يقول ويعلم ويفرح والذي لا يسمه به إلا التوجه المطلق ؛ ولذلك كان آخر الأمر الكريم أول الأمر العزيز ؛ ولو كان الذي ذكره على الوجه الذي يقال فيه إن الزمان في حق الله . لا يصح ، وإذا أخبر أخبر عن معلومه ، ومعلومه لا يفوت ولا يتجدد عليه شيء ، ولا ينظر إلى مطلوبه بالقوة ولا ينتظره ، ولا يفقه قط — لكان الأمر قبيحاً بالإضافة إلى ما يريده . فكيف وعَرَقة عند جميع الأنبياء في غير هذه الصفة وبغير هذه الحلية ، وفي دون ذلك ، وكذلك في السموات والأرض .

ثم والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم كثيراً .









دار الطباعة الحديثة  
مكتبة الزمزم - الرياض - ١١٦٦١  
ت. ٥١٢٢٢٢ - ف. ٥١٢٢٢٢

Bibliotheca Alexandrina



0415069